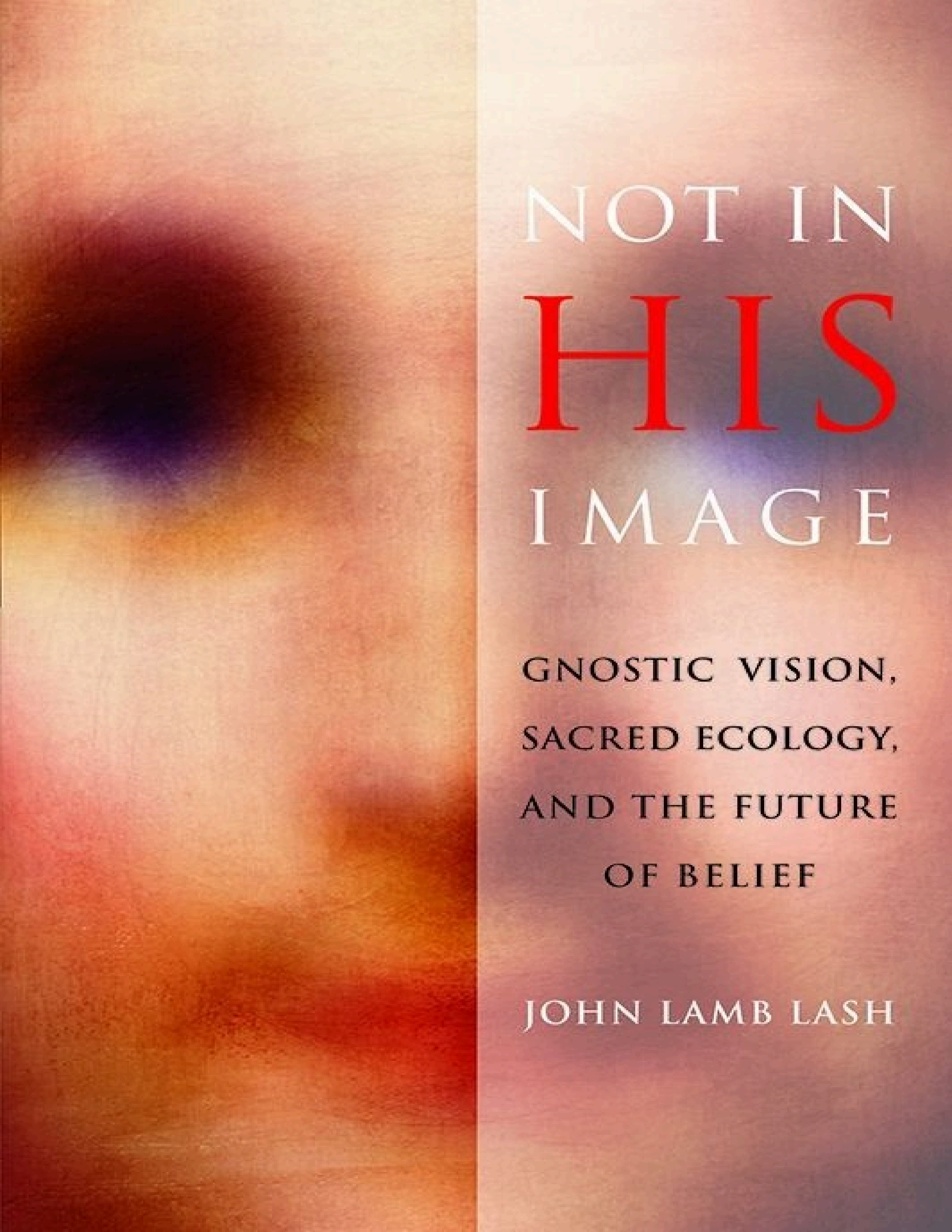


NOT IN HIS IMAGE

GNOSTIC VISION, SACRED ECOLOGY, AND THE FUTURE OF BELIEF

JOHN LAMB LASH

الثناء على ليس على صورته

"في بعض الأحيان يغير الكتاب العالم. ليس على صورته هو مثل هذا الكتاب. إنه واضح ومحفزة ومدروس جيدًا، ومن المؤكد أنه سيغضب الخبراء. اسمعوا نصيحة عالم: "الخبراء" غالباً ما يكونون مخطئين. في الواقع، من سمات الإنجازات العلمية أنها عادة ما تكون مبنية على بحث دقيق وتثير غضب "الخبراء". يُظهر العلم أهمية الثقة بالتفكير الواضح بشأن الأدلة المباشرة. هذا الكتاب مليء بالاثنين. هل تعي الأمر. لا تحسّن حياتك فحسب، بل حسّن فرص الحضارة في البقاء.

—روجر باين، حاصل على درجة الدكتوراه، زميل ماك آرثر، رئيس تحالف المحيطات،

مؤلف بين الحيتان

"جون لامب لاش ليس على صورته هو إنجاز نادر، يجمع بين الدراسة التي لا تشوبها شائبة والبصيرة الرائعة. في جولة مذهلة، يقدم المؤلف تحليلاً عميقاً لتاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام وعلاقاتها بالنظام الأبوي. يحدد الجذور العميقة للمشاكل الجوهرية لهذه الديانات الثلاث - التركيز على الجاني والضحية والأيديولوجية الخلاصية - ويشير إلى علاقتها بالاغتراب والمعاناة التي تعاني منها البشرية الحديثة. هذا الكتاب ضروري لكل من يحاول فهم التيارات النفسية والروحية الكامنة وراء الأزمة العالمية الحالية.

—ستانيسلاف غروف، طبيب، مؤلف كتابي "عندما يحدث المستحيل" و

العقل التكاملي

"كتاب استثنائي وعميق. إن كتاب "ليس على صورته" هي نعمة، وتحذير من أنه يجب علينا التوقف عن اتباع النصائح الرهيبة للمسيحية... وأنه يجب علينا بدلاً من ذلك أن نعيد سكن أجسادنا الجميلة والمليئة بالفرح والألم والفناء، وأن نقاتل من أجل حياتنا ومن أجل حياة من نحب. هذا الكتاب يرشدنا إلى طريق العودة إلى الوطن."

- ديريك جنسن

"إن ما نعرفه عن الإلهي يأتي من خلال ثلاثة مسارات - من خلال مشهد الطبيعة، ومن خلال شهادة الباحثين الروحيين، ومن خلال تجربتنا الداخلية الخاصة، كما هو الحال في التأمل والتواصل الصوفي. يسعى جون لامب لاش إلى تجديد فهمنا للمسارات الثلاثة جميعها، وبالتالي تجديد إحساسنا بالألوهية. وعلى وجه الخصوص، يتحدى العقائد من عوالم آخرى التي وصلت إلينا في المسيحية واليهودية والإسلام، ويسعى إلى استعادة الأديان الأرضية التي سبقتها. يذكرنا بأن تلك الديانات التي تراعي البيئة ازدهرت ليس فقط بين الشعوب الأصلية في نصف الكرة الغربي ولكن أيضًا في أوروبا القديمة. ويجادل بأنه من خلال استعادة هذا التراث الوثني، يمكننا البدء في معالجة أمراض الإبادة الجماعية والحرب والتدهور البيئي التي تصيب العالم الحديث.

——سكوت راسل ساندرز، مؤلف كتابي "تاريخ خاص للرهبة" و"البقاء

ساكناً

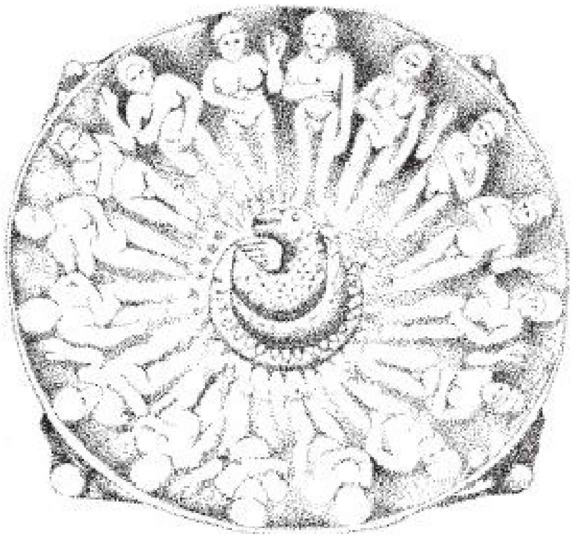
"إن كتاب جون لاش الهرطقي هو عمل ثمين من أعمال العصيان الروحي الذي يسعى إلى إنقاذ العالم من حركة الخلاص. يفتح لاش آفاقاً جديدة بين الأسطورة وعلم البيئة، ويساعد المرء على الشعور بما يشعر به الكوكب. يقترح المعرفة المباشرة وتجاوز الاعتقاد، ويدافع عن مذهب الأرواحية كفرضية قابلة للاختبار. إنه يترك المستقبل مفتوحاً ويحتاج إلى الخيال البشري. إن للبشرية دورًا في مستقبل الكوكب الحي، لكن لاش يتوخى الحذر عند وضع افتراضات حول دورنا كنوع. هذا الكتاب كتابٌ ثريٌّ بالمعلومات، جريء، ومليءٌ بالرؤى الثاقبة. قد يجد البعض الأمر صعباً بل وصادماً، ولكنه كتاب مهم لمن يهتمون بالحياة على الأرض. لقد صُمم هذا الكتاب ليُفكر فيه القراء ملياً، بدلاً من أن يُصدقوه.

-جيريمي ناربي، عالم علِم الإنسان، مؤلف الثعبان الكوني و

الذكاء في الطبيعة

ليس على
صورته

ترجمة مجموعة الروح، ما في الجنة إلا الله



ليس على
صورته

الرؤية الغنوصية، والبيئة
المقدسة، ومستقبل المعتقدات

جون لامب لاش

دار نشر تشيلسي غرين، وايت ريفر جانكشن، فيرمونت

رئيسة التحرير: مارسي برانت، محررة
النسخ: كانون لابري، مفهرسة: بيغي
هولواي

المصمم: بيتر هولم، شركة ستيرلينغ هيل للإنتاج. الرسوم التوضيحية:
أبراهام غريغز، شركة ستيرلينغ هيل للإنتاج.

طُبع في الولايات المتحدة الطبعة الأولى، أكتوبر 2006 10 9 8 7 6 5

التزامنا بالنشر الصديق للبيئة

ترى تشيلسي غرين أن النشر أداة للتغيير الثقافي والإشراف البيئي. نسعى جاهدين لمواءمة ممارساتنا في تصنيع الكتب مع مهمتنا التحريرية وللحد من تأثير مشروعنا التجاري على البيئة. نقوم بطباعة كتبنا وكتالوجاتنا على ورق معاد تدويره خالٍ من الكلور، باستخدام أحبار نباتية كلما أمكن ذلك. قد يكون سعر هذا الكتاب أعلى قليلاً لأننا نستخدم ورقًا معاد تدويره، ونأمل أن توافقوا على أنه يستحق ذلك. تشيلسي غرين هي عضو في مبادرة الصحافة الخضراء (www.greenpressinitiative.org)، وهي تحالف غير ربحي من الناشرين والمصنعين والمؤلفين الذين يعملون على حماية الغابات المهددة بالانقراض في العالم والحفاظ على الموارد الطبيعية. تمت طباعة كتاب "ليس على صورته" على ورق "Natures Book Natural"، وهو ورق معاد تدويره بنسبة 30% من قبل المستهلكين، تم توفيره بواسطة شركة Thomson-Shore.

مكتبة الكونغرس بيانات الفهرسة في النشر جون لاش.

ليس على صورته: الرؤية الغنوصية، والبيئة المقدسة، ومستقبل المعتقد / جون لامب لاش.

.p. cm

يتضمن الكتاب مراجع ببليوغرافية وفهرس. :ISBN -13
978-1-933392-40-0

ISBN -10: 1-933392-40-1

ردمك -13: 978-1-931498-92-0
ردمك -10: 1-931498-92 - X ‏(.pbk)
(.(pbk

1 - الدين. 2. الغنوصية. 3. الوثنية. 4. التوحيد. I. العنوان.

2006018250

dc22 -299.932

تشيلسي غرين للنشر

North Main Street, Suite 120 85

White River Junction, Vermont 05001

(802) 295-6300

www.chelseagreen.com

لمتصوفي المستقبل

"يا صغيري، لقد سقطت في الحليب."

المحتويات

[المقدمة]

قضية الرهبة

عندما يفتقر الناس إلى الشعور الصحيح بالرهبة، فإن مصيراً رهيباً قد قرره الكون بأسره سيحل بهم.

—لاو تزو، كتاب تشينغ تاو،

للقدر طرق غريبة ورائعة. يمكننا أن نقول أن الكتاب الذي بين أيديكم قد تمت كتابته لأن مؤلفه كان في طفولته لديه أسنان بارزة.

كنت قارئًا نهمًا منذ صغري، لكن نشأتي في قرية فريندشيب الساحلية في ولاية مين - التي يبلغ عدد سكانها تسعمائة نسمة، ينتمي حوالي ثلثهم إلى عشيرة لاش - لم توفر لي إمكانية الوصول إلى مجموعة واسعة من الكتب. بسبب بروز أسناني، اضطررت إلى أخذ إجازة من المدرسة والذهاب "إلى الشرق" (على طول الساحل) إلى بانجور، وهي المدينة الوحيدة في المنطقة التي يوجد بها أخصائي تقويم أسنان. لقد كانت رحلة مميزة للعائلة، حيث أننا لم نكن نخرج من القرية كثيراً. بصرف النظر عن مدينة نيويورك، التي كنت أزورها من حين لآخر، كانت بانجور أكبر مدينة عرفتها طوال فترة مراهقتي.

استغرقت الرحلة ساعة ونصف في كل اتجاه على الطريق رقم 1، لكن جلسة تقويم الأسنان نادراً ما استغرقت نصف ساعة. على الرغم من أننا كنا فقراء للغاية بحيث لم يكن لدينا الكثير من المال للإنفاق (كان زوج أمي من سكان ولاية مين الأصليين وصياد جراد البحر)، إلا أننا كنا عادةً ما نبقى في بانجور لبضع ساعات، لمجرد أننا كنا هناك. في بعض الأحيان، كنا نتناول الغداء في مقهى. كان ذلك حدثاً هاماً. لقد ادخرت بعناية المال الذي جنيته من سدّ الشقوق في القوارب وجزّ العشب لرحلات بانجور. بينما كانت العائلة تتجول في المحلات، كنت أذهب بمفردي وأستكشف المكان. أسفرت رحلاتي الاستكشافية عن اكتشافين هامين. كان أحدهما متجر فاينر للموسيقى حيث اكتشفت موسيقى الجاز والإيقاع (إينوك لايت وفرقة لايت بريغيد)، ناهيك عن بائعة شقراء نابضة بالحياة كنت أغازلها بشكل فاضح. أما الآخر فكان متجر بيت للقرطاسية والكتب.

بانجور هي مدينة جامعية، كونها أكبر مدينة قريبة من حرم جامعة مين في أورونو، أعلى نهر ستيلووتر. في الجزء الخلفي من متجر بيت، كان هناك ركن للكتب حيث كانوا يزودون الزبائن بكتب مؤلفين يهمون طلاب الجامعات. كان هذا مكاناً مقدساً بالنسبة لي. لم أرَ مثل هذه الأسماء والألقاب من قبل، لكن بدا أنني أنجذب بشكل لا يخطئ إلى تلك التي تناسب روحي. وجدت في مكتبة بيتس روايتي ″يوليسيس″ و″رحلة إلى نهاية الليل″، وهما روايتان كان لهما تأثير عميق على آرائي حول الأدب والحياة،

على التوالي. ووجدت كتباً أخرى حددت مساري في الحياة: مختارات وجودية بعنوان ″البحث عن الوجود″ مع مختارات من شيلينغ وسارتر، ومسرحيات صموئيل بيكيت، وشعر دبليو بي ييتس وسلفاتوري كوازيمودو. ثم، في أحد الأيام قرب نهاية محنتي التي استمرت ثلاث سنوات في تقويم الأسنان، صادفت كتاب ″هكذا تكلم زرادشت″ في ترجمة آر. جيه. هولينغديل. كنت أعرف بعض الشيء عن نيتشه، لكنني لم أقرأ كلمة واحدة مما كتبه. في اللحظة التي بدأت فيها بتقليب صفحات الكتاب، شعرتُ بإثارة شديدة. عندما انضممت إلى والديّ وأختي لتناول الغداء، واصلت القراءة بوقاحة أثناء تناول الطعام. وفي المقعد الخلفي للسيارة في طريق العودة إلى المنزل، ظللت منغمسًا في قراءة الكتاب. كان حماسي شديداً لدرجة أنني اضطررت إلى قراءة بعض المقاطع بصوت عالٍ. بدأتُ بجزء من كتاب ″العلم المرح″ (المذكور في المقدمة)، والذي يحتوي على الإعلان الشهير بأن "الله قد مات"، ثم انتقلتُ إلى مقدمة كتاب زرادشت:

> سأعلمك كيف يكون سوبرمان. الإنسان شيء يجب التغلب عليه. ماذا فعلت للتغلب عليه؟
>
> إن سوبرمان هو معنى الأرض. دع إرادتك تقول: سيكون سوبرمان هو معنى الأرض.
>
> أناشدكم يا إخوتي، أن تبقوا أوفياء للأرض، ولا تصدقوا أولئك الذين يتحدثون إليكم عن آمال خارقة للطبيعة. إنهم مسممون، سواء أدركوا ذلك أم لا.

جلس والداي في المقعد الأمامي في صمت مذهول. كانوا أناسًا خجولين بلا اهتمامات فكرية، ولا يملكون أي مفاهيم فلسفية. كان زوج أمي بالكاد يكسب قوته - وهذا ليس مفاجئاً، لأن مصدر رزقه كان يعتمد على القشريات المراوغة التي لم يلاحظ جنسنا البشري عادات تزاوجها (في تلك الأيام). ولدهشتي وخيبة أملي، كان والداي يعبران في كثير من الأحيان عن حيرتهما وخوفهما من صعوبات البقاء على قيد الحياة. كانت حياتهم الروحية تتألف من ولاء فاتر لطائفة المسيحيين الأدفنتست الأصوليين الذين سيطروا على القرية. لم أصدق أنني وجدت في نيتشه بالضبط ما أردت قوله لهم عن أنفسهم، وعن المعتقدات التي كانوا يحملونها، والتي كان من المتوقع أن أقبلها كمعتقداتي. طوال الطريق إلى المنزل واصلت القراءة، غارقاً في النشوة الهوسية التي لا بد أن نيتشه شعر بها عندما كتبها. في مقال "عن القراءة والكتابة"، توصلت إلى عقيدتي الشخصية:

> تنظر إلى الأعلى عندما ترغب في أن تُرفع. وأنا أنظر إلى الأسفل، لأنني مُعظَّم.
>
> من منكم يستطيع أن يضحك ويفرح في آن واحد؟
>
> من يتسلق أعلى الجبال يضحك على كل المآسي، سواء كانت حقيقية أو خيالية.
>
> غير مكترثة، ساخرة، جريئة - هكذا تريدنا الحكمة أن نكون: إنها امرأة لا تحب أحداً سوى المحارب.

لقد انطبعت الكلمات في ذاكرتي منذ المرة الأولى التي رأيتها فيها. في الأشهر التي تلت ذلك، ومع اقتراب

عيد ميلادي السابع عشر، تعمقت بعمق في مفهوم نيتشه "إعادة تقييم جميع القيم"، والذي يتمحور حول نقده الجذري للمسيحية. لفت انتباهي نقطتان كانتا صحيحتين تماماً: الدين المسيحي يُعرّف الأخلاق من خلال نظام معتقدات قائم على علاقة السيد والعبد، ومتجذر في الاستياء من الجمال الخام وقوة قوة الحياة. هاتان الفكرتان حررتاني، لأن نيتشه كان يقول شيئاً كنت أشعر به بالفعل وكان يتجاوز قدرتي على التعبير عنه. لكن في الوقت نفسه، أثقلا كاهلي. عندما قرأت المزيد من كتابات نيتشه، أدركت أنه لم يذهب بعيدًا بما فيه الكفاية أو يتعمق بما فيه الكفاية في تحليله لـ "ذلك الإيمان الفاسد". لذلك قطعت على نفسي عهداً. أقسمت أن أكمل ما بدأه نيتشه. لقد تعهدت بالتفكير ملياً في نقده للمسيحية وتطبيقه عملياً حتى النهاية.

هذا الكتاب هو نتيجة ذلك العهد، الذي قطعه قبل نحو أربعين عاماً مراهق ذو أسنان بارزة قاده عيب في أسنانه إلى هذا المصير.

خيانة الإنسانية

لقد واجهت طوال حياتي مفارقة: الشعور بالتعاطف مع البشرية، وفي الوقت نفسه، الشعور بنوع من النفور تجاهها. وفي النهاية أدركت أن النفور الذي شعرت به لم يكن تجاه الوجود البشري في حد ذاته، ولم يكن مجرد إسقاط للنفور الذاتي على الآخرين. بل كان رد فعل عفوي وتلقائي تجاه السلوكيات والمواقف البشرية. (إن المواقف التي تشكل السلوك هي قيم، وهذه هي القيم التي سعى نيتشه إلى تحطيمها وإعادة بنائها.) حتى في طفولتي، بدا لي أن بعض أشكال السلوك البشري لا تتوافق مع الإنسانية الحقيقية. قد لا يبدو هذا رأياً متطرفاً، حيث يتفق معظم القراء على أن بعض الأفعال البشرية مثيرة للاشمئزاز، ولا تليق بالإنسانية. لكنني كنت في مأزق رهيب في وقت مبكر من حياتي لأنني كنت أشعر بالنفور من الأفعال والمواقف التي كانت تُعتبر عادةً جديرة بالإعجاب.

وعلى وجه الخصوص، الصلاح الديني والاستقامة الأخلاقية. ما اعتبره العالم أجمع مثالاً لأفضل ما في الطبيعة البشرية، وجدته أمراً مؤسفاً للغاية.

من خلال عيشي مع هذا الشعور المتضارب، أدركت شيئاً يصعب تحديده للغاية: ألا وهو كيف أن الإنسانية معرضة لخطر خيانة نفسها من خلال ما تعتبره أسمى مُثلها. تساءلت كيف يمكن لمثل هذا الاقتراح الغريب أن يكون صحيحاً، وكيف يمكن أن تحدث خيانة الذات من قبل نوع كامل بالفعل. بمرور الوقت أدركت أنني لم أكن لأستطيع حتى أن أشك في مثل هذه الخيانة لولا التزامي بمعيار فطري للإنسانية كنت أحكم من خلاله على السلوك البشري، بما في ذلك سلوكي. لكن ما هو هذا المعيار؟ كيف حصلت عليه؟ لماذا لم يحصل عليه الآخرون أيضاً؟ كيف يمكنني تطبيق إحساسي بالقيم، وقواعد الإنسانية الكارهة للبشر التي وجدتها عند نيتشه، بطريقة رحيمة؟ وحتى لو تمكنت من تحديد "معياري الفطري للإنسانية"، والارتقاء إليه، فماذا بعد؟ كيف سيؤثر هذا على مكانتي في العالم؟ والأهم من ذلك، هل سأكون قادراً حينها على رؤية كيف تتجلى خيانة البشرية لنفسها؟ بل كيف يمكن تجنب ذلك؟

هذه هي الأسئلة التي شغلتني طوال حياتي. إلى حد كبير، يمثل هذا الكتاب محاولتي لحل هذه الأسئلة. لقد كان الأمر تحدياً كبيراً، وأتوقع أن "كشف" خيانة البشرية لنفسها في هذه الصفحات سيشكل تحدياً كبيراً

لبعض القراء. أطلب جلسة استماع عادلة، وألا يُنظر إليّ على أنني شخص يدعي أنه وجد الحل النهائي للمشاكل التي تصيب الجنس البشري. لكني أعتقد أنني قد أحدثت أعمق جرح من الناحية الروحية، حيث وصلت إلى قلب الخيانة الخفي، إلى المكان الذي تفسد فيه الكرامة الإنسانية. بعد أن شاركت رسالتي مع العديد من الناس على مر السنين، أنا مقتنع بوجود تصور متزايد بأن هناك خطأ جوهري في القيم الدينية السائدة. كل يوم، أرى المزيد من الأدلة على أن بعض الناس على الأقل مستعدون لمواجهة السؤال المرعب: لماذا نخون إنسانيتنا باسم مبادئنا الروحية؟

هذا الكتاب بمثابة نداء إنذار، ولكنه أيضاً نداء للإلهام. تحتوي الصفحات التالية على مزيج مثير من التاريخ والعلوم واللاهوت والأنثروبولوجيا والأساطير والشهادات الشخصية للتجربة الصوفية. وبغض النظر عن النقاط العديدة التي يتناولها هذا الكتاب، فإنه يقدم حجة تدعو إلى الإعجاب. لكن هذا يطرح معضلة، لأنه لا يمكن إثبات الرهبة بالمنهج العلمي، ومع ذلك فهذا هو النهج الذي اتبعته في حجتي. سيجد القراء سهولة أكبر في قراءة هذا الكتاب إذا أخذوا في الاعتبار أنني أؤطر حجتي بعبارات أكاديمية، لكن القناعات الأساسية التي أكتب عنها لا تستمد من البراهين الأكاديمية والمنهج الأكاديمي، ولا تعتمد عليهما.

ولإثبات الرهبة، أعود إلى الرابطة الساحرة مع الطبيعة التي تم الاحتفاء بها في الديانات الوثنية في العالم الكلاسيكي. أعود إلى الأسرار. قد لا تشبه روايتي عن الوثنية ما اعتدت على قبوله كتاريخ. لكنني أؤكد أن القيمة العليا للدراسة النزيهة للتاريخ - على عكس القبول الأعمى للخرافات التاريخية - هي أن تُظهر لنا كيف انحرفنا عن المسار الصحيح لتطورنا كنوع. كان الغرض من الأسرار هو إبقائنا على المسار الصحيح. لست الشخص الوحيد على هذا الكوكب اليوم الذي يقتنع بأننا كجنس بشري قد انفصلنا عن صلة بدائية - صلتنا بـ غايا، الكوكب الحي. وقد قالت أصوات كثيرة في عصرنا هذا نفس الشيء. لكنني في هذا الكتاب أقول شيئاً أكثر من ذلك. أقول إن ارتباطنا بالأرض الحية ليس مجرد مسألة بقاء، بل هو أمر أساسي لطريقتنا في معرفة أنفسنا، وتحديد من نحن كجنس بشري. إن العلاقة بين النوع والذات، كما أسميها، تمنحنا إحساسًا بتفردنا، وإمكاناتنا الفريدة (ولكن ليست متفوقة) في خطة الحياة على كوكب الأرض. سأوضح كيف مارس أصحاب الرؤى العملية المعروفون باسم الغنوصيين هذا الربط وعلموه. عندما دُمِّرت تقاليدهم المقدسة، انطلقنا في مسار مؤكد نحو الفناء الذاتي.

قد تكون النظرة التاريخية لخيانة البشرية لنفسها، والتي يقدمها هذا الكتاب، هي النسخة الوحيدة من قصتنا التي يمكن أن تنقذنا من كابوس التاريخ. هذا هو أسمى طموحاتي.

شكل السوناتا

تم بناء هذا الكتاب على شكل سوناتا من أربع حركات. بدلاً من العرض الأكاديمي المباشر (على الرغم من وجود قدر كبير من ذلك)، فإنه يعمل من خلال عرض سيمفوني للمواضيع أو الأفكار الرئيسية. الموضوع السائد هو الإلهة صوفيا، التي اسمها الحكمة، وجسدها الحسي هو الأرض. هدفي الأول هو استعادة وإعادة إحياء الرؤية الصوفيانية للأسرار التي احتُفل بها في أوروبا القديمة والشرق الأدنى. كان يُطلق على حراس هذه الرؤية اسم "غنوصتيكوي"، أي "أولئك الذين يعرفون كما تعرف الآلهة". إن ربط تعاليم الأسرار بنظرية غايا وعلم البيئة العميق - وهو الهدف الثاني لهذا الكتاب - لا يمكن القيام به دون النظر عن كثب إلى ما دمر الرؤية الصوفيانية للأرض الحية، وكيف تمكن من القيام بذلك. استمرت الإبادة

الجماعية للروحانية الأصلية في العالم الكلاسيكي لقرون، لكن التستر على هذه الحقيقة أخفاها إلى حد كبير، ولا يزال مستمراً حتى يومنا هذا. إن كشف التستر والكشف عن سبب ونطاق الدمار الذي حدث هو الهدف الثالث لهذا الكتاب. وأخيرًا، يتمثل الهدف الرابع في إكمال نقد نيتشه من خلال إظهار ما هو خاطئ أساسًا، بل وخطير بشكل مرضي، في اللاهوت الخلاصي والأخلاق اليهودية المسيحية.

يركز الجزء الأول، "الغزو والتحول"، على الهدف الثالث: إظهار سبب ونطاق تدمير العالم الكلاسيكي. يصف هذا النص الروحانية ما قبل المسيحية في أوروبا، وهو عالم موحد بالثقافة الكلتية ويشرف عليه العارفون . من المعابد القديمة في مصر وبلاد الشام. ولإحياء الغنوصيين من لحم ودم، أقدم مثالاً على هيباتيا، وهي المتأهلة الوثنية، قامت بالتدريس في مكتبة الإسكندرية الشهيرة. يمثل مقتلها على يد حشد مسيحي عام 415 ميلادي بداية العصور المظلمة. لقد انطوى غزو أوروبا على برنامج إبادة جماعية على نطاق واسع، جمع بين القوة العسكرية للإمبراطورية الرومانية والتعصب الديني للمسيحية. تصف الفصول 4 و 5 و 6 كيف انتشرت أيديولوجية رهبة الجنس لجماعة يهودية منشقة في فلسطين لتصيب الإمبراطورية بأكملها. في صديقين البحر الميت تكمن الأصول الحقيقية للمسيحية. عندما تبنى القديس بولس، وهو مجند قسري اختطف تعاليم تلك الطائفة السرية، الهواجس المسيانية لتلك الطائفة، اندلع نظام عقائدي جديد في العالم. وعدت الخلاصية بتحرير الروح الخالدة، على النقيض من الديانة الوثنية التي قدمت التحرر من الذات من خلال الانغماس النشواني في قوة الحياة، إيروس: الحب من الرغبة. لكي تسود النزعة الخلاصية، كان لا بد من القضاء بوحشية على تقاليد الديانة الوثنية وموقف الوثنيين من التسامح تجاه الدين. أعلم أن هذا قدر كبير من التاريخ في ثلاثة فصول. لكنّ الإيجاز الشديد لحجتي هنا مدعوم بالبحث حول مخطوطات البحر الميت، وهي وثائق تروي القصة المجهولة لكيفية ولادة المسيحية.

الجزء الثاني، "قصة لإرشاد الجنس البشري"، يسلط الضوء على هدفي الأول: استعادة الرؤية الصوفيانية للأسرار الوثنية. يبدأ الكتاب بشرح للكتب الغنوصية النادرة التي تم اكتشافها في مصر في ديسمبر 1945، ويتعمق في التقاليد الشامانية للممارسات الرؤيوية المخصصة لصوفيا، إلهة الحكمة. أُبين أن الغنوصيين، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "تيليستاي"، أي "أولئك الذين موجهين"، حافظوا على هذا التقليد ونقلوه، والذي نشأ في العصر الحجري الحديث. أقدم هنا بحثاً علمياً جنباً إلى جنب مع الأدلة المستقاة من تجاربي الصوفية والشامانية الخاصة. قد يجد بعض القراء هذا التناقض غريباً أو منفراً. قد يكون من المفيد معرفة أنني (على حد علمي) الباحث الوحيد الذي يكتب عن التجارب الصوفية الموصوفة في مخطوطات نجع حمادي والذي يعترف بأنه مر بمثل هذه التجارب. في أي مجال بحثي آخر، أليس هذا أقل ما يطلبه المرء من الكاتب - خبرة مباشرة في الموضوع؟ سيخاطر الباحثون التقليديون بسمعتهم، إن لم يكن بمناصبهم الدائمة، بمثل هذا الاعتراف. بالنسبة لي، هذا ليس مصدر قلق.

يتناول الجزء الثاني هدفي الثاني أيضًا: وهو ربط الأسرار وعلم الكون الغنوصي بنظرية غايا. وهنا أيضاً، قد يشعر بعض القراء بالحيرة من الطريقة التي أقارن بها هذه الأمور، أو ألمح إلى تكافؤها، خاصة في الخلط بين غايا وصوفيا. أجادل، على سبيل المثال، بأن العارفين الذين أداروا الأسرار كانوا يعلمون التطور المشترك مع غايا، وأنهم كانوا علماء بيئة متعمقين ذوي توجه روحي عميق، وأن لديهم رؤية فريدة لكيفية ملاءمة الإمكانات البشرية لبرنامج غايا ما بعد الإنسانية، فضلاً عن كيفية انحرافها عن ذلك البرنامج. من خلال هذه الروابط، أقترح تقاربًا مدروسًا بعناية بين تراث قديم وخياراتنا المستقبلية لكوكب الأرض. باختصار، أؤكد أن التعاليم الغنوصية التي قمعتها المسيحية تمثل الجذر القديم لعلم البيئة العميق، مؤكدة قدسية الأرض بمعزل عن استخدامها للأغراض البشرية. حتى الآن، يفتقر علم البيئة العميق إلى

البعد الروحي، لكنه قد يكتسب هذا البعد من خلال دمج الرؤية الصوفيانية. إن القصة المقدسة لـ "الإلهة الساقطة" المتجسدة في الأرض، والتي أعيد سردها في حلقات خلال الجزأين 2 و 3 من هذا الكتاب، هي أسطورة بيئية تتردد أصداؤها بعمق مع حدسنا المتنامي بشأن غايا، الكوكب الحي. لم أختلق هذه الأسطورة. لقد قمت فقط بإعادة بنائها في سرد متماسك حتى تتاح لنا اليوم فرصة المشاركة بتعاطف في أسطورة مقدسة حول الكوكب الذي نسكنه.

وهكذا يقوم الجزء الثاني بتطوير موضوعين بشكل سيمفوني، ويوازن بينهما: الاعتراف بصوفيا الإلهية، وتطبيق قصتها المقدسة كدليل نحو مستقبل عاقل ومستدام وصديق للبيئة.

الجزء الثالث، "أصعب درس في التاريخ"، يعيد طرح هدف الحركة الأولى، وهو تدمير الأسرار، ويعززه بالهدف الرابع، وهو إكمال نقد نيتشه. أشرح الأساس الكاره للطبيعة في التوحيد وعلم أمراض الضحية الإلهية، التي، وفقًا للعقيدة الخلاصية، تقدم أيضًا النموذج المثالي للطبيعة البشرية. وللقيام بذلك، أعيد وأعمق تحليلي للأمراض الأساسية لمتلازمة الضحية-الجاني التي تم تقديمها في الجزء الأول. أوضح كيف أن عقدة المخلص المتجسدة في يسوع المسيح هي غطاء ديني لارتكاب أخطاء. حتى الآن، تم اكتشاف الرابطة بين الضحية والجاني في الأسر المختلة وظيفياً والعلاقات الإدمانية، وليس في السجل التاريخي، وليس في المقترحات اللاهوتية الكبرى مثل الخلاص. لكني مقتنع بأن تحليلي سيكشف ما كان من الصعب فهمه حتى الآن: كيف أن الولاء الأعمى لما يُفترض أنه النموذج الأعلى للإنسانية يُبعدنا في الواقع عن إنسانيتنا. وأخيراً، يُظهر نقدي ما بعد النيتشوي أن الإيمان بالقيمة الخلاصية للمعاناة ليس سوى تمجيد لرابطة الضحية والجاني.

ويختتم الجزء الثالث ببعض التأملات حول كيفية تجاوز الدين وتنمية قيم حقيقية مؤيدة للحياة تستند إلى قدسية الأرض والاعتراف بالمسؤولية الفريدة للبشرية في التطور.

الجزء الرابع، "استعادة الرؤية الصوفيانية"، يعيد طرح ويجمع بين هدفي الأول والثاني، وهما استعادة الرؤية الصوفيانية وارتباطها بنظرية غايا، ويدمج النقد الغنوصي لليهودية المسيحية مع "إعادة تقييم جميع القيم" غير المكتملة لنيتشه. في الفصل الافتتاحي (21)، "كشف الشر"، أتناول القضية الشاقة المتمثلة في التطفل غير البشري على الجنس البشري. يتم تجاهل هذا الموضوع الأساسي للغنوصية تمامًا من قبل العلماء الذين يصابون بالذعر عند ذكر نوع غريب، وهم الأركونات، الذين يقال إنهم ظهروا عن غير قصد عندما سقطت صوفيا من النواة الكونية. أؤكد أن نظرية الغنوصية عن الخطأ، والتي تنعكس في أسطورة الإله الخالق الزائف، قد تكون واحدة من أكثر الأفكار تحرراً التي ابتكرها العقل البشري على الإطلاق. عند مناقشة "موضوع المواضيع"، وهو الافتراس الفضائي، أستشهد بكتاب الخيال العلمي ومجموعة من الأبحاث المتعلقة بالكائنات الفضائية والأجسام الطائرة المجهولة. من خلال معالجة معادلة الذات الإلهية التي تبنتها حركة العصر الجديد، والمسألة الشائكة المتمثلة في "التحديد" التي تخضع حاليًا للنقاش في علم البيئة العميق، أحاول أن أبين أن موت الأنا هو الشرط الأساسي للتقارب مع الكيان الكوكبي الكامل، صوفيا.

يحتوي الجزء الرابع على المزيد من الإفصاحات من ممارستي الصوفية والروحانية. لا أتوقع من أي شخص أن يأخذ هذه الأمور على محمل الجد، أو أن يعتبرني من المتنورين أو شخصية روحية (حاشا لله!). إن التجربة الصوفية المباشرة هي دليل في حد ذاتها، وعندما يتعلق الأمر بأكثر جوانب الروحانية

الإنسانية حميمية، فقد تكون الدليل الوحيد الذي يُعتد به. في شرحي لـ "الميزوتيس"، "يسوع الأبدي"، أقدم مواد تاريخية ووصف الأعراق البشرية وأسطورية لاستكمال رؤيتي الذاتية البحتة لهذا الكيان الغامض. قد يبدو أنني أبتعد كثيراً عن الموضوع فيما يتعلق بالميزوتيس، لكنني لن أتفاجأ إذا وجد عدد كبير من القراء الذين مروا بنفس التجربة في تفسيري طريقة جديدة تماماً للنظر إليها، وامتلاكها.

ويختتم الكتاب بدعوة إلى علم البيئة المقدس، وهو المفهوم الوثني للحياة. نحن جميعًا ورثة الحق الصوفياني للإنسانية، بغض النظر عن العرق أو الثقافة أو العقيدة. لكن للأسف، بوضع العرق والثقافة والعقيدة قبل إنسانيتنا، فإننا نحرم أنفسنا من ذلك النسب الثمين. في نهاية المطاف، تتمحور رسالة الأسرار حول المطالبة بالأنثروبوس (هويتنا كنوع) حتى نتمكن من امتلاك مسؤوليتنا الخاصة بالنوع في تصميمات غايا صوفيا. لكل منا مصير فطري يرشدنا بلا شك نحو تلك المسؤولية. لو كان لدينا فقط الفطنة لنرى ما الذي يحرفنا عن مصائرنا في غايا،

والقوة لمقاومة هذا الانحراف.

الإخلاص للأرض

في إعادة صياغة وتوسيع اتهام نيتشه لليهودية والمسيحية، اعتمدت بقوة على النقد الغنوصي للخلاص. هناك العديد من النقاط الصعبة والمعقدة في الحجة ضد أسمى مُثلنا الدينية، ولا أدعي أنني أنجزت هذه المهمة على أكمل وجه. لقد واجهت صعوبة بالغة في فهم فكرة سوبرمان. ليس فقط في كتابة هذا الكتاب على مدى أربعة عشر شهرًا، بل طوال حياتي! لم أعتبر نفسي أبداً سوبرمان نيتشه - في الواقع أعتقد أن "الإنسان الخارق" هو ترجمة أفضل لكلمة *Übermensch*. لكنني لطالما تساءلت عما إذا كان هناك عنصر خارق أو إلهي في الطبيعة البشرية. ألم تفعل كذلك؟ لم أتمكن من حل هذه المسألة إلا من خلال فهم تعاليم الغنوصية حول "النوس"، أي الذكاء الإلهي. كيف فعلت ذلك، ستكشف الصفحات التالية.

إنّ الشعور بالرهبة هو أيضاً شعور بالتواضع. "ابقَ وفياً للأرض"، هكذا ناشد زرادشت. أن تقف في وعي عارٍ أمام الأرض، في معرفة صامتة - هذا أمر رائع. إن العلاقة الحميمة مع الكوكب تبقينا متوحشين، غير مستأنسين، وغير راغبين في الخضوع للتنشئة الاجتماعية. كتب نيتشه في كتابه "عن القراءة والكتابة": "غير منزعجين، ساخرين، فطين - هكذا تريدنا الحكمة أن نكون". صوفيا (الحكمة) تحب أولئك الذين يحافظون على طرقها ويحمونها، نساءً ورجالاً على حد سواء، محاربين في خط الجمال. قد يُعترض بأن ازدرائي النيتشوي الواضح لبعض الأفكار الدينية يؤثر على حكمي. لكنني لست أول من يؤكد أن الدين (أي العقيدة والطقوس والمؤسسات) هو عدو التجربة الدينية الحقيقية. لقد أبدى كل من سي. جي. يونغ، وألدوس هكسلي، وإتش. إل. مينكن، وباربرا ووكر، وغيرهم الكثير هذه الملاحظة، لكن لم يقم أحد بتنفيذها ودعم الحجة بالطريقة التي أفعلها هنا.

ويمكن أيضاً الاعتراض على أن أي تعبير عن الكراهية غير مقبول في كتاب يدعي تقديم قيم روحية. أود أن أجيب بأن هناك الكثير من الكراهية المنتشرة على هذا الكوكب، ويبدو أن معظمها يأتي من أشخاص متدينين بشدة. إذا كانت البشرية مليئة بالكراهية، فقد يكون نصيبي الشخصي بمثابة جرعة علاجية ضد العدوى العامة. أنا لا أرفض الكراهية بشكل قاطع، ولا أنكر أن لها قيمة إنسانية. أكره أشياء كثيرة: اغتصاب الأرض، والاعتداء على الأطفال، والفصل العنصري الجنسي، واستغلال الشباب، والأكاذيب والنفاق، والأدب الرديء، وغيبوبة الاستهلاك. هذه هي قائمتي المختصرة. لكن أكثر ما أكرهه هو استعباد الروح البشرية والتلاعب بها من خلال معتقدات زائفة ومنحرفة تتستر وراء المثل الدينية والأخلاقية. إن الكراهية جزء لا مفر منه من الرعب البشري على هذا الكوكب، ولكنها يمكن أن تكون أيضًا جزءًا من العلاج. كما قال باراسيلسوس، يكمن العلاج في الجرعة.

تقدم الحكمة الأصلية بعض النصائح لأولئك الذين يقومون بمراقبة النباتات المقدسة، وهي نصائح قد تكون قابلة للتطبيق على قوة الشفاء للكراهية: "ابقَ بعيدًا عن الدواء". هذا يعني ألا تكون مدفوعًا بشكل قهري بالقوة الرؤيوية التي يمنحها لك معلمو النباتات، بل ابقَ خلفها، وانجذب إليها بدلاً من أن تُقاد، واسترشد بالقوة المؤثرة التي تتخذها على نفسك. وكذلك الأمر بالنسبة للكراهية، فهي دواء قوي وثمين.

بدون رؤية، يموت الناس. بدون الرهبة، نفتقر إلى التواضع اللازم للعيش والقوة اللازمة لحماية ما نحب، وكل ما يجعل الحياة جديرة بالعيش. يقدم كتاب "ليس على صورته" جرعة من الطب الكوكبي محملة بقوة رؤيوية تم قمعها بعنف لما يقرب من ألفي عام.

ابقَ خلف الدواء.

مايو 2006 فلاندرز الأندلس

الجزء الأول

الغزو

و

التحويل



رئيس المتأهلين، ساموثريس، القرن الرابع قبل الميلاد

1

قتل هيباتيا

في يوم ربيعي من عام 415 ميلادي، خرجت سيدة نبيلة وثنية من قاعة المحاضرات الملحقة بمكتبة الإسكندرية العظيمة وطلبت عربتها، عازمة على قيادة نفسها إلى منزلها. على الرغم من وجود العديد من النساء الوثنيات المتعلمات ذوات المكانة الاجتماعية الرفيعة والتعليم الجيد في الإسكندرية في ذلك العصر، إلا أن هيباتيا، كما كانت تُدعى، كانت واحدة من القلائل اللواتي امتلكن وقُدن عربتهن الخاصة. كانت مشهداً مألوفاً للسكان المحليين، وكثيراً ما كانت توقف خيولها وتنزل إلى الشارع لتتبادل أطراف الحديث بود مع السكان المحليين، أو لمناقشة قضايا فلسفية مع أي شخص قد يرغب في التحدث معها. إن انفتاحها، إلى جانب أسلوبها اللطيف والأنيق، أكسبها إعجاب ومحبة سكان البلدة. كما كانت هيباتيا نشطة بصفة رسمية في الشؤون المدنية التي عادة ما يهيمن عليها الرجال. "كانت تتمتع بضبط النفس وسهولة التصرف، نابعة من رقي وتهذيب عقلها، لدرجة أنها كانت تظهر في كثير من الأحيان أمام القضاة، دون أن تفقد في أي تجمع من الرجال ذلك التواضع والوقار الذي اشتهرت به، والذي أكسبها احترامًا وإعجابًا عالميين." [1]

كان جمال هيباتيا أسطورياً، وقيل إنه لا يضاهيه إلا ذكاؤها. طويلة القامة وواثقة من نفسها، تقود عربتها بسهولة، مرتديةً رداءً طويلاً ووشاحاً مميزاً لطبقة المعلمين، لا بد أنها كانت شخصية لافتة للنظر في شوارع تلك المدينة الأكثر عالمية. لم يبقَ أي صورة واقعية لها.

في ذلك اليوم من شهر مارس عام 415، عندما دخلت هيباتيا ساحة عامة بالقرب من الكنيسة القيصرية حيث كان من المعروف أن المتحولين إلى المسيحية يتجمعون، وجدت طريقها مسدودًا بحشد يهددها. وعلى رأس المجموعة وقف رجل ذو مظهر خشن يُدعى بطرس القارئ، والذي حثّ الحاضرين على الاقتراب من هيباتيا وإعاقة طريقها. "أما بطرس هذا فكان مؤمناً كاملاً بكل جوانب يسوع المسيح،"[2] وهو مهتدٍ غيور كان معجباً بكيرلس، أسقف الإسكندرية المسيحي. في الآونة الأخيرة، عندما قام حاكم محلي بمقاضاة أحد تلاميذ كيرلس بتهمة مهاجمة المذاهب الوثنية علنًا، انحازت هيباتيا إلى جانب الحاكم وتم توبيخ الرجل بشدة. كان لدى كيرلس ضغينة تجاه هيباتيا، على الرغم من أنه لم يكن بإمكانه تحمل الظهور بمظهر سيء أمام العامة من خلال التصرف علنًا ضدها. بعد مرور وقت طويل على ذلك اليوم المشؤوم، تساءل العديد من سكان البلدة عما إذا كان بطرس القارئ قد أُرسل للانتقام لسيده، أو ربما تصرف بشكل مستقل، على أمل كسب موافقة البطريرك. كان الرأي العام يعتقد أن كيرلس، الذي سُجلت تصريحاته بأنه وصف هيباتيا بالساحرة، كان متواطئاً في الهجوم.

حث بطرس الحشد على إلقاء البلاط على هيباتيا وسحبها من العربة. أثبتت أثوابها الطويلة ووشاحها أنها ميزة للغوغاء، الذين كانوا يتألفون في الغالب من عمال ذوي أيدي خشنة. سرعان ما تغلبوا عليها بسحب ملابسها الفضفاضة بقوة من جميع الجهات. بعد أن سُحبت إلى الأرض، كافحت عبثاً للتحرر والهرب. بدأت مجموعة من الأيدي المتشبثة الآن في نزع أثوابها. وقف أفراد السكان المحليين عاجزين، مشلولين أمام الرعب الذي يتكشف أمام أعينهم.

تصاعد عنف الحشد بسرعة، وزاد من حدته صيحات بطرس القارئ الصاخبة. وصف هيباتيا بأنها زنديقة حقيرة وساحرة تغوي الناس بجمالها وتعاليمها، التي لم تكن سوى مكائد الشيطان. احتجت هيباتيا وصرخت طلباً للمساعدة، لكن ضربة قوية كسرت فكها. وفي غضون دقائق، كانت جاثية على ركبتيها في بركة من دمائها. بعد أن سُحقت تحت وابل من الضربات والركلات، تعرضت للضرب حتى الموت بسرعة. لم يكتفِ الحشد بأخذ حياتها، بل ضرب جسدها العاري حتى أصبح عجينة ومزق أطرافها من جذعها. إن عدد المهاجمين ووحشية هجومهم جعلا من المستحيل على أي شخص شاهد جريمة القتل التدخل.

عندما ماتت هيباتيا، تحول موقف الحشد فجأة من الغضب إلى الانتصار. هؤلاء الرجال، الذين أعلنوا أنفسهم مسيحيين، بدأوا على الفور في التباهي بما فعلوه. كانت نشوة النصر حادة للغاية، لدرجة أنها لم تكن لتُشبع بضرب وتقطيع أوصال المرأة العاجزة عن الدفاع عن نفسها. وكأن قوة إلهام غير إنسانية تنبعث من مسامهم، فتكهرب ضباب العنف الذي كان يتصاعد حول القتلة. اندفع العديد من أفراد الحشد، وقد غمرتهم الإثارة، إلى الميناء القريب، وقاموا بجمع أصداف المحار الحادة التي كانت متوفرة بكثرة هناك. ثم عادوا ووزعوا الأصداف، وشجع بطرس رجاله على كشط كل ذرة لحم من عظام هيباتيا. عندما انتهى الرجال، أخذوا العظام المكشوطة إلى مكان يسمى سيندرون وأحرقوها حتى تحولت إلى رماد.

الحكمة المتجسدة

كانت هيباتيا (تُنطق هاي-بي-شا) ابنة عالم الرياضيات ثيون الإسكندري، وهو آخر معلم معروف في التقاليد القديمة لمدارس الأسرار، وهي الجامعات الروحية في العصور القديمة. * يُعرف عام وشهر وفاتها، أما عام ميلادها فهو أقل يقينًا، ولكن يُقبل عمومًا عام 370 م. وبالتالي، كان عمرها حوالي خمسة وأربعين عاماً عندما قُتلت. لطالما اعتبر المؤرخون وفاتها الحدث الذي حدد نهاية الحضارة الكلاسيكية في أوروبا المتوسطية. لقد مثّل ذلك نهاية الوثنية وبداية العصور المظلمة. (الوثنية، وهي المصطلح العام للديانة الواحدية في العالم الكلاسيكي الغربي، تستحق أن تُكتب بحروف كبيرة تمامًا مثل المسيحية.)

كان ثيون مديرًا لمتحف الإسكندرية، وهو المكان المخصص للميوزات، بنات إلهة الذاكرة القديمة، نيموزين. جسدت كل واحدة من الميوزات "فنًا مقدسًا" مثل علم الفلك والشعر الغنائي والتاريخ. قدمت بنات الذاكرة التسع نموذجاً لمنهج مدارس الأسرار. أصبحت المتاحف اليوم مجرد مستودعات لآثار الماضي، لكن متحف الإسكندرية كان مسرحاً لمجموعة واسعة من التقاليد الحية، وكان حقاً مركزاً للتعليم العالي. امتد الحرم الجامعي على طول الميناء الذي يشبه حدوة الحصان والذي تهيمن عليه منارة فاروس الشهيرة التي يبلغ ارتفاعها أربعمائة قدم والتي كانت من بين عجائب الدنيا السبع. وقد شملت العديد من الأكاديميات المستقلة المخصصة لمواضيع متنوعة مثل الهندسة والرقص المقدس، ونقابات التدريب التي أنتجت تدفقًا مستمرًا من الخريجين في مجالات مثل النحت وعلم النبات والملاحة وعلم الأعشاب والهندسة والطب. كانت للجمعيات والنقابات المرتبطة بالمكتبة الملكية مكتباتها الخاصة وكلياتها التعليمية.

في عام 400، عندما كانت في الثلاثين من عمرها تقريبًا، تولت هيباتيا كرسي الرياضيات في المدرسة الجامعية. كان هذا منصباً براتب ثابت، يعادل منصب الأستاذية في جامعة حديثة. اشتهرت ابنة ثيون بإتقانها للفلسفة الأفلاطونية ومهارتها في السيمياء، والتي تعني حرفيًا "العمل مع الإله"، وهو شكل من أشكال الاستحضار السحري الذي يمكن مقارنته بالخيال النشط عند يونغ، أو بشكل أكثر ملاءمة،

الممارسات المتقدمة للتصور في التانترا و الدزوغشن. كانت قدراتها الجدلية استثنائية، وقد صقلتها تدريباتها الرياضية إلى حد كبير. عندما يتعلق الأمر بمناقشة الأفكار حول الإلهي، "تفوقت هيباتيا في الجدال على كل مؤيد للعقائد المسيحية في

شمال مصر".[3] إن خبرتها في علم اللاهوت كانت نموذجية للطبقة الفكرية الوثنية من الغنوصيين، غنوصتيكوي ، "أولئك الذين يفهمون الأمور الإلهية، ويعرفون كما تعرف الآلهة"، لكنها كانت أيضًا على دراية عميقة بالهندسة والفيزياء وعلم الفلك. * كان التعلم القديم متعدد التخصصات وانتقائي، وهو ما يتناقض بشدة مع التخصص الضيق للتعليم العالي والعلوم في عصرنا. كلمة فلسفة تعني "حب (فيلو) الحكمة (صوفيا)". كانت صوفيا بالنسبة للغنوصيين إلهة مبجلة، الإلهة التي رووا قصتها في علمهم للكونيات المقدس. † بالنسبة لأهل عصرها وبيئتها، كانت هيباتيا بمثابة تجسيد للحكمة.

إلى جانب وظيفتها الدينية، وفرت الأسرار إطاراً للتعليم على أسس متعددة التخصصات. كان الغنوصتيكوي موسوعيين وعلماء وكتابًا غزيري الإنتاج. منذ حوالي عام 600 قبل الميلاد وحتى عهد هيباتيا - وهي فترة ألف عام - أنتجوا آلافًا لا حصر لها من المخطوطات المخزنة في المكتبة الملكية بالإسكندرية وغيرها من المكتبات الملحقة بمراكز الأسرار حول حوض البحر الأبيض المتوسط. من المعروف أن هيباتيا قد كتبت رسالة في علم الحساب وتعليقات على القانون الفلكي لبطليموس والأقسام المخروطية لأبولونيوس من بيرغا. لم يبقَ من كتاباتها شيء، لكن ثمانية مصادر قديمة تصف جريمة قتلها وإنجازاتها؛ وهذه الأخيرة، ليس دائماً بطريقة إيجابية. أصبح كيرلس، الذي اتهمه الرأي العام بالتورط في قتلها، عالم لاهوت مهم اشتهر بصياغة عقيدة الثالوث المقدس. وقد تم تقديسه لاحقاً من قبل الكنيسة، إلى جانب عقائديين مسيحيين أوائل آخرين، ما يسمى بآباء الكنيسة، وهم رجال احتفت كتاباتهم اللاهوتية وتاريخهم للإيمان الحق الواحد بانتصاره على "الزنادقة" مثلها.

لم تقتصر إنجازات هيباتيا على اللاهوت والتعليم. كما شاركت في العلوم التطبيقية المتعلقة بالجغرافيا وعلم الفلك. بالتعاون مع العالم اليوناني سينيوس، الذي كان فخوراً بأن يُطلق عليه تلميذها، اخترعت نموذجاً أولياً للإسطرلاب، وهو جهاز أثبت فيما بعد أنه ضروري في الملاحة في محيطات العالم لأغراض مزدوجة تتمثل في الغزو والتحويل.

التعلم الوثني

تأسس مسقط رأس هيباتيا على يد الإسكندر الأكبر في 20 يناير 331 قبل الميلاد.

> على مدى الألف عام التالية، وحتى ظهور الإسلام، ستتجه أنظارها نحو البحر الأبيض المتوسط والعالم الأوسع. كان الاسم الكامل للإسكندرية هو "الإسكندرية بجوار مصر" وليست "في مصر". لقد تأسست كمركز تجاري تتدفق من خلاله ثروة مصر؛ وفي غضون قرنين من الزمان ستصبح "مفترق طرق العالم بأسره": إلدورادو العصر الهلنستي... في القرن الأول الميلادي، أبحر تجار الإسكندرية إلى جنوب الهند مع رياح موسمية، وارتبطوا بالتجارة مع

نهر الغانج وفيتنام والصين؛ وكان ذلك جزءًا من طفرة الأفكار والتواصل التي بدأها عصر الإسكندر. [4]

في حياة هيباتيا، كانت مدينتها الأم لا تزال أعظم مركز عالمي في العصور القديمة، والعاصمة التي لا جدال فيها للعالم الغربي، من الناحية التجارية والروحية والفكرية، لكنها كانت تنتمي إلى إمبراطورية تتأرجح على حافة الانهيار. لقد ولدت بعد حوالي عشر سنوات من تدفق الموجة الأولى من البرابرة، الهون، إلى أوروبا، وبعد ست سنوات من تقسيم الإمبراطورية الرومانية جغرافيا بين الشرق والغرب. خلال حياتها، قامت الفيالق الرومانية بإخلاء بريطانيا، التي غزاها يوليوس قيصر قبل أربعة قرون ونصف، واهتزت حدود الإمبراطورية باستمرار بسبب الهجمات البربرية. في عام 410، عندما كانت هيباتيا تبلغ من العمر أربعين عامًا، قام ألاريك، زعيم القوط الغربيين، بالاستيلاء على روما ونهبها، موجهًا ضربة قاضية للإمبراطورية. في تلك اللحظة بالذات كان أوغسطينوس الهيبوني يكتب كتاب مدينة الله، وهو كتاب مقدر له أن يصبح حجر الزاوية في العقيدة الكاثوليكية. بينما كانت الإمبراطورية الرومانية تنهار وتحترق، كانت كيانات إمبراطورية أخرى، وهي مؤسسة الكنيسة الكاثوليكية، تنهض مكانها. كان يجري تسليم مصيري للسلطة.

استمر العصر الهلنستي من وفاة الإسكندر عام 323 قبل الميلاد إلى 30 قبل الميلاد، عندما انتحرت كليوباترا، آخر البطالمة، بلدغة أفعى. بعد وفاة الإسكندر، تم تقسيم إمبراطوريته بين ثلاثة من قادته العسكريين. أصبح الجزء الجنوبي، الذي يضم مصر ويهودا (بما في ذلك أورشليم)، مملكة البطالمة. كانت الثقافة والعادات موحدة في جميع أجزاء الإمبراطورية الثلاثة. "كان سكان الجليل ويهودا يرتدون

نفس نوع الملابس التي كان يرتديها سكان الإسكندرية أو روما أو أثينا." [5] ازدهرت المنطقة الجنوبية بأكملها، بما في ذلك فلسطين، بمدارس الأسرار، وقد أسس العديد منها وأدارها الغنوصيون مثل هيباتيا. [6] في أواخر عهد الأسر المصرية، بلغ التبادل الثقافي ذروته، لكن وفاة

كليوباترا جلبت تغييرًا في النظام السياسي من شأنه أن يظلم سماء العلم إلى الأبد. إن وصول يوليوس قيصر إلى مصر في عام 47 قبل الميلاد أكمل التحول الذي بدأ في عام 63 قبل الميلاد عندما أعلن القائد الروماني بومبي، أكبر منافس لقيصر، يهودا مقاطعة رومانية. أثر الانتقال من ملاذ هيلينستي إلى سيطرة رومانية على منطقة الشرق الأدنى بأكملها. في عهد هيباتيا، كانت المكتبة الملكية موجودة منذ أكثر من سبعمائة عام، لكنها لم تزدهر في القرون الأربعة للعصر الروماني مقارنة بالقرون الثلاثة السابقة من التوفيقية الهلنستية العالية.

تأسست المكتبة الملكية على يد بطليموس الأول، أحد قادة الإسكندر الأكبر، كمركز للتعلم للأراضي الشاسعة التي وحدتها اللغة اليونانية في أعقاب حملات الإسكندر. حصل بطليموس على لقب "سوتير" " أي "المخلص"، وهو لقب سيتم تطبيقه لاحقًا على يسوع المسيح، لأن بطليموس أنقذ حكمة العالم القديم. أمر ابنه، بطليموس الثاني (توفي عام 246 قبل الميلاد)، بتفتيش جميع السفن التي تدخل ميناء الإسكندرية بحثًا عن المخطوطات والبرديات. تم نقل الوثائق التي تم العثور عليها إلى المكتبة ونسخها، وتم إيداع النسخ الأصلية في رفوف المكتبة، وأعيدت النسخ إلى أصحابها. عمل فريق من أمناء المكتبات والكتبة

والخطاطين باستمرار للحفاظ على مجموعة متنامية باستمرار تضمنت الطبعات الأولى لهوميروس وهسيودوس، وكتاب المسرحيات اليونانيين، وأرسطو، وغيرهم الكثير. افتخر بطليموس الثاني بامتلاكه مجموعة خاصة تضم أفضل 995 كتابًا على مر العصور.

لم تقتصر المحفوظات الضخمة للمكتبة الملكية على الكتابات المكتوبة باللغة اليونانية. وقد وفرت أعمالاً بلغات أخرى مثل السريانية والآرامية، وعمل المترجمون بلا توقف لإنتاج طبعات يونانية. كان من بين هذه الأعمال التوراة العبرية (الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس). وقد أطلق عليها اسم الترجمة السبعينية بعد ترجمتها إلى اليونانية، وذلك لأن سبعين عالماً يهودياً عملوا على الترجمة. عند تأسيس المدينة، ضمن الإسكندر لليهود نفس الحقوق التي يتمتع بها مواطنو إمبراطوريته الآخرون. في عهد هيباتيا، من المرجح أن ما بين خمسة إلى عشرة بالمائة من سكان المدينة كانوا من اليهود - أي حوالي 40 ألف شخص.

قام بطليموس الأول ببناء قاعة ضخمة تسمى بروشيون لإيواء المجموعات المتنامية باستمرار. عندما تجاوزت طاقته الاستيعابية، قام خليفته بطليموس الثالث ببناء السرابيوم. يشير جي. آر. إس. ميد إلى أن المكتبة الملكية التي ألقت فيها هيباتيا محاضراتها كانت أول مكتبة عامة عظيمة في مصر، ولكنها لم تكن الأولى في مصر. كان لكل معبد مكتبة داخلية خاصة به، وكانت مصر أرضاً تضم العديد من المعابد. في البر الرئيسي لليونان وفي المستعمرات اليونانية حول حوض البحر الأبيض المتوسط، كانت مكتبات المعابد تضم مجموعات كبيرة وقديمة. منذ إدخال الأبجديات العامية إلى عامة الناس حوالي عام 600 قبل الميلاد، كان أتباع الأسرار يتدفقون بكم هائل من الكتابات حول كل موضوع يمكن تصوره. في عام 400 ميلادي، كان لدى هيباتيا تقليد عمره ألف عام في مجال معرفة القراءة والكتابة والتعلم لتستند إليه عندما كانت تلقي محاضراتها على فصولها الدراسية.

إن الجهل الحديث بالتاريخ بشكل عام، وبالتاريخ القديم بشكل خاص، يجعل من الصعب فهم نطاق وثراء المعرفة في العالم الوثني. ذكر الباحث الكلاسيكي جيلبرت هيجيت، في كتاباته التي كتبها في أربعينيات القرن العشرين، ما يلي:

لا يُفهم دائمًا في الوقت الحاضر مدى نبل وانتشار الحضارة اليونانية الرومانية، وكيف حافظت على السلام والثقافة والازدهار والسعادة في أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا لقرون، وما فُقد عندما اقتحمها المتوحشون والغزاة. لقد كانت، من نواحٍ عديدة، أفضل من حضارتنا حتى قبل بضعة أجيال، وقد يثبت أنها كانت أفضل بشكل عام.

عندما كانت الإمبراطورية الرومانية في أوجها، كان القانون والنظام والتعليم والفنون منتشرة على نطاق واسع وتحظى باحترام شبه عالمي. في القرون الأولى للعصر المسيحي كان هناك الكثير من الأدب؛ وقد نجت العديد من النقوش من العديد من المدن والقرى في العديد من المقاطعات المختلفة، مما يجعلنا على يقين من أن الكثيرين، إن لم يكن معظم السكان، كانوا قادرين على القراءة والكتابة... وقد عثرت البعثات على نسخ من البردي لهوميروس ودِمُسْتين وأفلاطون، وهي أجزاء مما كان في يوم من الأيام مكتبات مفيدة، مدفونة تحت قرى مصرية نائية ورثها الآن فلاحون أميون. [7]

في عام 1945، وهو العام الذي كتب فيه هيجيت هذه الكلمات (ليس لتبرير شرور الإمبراطورية الرومانية، ولكن للإشارة إلى الإنجازات الاجتماعية والثقافية التي كانت تحويها)، تم اكتشاف مجموعة من النصوص في نجع حمادي في صعيد مصر. في العصور القديمة، كان مكان الاكتشاف يُسمى شينيسيت، "سنط سيث"، مما يشير إلى ما قد يكون ملاذًا لطائفة غنوصية تُطلق على نفسها اسم السيثيين. تتألف مكتبة نجع حمادي، كما أصبحت تُعرف، من ثلاثة عشر مخطوطة مجلدة بالجلد، وهي أقدم مثال على الكتب المجلدة. * لقد أحدثت هذه الوثائق الاثنتان والخمسون ذات المحتوى المجزأ والمشوّش ثورة في آراء العلماء حول أصول المسيحية، ولكن الأهمية النهائية لهذه المواد النادرة، والتي يُفترض على نطاق واسع أنها كتابات غنوصية أصلية، لم تتحقق بعد.

كان مصطلح "السيثيين" هو التسمية الذاتية لبعض الجماعات الغنوصية التي شاركت بشكل وثيق في مدارس الأسرار المنتشرة في جميع أنحاء مصر والشرق الأوسط وحول حوض البحر الأبيض المتوسط وفي أعماق أوروبا. في كتاب "الأناجيل والإنجيل" (1902)، ذكر الباحث الثيوصوفي جي. آر. إس. ميد أن "الأشكال الغنوصية تحافظ على عناصر من التقاليد الغامضة للعصور القديمة

بكمال أكبر مما نجده في أي مكان آخر".[8] كان ميد من بين أوائل العلماء الناطقين باللغة الإنجليزية الذين قاموا بترجمة وتفسير النصوص الغنوصية المعروفة قبل اكتشافها في نجع حمادي. وقد شارك علماء آخرون في عصره وجهة نظره حول مركزية التعاليم الغنوصية في الأسرار، ولكن يتم إنكار هذا الارتباط بشكل قاطع اليوم.

يرفض متخصصون مثل إيلين باجلز أي صلة بين الغنوصيين والأسرار، بسبب ما يعتبرونه نقصًا في الأدلة النصية.[9]وقد عرّف كتاب باجلز "الأناجيل الغنوصية" (1979) القراء العاديين بمواد نجع حمادي، لكن التخصص الأكاديمي الذي يمثله أعاق فهم من هم الغنوصيون، ولماذا احتجوا بشدة على صعود المسيحية. بسبب إنكار صلتهم بالأسرار، يُحكم على الغنوصيين بمكان غامض وغير مؤكد على هامش تاريخ الأديان. وبالتالي، فإن الرسالة الحقيقية للغنوصيين، والتأثير الكامل لدمارهم شبه الكامل، لم يستوعبها عامة الناس بعد.

إذا كان تقييم هيغيت للعالم القديم صحيحًا، فعلينا أن نتساءل: من الذي ابتكر وأدار مؤسسات التعليم في العصور القديمة؟ من علّم الناس؟ من كتب هذه الكتب؟ من قام بتدريب الفنانين والمهندسين المعماريين والمهندسين على المهارات اللازمة لإنتاج روائع العالم الغربي الكلاسيكي الخالدة؟ في عمله الرائد حول الغنوصية، شظايا إيمان منسي، ذكر ميد أن "التقليد المستمر المرتبط بجميع المؤسسات السرية العظيمة هو أن مؤسسيها المتعددين كانوا مقدمي جميع فنون الحضارة؛ إما أنهم كانوا آلهة أو تلقوا تعليمهم من الآلهة.... كانوا معلمي الأجناس الوليدة." كان المتأهلون، كما كانوا يُطلق عليهم، "يعلمون الفنون، وطبيعة الآلهة، والعوالم الخفية،

وعلم الكونيات، وعلم الإنسان، وما إلى ذلك". [10]يتردد صدى وجهة نظر ميد من قبل إس. أنجوس، مؤلف الكتاب الأكثر استشهادًا به حول الطوائف الوثنية القديمة، "الأديان الغامضة": "كانت الأسرار آخر معاقل الوثنية التي سقطت. قبل ذلك، كان أتباعهم هم معلمي العالم القديم. [11]

إن وضع الغنوصيين مثل هيباتيا في الأسرار يضع التعلم القديم في سياق مقدس ويشير إلى المتأهلين الوثنيين باعتبارهم معلمي العالم القديم، لكن الدراسات الحديثة تترك الغنوصيين في فراغ، وتتجاهل تمامًا مشاركتهم التي استمرت قرونًا في التعليم الكلاسيكي.

قصة مقدسة

كان الروح القدس من ابتكار الغنوصية، وكان اسمه الأصلي صوفيا. قال الغنوصيون الفالنتينيون: "لقد وُلد العالم من ابتسامة صوفيا". [12]

في مقدمته لكتاب جي آر إس ميد "شظايا إيمان منسي"، اقترح الشاعر الأمريكي وناقد الثقافة كينيث ريكسروث أن الغنوصية نشأت من المصفوفة ما قبل التاريخية لعبادة الإلهة في أوروبا، "العصر الحجري الحديث وحتى قبل ذلك". إن التركيز على "نزول إلهة الخلاص" يفسر "التركيز القوي على النظام الأمومي أو على الأقل التركيز المناهض للنظام الأبوي في معظم الطوائف الغنوصية."[13]من هذا المنظور، كانت الأسرار نتاجًا طبيعيًا للشامانية الأصلية الموجهة نحو الإلهة في أوروبا ما قبل المسيحية، والتي وصفها كل من ماريا جيمبوتاس، وجيمس ميلارت، وألكسندر مارشاك، وميرلين ستون، وستان جوتش، وروبرت جريفز، وريان إيسلر، وغيرهم. [14]يتعارض هذا الرأي بشدة مع إجماع المتخصصين في الغنوصية الذين

يعتبرون الغنوصية رابطة فضفاضة من الطوائف التي نشأت كرد فعل على انتشار المسيحية؛ وبالتالي، فهي حركة هامشية ورد فعلية لا تكمن أهميتها إلا فيما يمكن أن تخبرنا به عن الكنيسة الرومانية المبكرة. تؤثر التفسيرات المختلفة للغنوصية على الطريقة التي تصل بها إلى التيار السائد. حتى الآن، لم يساهم عمل الخبراء في فهمنا للتعاليم والممارسات الأصلية للغنوصيين والمتأصلة في الأسرار.

لقد بذل المفكرون الدينيون مثل كيرلس، وأتباعهم المتعصبون مثل بطرس القارئ وجماعته، جهوداً هائلة، ليس فقط لدحض النظرة الغنوصية للعالم، ولكن أيضاً لهدم كل الأدلة المكتوبة عليها. وفي النهاية، لم يتمكنوا من فعل ذلك، ولو فقط لأنهم اضطروا للاستشهاد ببعض الآراء الغنوصية من أجل دحضها وبناء الحجة لعقيدتهم الدينية! في جدالاتهم ضد الهرطقة، حفظ آباء الكنيسة مثل إيرينيئوس وإبيفانيوس أدلة على التعاليم الغنوصية، بما في ذلك عناصر من القصة المقدسة للإلهة صوفيا التي تخيلها الغنوصيون متجسدة في الأرض. حتى عام 1945، كانت عبارات الإدانة هذه، والتي غالباً ما تكون مشوهة، هي الروايات الرئيسية التي كانت لدينا عما فكر به الغنوصيون وعلموه.

على الرغم من أن مواد نجع حمادي قد لا تكون نصوصًا غنوصية أصلية، إلا أنها أفضل ما لدينا، وربما ما سنحصل عليه على الإطلاق. توفر هذه المواد نظرة ثاقبة كافية حول التعاليم الغنوصية لتفسير سبب مخاطرة الغنوصيين بحياتهم لتحدي عقائد مثل سيادة إله الخلق الذكر، والخطيئة والتكفير، وألوهية المخلص، والقيامة، والدينونة الأخيرة من العلاء. لا يزال هناك نحو خمسين نصاً مجزأً باللغة القبطية، وهي مجرد شظية من مجموعة ضخمة من الكتابات، ومع ذلك كانت الحجة الغنوصية قوية لدرجة أن هذه الشظية لا تزال تحتوي على ما يكفي من الديناميت اللاهوتي لزعزعة أسس المسيحية.

لكن لا يمكن، ولا ينبغي، تعريف الغنوصيين حصرياً بما عارضوه. إن رؤيتهم لصوفيا، "الإلهة الساقطة" المتجسدة في الأرض، هي أسطورة بيئية تتناغم بعمق مع حدسنا المتنامي بشأن غايا، الكوكب الحي. قد تمثل الرسالة الغنوصية للبشرية الجذر القديم لعلم البيئة العميق، وهي حركة اجتماعية تؤكد على القيمة الجوهرية للأرض، بصرف النظر عن استخدامها لأغراض بشرية. لم يتم بعد تحديد المكون الديني للحركة البيئية، ولكن قد يظهر الآن في منظور غنوصي، مؤطراً بالرؤية الصوفيانية لأولئك المفكرين القدماء.

اقترح الفيلسوف النرويجي آرني نايس، مؤسس علم البيئة العميق، مصطلح "البيئصوفيا" للحكمة البشرية التي تكمل ذكاء الأرض الحية. على الرغم من أنه لم يكن ينوي (على حد علم هذا المؤلف) استحضار المعنى القديم لكلمة صوفيا، إلا أن اختيار نايس للغة أدخل مبدأ الحكمة لدى الغنوصيين في منظور علم البيئة العميق. يؤكد نايس أن البيئصوفيا ليست برنامجًا ثابتًا بل مسارًا رؤيويًا تسعى البشرية لاكتشافه.[15] وبالمثل، لم تقدم نظرة الصوفيانية للعالم عند الغنوصيين برنامجًا ثابتًا من العقائد المُوحى بها، بل مسارًا مفتوحًا لاستكشاف العلاقة بين الطبيعة والنفس. في تسعينيات القرن العشرين، أصبح يُطلق على التكافل بين النفس والطبيعة اسم علم النفس البيئي. بعد مرور عقد من الزمان، ما زلنا بعيدين كل البعد عن صياغة هذا التكافل وتطبيقه عملياً. ربما كان المعلمون الوثنيون في الأسرار علماء نفس بيئيين قبل قرون من اختراع هذا المصطلح. قد يكون مثالهم حاسماً في توجيه البشرية نحو مستقبل سليم ومستدام .

في تمييزه الشهير بين علم البيئة الضحل وعلم البيئة العميق، ذكر آرني نايس في الأول "نقصًا في العمق - أو غيابًا تامًا - للأسس الفلسفية أو الدينية الموجهة". [16] قد تكون التعاليم الغنوصية التي تم العثور

عليها في نجع حمادي عام 1945 قادرة على توفير البعد الديني الذي تفتقر إليه بشدة الحركة البيئية. هذا، على الأقل، هو أساس الكتاب الذي بين أيدينا. ولهذا الغرض، يمكن تطبيق الرؤية الصوفيانية للأسرار كإطار توجيهي لعلم البيئة العميق دون تحويله إلى دين عبادة الطبيعة.

قد يُعترض على أن علم البيئة العميق لا ينبغي أن يصبح دينياً، أو، بنفس المقياس، أنه لا ينبغي تحويل نظرية غايا إلى "إلهة غامضة". كان الغنوصيون الذين أسسوا وقادوا أسرار أوروبا القديمة والشرق الأدنى متصوفين بارعين مستلهمين من نظرية مقدسة للأرض، لكنهم لم يكونوا متدينين بالمعنى التقليدي: أي أنهم لم يفرضوا مدونة أخلاقية أو صيغًا عقائدية أو سلطة مؤسسية. كانت الرسالة الغنوصية تتألف من عنصرين: رؤية مقدسة للأرض، ونقد جذري للعقائد الخلاصية التي تتمحور حول المسيح اليهودي المسيحي، وخاصة عقدة المخلص (انظر نهاية هذا الفصل). تم قمع النقد الغنوصي بوحشية لأنه تحدى المعتقدات الأساسية للدين الروماني الإمبريالي، وهي معتقدات لها فائدة سياسية بقدر ما لها من صحة روحية، إن لم تكن أكثر.

قد يكون الوقت قد فات اليوم، وقد يكون من الصعب للغاية، إحياء تحدي الغنوصيين لعقيدة الخلاص. لكن نقدهم لعقدة المخلص ربما يكون الرسالة الأكثر تحرراً التي انبثقت من العبقرية الروحية للوثنية. إن تجاهل تلك الرسالة يعني فقدان فائدة إرث عظيم إلى الأبد. علاوة على ذلك، لا يمكن فصل النقد عن الجزء الآخر من الرسالة الغنوصية، وهي رؤيتها المقدسة للأرض. لقد اكتشف حراس الأسرار في الخلاصية برنامجاً يحرف البشرية عن اتصال حي وواعٍ بالأرض. على الرغم من صعوبة الأمر، إلا أن هذا النقد أصبح أكثر أهمية الآن من أي وقت مضى، وقد تكون الأسطورة المقدسة لصوفيا هي القصة التي تنقذنا من طرقنا الوهمية والمدمرة للذات.

إن المعركة التي دارت قبل ألفي عام، والتي أسفرت عن التدمير الكامل للتراث الديني الوثني لأوروبا، كانت في جوهرها صراعاً بين نموذجين، ومفهومين مختلفين تماماً للخلاص. كان الغنوصيون يعلمون أن صوفيا إلهة، كائن إلهي متجسد في الأرض. إن الحكمة الفريدة التي تتمتع بها هي الذكاء الحي للكوكب. لقد كُرست جميع الأسرار لهذه الإلهة، الأم العظيمة، التي أقترح ربطها بـ غايا. تضمنت عملية التأهيل في الأسرار مواجهة مباشرة مع ذكاء الصوفياني، أي "حكمة الأرض" في لغة العصر الجديد. لقد حفظ الغنوصيون قصة مقدسة عن أصل البشرية، وكيف تطورت الأرض، وكيف أننا كجنس بشري متورطون بشكل فريد مع الذكاء الكوكبي - ليس فقط من أجل بقائنا، ولكن على المستوى الكوني، وما بعد الإنساني حيث تقوم غايا صوفيا (على سبيل المثال) بتطوير أغراضها الخاصة.

كيف يمكن لمثل هذه الرؤية أن تتعارض مع نظرية غايا كما تتطور اليوم، أو أن تتفق معها؟

وقد حذر جيمس لوفلوك من افتراض وجود "غايا واعية قادرة على التحكم في الأرض بوعي". [17] على الرغم من أن الغنوصيين أكدوا أن صوفيا واعية وذكية، إلا أن أساطيرهم المعقدة تركت مسألة الغائية أو التوجه نحو الهدف مفتوحة (المعروفة باسم "نظرية غايا القوية" في النقاش الحالي). لم تتضمن النظرية المقدسة للأرض المحفوظة في الأسرار القديمة

فكرة مسبقة عن التوجه نحو الهدف بالنسبة للكائن الأرضي الضخم. بل إنها قدمت مساراً تجريبياً لاكتشاف كيف يمكننا نحن، الجنس البشري، أن نصبح متوافقين مع أنشطة غايا ما بعد الإنسانية.* *

كان الحدث الذي يسمى في المصطلحات الغنوصية "تصحيح" إلهة الأرض محورياً في الأسطورة الصوفيانية، وهو مفهوم يقترب من الغائية دون تحديدها مسبقاً. في تصحيح صوفيا، تخيل الغنوصيون إعادة تنظيم الحياة على كوكبنا مع المركز الكوني، المصدر الذي منهنشأت إلهة الأرض وظهرت. توجد هذه الفكرة المثيرة للاهتمام في كتابات علم الكونيات الغنوصية من نجع حمادي، بما في ذلك كتاب أبوكريفون يوحنا (المذكور أدناه). يترجم بعض الباحثين كلمة "ديورثوسيس" اليونانية أحيانًا بمعنى "الفداء" بدلًا من "التصحيح"، لكن مفهوم التصحيح الذي تم تدريسه في الأسرار كان مختلفًا تمامًا عن الفداء المضمون إلهيًا الذي وعدت به

الديانات الخلاصية.[18] لم يكن الأمر يتعلق بالإيمان بقوة عليا تقع في مكان ما خارج هذا العالم، بل كان إيمانًا تجريبيًا بصلتنا بالقوة الإلهية الموجودة هنا، والمرتبطة بالأرض ارتباطًا وثيقًا، والتي توفر لنا البيئة التي نعيش فيها ونتحرك ونوجد. لم يكن الخلاص بالنسبة للمتأهلين في الأسرار نعمة متلقاة، ولا عملاً تم إنجازه من أجلنا عن طريق الشفاعة الإلهية. بل إن الأمر ينطوي على افتراض امتياز التطور المشترك بوعي مع الذكاء الكوكبي، والعيش داخل المعجزة التكافلية للأرض وتعلم كيفية عملها، مع حب كل درس، وكل إنجاز اكتشاف، وكل فعل تحويل في الخيمياء الإلهية للمحيط الحيوي. يقول كتاب "أبوكريفون يوحنا"، وهو نص كوني طويل من نجع حمادي، إننا نعمل بشكل وثيق مع إلهة الأرض صوفيا "حتى تتمكن قريبتنا الطبيعية، الحكمة، التي تشبهنا، من تصحيح ما ينقصها من خلال انعكاس النور الذي نحمله".

هذا هو جوهر الرسالة الغنوصية كما كانت قبل ألفي عام، وكما هي عليه اليوم.

عقدة المخلص

رفض الغنوصتيكوي، بوصفهم وثنيين، الاعتقاد بأن للمعاناة قيمة فدائية. وبصفتهم علماء لاهوت، فقد دحضوا الادعاء بأن التدخل الإلهي يمكن أن يغير الحالة الإنسانية. من خلال رفض المخلص الخارق للطبيعة ودحض المعتقدات الخلاصية، تعرض الغنوصيون لهجوم مباشر من أولئك الذين كانوا يصيغون ويفرضون عقائد عقدة المخلص اليهودية المسيحية. إن القمع الوحشي للأسرار، وتدمير الكتابات الغنوصية، والإبادة الجماعية الشاملة للثقافة الوثنية في أوروبا، كلها تنتمي إلى القصة غير المروية لـ "الحضارة الغربية" و"انتصار المسيحية". هذه هي القصة كما عاشها "الخاسرون". استعادة الحكمة الغنوصية للعصر الحالي ودمج تعاليم الغموض مع علم البيئة العميق - هو الهدف المزدوج لهذا الكتاب ــــلا يمكن القيام بذلك دون النظر عن كثب في ما دمر الرؤية الصوفيانية للأرض الحية، ولماذا تمكن من القيام بذلك. استمرت الإبادة الجماعية للثقافة الأصلية في العالم الكلاسيكي لقرون، لكن التستر عليها أخفاها إلى حد كبير.

هذه حقيقة، ولا تزال قائمة حتى يومنا هذا. إن كشف التستر والكشف عن سبب ونطاق الدمار الذي حدث هو الهدف الثانوي، ولكنه لا يقل أهمية، لهذا الكتاب.

تتكون عقدة المخلص من أربعة مكونات: خلق العالم بواسطة إله أب مستقل عن نظيره الأنثوي؛ والمحاكمة والاختبار (التي تم تصورها كدراما تاريخية) للقلة الصالحة أو "الشعب المختار"؛ ومهمة ابن الإله الخالق (المسيا) لإنقاذ العالم؛ والحكم النهائي المروع الذي يصدره الأب والابن على البشرية. يقبل

اليهود الأرثوذكس جميع النقاط الأربع للعقدة، لكنهم لا يعترفون بيسوع العهد الجديد باعتباره مسياهم، الذي لم يظهر حتى يومنا هذا. يتبع المسيحيون قول الرسول بطرس الذي خاطب اليهود المتحولين باعتبارهم " فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ" (1 بطرس 2 :9)، وبالتالي، بعبارة واحدة بارعة، ينقلون مكانة "الشعب المختار" من اليهود إلى المتحولين المسيحيين. باختصار، تبنت المسيحية الرومانية الشكل اليرقي أو القبلي لعقدة المخلص من اليهودية، وحولته إلى برنامج خلاص عالمي ("كاثوليكي"). تحدد وجهات النظر المختلفة لهذه المكونات الأربعة فصائل مختلفة من اليهودية والمسيحية وكذلك الإسلام، الذي ينتمي أيضًا إلى ثالوث الديانات الإبراهيمية، على الرغم من أنه نشأ بعد إسكات الغنوصيين، وبالتالي لم يظهر في نقدهم.

بدا أن بعض الغنوصيين، مثل فالنتينوس ومرقيون، يقترحون مواقف توفيقية بشأن هذه القضايا، لكن الحجة الوثنية الراديكالية دحضت بلا رحمة جميع النقاط الأربع. يكاد يكون من المستحيل على علماء ومؤرخي الأديان اليوم أن يتبنوا وجهة النظر القائلة بأن الحركة الغنوصية نشأت داخل المسيحية المبكرة: إذا كان الأمر كذلك، فإن الأفكار الغنوصية كانت مجرد جوانب من نوع غامض من "المسيحية الغنوصية" التي تم القضاء عليها تدريجياً مع التعريف العقائدي للمعتقدات. لكن الأدلة المستمدة من المواد المتبقية تتعارض بوضوح مع هذا التفسير. إن المسيحية الغنوصية هي إعادة صياغة ابتكرها علماء تمنعهم قناعاتهم الدينية من رؤية وقبول أن الجزء الأكبر من المادة الغنوصية كان يتعارض تمامًا مع أيديولوجية الخلاص اليهودية المسيحية.

بالنسبة للوثنيين والمسيحيين على حد سواء، لم تكن المكونات الأربعة لعقدة الفادي مجرد قضايا لاهوتية جافة. أثار الاحتجاج الغنوصي ضد عقدة المخلص موجة هائلة من العنف لدى المتحولين إلى العقيدة الخلاصية، كما يتضح من مقتل هيباتيا. كانت من الغنوصتيكوس، وهي مثقفة وثنية من عالم الأسرار، وقد استهدفتها موجة الغضب المقدس من الناس الذين وضعوا إيمانهم على المخلص الإلهي. كان الغوغاء الذين هاجموها يعتقدون أن إلههم لديه طريقة فريدة للتغلب على المعاناة، وهذا الاعتقاد أجاز لهم إلحاق المعاناة من أجل تعزيز قضيته.

إن الإيمان بالقيمة الخلاصية للمعاناة هو الديناميكية الأساسية للعنف، وإرادة الغزو، والإبادة الجماعية التي دفعت إلى صعود المسيحية الرومانية وأطلقت موجة متوسعة باستمرار من الدمار في جميع أنحاء الكوكب. قد يرتكب البشر العنف لأسباب عديدة، وقد يسعون إلى قمع الآخرين والسيطرة عليهم لأسباب متنوعة، ولكن عندما تتشبع السيطرة بالقوة العنيفة، سواء كانت جسدية أو نفسية، بالبر وتدعمها السلطة الإلهية، فإن العنف يأخذ بعداً آخر. يصبح الأمر غير إنساني ومنحرف. ومثل عدد لا يحصى من النساء في عصرها، وفي القرون اللاحقة، كانت هيباتيا ضحية للعنف الطائفي ذي الدوافع الدينية والذي غذته وحركته الإيمان بعقدة المخلص. أي نوع من العالم سينتج إذا كانت القدرة على الهيمنة والسيطرة على الآخرين، وإلحاق معاناة هائلة في هذه العملية، مُجازة من قبل كائن إلهي قادر في الوقت نفسه على تخليص تلك المعاناة وتحرير الجناة وضحاياهم من شرور ذلك العالم؟

هكذا كان النظام الشيطاني الذي وجد الغنوصيون أنفسهم يواجهونه بعد عام 150 ميلادي.

رابطة الضحية والجاني

يحمي الدين الإنسان طالما لم يتم الكشف عن أسسه النهائية. إن طرد الوحش من عرينه يعني المخاطرة بإطلاقه على البشرية.[19]

تقول الباحثة النسوية وأستاذة اللاهوت كاثرين كيلر: "ليس لدينا سبب للاعتقاد بأن الحياة على مر العصور كانت قائمة على هيمنة القوي على الأضعف، كما أنه ليس لدينا أي دليل على أن الناس عاشوا دائمًا في حالة دفاعية تميز الحياة الحديثة". وتذكر أنه في ظل ثقافة الهيمنة الأبوية، ينشأ العنف ويتجلى "في المواقف التي تنتقل فيها الإساءة من جيل إلى آخر". نرى مراراً وتكراراً أسباب الألم - التدمير و الإساءة -تتدفق من جرح سابق".[20]

يُعرّف علم النفس الحديث المتلازمة التي تصفها كيلر بأنها "الارتباط الناتج عن الإساءة". السيطرة هي إساءة، وفي أي حالة من حالات السيطرة يكون المعتدي هو شخص تعرض للإساءة، كما نفهم الآن. لكن العكس ليس صحيحاً: فالمعتدى عليه ليس بالضرورة أن يكون معتدياً. وبالتالي، فإن النظام مفتوح لإنتاج المزيد والمزيد من المسيئين من بين العدد الهائل من غير المسيئين.

مع تطور الإساءة، تضيق الحلقة المفرغة. قد يرتبط الضحايا الذين ينجون من العنف الذي يتعرضون له بالجناة، وغالباً ما يصبحون هم أنفسهم الجناة، ولكن ليس دائماً. إن المعاناة الناجمة عن الإساءة والترابط، أو رابطة الضحية والجاني كما سأسميها، معدية للغاية. لقد تم تطبيق مفهوم الرابطة بين الضحية والجاني على نطاق واسع على الأسر المختلة وظيفياً والعلاقات الإدمانية، ولكن ليس بعد على السجل التاريخي للجنس البشري، ولا على الافتراضات اللاهوتية الكبرى مثل عقدة المخلص. لكن عند تطبيق ذلك على غزو العالم الجديد، فإنه يشير إلى أن المعتدين، الغزاة الأوروبيين، كانوا هم أنفسهم ضحايا للإساءة. أولئك الذين أتوا ورأوا وانتصروا كانوا قد غُزوا بالفعل.

ما هي الانتهاكات التي تعرض لها الأوروبيون قبل القرن الخامس عشر والتي أدت إلى دافعهم للهيمنة بالعنف، ووفرت لهم مبرراً مشروعاً لهذا العنف، ودفعتهم إلى ارتكاب الإبادة الجماعية والإبادة البيئية على نطاق عالمي؟

ماذا حدث في أوروبا القديمة قبل أن ينطلق الأوروبيون لغزو العالم الجديد وتحويله إلى المسيحية واستعماره؟

كثيراً ما يُذكر الجشع باعتباره الدافع الرئيسي وراء الغزو الأوروبي للعالم الجديد. كان لدى الغزاة ذلك بالتأكيد، وبكثرة. أبحر الغزاة إلى الأمريكتين تحت راية المسيح، مكرسين اسمياً لتحويل الأعراق المتوحشة، وجلبوا ثروات لا توصف. إن كمية الفضة والذهب المنهوبة من السكان الأصليين لا يمكن تصورها، حتى بمعايير إحصائيات اليوم التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات. لم يكن للذهب والجواهر الثمينة أي قيمة تجارية لدى السكان الأصليين لأمريكا مثل الأزتيك والإنكا. كان مخصصاً للاستخدام الزخرفي والطقسي فقط. أصبحت الزخارف المسروقة من العالم الجديد بمثابة العملة الصعبة للعالم القديم. لعدة قرون، كانت السفن الإسبانية تصل إلى مصب نهر الوادي الكبير، وتُنقل غنائمها عبر النهر إلى مكاتب المحاسبة في إشبيلية، حيث أطلق توركيمادا، الذي ولد بعد ألف عام من مقتل هيباتيا، مهمته لإنقاذ

الهراطقة من ضلالهم. الكأس المرصع بالجواهر الذي يرفعه البابا اليوم لإقامة القداس الإلهي أمام جمهور من الملايين المتدينين مصنوع من ذهب الإنكا. يمكن تصور الدم الذي يملأ الكأس، من الناحية الرمزية، على أنه ينتمي إلى يسوع المسيح، المخلص. لكن من الناحية التاريخية، فإنه ينتمي إلى ملايين لا تعد ولا تحصى من سكان العالم الجديد الأصليين الذين أبادتهم الهجمة الأوروبية، وحطمت طرق بقائهم، ودُنست مواقعهم المقدسة، وأُدينت معارفهم وممارساتهم المقدسة باعتبارها هرطقة. بحسب الإيمان، الخبز المكسور في القداس هو جسد المسيح المتجسد. لكن وفقًا للتاريخ، إنه جسد الأرض المدمر، والجنة الطبيعية التي نُهبت مواردها.

هل يمكن للجشع وحده أن يفسر هذا السلوك، الذي هو، باعترافه، سلوك مقدس ؟ وإلا، فربما يمكن أن تقدم ملاحظة عالم الأنثروبولوجيا الثقافية رينيه جيرار دليلاً: "يحمي الدين الإنسان طالما لم يتم الكشف عن أسسه النهائية". [21] ما الذي يكمن مخفياً في الأسس النهائية للدين؟ بالنسبة للغنوصتيكوي، الماهرين في النقاش اللاهوتي، كان العنصر الأكثر إثارة للقلق في الدين الناشئ هو عقدة المخلص. كان نموذجهم الخاص بالخلاص، وهو نموذج صوفياني، مسارًا للتكريس لحياة الأرض، الكوكب الأم. في الدوران الغريب لعقدة المخلص، رأوا وهماً، وانحرافاً للبشرية، بل وحتى علامة على الجنون. لقد تحدى خبراء في علم اللاهوت مثل هيباتيا هذا الوهم علنًا وواجهوه من خلال التعليم عن الإمكانات الإلهية للبشرية، والعقل، والتطور المشترك مع صوفيا، إلهة الحكمة. في اللحظة التي ظهر فيها الدين الخلاصي لأول مرة، تم تحديه ومواجهته من قبل أشخاص مؤهلين تأهيلاً عالياً لتحليل وتقييم ما كانوا يرونه، وكان لديهم وجهات نظر بديلة ليقترحوها.

لكن في احتجاجهم على ما اعتبروه انحرافاً خطيراً للبشرية، لم يتسبب الغنوصيون في إطلاق العنان لوحش على العالم. لقد واجهوا وحشاً طليقاً بالفعل، وحشاً كان يزداد قوة على مدى عدة قرون. لقد جادلوا بأن جعل المعاناة قضية عادلة لأولئك الذين يسببونها، ودعوة إلهية فدائية لأولئك الذين تُسبب لهم، هو خطأ فادح للعقل البشري. كان الوحش الذي واجهه الغنوصيون غير إنساني، لكنه سيجعل البشرية جمعاء أداة في يده. إنها رابطة الضحية والجاني التي يتم استغلالها بشكل شيطاني، وتخفيها في صورة علاقة حب، وتمجيدها إلى أعلى مراتب السماء.

لو أن الغنوصيين هزموا الخلاصية في موطنها الأصلي في الشرق الأدنى، لما انتشرت إلى أوروبا، لكن الإمبريالية المسيحية البدائية كانت متجذرة جيدًا في روما بحلول عام 200 ميلادي. وسرعان ما تم فرض "التاريخ المقدس" لليهود باعتباره النص الوحيد السائد. في حوالي عام 100 ميلادي، أكد كليمنت الروماني، وهو أحد أوائل المنظرين، أن العهد القديم والكلمات المنسوبة إلى يسوع هي نصوص مقدسة، ويجب أخذ كليهما حرفيًا كحقيقة تاريخية. وقد أثبت هذا الموقف، الذي تم طرحه في نفس الوقت الذي كُتبت فيه أقدم روايات الأناجيل في شكلها الباقي، الادعاء بأن القصص المتعلقة بيسوع كانت روايات لأحداث حقيقية، وهو ادعاء لا يزال يتمسك به الأصوليون المسيحيون حتى اليوم. كما أكد على استمرارية العهدين القديم والجديد: " لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ." (لوقا 24 :44). رفض الغنوصيون مثل مرقيون هذا الاستمرار بشكل قاطع وأصروا على أن الإله الأب الغاضب والمتقلب في العهد القديم لا يمكن أن يكون مصدراً للحب الخارق للطبيعة، ولا ينبغي أن يكون موضوعاً للحب البشري. في عام 144 ميلادي، كاد مرقيون أن ينجح في جعل نموذجه لمواد الإنجيل الموجودة آنذاك مقبولاً كقانوني من قبل المجتمع المسيحي في روما. لو فعل ذلك، لكانت المسيحية اليوم

تعتمد على مراجعته لعلم المسيح البولسي ومواد الإنجيل المختارة وفقًا لمعايير غنوصية، مستقلة تمامًا عن العهد القديم.

استمرت عمليات إعادة كتابة لا حصر لها لروايات الأناجيل، والمناقشات المتكررة حول النسخ اليهودية والأرثوذكسية والغنوصية من الكتاب المقدس، حتى وقت هيباتيا، لكن القصة التي كان من المفترض أن توجه الحضارة الغربية لمدة ستة عشر قرنًا تبلورت تدريجيًا لصالح مخطط أبوي للخلاص الإلهي، مختومًا بموافقة الإمبراطورية الرومانية. لقد ناسبت سلطة الإله خارج الكوكب شهوة الإمبراطورية للسلطة إلى حد كبير. شهد القرن الرابع فرض عقوبة الإعدام على الديانة الوثنية والانشقاقات الهرطقية (مثل الأريوسية) من قبل ثيودوسيوس الأول وثيودوسيوس الثاني، وهما رجلان وصفهما أحد المؤرخين بأنهما "اثنان من أكثر المسيحيين قسوة وقوة في أي وقت من الأوقات واللذان كانا يضعان بالفعل

الأساس لمحاكم التفتيش والحروب الدينية المستقبلية في أوروبا".[22] وباتباع واستغلال التقاليد اليهودية لـ "التاريخ المقدس"، فرض برنامج الخلاص خطة تاريخية خطية على الجنس البشري بأكمله. يشكل العهدان القديم والجديد، مجتمعين، نصاً توجيهياً، وقصة مشفرة بمعتقدات تحرك سلوك أولئك الذين يتبنونها. بفضل عقدة المخلص، كتبت السلطة الأبوية أجندتها الخاصة، ونسبت التأليف إلى إله أبوي حاقد. كان لدى الأب الإلهي خطة للغزو والتحول كان من المقرر تنفيذها في أوروبا لمدة ألف عام قبل أن يقوم ضحاياها، الذين تحولوا بدورهم إلى جناة، بنقلها تحت راية الصليب إلى العالم الجديد.

تُلقي جريمة قتل هيباتيا بظلالها الطويلة والمُرعبة.

---

* للاطلاع على تعريف مدارس الأسرار والمصطلحات الخاصة الأخرى، انظر إلى المسرد.

* لا يوجد إجماع علمي حول تعريف الغنوص أو الغنوصية. ما سبق هو أحد الخيارات العديدة التي أقترحها. راجع قائمة المصطلحات للاطلاع على تعريفات جميع المصطلحات الخاصة.

† أقترح نطق اسم الإلهة الأسطوري بـ *so-FI*-ah، على عكس الاسم الشائع الذي ينطق *so-FEE-ah*. الصفة هي *"*صوفيانية*"*.

* بخصوص مخطوطات نجع حمادي - والتي لا ينبغي الخلط بينها وبين مخطوطات البحر الميت، والتي تظهر أيضًا في حجة هذا الكتاب - انظر الفصل 7 و"اقتراحات للقراءة والبحث". تتم مناقشة مخطوطات البحر الميت في الفصول 4 و5 و 6 وفي أماكن أخرى.

* جميع الإشارات إلى فرضية غايا، والتي تسمى الآن نظرية غايا، تتبع التعريف القياسي لمؤلفيها، جيمس لوفلوك ولين مارغوليس. انظر مسرد المصطلحات.

2

الجذور الوثنية

عندما ظهر كتاب "ادفن قلبي عند الركبة الجريحة" في عام 1971، لم تكن كلمة "الإبادة الجماعية" شائعة الاستخدام لوصف ما حدث للثقافات القبلية في أمريكا الشمالية على يد الأوروبيين الذين وصلوا بعد عام 1492. ركز كتاب دي براون الرائد على خيانة ومذبحة القبائل الأصلية غرب نهر المسيسيبي، لكنه لفت انتباه العالم إلى المحنة التاريخية لجميع الأمريكيين الأصليين. وقد رسخت هذه النظرية وجهة النظر القائلة بأن الإبادة الجماعية، "القتل المتعمد لجماعة عرقية أو ثقافية (قاموس بنجوين الإنجليزي الموجز، *2002*)"، يمكن تطبيقها بالفعل على سياسات وأفعال الأوروبيين الذين استوطنوا أمريكا الشمالية، وبالتبعية، على سياسات وأفعال مماثلة في أمريكا الوسطى والجنوبية، مثل التحويل القسري للقبائل المكسيكية (الأزتيك والمايا والزابوتيك وعشرات القبائل الأخرى)، والتدمير الشامل لأدبياتهم المقدسة. اليوم، يُعتبر مصطلح الإبادة الجماعية المصطلح الصحيح والدقيق لوصف جوانب معينة مما كان يُطلق عليه منذ فترة طويلة، وغالباً بعبارات مدح إلى حد ما، "غزو العالم الجديد".

يحذر دي براون في مقدمته من أن تصويره للشعوب الأمريكية الأصلية وثقافاتهم قد لا يتوافق مع الافتراضات السائدة:

> قد يتفاجأ القراء بسماع كلمات من الاعتدال واللين تخرج من أفواه الهنود الذين تم تصويرهم في الأسطورة الأمريكية على أنهم متوحشون لا يرحمون. قد يتعلمون شيئاً عن علاقتهم بالأرض من شعب كان حقاً من دعاة الحفاظ على البيئة. كان الهنود يدركون أن الحياة مرتبطة بالأرض ومواردها، وأن أمريكا جنة، ولم يستطيعوا فهم سبب إصرار الغزاة القادمين من الشرق على تدمير كل ما هو هندي
>
> وكذلك أمريكا نفسها.[23]

عندما يتعلق الأمر بالشعوب الأصلية في أوروبا - أو "الأوروبيين الأصليين" كما يمكن تسميتهم - قد لا نكون أكثر استنارة اليوم مما كان عليه العديد من قراء براون في عام 1971. لقد واجه قضية "الهنود الذين تم تصويرهم بصورة نمطية في الأسطورة الأمريكية"، لكننا لم نواجه بعد قضية الوثنيين الذين تم تصويرهم بصورة نمطية في التاريخ اليهودي المسيحي. إن الأسطورة الأمريكية هي ابتكار ثقافي حديث نسبياً، وهي عبارة عن نص احتفالي ذاتي لأمة لم تكن قد بلغت مائتي عام بعد عندما نُشر كتاب براون. بالمقارنة مع التاريخ الأمريكي، فإن التاريخ المقدس لليهودية والمسيحية أقدم بخمسة عشر مرة ومتجذر على مستويات أعمق بكثير في النفس الجماعية للجنس البشري. في هذا الوقت المتأخر، يضطر المرء إلى التساؤل عما إذا

كان من الممكن إزالة طبقة الصور النمطية واختراق القشرة الكثيفة من المعلومات المضللة التي تعيق فهمنا للأوروبيين الأصليين.

أسطورة أوروبا

وفقًا لقاموس بنجوين الإنجليزي المختصر (طبعة 2002)، فإن الوثني هو "(1) تابع لدين متعدد الآلهة (2) شخص غير متدين". إذا قمنا الآن بتطبيق كلمة "وثني" على الشعوب الأصلية في أوروبا، وقبلنا الوثنية كمصطلح عام للتوجه الديني لهؤلاء الناس، فسيتعين التخلي عن هذا التعريف. أحد البدائل الممكنة: وثني، (1) تابع لدين روحاني يعترف بالعديد من الآلهة في كون حي، وبالتالي، فهو من أتباع دين الطبيعة؛ (2) وبشكل أكثر تحديدًا، عضو في الثقافات الأصلية المتنوعة لأوروبا ما قبل المسيحية.

كانت هيباتيا وثنية، لكنها كانت مصرية بالطبع، وليست أوروبية. لكن دعونا نتذكر أن الإسكندرية كانت "بجوار مصر"، وليست داخلها. منذ "العصر الذهبي" الذي بزغ حوالي عام 600 قبل الميلاد، أمضى الفلاسفة والعلماء اليونانيون سنوات طويلة من التدريب في مصر. في كتابه "أثينا السوداء"، يجادل مارتن برنال بأن التقاليد الفكرية الأوروبية الغربية بأكملها تنبع من أصول أفريقية. ويقول إنه بالنسبة لأفلاطون وغيره من المفكرين اليونانيين، "إذا أراد المرء العودة إلى المؤسسات الأثينية القديمة، فعليه أن يتوجه إلى مصر". [24] يستشهد برنال بالعديد من الأمثلة على اليونانيين المشهورين الذين أمضوا سنوات من التدريب المهني في مدارس الأسرار المصرية.

نشأت حركة الخلاص في فلسطين وانتشرت بسرعة إلى الإسكندرية كما انتشرت إلى روما. وبالتالي، كان الوثنيون غير الأوروبيين مثل هيباتيا في الخطوط الأمامية لهجوم من شأنه أن يجتاح أوروبا في نهاية المطاف على شكل موجات. كان الغنوصيون في مصر وبلاد الشام والشرق الأدنى بمثابة معلمين ومرشدين لليونانيين الذين أطلقوا التقاليد الفكرية الغربية، وكانوا أكثر من ذلك أيضاً. لقد كانوا بالنسبة للشعوب الأصلية في أوروبا خط الدفاع الأول ضد عقيدة الخلاص التي نشأت من فلسطين.

لم يُكتب حتى الآن أي شيء يُضاهي كتاب "ادفن قلبي عند الركبة الجريحة" ولو من بعيد عن الإبادة الجماعية للسكان الوثنيين في أوروبا. لا يوجد حتى اسم عام لهؤلاء الناس، ولكن ربما يكون مصطلح "الأوروبيون الأصليون" مناسباً. يعيش الأوروبيون اليوم في دول قومية ذات حدود، لكن هذا لم يكن الحال بالنسبة للشعوب الأصلية قبل المسيحية التي شكلت فسيفساء واسعة من الثقافات المتنوعة والجماعات العرقية واللغوية التي تعيش في مناطق غير حدودية في جميع أنحاء أوروبا. ولأن الأوروبيين الأصليين لم يكونوا أوروبيين بالمعنى الحديث، فإن العلماء يضيفون البادئة البدائية- إلى تسميات الأعراق الأصلية: الإيطالية البدائية، الهيلينية البدائية، الإيبيرية البدائية، وما إلى ذلك. هذا المصطلح غير مألوف. قدمت ماريا جيمبوتاس مصطلح "أوروبا القديمة" للثقافات القائمة على الآلهة التي نقبت عنها في البلقان، ولكن في الواقع، عاش الأوروبيون القدماء عندما كانت أوروبا شابة، وسكان أوروبا اليوم هم في الحقيقة المجموعة القديمة، نهاية السلالة. (جاك شيراك - رئيس فرنسا، الذي لا يزال على قيد الحياة بينما أكتب هذه الكلمات - هو أوروبي كبير في السن، أي متقدم في العمر.) يناسب مصطلح جيمبوتاس عملها، لكنه لن يصلح لتسمية السكان الأصليين لأوروبا.

يعود أصل كلمة أوروبا إلى أسطورة مرتبطة بجزيرة كريت القديمة. كان للملك أجينور ملك صور، وهي جزيرة تقع قبالة سواحل لبنان، ابنة تدعى أوروبا جذبت انتباه الإله الأولمبي الشهواني زيوس. ولإغوائها، اتخذ زيوس شكل ثور أبيض مهيب. حمل أوروبا على ظهره، وركض إلى ساحل البحر وسبح بعيداً إلى جزيرة كريت. وهناك أنجبت له أبناءً، من بينهم مينوس، الذي أصبح ملك كريت وأطلق اسمه على الحضارة المينوية التي ازدهرت في تلك الجزيرة. سميت أوروبا على اسم إلهة من بلاد الشام حيث كان يقع مركز الحركة الغنوصية.

أصل اسم أوروبا الأسطوري غير مؤكد. تقول ماريا جيمبوتاس (إلهات وآلهة أوروبا القديمة) أن كلمة أوروبا تعني "النظر البعيد". وفقًا لكتاب "أصول" *(Origins)*، وهو قاموس اشتقاقي قياسي قام بتجميعه إريك بارتريدج، فإن الكلمة اليونانية *eurus* تعني "واسع" أو "عريض". قد يكون هذا المعنى مناسباً لأوروبا من الناحية الجغرافية، ولكنه لا يستبعد وجود اشتقاقات أخرى. إن الجذر الهندو-أوروبي *eu-*، الذي يعني "الصحة" أو "الخير الطبيعي"، يولد كلمات مثل علم تحسين النسل *(eugenics)*، و"النسب الجيد"، والقربان المقدس *(eucharist)*، و"السحر الجيد" أو "القوة"، وكلمة حسن الوقع فى الأذن *(euphonious)*، "ذو صوت جيد". مع التحول من *u* إلى *v*، يشكل هذا الجذر كلمة *evangelos*، "رسول (*angelos*) الخير الطبيعي (*ev-*)". نشأت الدعوة إلى الإنجيل في العهد الجديد في الشرق الأدنى، في فلسطين، لكنها انتشرت في جميع أنحاء العالم القديم على يد الأوروبيين الهيلينيين. هناك تحول تاريخي مخفي في التلاعب بالألفاظ هنا، لأن "البشارة" في الأناجيل لا علاقة لها بـ "الخير الطبيعي" لأوروبا الوثنية، بل في الواقع، تم تصميمها لإنكار وهزيمة التوجه الأصلي في كل منعطف. عندما تم تنصير الأوروبيين، تم تدمير إحساسهم بالمكان، وقمع روحانيتهم، والاستيلاء على مواقعهم المقدسة، وكتابة تاريخهم القبلي فوق نص شمولي مستورد من أرض بعيدة.

كما أشرت للتو، فإن الأسطورة الكريتية تقدم كلمة أوروبا للدلالة على الامتداد القاري لأوروبا ما قبل المسيحية، وكلمة أوروبيين للدلالة على التنوع الكبير في سكانها الأصليين وثقافاتهم. ينطبق مصطلح "أوروبيين" بشكل عام على السمات الإقليمية لشعوب متنوعة عاشت في المنطقة الجغرافية التي تمتد من جزر شتلاند وأوركني جنوبًا إلى طرف شبه الجزيرة الأيبيرية، ومن بريتاني في فرنسا شرقًا إلى مضيق البوسفور. وتشمل الحافة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط وجزرًا مثل كريت وصقلية وكورسيكا وسردينيا ومالطا ومايوركا، بالإضافة إلى الجزر اليونانية بالطبع. كان النطاق الزمني لأوروبا يمتد من نهاية العصر الجليدي، حوالي 9500 قبل الميلاد، وحتى فترة ما بعد الإقطاع عندما بدأت الدول القومية في الظهور - لنقل 1400 ميلادي. وقد استمرت القيم الوثنية لأوروبا حتى عصر النهضة، على الرغم من تعرضها لضغوط هائلة من خلال الإجراءات القمعية للمسيحية الرومانية. وشملت الاعتداءات على السكان الأصليين الحملات ضد الكاثاريين والألبيجنسيين في القرن الثاني عشر، ومحاكم التفتيش التي بدأت في القرن الخامس عشر، وحملات مطاردة الساحرات التي اجتاحت أوروبا بين عامي 1450 و1750، والتي أودت بحياة أعداد لا تحصى من الناس. حتى عام 1976، قُتلت نساء يشتبه في ممارستهن للسحر في إنجلترا والمجر وألمانيا.[25]

تُظهر الثقافات الأوروبية أوجه تشابه وثيقة مع ثقافات الشعوب الأصلية في الأمريكتين. كان الأوروبيون "يعرفون أن الحياة مرتبطة بالأرض ومواردها" (براون، المذكور أعلاه)، وأن موطنهم كان جنة طبيعية. كانوا هم أيضاً محافظين للغاية، وفي هذا الصدد يمكن مقارنتهم أيضاً بالصينيين القدماء. يرى كل من يسافر في أوروبا آثار أناس عاشوا لقرون في علاقة مستدامة مع بيئتهم: كروم العنب، والحمامات،

والقنوات المائية، والطرق، والأعمال الترابية، وبساتين أشجار الزيتون والبلوط القديمة، والمستنقعات المالحة، والأعمال الحجرية من جميع الأنواع بما في ذلك الدوائر الضخمة مثل ستونهنج ونيوجرانج، والتي من المعروف أن بعضها قد تم بناؤه في وقت مبكر يعود إلى 7000 قبل الميلاد. في كل مكان يذهب إليه المرء خارج التجمعات الحضرية الحضرية في أوروبا الحديثة، تكون الأرض قد لمست وشكلتها أيادي البشر، بمهارة، بل وبحب. على مدى قرون، بذل السكان الوثنيون في جميع أنحاء القارة الواسعة والخصبة جهوداً خاصة للحفاظ على خيرات الطبيعة وتعزيزها.

لم تكن شعوب العصر الحجري الحديث والعصر النحاسي والعصر البرونزي في أوروبا تختلف كثيراً عن السكان الأصليين لأمريكا الذين نجوا حتى القرن التاسع عشر، أي بعد أربعمائة عام من غزوهم. ومع ذلك، كان غزاة العالم الجديد منفصلين تماماً عن جذورهم لدرجة أنهم رأوا جميع القبائل الأمريكية على أنها متوحشون يجب ذبحهم وتحويلهم واستعبادهم، بدلاً من اعتبارهم نظراء لأنفسهم من زمن بعيد.

أهل الريف

في العصر الروماني، كانت "باغوس" منطقة ريفية، وعادة ما يتم تحديدها بواسطة علامة أرضية أو حجر حدودي. في مصر، كانت جميع الأراضي على جانبي النيل منظمة في مناطق محلية تسمى الأقاليم، ولكل منها حيوانها الطوطمي ورموزها المصاحبة. لقد ابتكر الكهنة الذين وضعوا هذا النظام ونفذوه انطلاقاً من فهمهم للطبيعة الفطرية للسكان. كان نظام المقاطعات عبارة عن تقسيم للموارد المحلية من قبل قادة مدارس الأسرار. (نسب أرسطو بشكل مشهور إلى المصريين اختراع فن الهندسة المقدس كتقنية لقياس الأراضي.) في اليونان، كانت علامات الحدود على مستوى البلاد تسمى هيرما، وهي عبارة عن أعمدة منتصبة منحوتة على صورة الإله ديونيسوس المنتشي، وعادة ما يتم تصويره وهو منتصب. وبهذه الطريقة، أقرّ معلمو مدرسة الأسرار للسكان المحليين باعترافهم بالخصوبة الطبيعية، ووفرة الأم العظيمة، باعتبارها موضوعًا للدين الأصلي. لم يكن هيرما المنتصب يمجد قوة الذكورة في الإنجاب، بل كان يعترف بتجذر الجنسانية البشرية في القوى الأرضية.

كان الباغانيون سكان الريف، على النقيض من سكان المدن الكبيرة مثل الإسكندرية وأثينا وروما، ومع ذلك كان سكان المدن أيضًا وثنيين بالمعنى الأكثر شمولاً للكلمة. في الاستخدام اللاتيني العامي، كان "الباغوني" يعني فلاحًا أو قرويًا، دون أي دلالة ازدرائية أو استخفافية.

يربط بارتريدج أصل الكلمة هنا بالفعل اللاتيني *pangere*، "غرس شيء ما (في الأرض)". يشير هذا إلى أن ليس فقط علامات الحدود المحلية، بل سكان الريف أنفسهم، كانوا متجذرين في المكان الذي سكنوه. *Pak-*، الجذر الهندو-أوروبي لكلمة *pangere*، يعطينا كلمة "اتفاق". يشير هذا الاشتقاق إلى أن الأشخاص الذين استقروا في المكان الذي يسكنونه لديهم اتفاق مع الأرض، والتزام أخلاقي تجاه البيئة. ذكر جوليان جاينز، الذي أشار بسخرية إلى أن "الحضارة هي فن العيش في مدن بهذا الحجم بحيث لا يعرف الجميع بعضهم البعض"، أن كلمة "pankush" الحثية،

المشتقة من نفس جذر كلمة "pangere"، تعني "مجتمع". [26]تشير هذه العلاقة إلى أن الارتباط بالمكان يجعل المجتمع ممكناً، ليس فقط من خلال تقاسم موارد المكان، ولكن من خلال تحديد ما سيتم تقاسمه. ومن

هنا تبرز أهمية "المشاعات" في جميع المجتمعات ذات النطاق الإنساني.

يمكن تعريف الوثنية بأنها التوجه الأساسي للمجتمع نحو العالم الطبيعي والموئل، حيث يُنظر إلى كليهما بشكل شمولي. يكتب المؤرخ غارث فودن: "تصور الوثني موطنه الأصلي ككل فريد تحدده الجغرافيا والمناخ والتاريخ والاقتصاد المحلي، وكذلك الآلهة التي كانت تتردد عليه بشكل خاص، وتضمن ازدهاره، وربما حتى تحمل اسمه. لا يمكن حذف أو إهمال أي جزء من هذه الهوية، وهي مزيج دقيق من الإلهي والطبيعي والبشري، دون الإضرار بتناغم الكل وقدرته على البقاء." في المفهوم الوثني للحياة، تتأصل الثقافة بشكل عضوي في الطبيعة. إن مصطلح "الجذور الوثنية" زائد عن الحاجة، لأن الوثنيين كانوا بحكم تعريفهم أشخاصًا متجذرين في المكان الذي يسكنونه. ويشير فودن إلى أن الوثنيين كانوا منغمسين في "ذلك الفهم المميز للألوهية الذي يأتي من خلال السكن مع الآلهة في مكان معين، وهي معرفة محلية دقيقة لا يمكن لأي نبي بعيد أن يحولها إلى نص مقدس". [27]

في علم البيئة العميق، يعتبر الارتباط بالأرض الشرط الأول لمجتمع سليم بيئياً. "أول شيء يجب فعله هو اختيار مكان مقدس والعيش فيه." هكذا نصح شيخ قبيلة باوني، تاهيروساويتشي، الكاتبة دولوريس لاشابيل.[28] يمكن اعتبار الميثاق الوثني مع الأرض ما يسمى اليوم بالمنطقة الأحيائية.

إن العلاقة بمكان يُنظر إليه على أنه مقدس ليست، مع ذلك، امتلاكًا للمكان؛ في الواقع، فإن مثل هذه العلاقة تعيق الدافع للامتلاك. كثيراً ما يصر الأمريكيون الأصليون على أنهم ينتمون إلى الأرض، وأن الأرض لا تنتمي إليهم.

في احترامها للطبيعة، كرمت النظرة الدينية الوثنية وشجعت الترابط الوجداني بين الشخص والمكان، وليس امتلاك الأرض المقدر إلهياً. كانت الجبال والتلال والكهوف والآبار والأنهار جميعها مقدسة، ليس لأن أي عقيدة أعلنت ذلك، ولكن لأن تجربة الشعوب الأصلية في مكان معين كانت متجذرة في كشف مباشر وحسي عن الألوهية. كانت مشاركتهم في الآخر مشاركة روحانية، خالية من أي قيود فكرية أو عقائدية. لم تكن المنطقة الأحيائية القديمة، في أوروبا وكذلك في الأمريكتين، حماقة خرافية، بل كانت روحانية حقيقية ومعاشة. كان عالماً كتب فيه بلوتارخ في مقالته "علامة سقراط": "الكل حياة نصيبها من العقل، ولا يوجد عقل غير عقلاني أو عديم العقل تماماً."[29] إن الروابط التعاطفية بين الناس وبيئتهم حميمة وذاتية للغاية ويصعب تسجيلها. معظم التاريخ الأوروبي حدث عندما عاش السكان الأصليون للأمريكتين بدون تاريخ مكتوب ولكن بمشاركة عميقة في الزمان والمكان. إن حقيقة عدم وجود سجلات مكتوبة لتجربتهم لا تجعلها أقل أهمية في تطور الجنس البشري. ومرة أخرى، فإن التشابه مع السكان الأصليين للأمريكتين قبل وصول كولومبوس، وكذلك مع الشعوب البعيدة مثل السكان الأصليين الأستراليين، أمر واضح.

في كتابه "الطبيعة والجنون"، لاحظ عالم الأنثروبولوجيا بول شيبارد أن "الصعوبة الحقيقية في مناقشة علاقة التاريخ بالمكان تكمن في أن السؤال مطروح بأسلوب تاريخي حسم المسألة بالفعل".[30] وينطبق الشيء نفسه على تحديد أصل الأسرار، لأن الأسرار نشأت من علاقة البشرية بالمكان الذي تم تجربته كرابطة مقدسة، قبل كتابة أي تاريخ معين. في إطار مفهوم المخلص، يمنح الله الآب الصالحين ("الشعب المختار") امتلاك منطقة محددة ("الأرض الموعودة") وحتى السيادة على الأرض بأكملها. لكن في هذا

النظام العقائدي، لا تُعتبر الأرض مقدسة في حد ذاتها، وما يهم من الناحية الدينية هو الارتباط بالإله الموجود خارج كوكب الأرض والذي يمنح السيادة على خلقه، أي الطبيعة. إن "النمط التاريخي الذي حسم المسألة بالفعل" فيما يتعلق بكيفية وصفنا لعلاقة جنسنا بالعالم الطبيعي هو السرد الأبوي للأديان الإبراهيمية، أهل الكتاب. هذا هو السرد المحدد والحصري الذي يقدم تاريخ الحضارة الغربية. طالما أن هذا النص التوجيهي يسود، فمن المستحيل حتى مناقشة الرؤية العابرة للتاريخ والبيئية العميقة للتجربة الإنسانية التي يتم تدريسها في الأسرار.

إن الاهتمام بالطبيعة ("البيئة"، كما يسميها البيروقراطيون) هو وسيلة لضمان بقائنا، بالطبع. هذه نقطة أساسية في علم البيئة السطحي، على النقيض من النظرة الأعمق للطبيعة باعتبارها ذات قيمة جوهرية تتجاوز قدرتها على دعم الحياة البشرية. يبدو أن الأوروبيين كانوا علماء بيئة سطحيين مجتهدين وماهرين، لكن وجهة النظر عن الطبيعة التي تم تدريسها في الأسرار تشير إلى أن لديهم أيضًا توجهًا أعمق. كانت الشعوب التي ظهرت في أوروبا عندما انسحبت الصفائح الجليدية العظيمة شمالاً بعد عام 9500 قبل الميلاد موهوبة بشكل خاص في فنون البقاء على قيد الحياة. عند وصولهم إلى الأمريكتين بعد عام 1500، وجد المستعمرون الأوروبيون ثقافة "العصر الحجري" التي لم تطالب بالأرض بنفس الطريقة التي فعلها أسلافهم الأوروبيون. ومع ذلك، كان هناك تشابه أكثر من الاختلاف الذي يمكن ملاحظته. لماذا تعامل الغزاة مع السكان الأصليين بهذه القسوة والعداء؟ إن المعتقدات التي دفعتهم إلى الأمريكتين قد أعمت أبصارهم أيضاً عما وجدوه هناك. عندما واجه الغزاة جنة العالم الجديد الطبيعية، عجزوا عن رؤية نظيرتها في أصولهم، ولم يتمكنوا من رؤية أساطيرهم القديمة التي تعود إلى ما قبل المسيحية منعكسة في معتقدات وعادات السكان الأصليين لأمريكا. لم يكن بوسعهم، على سبيل المثال، مقارنة تل الأفعى العظيم في أوهايو أو دوائر الطب في جبال روكي العالية بالدوائر الحجرية والآثار الضخمة في أراضي أجدادهم.[31] إن عدم الاعتراف هذا عزز بالتأكيد ميل الأوروبيين إلى النظر إلى السكان الأصليين لأمريكا على أنهم "آخرون" وغرباء، وسمح للغزاة بإسقاط صورة شيطانية عليهم.

لاحظ كولومبوس أن هنود تاينو في جمهورية الدومينيكان كانوا سعداء بقدر ما يمكن أن يكون عليه البشر، منفتحين على الغرباء، حريصين على إظهار أسلوب حياتهم ومشاركته. كان رد فعله نموذجياً للعنف غير العقلاني لـ "الطاعون العاطفي"، كما وصفه فيلهلم رايش، وهو النفور المرضي الذي يظهره الأشخاص المنفصلون عن أجسادهم. أحرق رجال كولومبوس الهنود أحياءً في أكواخهم. انتشر هذا التفاعل كالعدوى، فأصاب جميع موجات الغزاة اللاحقة. هذا هو السلوك المجنون والأعمى والمنحرف الذي ينبع من "جرح سابق". في عام 1609، أبلغ بارثولوميو دي لا كاساس عن قائمة من الفظائع التي ارتكبها الغزاة الإسبان، بما في ذلك ما يلي: "لقد بنوا مشانق عالية بما يكفي لتلامس أقدامهم الأرض تقريبًا، وبحلول عام 13، تكريمًا لمخلصنا والرسل الاثني عشر، وضعوا الخشب تحتها، وبالنار، أحرقوا الهنود أحياءً". [32]

رابطة المتعة

استعارت الحضارة الرومانية الكثير من ثقافتها الراقية من الإغريق، بما في ذلك تبنيها لمجمع الآلهة اليوناني، الذي أعيد تسميته باللاتينية. العديد من المصطلحات اللاتينية مشتقة من اليونانية عن طريق الربط

أو الحذف أو التحريف. ربما ارتبطت الكلمة اللاتينية *paganus* بالفعل اليوناني *paien*، بمعنى "الرعي" أو "رعاية الحيوانات". الفعل اليوناني *paiein*، الذي يُكتب بحرف إضافي واحد، له صلة بالموضوع أيضاً: *paiein* تعني "الضرب"، "اللمس بقوة"، "اللمس من أجل الشفاء". استُخدم لقب "تو بايون" بمعنى "المعالج"، وكان لقبًا يُطلق على أبولو، وكانت *"paian"* في الأصل أغنية مدح لأبولو.[33] يندمج كلا الفعلين في إشارة أسطورية، إذ يُقال إن أبولو كان يسحر الحيوانات البرية بالعزف على القيثارة. ساهم السحر الموسيقي للشامان في تدجين الحيوانات. تشير هذه الصور البلاغية الأسطورية والشعرية إلى ما قبل تاريخ أوروبا وإلى أعماق ما يسميه جوليان جاينز "علم النفس الأثري" للبشرية.

في اللهجة الأتيكية، كانت الترانيم القديمة الموجهة إلى أبولو تبدأ بالصيحة المبهجة، Io Paion!، "ها هو الشافي!" كان أبولو، الذي يعتبر نموذجاً أصلياً للشامانية، معالجاً بحكم التعريف، لكن الأغنية النشوية الموجهة إليه كانت في الأصل موجهة إلى الأرض الرعوية والمأوى، المصدر البدائي لقوة الشفاء الشاملة. لا شك أن بان، "إله الطبيعة" الريفي، قد تلقى هذا النوع من المديح قبل أن يتم استخدام الرثاء (التهجئة الحديثة) في الطقوس الدينية في عبادة أبولو. لأبولو وجهان، أحدهما ينظر إلى الجذور الشامانية في الماضي القديم، والآخر ينظر إلى الأمام نحو الهيلينية، وانتصار الفكرانية اليونانية. كثيراً ما يتم تصوير أبولو وهو يتغلب على "قوة الثعبان" الخاصة بـ "بايثون"، وهي العرافة الأنثوية المقدسة الموجودة في دلفي وأماكن أخرى.

يمثل الإله العظيم بان وأبولو وجهتي نظر مختلفتين تمامًا للعالم، مما ينبئ بالصراع بين الطبيعة والثقافة، والغريزة والعقل. كان مارسياس ساتيرًا يشبه بان، قام أبولو بسلخه حيًا لأن الرجل الأشعث كان يعزف على الناي بشكل أفضل من إله الشمس. تكشف الأسطورة عن مدى وحشية العقل عندما يفترض تفوقه على الغرائز البشرية. جميع الآلهة اليونانية لها نظائر رومانية، باستثناء أبولو. عندما هاجرت الآلهة اليونانية إلى العقلية الرومانية، ظل أبولو على حاله، لكنه لم يظل دون تغيير تمامًا.

تدريجياً، تحول أبولو، إله الشمس الذي عارض الساتير الشهوانيين وحكمة العرافين الأرضية الشبيهة بالأفاعي، إلى المسيح، وأصبح المسيح الإله اليوناني الروماني الأعلى، المكرس في عبادة المخلص الإلهي المدعومة من الدولة. كان هذا التحول الأسطوري أحد أكثر الأحداث المصيرية التي شهدتها الحياة الروحية للشعوب الأوروبية. كانت آثارها اللاحقة على الوعي الجمعي للجنس البشري كارثية.

يمكن أن يظهر أبولو وكأنه يهزم جميع آلهة الطبيعة لأن هذا الإله يُتصور أنه يأتي من خارج الطبيعة، من وراء العالم الحسي. يجسد الإله أبولو تمجيد الإنسان للعقل كقوة مستقلة عن الجسد. إن كلمة *Phoebus* *(فويبوس)* اللاتينية ليست اسماً بديلاً لأبولو، ولكنها تشير فقط إلى سمته الأساسية، وهي الإشعاع الشبيه بالشمس للعقل المتحرر من الجسد. توضح المؤرخة جين هاريسون أن فويبوس كان يشير إلى "التقويم الشمسي بكل ما يصاحبه من أخلاقيات القانون والنظام والتناظر والإيقاع والنور والعقل، وهي الصفات التي نميل إلى جمعها بسهولة بالغة على أنها يونانية". [34] كانت هذه السمات للحضارة جميعها ممتلكة لدى الأوروبيين الأوائل، ولكنها تطورت في إشارة وثيقة إلى الطبيعة وتبجيل عميق لها، وليس عن طريق إبعاد البشرية عن الطبيعة، كما حدث في الفكر اليوناني في العصر الذهبي (من القرن السادس إلى الخامس قبل الميلاد). من المسلّم به بين المؤرخين أن الفكرانية اليونانية مهدت الطريق للاهوت المسيحي. في الاندماج المنتصر بين المسيح وأبولو، يمكننا أن نرى السبب.

كان أبولو إلهاً صارماً كان يستنكر نزعات المتعة التي يمثلها الساتير والميناد، أولئك الرفيقات المرحات لبان في رحلاته عبر الريف القديم. إن الإفراط في المتعة والفسق، بطبيعة الحال، هو أمر أساسي في نظرتنا النمطية للوثنية. تُظهر رواية "ساتيريكون"، التي كتبها الكاتب الساخر الروماني بيترونيوس حوالي عام 50 ميلادي، التجاوزات الفادحة للمجتمع الحضري الوثني كما كانت عليه في الواقع. تم تحويل الكتاب بأمانة إلى فيلم من إخراج فيديريكو فيليني، ليقدم دورة مصغرة في ثقافة الوثنية المنحلة. كان الإفراط في حب المتعة الحسية والجنسية نقطة قوة وعيب في الوثنية، لكن الوثنيين لم يكونوا يحتكرون الفجور. في ليون، حيث بشر إيرينيئوس ضد البدع الغنوصية، قيل إنه قبل وصول السلطات المسيحية، تجمعت البغايا عند البوابة الرئيسية لتحية جميع المسافرين. بعد أن سيطر المسيحيون على المدينة وأعلنوا أن المتعة الجنسية خطيئة، امتد صف البغايا من البوابة الأمامية عبر المدينة وصولاً إلى البوابة الخلفية.[35] وبحلول عام 900 ميلادي، أي بعد خمسمائة عام من مقتل هيباتيا، أنتجت الكنيسة الرومانية "نظامًا بغائيًا"، وهو مجتمع تحكمه البغايا والأشخاص المدمنون على البغاء. إن الفجور الوحشي والمنحرف لباباوات العصور الوسطى مثل سرجيوس الثالث، ويوحنا الحادي عشر، ويوحنا الثاني عشر، وبنديكت السادس، يجعل حفلات المجون الوثنية تبدو بريئة مثل نزهة ريفية.

المتعة (الكلمة اليونانية *hedonia*) هي قضية أساسية في أي نقاش حول الوثنية، لكن مناقشات المتعة غالباً ما تنحرف عن الفهم الأعمق للحساسية الوثنية. نادراً ما يُلاحظ أن الميل إلى المتعة الحسية والجنسية قد يكون تعبيراً تلقائياً عن متعة العيش في العالم الطبيعي، بدلاً من كونه عرضاً من أعراض الشهوة الشريرة التي تستحوذ على كل شيء. كانت النظرة الوثنية للحياة نظرةً نفعية وجمالية بقدر ما كانت نظرةً تحترم الأرض وتهتم بالبيئة. يحتفي مفهوم المتعة الحسية بالجسد البشري كأداة مقدسة، على غرار الطريقة التي رغب د. هـ. لورانس في إحيائها. رأى لورانس أساس الأخلاق الإنسانية فيما يمكن تسميته رابطة المتعة. هذا ارتباطٌ روحانيٌّ عميقٌ يربط البشر بالأرض وكذلك ببعضهم البعض. رأى لورانس عقدة المخلص تمامًا كما رآها الغنوصيون: انحرافًا عن قدسية الأرض والحواس الجسدية. كتب صديقه المقرب ريتشارد ألدينجتون أن "هرطقة لورانس الأساسية كانت ببساطة أنه وضع جودة المشاعر، وشدة الأحاسيس، والعاطفة قبل العقل". [36] كان بإمكانه أن يضيف أن لورانس دافع عن هذا الرأي باستخدام أداة فكره القوية.

كتب لورانس في كتابه "نهاية العالم" (1931) أن "العقل اليهودي يكره الألوهية الأخلاقية والأرضية للإنسان؛ والعقل المسيحي كذلك". يعكس هذا التعليق جوهر الاحتجاج الغنوصي ضد المعتقدات اليهودية والمسيحية في وجود إله خارج كوكب الأرض. لسوء الحظ، افتقر لورانس إلى البحث الذي كان سيسمح له بفهم أن إنكار قدسية الأرض والإنسانية لم يكن سمة يهودية عامة، بل كان علامة على طائفة متطرفة ذات نزعة نهاية العالم تُعرف باسم "الصادقين". هذه الطائفة، التي يوجد إرثها النصي في مخطوطات البحر الميت، زرعت مذاهب الخلاص المسيحي. ذكر لورانس بشكل صحيح أن "الفكرة اليهودية عن المسيا وخلاص اليهود (أو تدميرهم) للعالم بأسره" قد تم استبدالها بـ "التجربة الفردية البحتة للتأهيل الوثني". وأشار أيضاً إلى أن "نظام قمع جميع الأدلة الوثنية كان غريزياً، غريزة خوف، وكان شاملاً، وكان في الواقع إجرامياً، في العالم المسيحي منذ القرن الأول وحتى اليوم."[37]

تسببت "الجراح السابقة" التي تعرض لها الأوروبيون الأصليون في الصدمة التي دفعتهم إلى ارتكاب الإبادة الجماعية في الأمريكتين، وارتكاب أعمال وحشية مثل سلخ أبولو لمارسياس. أدت هذه الصدمة إلى كسر رابطة المتعة عند العقدة النشوية حيث يتم الاحتفال بتجذر البشرية في الأرض. لقد اقتلع شيء جذري

ورهيب الوثنيين القدماء من مكانهم في الطبيعة وأبعدهم عن ملذات الجسد، ولعب الغرائز، والفرح الصافي والنقي للعفوية الحيوانية. مع بزوغ فجر العصر المسيحي، انقطع الاتصال العلاجي القديم مع الأرض، وتوقفت الأصوات الأرضية عن التحدث إلى الشعوب الوثنية. كما ورد في مقال بلوتارخ "حول سبب فشل العرافين"، صرخ صوت في البرية قائلاً:

"لقد مات الإله العظيم بان".[38]

يمكن وضع رثاء موت بان في إطار زمني. حوالي عام 150 ميلادي، تغير معنى الكلمة اللاتينية *paganus*، بسبب الهجوم المتزايد على القيم الوثنية من قبل المتحولين إلى العقيدة الخلاصية. جادل ترتليان، أحد أوائل المنظرين المسيحيين الذين هاجموا الغنوصيين علنًا، بأنه يجب اعتبار الوثنيين "مدنيين" غير مقاتلين في الحرب المفتوحة على غير المسيحيين. أطلق المتحولون إلى الدين الجديد على أنفسهم اسم "الأعضاء المسجلين في المسيح (أعضاء كنيسته المقاتلة)"، ونظروا إلى غير المسيحيين "على أنهم ليسوا من الجيش المسجل". [39] كان من المحتم أن يتعرض هؤلاء "المدنيون" للخطر في الحرب المتصاعدة ضد أي شيء يتحدى نظام المعتقدات الناشئ.

سرعان ما أصبح الوثنيون في جميع أنحاء أوروبا ضحايا جانبيين في الحملة المسيحية ضد الهرطقة.

نظرة نرجس

بالنسبة لكثير من الناس، فإن افتراض أن الوثنيين كانوا غير متدينين يعني ضمناً أنهم كانوا أيضاً غير أخلاقيين. إن الاعتقاد بأنه لا يمكن أن تكون هناك أخلاق بدون إطار ديني يمليها متأصل في المجتمع البشري، على الرغم من أنه ليس بالضرورة فطريًا في الطبيعة البشرية. إن التجربة الدينية الحقيقية تنتج سلوكاً أخلاقياً، لكن مؤسسات الدين وعقائده التي تملي الأخلاق تفسد الميل الفطري إلى أن يكون المرء أخلاقياً، أي أن يتصرف بلطف، بدافع الكرم، ودون الاهتمام بالحصول على مكافأة مقابل ذلك. لقد أكد ألدوس هكسلي و سي جي يونغ على قناعتهما بأن البشر طيبون بالفطرة، وإذا تُركوا لغرائزهم الصحيحة، فسيتصرفون بطريقة مسؤولة أخلاقياً، على الرغم من أن أياً منهما لم يتوسع كثيراً في هذه القضية الحاسمة. كما أن التأكيد على قدرتنا الأخلاقية الفطرية على الخير يظهر أيضاً في حجج مؤسس علم البيئة العميقة، آرني نايس.

كانت الأخلاق الوثنية تفترض أن اللطف ("المحبة الأخوية" بالمصطلحات المسيحية) هو أمر عام للبشرية، ولا يحتاج إلى أن يُملى. كتب ماركوس أوريليوس في كتابه "التأملات" (الكتاب التاسع): "لقد خلقت الطبيعة كائنات عاقلة لمنفعتها المتبادلة، بحيث يساعد كل منها رفاقه وفقًا لقيمتهم، ولا يلحق بهم أي ضرر بأي حال من الأحوال".[40] رفضت الحجة الأخلاقية الوثنية التضحية بالنفس باعتبارها مناقضة للتعبير الحقيقي والتلقائي عن الخير العام لدينا.

كان تمجيد المعاناة، سواء من خلال التضحية بالنفس أو الإيثار المتواضع، هو العنصر البارز الوحيد في العقيدة الخلاصية الذي اعتبره الوثنيون على جميع مستويات المجتمع "خرافة منحرفة ومفرطة". [41] يشير هذا التفاعل، الذي عبر عنه بليني الأكبر وتاسيتوس وغيرهما من المفكرين المعاصرين، إلى كيف

كان الشعور الوثني بالذات مقيدًا بشكل وثيق باللياقة الاجتماعية التي وضعت السلطة الشخصية ضمن حدود متواضعة. لا يستطيع تجاوز هذه الحدود إلا الأبطال والأشخاص الاستثنائيون، وذلك فقط في ظل ظروف استثنائية. [42]

ومثل العديد من الشعوب الأصلية حول العالم، كان الوثنيون حذرين بالفطرة.

من التضخيم الذاتي، خطأ الغطرسة، "الإفراط"، (أو "التضخم"، على حد تعبير يونغ). كان الوثنيون ينظرون إلى التضحية الشخصية من أجل الآخرين على أنها أنانية صارخة، وليست أعلى أشكال الإيثار. كان الادعاء بأن تضحية المخلص أثرت على البشرية جمعاء نحو الأفضل بالنسبة للعقل الوثني خيالاً غريباً وخطيراً. ومع ذلك، فقد حظي هذا الرأي بتأييد واسع النطاق بسبب التغيرات الاجتماعية داخل الإمبراطورية الرومانية، وهي تغيرات مرتبطة بالتحول إلى عصر الحوت (حوالي 120 قبل الميلاد). أشارت روح العصر الجديدة إلى تحول في الأولويات في العديد من مجالات الحياة، ولكن بشكل أكثر حدة في مجال التجربة الدينية.

يعود انحسار الأسرار بعد القرن الرابع قبل الميلاد إلى حد كبير إلى تغيير جذري في الوعي الجماعي للبشرية. لقد تم الإشادة بتكثيف القدرات العقلانية والمراقبة الذاتية للعقل باعتباره سببًا في ظهور العصر الذهبي للعلوم اليونانية، ولكنه أدى أيضًا إلى ارتفاع هائل في النرجسية لدى عامة السكان. لم يكن هوس الأباطرة الرومان بتأليه أنفسهم سوى عرض غريب واحد لاتجاه سائد فيما أسماه جوليان جاينز "انتقال العقل ثنائي الفصين إلى الوعي الذاتي". [43]بدأ التحول حوالي عام 600 قبل الميلاد، أي قبل ألف عام من وفاة هيباتيا وبداية العصور المظلمة.

يفترض مفهوم "ثنائية الحجرات" لجينز وجود استعداد فطري لدى الشعوب الوثنية ما قبل المسيحية للمشاركة في الواقع الاجتماعي والتجربة المقدسة دون تدخل قوي للغاية من التأمل الذاتي. مع التحول إلى "الوعي الذاتي" جاء تكثيف المسافة وزيادة الشعور بـ "الشهادة". مع هذا التحول، فإن موقف المراقب المنفصل يؤثر أو يفرض مرشحًا أنانيًا قويًا على ما يتم تجربته. ومن المفارقات أن الشاهد المنفصل يميل إلى المشاركة في العالم بطريقة منفصلة ويبدو أنه غير أناني، ولكنه يميل أكثر فأكثر إلى "أخذ الأمر على محمل شخصي". هذا هو التحول الغريب للنرجسية: فهي تفصل وتكثف في نفس الوقت الوعي بالذات التي تراقب نفسها. مع تلاشي نمط المشاركة "الثنائي" القديم، يصبح الفرد المعزول هو العامل المهيمن على القيمة.

يؤكد علم النفس الحديث أن الأشخاص النرجسيين، على الرغم من هوسهم بمظهرهم، لا يستطيعون في الواقع رؤية كيف يبدون. تصل المتلازمة إلى مستوى بشع في حالات الشره المرضي وفقدان الشهية العصبي. في الحالات الحادة، تعتقد فتاة جائعة تزن ثمانين رطلاً أنها تعاني من زيادة مفرطة في الوزن وترى نفسها على هذا النحو في المرآة. النرجسية تحفز وتزيد من الاغتراب عن الجسد. إذا تُركت الحالة دون علاج، فإنها تتدهور إلى حالة من اليأس الشديد. في كتاب "خيانة الجسد"، يشرح المعالج النفسي ألكسندر لوفين، وهو أحد أتباع فيلهلم رايش ومتخصص في النرجسية، أن يأس النرجسية ينبع من مواقف متضاربة: خضوع خارجي يغطي تحديًا داخليًا، أو تمرد خارجي يخفي سلبية داخلية. الخضوع يعني قبول المرء لموقف "الغريب" أو الأقلية أو المحروم أو المرفوض. وهذا يستلزم التضحية بالصواب في تحقيق الذات والرضا الشخصي، وبعبارة أخرى، التخلي عن الصواب للمتعة والتمتع. إن التحدي الداخلي يفرض

على الفرد أن يتحدى وضعه. يدفعه التحدي إلى سلوك استفزازي، مما يغريه بالهلاك الذي يخشاه. [44]

لقد برزت هذه العناصر بوضوح في موقف المتحولين الأوائل إلى المسيحية الذين اعتبروا أنفسهم منبوذين من المجتمع الروماني، ولكنهم اعتبروا أيضاً أنفسهم مختارين لمصير خاص يمكن تحقيقه من خلال إثارة غضب السلطات.

وبذلك يستدعي استشهاداً مجيداً. (نشهد اليوم هذا التحدي الذي يمارسه متطرفون مسلمون تمثل معتقداتهم الدينية تحولاً خبيثاً من العصور الوسطى لعقدة المخلص.) بعد أن انقطعوا عن جذورهم الوثنية، وحُرموا من رابطة المتعة، وشعروا بيأس أخلاقي، أنكر المتحولون الأوائل إلى المسيحية بشكل هستيري ما لم يعد لديهم في المقام الأول: التواصل التعاطفي مع الأرض وعالم الحواس. بعد أن فقدوا الصلة البدائية بالجسد، سعوا إلى التحرر من التجسيد. لم يكن انتصار العقائد المسيحية للخلاص ناتجًا عن صحة تلك العقائد بقدر ما كان ناتجًا عن قوة الرغبة الأنانية التي استندت إليها.

اعتبر الوثنيون في أوروبا والشرق الأدنى النرجسية الدينية للمسيحية المبكرة بمثابة وباء غريب. بدا الميل إلى توبيخ الجسد وإنكار المتعة أمراً جنونياً لدرجة أنه من الصعب إخضاعه للتحليل النقدي. في حوار أفلاطون "السِّمبوزيوم"، يربط الطبيب إريكسيماخوس الحب بالحفاظ السليم على الجسد والحواس، وليس كمثال يمكن تحقيقه في حالة مجردة من الجسد وخارجة عن المادة. وتعليقاً على هذا المقطع في كتاب "الجنس والمتعة في الثقافة الغربية"، كتبت غيل هوكس:

> لقد وفر الحب الوسيلة لتحقيق التوازن الروحي بين الجوانب الأخلاقية والخلودية للإنسانية. وهكذا ربطت تجربة الحب الجسد المادي بالذات الروحية، وانعكس هذا الرابط في استراتيجيات إدارة كليهما. وبناءً على هذا المنطق، فإن الجسد الراغب لا يشكل تهديدًا للنظام الاجتماعي، بل يقع في صميم الانسجام الضروري لصحة الفرد والمجتمع.[45]
>
> (تمت إضافة التأكيد)

هذا التعليق بأكمله، وخاصة الجملة الأخيرة، هو مثال على الأخلاق الوثنية القائمة على الجسد. لا يلزم صياغة مثل هذه المدونة الأخلاقية في قواعد، لأنها تنشأ تلقائياً إذا تم استيفاء الشروط الموصوفة هنا. مع تغير العصر وتزايد الاهتمام بالأنا النرجسية والمهتمة بذاتها، أصبحت هذه الظروف مضطربة تمامًا ومقوضة في جميع أنحاء العالم الكلاسيكي.

قوة التحويل

ومن الجدير بالذكر أن كلمة شهيد تعني "شاهد"، وبالتالي فهي تشير إلى هذا الفعل بالذات المتمثل في إبعاد المرء عن الواقع المباشر والمرتبط بالحواس. إن ما وجده الوثنيون مروعاً في الشهداء المسيحيين لم يكن فقط استعدادهم للموت من أجل قضية غير أرضية، بل والأكثر من ذلك، الأنانية المفرطة في ادعائهم بأنهم

يقفون فوق هذا العالم، بسبب إيمانهم بشفيع إلهي أرسله إله من خارج كوكب الأرض. كان هذا الموقف يتعارض بشكل مباشر مع الموقف الديني الوثني الذي يرى الإلهي في هذا العالم، حاضراً ومتغلغلاً في حياة كل ما هو موجود. أدت النرجسية المتفشية في عصر الحوت إلى ظهور حاجة نفسية للتحرر من الأنانية التي نتجت عن التحول الجماعي نحو الاهتمام بالذات. بفضل برنامجها الخاص بخلاص الروح الفردية، تمتعت المسيحية بميزة الظهور بمظهر من يلبي تلك الحاجة. لكن بدلاً من علاج الانشغال المفرط بالذات، فقد أدى ذلك إلى تفاقم الحالة. (في آسيا، تمت الاستجابة للتحول على مستوى الأنواع إلى النرجسية بطريقة أخرى من خلال تعاليم البوذية التي تنفي الذات). لقد علّم بوذا ″سارفام أناتام″، أي "لا يوجد ذات دائمة"، وبالتالي لا توجد ذات يمكن إنقاذها. إن التغلب على الاهتمام بالذات هو الهدف الأساسي لنذر البوداسَف الذي تم صياغته في بوذية ماهايانا في القرن الثاني الميلادي، وهي اللحظة التي أعلن فيها الغنوصيون احتجاجهم على الخلاصية.[46])

في الأصل، لم تكن الكلمة اليونانية *theoria* تعني مخططًا مجردًا، بل مجرد "فعل التأمل"، وهو ما يمكن مقارنته بالمفهوم المسيحي للشهادة.[47] في الطريقة الوثنية لفهم العالم، كان معنى "التأمل" *theorein* هو التفاعل مع ما يتأمله المرء، والانبهار بمشهد النظام الإلهي المتجلي في الطبيعة، وكذلك في الطبيعة غير البشرية. وهذا يعني ضمناً أن كل ما يمكن رؤيته ومواجهته في هذا العالم، بشكل حسي، له أساس إلهي - الكلمة اليونانية للإلهي هي *theos*، وهي تلاعب بكلمة *theorein*.

"تأمل في الإلهي، ثم تعرف في نفسك على ما يتأمل في الإلهي"، هي جزء باقٍ من تعاليم السر من المدرسة الأفلاطونية المحدثة التي انتمت إليها هيباتيا.[48]

لقد عجلت العقلانية اليونانية بشدة بالتحول بعيدًا عن التأمل الوثني (حوالي 600 قبل الميلاد، وهو التوقيت الذي لاحظه جاينز والعديد من الآخرين)، لكن تحول الوعي الغربي إلى الانفصال النرجسي الكامل عن الجسد وإنكار العالم الحسي استغرق قرونًا عديدة. كان التغير المتأصل في النفس البشرية - والذي ربما يعود إلى نضوج دوائر الدماغ الأمامي وما يترتب عليه من زيادة في القدرة على التجريد - تطورًا طبيعيًا، لكن المعتقدات الدينية التي تناولت هذا التغير كانت بعيدة كل البعد عن الطبيعية.[49]على الرغم من افتقارها إلى تعريف عقائدي واضح، إلا أن الدين الجديد الذي اعتنقه الرجال الذين قتلوا هيباتيا طرح مطلبين تحدّيا بشكل مباشر النظرة الوثنية للعالم: المساواة الاجتماعية، والقيمة الخلاصية للمعاناة. كان المطلب الأول مخالفًا للمفهوم الوثني للقدر النجمي، *hier-marmene*، "النظام الموجه"، الذي خصص لكل شخص دورًا محددًا في الحياة. لا يمكن تغيير الدور، لأن قواعد لعبة الحياة تحددها قوى خارقة. لقد تقبل الوثنيون أن الحياة ليست عادلة، وأن الامتيازات لا يتم توزيعها بالتساوي، وأنه لا توجد طريقة ضمن القدرة البشرية لضمان العدالة النهائية والكاملة في جميع الحالات. ومع ذلك، افترضت الأخلاق الوثنية أن اللعب النظيف واللياقة ممكنان حتى في المواقف غير العادلة. القواعد ليست من وضعنا، ولكن يمكننا دائمًا التصرف بطريقة "لا تُهين الإنسانية والقيم الإنسانية."[50]

كان الشرف والأمانة من المبادئ الوثنية الأساسية التي تنطبق على جميع الناس في جميع المواقف. كان بإمكان العبيد والأرستقراطيين على حد سواء التصرف بشرف وأمانة وإنصاف، على الرغم من أنهم

واجهوا ظروفاً غير مواتية، حيث كان القدر الغامض يعمل لصالح أو ضد كل شخصية. سمحت فضيلة التسامح الوثنية بقدر كبير من المرونة فيما يمكن أن يكون، من بعض النواحي، نظامًا جامدًا للحتمية الاجتماعية. أطاحت المسيحية بذلك النظام بادعاء أن المصير يمكن تغييره من خلال التحالف الشخصي مع المخلص الإلهي. وبذلك، استبدلت المسيحية التسامح الوثني بنقيضه.

أما المطلب الثاني للعقيدة الخلاصية، وهو إصرارها على القيمة الخلاصية للمعاناة، فقد كان مثيراً للاشمئزاز تماماً بالنسبة للمفهوم الوثني للحياة.

جذور الوثنية عميقة. الغرائز الأصلية قوية ويصعب القضاء عليها. قاوم الأوروبيون التحول الديني لعدة قرون بعد وفاة هيباتيا، لكن المقاومة المحلية أثارت قمعًا أشد من قبل الكنيسة والدولة. كان التأييد السياسي للدين الخلاصي، الذي دشنه الإمبراطور قسطنطين المزيف، فائدة كبيرة للأشخاص الذين استثمروا في بنية السلطة الناشئة للمسيحية الرومانية. لقد حظي القليلون الذين استفادوا أكثر من التسلسل الهرمي الأبوي بدعم من الموافقة السلبية لجماهير المؤمنين في قاعدة الهيكل، حتى عندما استغلهم هؤلاء القلة وتلاعبوا بهم بلا خجل. لقد امتزج الإيمان الأعمى للمتحولين إلى الخلاص بالغضب المقدس من خلال الاعتقاد بالعقاب الإلهي - وهو اعتقاد مستمد ليس من الدين اليهودي السائد، ولكن من حركة متطرفة صغيرة في فلسطين، كما سنرى في الفصل. 4 في صورة المخلص المصلوب، ارتفعت العلاقة بين الضحية والجاني إلى مستوى متعالٍ.

إن الإيمان بالقوة الخلاصية للمعاناة يحمل في طياته الموافقة على إلحاق المعاناة - هذه هي الديناميكية الخفية لرابطة الضحية والجاني. كان تبني الاعتقاد بالفداء، الغريب عن الأخلاق الوثنية، هو العامل الحاسم في الإبادة الذاتية للأوروبيين الأصليين، وهم السكان الأصليون للعالم القديم. لقد أثبت الإيمان بالعقاب الإلهي أنه سلاح فتاك للدمار الشامل. سيتم توجيه هذا السلاح لقرون قادمة نحو أوروبا الوثنية، وبعد ذلك نحو الأمريكتين، وبعد ذلك نحو الكوكب بأكمله.

3

غزو أوروبا

يبدأ تاريخ الهيمنة الأوروبية مع روما، وكذلك يبدأ تاريخ انتصار المسيحية. منذ تأسيس روما في عام 753 قبل الميلاد (وفقًا للمؤرخ الروماني فارو) وحتى عام 200 ميلادي عندما تم إعلان أسقف روما رسميًا أول بابا، حاملاً لقب البابا الأعظم، لم يمر سوى ألف عام. سيستغرق الأمر قرناً آخر أو نحو ذلك قبل أن تندمج الإمبراطورية الرومانية رسمياً مع العقيدة الخلاصية الجديدة، المسيحية الرومانية. تم إضفاء الطابع المؤسسي على الإيمان الواحد الحق من قبل قسطنطين، المتحول المفترض الذي أعلن المسيحية دين الدولة في عام 325 م. ومنذ نشأتها في القرن الرابع، تبنت العقيدة الجديدة الأيديولوجية السياسية للغزو والهيمنة. أو يمكن القول إنها استخدمت المصطلحات الدينية لإخفاء الأيديولوجية السياسية. يعرب المؤرخ الديني ياروسلاف بيليكان عن دهشته من "احتمال أن يعترف قيصر بسيادة المسيح كملك الملوك". لكن بعد ذلك، عند مناقشة المفكر ترتليان (حوالي 160-230)، أحد أوائل الكتاب الذين أدانوا الغنوصيين باعتبارهم زنادقة، يكشف عن اللعبة:

> "كان القياصرة أيضاً سيؤمنون بالمسيح"، كما أكد ترتليان، "لو كان بإمكان المسيحيين أن يكونوا قياصرة"؛ لكن هذا كان تناقضاً في المصطلحات. لكن التناقض الأخلاقي أصبح حقيقة سياسية في القرن الرابع عندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول المسيحية، معلناً ولاءه ليسوع المسيح ومتخذاً الصليب رمزاً له.
>
> الشعار العسكري والشخصي الرسمي.[51](تمت إضافة التأكيد)

لا يستطيع بيليكان أن يرى - لأن إيمانه الشخصي يعميه عن الواقع التاريخي والسياسي لهذا الإيمان - أنه لا يوجد تناقض أخلاقي على الإطلاق. بل على العكس، خُلق المسيح وقيصر لبعضهما البعض. يشكل التحول والغزو ثنائياً لا يقاوم ودائماً.

الجمعيات الجيلانية (المساواة بين الجنسين)

استمرت الهيمنة الأوروبية في العالم الجديد تحت غطاء التنصير: كان لا بد من "إنقاذ" السكان الأصليين، أو إبادتهم في هذه العملية. إن فكرة إمكانية تدمير الناس من أجل إنقاذهم تجسد المنطق المجنون للاهوت الإبادة (كما أقترح تسميته). من بين المكونات الأربعة لعقدة الخلاص، يحتوي المكون الرابع، وهو نهاية العالم ودينونة العالم، على البذرة القاتلة للاهوت الإبادة.

لم يكن مفهوم العقاب الإلهي الذي يتم تنفيذه في نهاية كارثية للعالم موجوداً بين شعوب أوروبا قبل المسيحية. لم تكن أوجه التشابه الأسطورية مع هذا السيناريو معروفة لدى الشعوب الأيبيرية والغالية والإيطالية واليونانية، أو القبائل الأصلية للجزر البريطانية وأيرلندا. لم يكن لدى الأعراق الإسكندنافية سوى ما يعادل تقريبًا في راجناروك، "شفق الآلهة"، لكن هذا الموضوع الأسطوري يعكس ذكرى قديمة لكارثة العصر الجليدي، وهي كارثة طبيعية متكررة. هذا شيء مختلف تمامًا عن فعل العقاب المتعمد من قبل إله خالق ذكر.

إن النزعة الكارثية الشديدة المتأصلة في المسيحية مستمدة من التطرف اليهودي، وخاصة من طائفة واحدة، وهي طائفة "الصادقين" في البحر الميت (الموصوفة بالكامل في الفصل 4). كان العنصر المروع قاتلاً بشكل خاص للحياة الروحية الأوروبية لأن العقاب الإلهي هو اقتراح فوق دنيوي، خاص بالذكور فقط، وغريب تمامًا عن الثقافات المتجذرة في الدين الأرضي للإلهة العظيمة. يتم ذلك بواسطة الإله الأب من خلال محاربيه الصالحين، جنود "جيشه الخلاصي". لكي تظهر مثل هذه الرؤية للعنف الإلهي ويتم تنفيذها في أي ثقافة، يجب أن يكون هناك انقسام جذري بين الجنسين، لكن سلامة وتوازن المجتمعات الأوروبية كان يعتمد على الانسجام بين الجنسين. إن نهاية العالم ليست كارثة طبيعية، بل هي فعل خارق للطبيعة يؤكد فيه الله الأب على السلطة العليا ولا تلعب الطبيعة الأم أي دور. بمعنى آخر، فإن الحكم الكارثي هو أسطورة أبوية بحتة. وعلى هذا النحو، كان الأمر غريباً ومخيفاً للشعوب الأصلية التي عاشت في ثقافة أمومية ومجتمعات متوازنة بين الجنسين.

إن الفكرة الأساسية للنسوية البيئية - وهو مصطلح استخدمته في الأصل عام 1974 فرانسواز دوبون، عالمة الاجتماع الفرنسية - هي أن السيطرة على الطبيعة تترافق مع السيطرة على النساء. تربط هذه الرؤية المشكلة البيئية بقضية العلاقات بين الجنسين. أوضحت اللاهوتية النسوية البيئية روزماري رادفورد روثر المبدأ في جملة واحدة: "لا يمكن أن يكون هناك تحرر للمرأة ولا حل للأزمة البيئية داخل مجتمع يكون

نموذجه الأساسي هو الهيمنة".[52] من منظور تاريخي، يبدو الآن أن الدين الخلاصي ليس ديناً على الإطلاق، ليس بالمعنى الذي يهتم فيه حقاً بالإله ويستجيب بطريقة رحيمة وبصيرة للاحتياجات الروحية للإنسان. بل هو نظام سياسي متنكر في زي ديني، نظام "نموذجه الأساسي هو الهيمنة". يمثل العالم المروع نهاية العالم، ذروة هيمنة الذكور. إنه التبرير النهائي للسلطة الأبوية.

"يشير العديد من النسويات البيئيات إلى أن علم البيئة العميق كحركة ليس حساسًا بما فيه الكفاية للطرق المعقدة التي تتشابك بها النزعة الطبيعية (السيطرة على الطبيعة)، والتحيز الجنسي، والعنصرية، والكلاسيكية، وللدور المحوري الاستراتيجي الذي يمكن أن يلعبه تحليل النوع الاجتماعي في تفكيك هذه الفئات." [53] تنطبق هذه الملاحظة التي قدمها أندي فيشر في كتابه "علم النفس البيئي الراديكالي" بشكل مناسب على التحليل النفسي التاريخي لـ "الجرح السابق" في أوروبا. كان التوازن بين الجنسين في المجتمعات الأصلية قبل المسيحية أمراً بالغ الأهمية لاستدامتها، ولكنه جعلها أيضاً عرضة للخطر. لقد جلبت الديانة الخلاصية الناشئة من الشرق الأدنى معها النزعة الطبيعية والعنصرية والتمييز الجنسي، وبدعم من الفلسفة اليونانية، اتخذت العقلانية الأبولونية حليفاً لها أيضاً. ساهمت كل هذه العوامل في برنامج التحول الديني وعززت أجندة الهيمنة الأبوية. في الجزر البريطانية، وعبر قارة أوروبا، وفي جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط، كان لا بد من تعطيل العلاقات بين الجنسين بعنف حتى يتمكن البرنامج الجديد للخلاص الإلهي من أن يسود.

في كتابها "الكأس والنصل" (1987)، قدمت ريان إيسلر الحضارة المينوية كنموذج لثقافة "جيلانية" لم تكن فيها القيم الأبوية أو الأمومية سائدة. يجمع مصطلحها الجديد بين الكلمتين اليونانيتين *gyne*، "أنثى"، و*andros*، "ذكر"، للإشارة إلى التوازن بين الذكر والأنثى. كما اقترحت إيسلر مصطلح "ثقافة الهيمنة" لأي مجتمع يتميز بـ "تفضيل نصف البشرية على النصف الآخر". [54] في اهتمامها بقضية النوع الاجتماعي، سلطت إيسلر الضوء على الفصل العنصري الجنسي الذي يميز النظام الأبوي، مشيرة بذلك إلى الدور الحاسم للأمراض الجنسية في اغترابنا عن الأرض. في كتاب "المستقبل البدائي"، وهو سيرة

نقدية رائعة لـ د. هـ. لورانس، ذكرت دولوريس لاشابيل أن "مشكلة الجنسانية، بأبعادها الأوسع، هي في صميم تدمير الحضارة الحديثة للإنسانية والطبيعة". [55] على غرار لورانس، تعتبر لاشابيل أن الانجذاب الجنسي بين البشر هو انعكاس للحياة الحسية للكوكب، أي النظام البيئي نفسه. في مجتمع نسائي، تعتبر المتعة الجنسية والحسية نتاجاً طبيعياً للحب والتبجيل الذي يشعر به تجاه الأرض.

كانت الحضارة المينوية رائعة بالتأكيد في هذا الصدد، وكذلك بعض الثقافات الأخرى في أوروبا ما قبل المسيحية، كما تشير إيسلر. ويبدو أن المجتمعات البيئية الإقليمية في أوروبا القديمة لماريا جيمبوتاس كانت متوازنة بين الجنسين بعناية. والحضارة الكلتية، التي وحدت أوروبا، تقدم نموذجاً جيلانياً، كما سنرى.

سيكون من الحماقة أن نقترح أن المجتمع الوثني كان مساواتياً تماماً، لكن نخبة المثقفين الوثنيين، وهم الغنوصيون، كانوا كذلك بالتأكيد. ذكر جاك لاكاريير أن "الغنوصيين وحدهم كانوا جريئين بما يكفي لإشعال فتيل البارود الافتراضي وافتراض أن كل تمرد، وكل احتجاج ضد العالم، وكل ادعاء بالتحرر الروحي أو الاجتماعي، يجب أن يبدأ، لكي يكون فعالاً، بتحرير الجنس".[56] مارس الغنوصيون المساواة بين الجنسين بطريقة صارمة وطقوسية. في اجتماعاتهم الأسبوعية، كانوا يجرون القرعة لمعرفة من سيقود الجلسة الحالية، وكانت النساء متساويات مع الرجال في جميع القدرات اللازمة لتعليم وتوجيه المجموعة. كانت كل خلية من خلايا الأسرار، والتي تسمى *thiasos* باليونانية، تتألف من مجموعة أساسية من ثمانية رجال وثماني نساء. يشهد على هذا الهيكل وعاء نادر من المرمر يعود إلى طائفة أورفية، ووعاء بيترواسا الذي تم العثور عليه في بوزاو، جنوب شرق رومانيا. كما يكرر وعاء مصباح إتروسكي

من القرن الخامس الزخرفة الستة عشر.[57] جميع الأمثلة الباقية من هذه الأشياء الطقسية النادرة تُظهر المتأهلين مع تلامس باطن أقدامهم العارية.

يجب أن يكون التوفيق بين الجنسين محورياً في أي نقاش حول ما جعل المجتمع الوثني ناجحاً، وفي الواقع، ما الذي يجعل أي مجتمع مستداماً، كما يتضح في ثقافات الشراكة أو التعددية الجيلانية التي ناقشتها ريان إيسلر. عرّف تيرينس ماكينا، الذي تبنى وطور نموذج إيسلر، ثقافة الهيمنة بأنها "هرمية، أبوية، مادية، وتهيمن عليها الذكور"، و "غير متكيفة تطورياً". [58] باختصار، يمكن مساواتها بالنظام الأبوي باعتباره شكلاً غير متكيف من أشكال التنظيم الاجتماعي الذي يؤكد على القوة بدلاً من التعاون، ويستغل الاختلافات بين الجنسين، ويتجاهل القيود المتأصلة في الثقافة البيئية الإقليمية. على الرغم من أن جذور النظام الأبوي تمتد عميقاً في عصور ما قبل التاريخ، وخارج أوروبا جغرافياً، إلا أنه يمكن تتبع صعود النظام الأبوي المهيمن في الغرب في تاريخ الإمبراطورية الرومانية.

التراث الكلتي

كان الكلتيون الحقيقيون عرقًا طويل القامة وجميلًا، محاربًا وبارعًا، وكان موطنهم الأصلي (على حد علمنا) في مكان ما حول منابع نهر الدانوب، وقد نشروا سيطرتهم عن طريق الغزو

والتسلل السلمي على وسط أوروبا وبلاد الغال وإسبانيا والجزر البريطانية. لم يقوموا بإبادة السكان الأصليين من عصور ما قبل التاريخ في هذه المناطق - أعراق العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، وبناة الدولمن والعاملين في البرونز - لكنهم فرضوا عليهم لغتهم وفنونهم وتقاليدهم، وأخذوا منهم، بلا شك، الكثير في المقابل، وخاصة في مسألة الدين المهمة. من بين هذه الأعراق، شكل الكلتيون الحقيقيون طبقة أرستقراطية وحاكمة. [59]

استوطنت العديد من القبائل الأصلية المختلفة أوروبا في الستة آلاف سنة التي سبقت ظهور المسيحية، لكن الثقافة الكلتية كانت شاملة جغرافياً. لقد وحدت أوروبا من أيرلندا في الشمال وصولاً إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وشرقاً حتى تركيا حيث أسست قبيلة واحدة، وهي قبيلة الغلاطيين، مستعمرة كبيرة في عام 276 قبل الميلاد. وكان الغلاطيون المذكورون في العهد الجديد من الكلتيين ذوي الشعر الأشقر والعيون الزرقاء. تزعم أسطورة ملفقة أن يوحنا المعمدان كان كلتياً، وأن مريم المجدلية كانت قوقازية، نصف كلتية ونصف يهودية. (بقي المنحدرون من أصول كلتية مختلطة في بلاد الشام حتى أوائل القرن العشرين). لقد نجح تي إي لورانس في أن يكون عربياً، بصعوبة بالغة، عندما تنكر في زي عربي للتجسس على الأتراك، كما هو موضح في فيلم ديفيد لين، لورانس العرب. تشرح هذه الأسطورة - ولا شيء آخر يشرح، على حد علمي - لماذا يتم تصوير مريم المجدلية تقليديًا بشعر أشقر ذهبي أو أشقر فراولة.

كان المينويون شعبًا متوسطيًا محوريًا في تاريخ أوروبا، كما تشير أسطورة زيوس وأوروبا، وكانت ثقافتهم بالفعل متوازنة بين الجنسين. وبالمثل، كانت ثقافة الكلتيين القدماء كذلك. لم تكن أوروبا في العصر ما قبل المسيحي موحدة تحت سلطة شمولية، لكنها تمتعت بفترة من السلام والوحدة خلال "العصر الحديدي الكلتي"، الذي استمر من 1200 قبل الميلاد إلى العصر الميلادي. يوضح الكاتب البريتوني جان ماركال في كتابه "نساء الكلت" أن المجتمع الكلتي كان مجتمعًا نسائيًا بشكل ملحوظ، إن لم يكن في الواقع يفضل قوة المرأة ومكانتها في بعض النواحي. يقدم المجتمع الكلتي نموذجاً لأوروبا الوثنية ما قبل المسيحية في لحظة تتويج، على أعتاب التاريخ المسجل.[60]

منذ فجر العصر الحجري الحديث، 9000 قبل الميلاد، وحتى أواخر العصر البرونزي حوالي 1400 قبل الميلاد، كانت أوروبا، بما في ذلك الجزر البريطانية، مأهولة بمجموعة متنوعة من الجماعات العرقية التي كانت تتحدث لغات غير معروفة. (كانت إحدى هذه الجماعات هي الباسك، وهم شعب غامض لا يزال موجودًا حتى يومنا هذا.) لأسباب غير معروفة، ولكن ربما بسبب قوة شخصيتهم، توسعت الشعوب الكلتية في جميع أنحاء أوروبا ووحدتها، بشكل أو بآخر. وهكذا يعترف المؤرخون بأن الحضارة الكلتية هي أول ثقافة أوروبية بالكامل. استمرت هذه الفترة حوالي ألف وخمسمائة عام، ثم مع صعود روما، "كان الكلتيون أول شعوب أوروبا المعتدلة التي تم دمجها داخل الإمبراطورية الرومانية مع امتدادها إلى ما وراء حدود البحر الأبيض المتوسط".[61] تمثل الحضارة الكلتية التعقيد متعدد الأعراق في أوروبا، لأنها كانت أول ثقافة أوروبية شاملة حقًا. لكن الدور التاريخي الفريد للكلتيين يحمل أيضاً عناصر مأساوية. كانت القبائل الكلتية أيضاً أول هدف لنوع العنف الإبادي الذي ارتكبه الأوروبيون عندما غزو الأمريكتين.

لم تكن الثقافة الكلتية ثيوقراطية، أي أنها لم تكن قائمة على مؤسسة الملكية الإلهية التي تفترض وجود طبقة حاكمة تنحدر من الآلهة، لأن جميع الكلتيين شعروا بأنهم توتا دي دانان، "أبناء دانا". كانت الإلهة

الأم في ثقافتهم هي إلهة النهر دانا، أو دانو. لقد كان موقع الأصل الجغرافي للكلتيين ("الموقد الكلتي") موضع جدل كبير، ولكن من المحتمل أنه كان بالقرب من منابع نهر الدانوب في جبال الألب في سويسرا الحديثة.

اشتهر الكلتيون بحسيتهم وحبهم للجمال الجسدي، وكانوا رومانسيين للغاية. إن قصص الحب العظيمة في العصور الوسطى، مثل قصة تريستان وإيزولده وروايات الملك آرثر، تنبع جميعها من التراث الكلتي، وكذلك معظم روايات البحث عن الكأس المقدسة، "أقدم تعريف للأساطير العلمانية التي تُعد اليوم القوة الروحية الموجهة للغرب الأوروبي"،

وفقًا لعالم الأساطير جوزيف كامبل.[62]إن أسطورة العشاق هي نموذج أصلي عالمي، بالطبع، لكن نسخها الغربية مشبعة بعمق بالعناصر الكلتية. تستمد النسخ ما قبل المسيحية لأسطورة الكأس المقدسة من الأسطورة الكلتية للإلهة الثلاثية كيريدوين التي تأهل الشعراء والعارفون أسرار الشفرات الخفية للطبيعة. كان الكأس المقدسة الأصلي هو المرجل السحري للإلهة، رحم الأم العظيمة. لقد حوّل أسلوب أدبي قدمه روبرت دي بورون في القرن الثالث عشر هذه القطعة الأثرية الوثنية إلى الكأس التي تحمل دم المخلص.

تُعد أوبرا تريستان وإيزولده التي رسمها غوتفريد فون ستراسبورغ (الذي ازدهر في عام 1210) أعظم قصة حب في العصور الوسطى. كانت شخصياتها وبيئتها كلتية. لقد كُتبت باللغة الألمانية العليا الوسطى، ووصلت إلينا نسخ أخرى أقل اكتمالاً من الحكاية باللغة الفرنسية القديمة والبريتونية واللاتينية. لم يكن لدى الكلتيين أنفسهم أي كتابة. وكما هو الحال مع ثقافات العصر البرونزي لدى السكان الأصليين لأمريكا التي تشبهها، فقد بنوا كل شيء على قانون الشرف للكلمة المنطوقة. الشرف صفة وثنية. اللغة التي تسمى الغيلية، والتي لا تزال تُتحدث حتى اليوم في غرب أيرلندا واسكتلندا، قريبة من اللغة التي كان يتحدث بها الكلتيون قبل ثلاثة آلاف عام. اللغة الغيلية قديمة قدم اللغة اليونانية، ولكن اللغة اليونانية كتبت لأول مرة في عام 800 قبل الميلاد، ولم تكتب اللغة الغيلية حتى حوالي عام 1930 عندما قام العلماء بنقلها إلى اللغة الإنجليزية بهدف الحفاظ على الفولكلور الاسكتلندي. من بين اللغتين الأكثر تأثيراً في تشكيل هوية أوروبا، كانت إحداهما مكتوبة والأخرى غير مكتوبة.

التبجيل والشجاعة

لم يكن لدى الكلتيين كهنوت رسمي. وبدلاً من ذلك، اتبعوا التوجيه الروحي للدرويد ("رآون البلوط") الذين يمثلون تقليدًا من الشامانية مستمدًا من ثقافة ما قبل التاريخ لبناة الصخور الضخمة. كان الدرويديون علماء فلك بارعين، وعرافين، ووسطاء روحانيين. كما كان لديهم سلطة أخلاقية كبيرة، مما سمح لهم بالتحكيم في الحروب وحتى الفصل في جرائم القتل. إن الشائعة التي نشأت عن بليني الأكبر (الموسوعي الروماني، 23-79 م) بأن الدرويديين مارسوا التضحية البشرية بشكل منهجي لا أساس لها من الصحة. قام ديون كريسوستوم (القرن الأول الميلادي)، وهو مؤرخ سافر على نطاق واسع بين الكلتيين، بمقارنتهم بالبراهمة في المجتمع الهندوسي. ويقول إن الكهنة الدرويديين "كانوا ملمين بفنون العارفين وأشكال الحكمة الأخرى، والتي بدونها لم يكن يُسمح للملوك بتبني أو تخطيط أي مسار".[63] قبل قرن من الزمان، قارن الخطيب الروماني شيشرون بينهم وبين مجوس فارس.

وصف المؤرخ الأسطوري اليوناني هيكاتايوس من أبديرا (القرن الرابع قبل الميلاد) دائرة الدرويد في

ستونهنج، حيث كان أبولو، "إله الشامان"، يقوم برحلة سنوية. بحسب هيرودوت، كان بإمكان المتصوف أباريس السفر إلى أي مكان "على سهم"، أي عن طريق الطيران السحري.[64] اثنتان من هدايا أبولو للبشرية، السهم والقدرة على الشفاء، ترتبطان عالميًا بالشامانية. في كتاب "رحلة أفالون"، يقول الباحث في تاريخ الملك آرثر جيفري آش إن "الكهنة الدرويديين كانوا، في الواقع، شامانات". كانوا حُماة الحكمة الأصلية الذين شاركوا تراثهم مع نظرائهم في اليونان وأماكن أخرى في العالم الكلاسيكي. يستشهد آش بستيوارت بيجوت، وهو مرجع في تاريخ الدرويديين: "لم يكن من الضروري أن تكون الشامانية هي المحتوى الكامل لديانات العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط، ولكن كان من الممكن أن تكون عنصرًا مهمًا، وعنصرًا يمكن أن يشكل أساسًا في التقاليد الأوروبية القديمة".[65] كان الغنوصيون مثل هيباتيا، الذين يمكن اعتبارهم على الأرجح شامانات حضريين مثقفين، سيعترفون بالدرويد كغنوصتيكوي في حد ذاتهم، أي عارفين بالأمور الإلهية، ومتبحرين في الأمور السامية والخارقة للطبيعة. في الواقع، خلال حياة هيباتيا، استضافت الإسكندرية حلقة من العلماء المكرسين لجمع ودراسة المعرفة الدرويدية.[66]
من وجهة نظر القدماء، الذين عاشوا أقرب إلى الحقائق مما نعيشه، كان الخبراء في المعرفة الروحية والمتخصصون في القوى الخارقة يستحقون مصطلح الغنوصتيكوس، بغض النظر عن أصولهم الثقافية. كان من الممكن العثور على مثل هذه الشخصيات الموقرة في جميع أنحاء فسيفساء الأسرار الأوروبية التي امتدت من جزر هبريدس البعيدة إلى الشرق الأدنى.[67]

كان الدرويديون من المتأهلين في أسرار هيبرنيان التي وصفها هيرودوت وغيره من الكتاب القدماء. استخدموا نظاماً يُسمى أوغام، يتكون من رموز رونية بدلاً من الحروف. ربما يكون هؤلاء الموسيقيون والمنشدون الماهرون قد قدموا لليونانيين بعض المفاهيم حول "تناغم الأفلاك"، وبالتأكيد لم يكن لديهم أي صعوبة في مناقشة علم الفلك مع علماء الفلك المصريين. على الرغم من أن الدرويديين لم يكتبوا بأبجدية علمانية من أصل كلتي، إلا أنهم كانوا قادرين على القراءة والتحدث باللغة اليونانية وغيرها من اللغات الأوروبية، كما حافظوا على نظام تعليمي. كانت الكليات الدرودية هي الجانب التعليمي من أسرار هيبرنيان. بحسب ديوجين لايرتيوس ومصادر قديمة أخرى، فإن الدرويديين "علموا أن المثل الأعلى للناس هو العيش في وئام مع الطبيعة ومع أنفسهم، وقبول أن الألم والموت ليسا شرًا بل ضروريين ... وأن الشر الوحيد هو الضعف الأخلاقي". كانت رسالتهم إلى عامة الناس: "احترموا الآلهة، ولا تؤذوا بعضكم بعضاً، وتحلّوا بالشجاعة".[68]

إن الافتراض بأن الوثنيين مارسوا التضحية البشرية على نطاق واسع وبشكل منهجي ينبع من ملاحظة لا أساس لها أدلى بها بليني الأكبر، كما هو مذكور. توجد أدلة أثرية وفيرة على التضحية في الأنظمة الثيوقراطية في الشرق الأدنى والأوسط، وكذلك في الصين والمكسيك وبيرو، ولكن ليس في أوروبا. كان بعض الحكام الدينيين في الشرق الأوسط، الذين مارسوا التضحية البشرية وطالبوا بها في سياساتهم وطقوسهم الجنائزية، وثنيين بالمعنى الفضفاض للكلمة، ولكنهم لم يكونوا وثنيين يشاركون الحساسية المؤيدة للحياة التي تميز الأوروبيين.

كان الهرطقي الأيرلندي بيلاجيوس (حوالي 354-420 م) معاصرًا لهيباتيا. وقد صاغ بيلاجيوس، المتعمق في أسطورة الإلهة الثلاثية وغيرها من أشكال التثليث في التراث الكلتي، مفهوم الثالوث بناءً على المفاهيم القديمة للألوهية الأرضية. لأنه جادل بأن الناس يمكنهم تحقيق خلاصهم باستخدام العقل والإرادة الفردية وعدم الخضوع لأي شيء مقدر مسبقاً، فقد اتهمته روما بإحياء الفلسفة الدرويدية وأدانته باعتباره هرطقياً. في شكلها الأصلي، كانت الإرادة الحرة بدعة وثنية مستوحاة من التراث الكلتي. تم رفض أفكار بيلاجيوس لصالح عقيدة أوغسطينوس حول "الخطيئة الأصلية". وقد نُسبت عقيدة الثالوث التي صاغها بيلاجيوس لاحقاً إلى كيرلس، أسقف الإسكندرية الذي ربما يكون قد أمر بقتل هيباتيا. لقد سارت عملية الاستقطاب جنباً إلى جنب مع القمع والإرهاب في غزو العالم القديم، وكما هو الحال دائماً، كُتب السجل لإضفاء الشرعية، إن لم يكن لتمجيد، الجناة. يعلق أحد المؤرخين قائلاً:

> كُتبت المصادر المبكرة الباقية حول الدرويديين دعماً لروما وغزوها للكلت وقمعها للدرويديين. في عام 54 ميلادي، حظر الإمبراطور الروماني كلوديوس رسمياً الكهنة الدرويديين بموجب القانون. كان ذلك تحركاً بديهياً بالنسبة لروما: فمن أجل غزو الشعوب واستيعابها، يجب أولاً التخلص من مثقفيها وتدمير معارفها الثقافية.[69]

الدم الأول

في أفول حضارتهم، تم توظيف المحاربين الكلتيين كمرتزقة في الفيالق الرومانية. هذا مثال تاريخي واضح على العلاقة بين الضحية والجاني، لأن الكلتيين كانوا ضحايا للعدوان الروماني لقرون. تعلم الكلتيون في

وقت مبكر الدفاع عن أنفسهم، وذلك لحماية أنفسهم فقط. (في كتاب تشريح التدمير البشري، يشرح إريك فروم الفرق بين العدوان الدفاعي والعدوان المفترس ويؤكد أن الجنس البشري "ليس حيوانًا مفترسًا من الناحية التطورية".[70]) في عام 360 قبل الميلاد، رد الكلتيون على غزو أراضيهم الأصلية. لقد قضوا على الجيش الروماني واحتلوا روما، وهو حدث مهين في الذاكرة الرومانية. ثم تلت ذلك فترة من السلام، انتهت بعد قرن من الزمان عندما تحالفت بعض القبائل الكلتية مع الأتروسكان ضد روما. أدى الصراع الذي تلا ذلك إلى تفكك الحضارة الكلتية، لكن النهاية تأخرت كثيراً. تمثل الحملات الرومانية لهزيمة وتدمير الاتحادات القبلية للكلت أولى الحالات التي يمكن التحقق منها للإبادة الجماعية على الأراضي الأوروبية.

في كتاب ″حروب الغال″، قدم يوليوس قيصر روايته التي تضفي الشرعية على الحملات التي خاضها في بلاد الغال (الاسم الكلتي لفرنسا الحديثة) ضد الاتحادات القبلية التي وحدها محارب ماهر وشجاع يدعى فيرسينجيتوريكس. بلاد الغال، بلد الأنهار الجميلة والغابات الكثيفة، كانت شاسعة المساحة وغنية بالموارد. في حال غزوها، ستضيف ربع مساحة الإمبراطورية الرومانية.

لم تستمر الحروب الغالية إلا من 58 إلى 52 قبل الميلاد، لكنها غيرت إلى الأبد وجه ومصير أوروبا القديمة. بدأ قيصر حملته بإقامة معسكر شتوي في بلاد الغال القريبة من جبال الألب، بالقرب من منابع نهر الدانوب، بالقرب من "الموقد الكلتي" المفترض. في شتاء عام 58-57، انتشرت شائعات مفادها أن قبائل معينة تسمى بلجيكا كانت تستعد لمهاجمته. أرسل قيصر فيلقين إلى ريمس، مركز قبيلة ريمي، وأقنع زعيم القبيلة بالانضمام إلى جانبه. وردت القبائل البلجيكية الأخرى في المنطقة بمهاجمة ريمس، لكن قيصر طردهم. ثم، في تحول من الدفاع إلى الهجوم، وسّع قيصر حملته. هاجم قبيلتين معاديتين، وهما قبيلة نيرفيان وقبيلة أدواتوتشي، وألحق بهما خسائر فادحة. في إحدى المعارك، لم ينجُ سوى 500 من أصل 60 ألف مقاتل كلتي.

حتى الآن، كانت المعارك التي دارت عبارة عن اشتباكات بين الجيوش ولم تسفر عن سقوط ضحايا مدنيين. كان من بين القبائل الكلتية العديد من المحاربين المخضرمين من أصول بربرية، يضاهون القوة العسكرية الرومانية تماماً. اشتهرت بلجيكا على وجه الخصوص بشراستها في المعارك، فضلاً عن مهارتها في تدريب الخيول. لم تتضمن المواجهات العسكرية اعتداءات على السكان المحليين، لكن مقاومة البلجيكيين أثارت شهية قيصر للدماء. أقام معسكراً شتوياً بين القبائل التي أخضعها، وللحفاظ على تفوقه، انطلق لغزو بريطانيا. سرعان ما أدرك قيصر أنه وضع نفسه في مأزق من خلال تحديد موقع معسكره الشتوي بين السكان المهزومين ولكنهم ما زالوا معادين في المستنقعات البلجيكية. وفجأة، اندلعت ثورة كلتية قضت على اثنين من فيالقه. رد قيصر بهجوم هائل على القبائل في مستنقعات نهر الراين، وهذه المرة وسع هجومه ليشمل عامة السكان. كانت هذه الهجمات على المدنيين وحشية للغاية لدرجة أنه عندما أصبحت معروفة في روما، طالب السيناتور كاتو بالقبض على قيصر ومحاكمته كمجرم حرب. لكن قيصر انتصر وواصل زحفه من الغزو العسكري إلى الإبادة الجماعية. مهدت مذابح بلجيكا الطريق أمامه للحملة الأكبر القادمة: غزو كل بلاد الغال.

واجهت مخططات قيصر الأكبر معارضة من انتفاضة الاتحادات القبلية المتّحدة تحت قيادة محارب قوي هو فيرسينجيتوريكس. تعرض الرومان لهزيمة مروعة في أورليانز، ولبعض الوقت، بدا أن البطل الكلتي لديه فرصة حقيقية لطردهم من بلاد الغال. بعد العديد من المناوشات، فرض قيصر مواجهة شاملة في بورج، إحدى أكبر المدن وأكثرها ازدهاراً في الاتحاد الغالي. حوصرت المدينة (التي تقع على بعد

حوالي سبعين ميلاً جنوب باريس) ودافع عنها بشراسة، لكنها سقطت في النهاية، وذُبح سكانها الـ 60 ألفاً العزل. لا يعترف قيصر بأنه أصدر الأمر بالمذبحة. ويعلق ببرود:

> لم يتوقف أي من رجالنا للتفكير في الغنائم؛ لقد كانوا غاضبين للغاية بسبب مذبحة الرومان في أورليانز، وبسبب الجهود التي بذلوها خلال الحصار، لدرجة أنهم لم يرحموا لا كبار السن ولا النساء ولا الأطفال. (الحروب الغالية 7.24)

كانت هذه أول إبادة جماعية ضخمة ومتعمدة لشعب أصلي ارتكبت على الأراضي الأوروبية، وقد أرست اتجاهاً للإمبراطورية الرومانية في أوروبا، ولاحقاً للكنيسة التي ارتبطت بالإمبراطورية، في الغزو حول العالم. على الرغم من ارتكابها قبل ظهور المسيحية، إلا أنها تمثل النموذج الأولي للعدوان القاسي والمنتصر، الذي تم إضفاء الشرعية عليه من خلال السلطة الإلهية، والذي ظهر في جميع أنحاء أوروبا عندما رفعت روما الصليب.

ظلت المقاومة الغالية قوية بعد معركة بورج، لكن المذبحة التي وقعت هناك قلبت الموازين لصالح قيصر. وقد جرت المباراة النهائية مع الكلتيين بعد ثلاث سنوات في أليسيا، بالقرب من ديجون، في تلال بورغون الخلابة. تمركز فيرسينجيتوريكس وجيشه في حصن على قمة تل، مزودين بمؤن وفيرة، مستعدين للصمود إلى أجل غير مسمى. أمر قيصر جيشه ببناء تحصينات ضخمة (لا تزال بقاياها قائمة حتى اليوم) حول القوات التي يبلغ قوامها 80 ألف جندي بقيادة عدوه اللدود. بعد أن علم أن التعزيزات القادمة من الاتحادات الكلتية بأعداد هائلة، قام ببناء خط ثانٍ من الأسوار لحماية قواته من الهجوم من الخلف. كانت التحصينات الرومانية فعالة للغاية لدرجة أن قيصر تمكن من الصمود، وتجويع جيش فيرسينجيتوريكس، وطرد قوات الإنقاذ، التي ذكرت المصادر القديمة أنها كانت قوامها ما يقرب من ربع مليون جندي.

ربما كان سبب هزيمة الكلتيين في أليسيا هو الانهيار المعنوي الهائل بقدر ما كان بسبب التحصينات الرومانية. عندما تم إخراج النساء والأطفال من المعسكر المحاصر على التل، أمر قيصر بعدم السماح لهم بالمرور عبر الخط الثاني من الأسوار. بينما كانوا عالقين بين المتاريس، مات الآلاف منهم جوعاً أمام أعين كلا الفصيلين من الكلتيين. لقد أثبتت الإبادة الجماعية في أشد صورها دراماتيكية أنها سلاح غزو بامتياز.

يخبرنا الكاتب اليوناني بلوتارخ، أحد آخر المطلعين على الأسرار، أن عدد سكان بلاد الغال قبل وصول يوليوس قيصر كان حوالي ثلاثة ملايين نسمة. بعد ثماني سنوات، بلغ عدد القتلى مليون شخص، وتحول نصف الناجين إلى عبيد واقتلعوا من ديارهم بشكل دائم. ولعدم التقليل من شأن حوادث الإبادة الجماعية الأخرى في العصور القديمة (إن السجل العسكري للإسكندر في آسيا مروع)، إلا أن مذبحة بورج أثبتت ضرورة العنف ضد الأوروبيين على أرضهم. وُصفت عملية غزو بلاد الغال بأنها

"أعظم كارثة إنسانية واجتماعية في التاريخ، حتى استيطان أمريكا".[71]

التطهير الفكري

مع حملة قيصر في بلاد الغال، أصبح العنف الإبادي واقعاً في أوروبا؛ ولم يقتصر الأمر على العنف ضد الحياة الجسدية فحسب، بل شمل أيضاً العنف ضد الحياة العقلية، كما يتضح من موت هيباتيا. قبل وفاتها بـ 462 عامًا، كان قيصر نفسه في مسقط رأسها الإسكندرية، يواجه تحديًا مهنيًا كبيرًا. بعد غزو بريطانيا وبلاد الغال، تم تحديد الاستراتيجية العسكرية والسياسية للقائد الروماني إلى حد كبير من خلال المنافسة مع خصمه اللدود بومبي. في الواقع، كان بومبي، بقدر ما كان قيصر، مسؤولاً عن تهيئة الظروف التي سمحت للخلاص بالانتشار في أوروبا. في عام 62 ميلادي، ضم يهودا إلى الإمبراطورية الرومانية. وهكذا بدأ الاحتلال الروماني لفلسطين، وهو حدث أثبت أنه حاسم بالنسبة لروما كما كان بالنسبة للأرض المقدسة.

انطلق بومبي من فلسطين إلى مصر، وهي خطوة أجبرت قيصر على الذهاب إلى الإسكندرية عام 47 قبل الميلاد ومواجهة خصمه. وقعت المواجهة بينهما في الميناء حيث تقع المكتبة والمتحف الملكيان. تمكن قيصر من تدمير الأسطول المصري الذي استولى عليه بومبي واحتلال المدينة. وسرعان ما وجد نفسه في الفراش مع كليوباترا. وفجأة، شنت القوات الموالية للفرعون مقاومة، ووجد المحارب العجوز نفسه محاصراً بموارد عسكرية غير كافية للدفاع عن نفسه.

ما حدث بعد ذلك يخضع لعشرات الروايات غير المكتملة والمتناقضة. بحسب رواية قيصر للأحداث في كتاب "الحروب الأهلية"، فقد أشعل النار في أحواض بناء السفن والأسطول الإسكندري المتبقي لتوفير غطاء لهروبه من المدينة. لم يذكر المكتبة الملكية، لكنه أشعل النار فيها أيضاً، أو هكذا ذكر المؤرخ الروماني الراحل أميانوس مارسيلينوس (توفي عام 395 م)، الذي ادعى أن مسؤولية قيصر عن الحريق كانت "معتقدًا بالإجماع من قبل المؤلفين القدماء". ذكر سينيكا الأصغر (توفي عام 65 م) في مقالته "في طمأنينة العقل" أن 400,000 مخطوطة قد أحرقت، ولكن تم تفسير الرقم أيضًا على أنه 40,000. في اللغة القديمة، كان "الكتاب" أو "المخطوطة" أو "اللفافة" عبارة عن دراسة أو مقال، وليس كتابًا كاملاً. ومع ذلك، فإن 40 ألف مقالة عدد كبير من المقالات. تتألف مخطوطات نجع حمادي من 52 عملاً مجزأً فقط، وليست حتى مقالات بل أشبه بملاحظات متقطعة على محاضرات، منها 30 نصاً فقط ذات محتوى جوهري. يتراوح عدد صفحاتها بين أربع وأربعين صفحة. هذا ما تبقى للإشارة إلى ما كان يمكن تخزينه في المستودع الضخم للمكتبة الملكية بالإسكندرية.

من المؤكد أن الحقيقة اللافتة للنظر هي أن يوليوس قيصر، الذي ارتكب أول إبادة جماعية كاملة على الأراضي الأوروبية، ربما كان أيضًا أول من أحرق المكتبة الملكية في الإسكندرية. على الرغم من أنه لا يمكن إثبات أنه فعل ذلك عمداً، إلا أنه من المؤكد أنه كان يعلم أن الحريق قد اشتعل بسبب النار التي أمر بإشعالها. سواء كان ذلك حادثاً أم لا في حالة قيصر، فإن التطهير الفكري يسير جنباً إلى جنب مع الإبادة السياسية.

احترقت المكتبات في ميناء الإسكندرية عدة مرات أخرى على مدى القرون اللاحقة. عندما كانت هيباتيا في الثالثة عشرة من عمرها تقريبًا، أشعل حشد من المسيحيين النار في معبد سيرابيوم وتأكدوا من احتراقه بالكامل. لم يتبق أي لفافة على الرفوف المتفحمة. وبعد وفاتها بفترة طويلة، واصل العرب الذين احتلوا

المدينة الهجوم الحارق. في عام 641، قام عمرو، قائد جيش عمر، الثاني في خلافة النبي، بتغذية أفران الأربعة آلاف حمام في الإسكندرية لمدة ستة أشهر بالكتب المتبقية في بروشيون.[72] وقد عانت مكتبات أخرى في حوض البحر الأبيض المتوسط من مصير مماثل. عندما صعدت الكنيسة الرومانية إلى السلطة، أمرت تحديداً بالبحث عن الكتب الغنوصية وتدميرها. تم تدمير جميع الوثائق الـ 270 ألف التي جمعها بطليموس فيلادلفوس لنفس السبب. بعد أن تعمّد عام 380، جعل الإمبراطور ثيودوسيوس، الذي حكم بين عامي 379 و 395، من مهمته الشخصية القضاء على جميع آثار الأدب الوثني والغنوصي. أمر ثيودوسيوس بجمع وحرق 27 ألف مخطوطة من مدارس الأسرار لأنه قيل له إنها تحتوي على تعاليم غنوصية تتعارض مع نظام معتقداته الذي تبناه.[73]لم يضع قيصر سياسة التطهير الفكري هذه، ولكن أفعاله أظهرت بوضوح الترخيص بتدمير الكتابات الوثنية دون عقاب، وقد حذا كل إمبراطور روماني مسيحي حذوه. من أليسيا في عام 52 قبل الميلاد إلى الإسكندرية في عام 47 قبل الميلاد، هي خمس سنوات فقط. هذا كل ما يفصل بين العملين الحاسمين للإبادة السياسية والفكرية في العصور الوثنية القديمة.

في عام 386، عندما كانت هيباتيا في السادسة عشرة من عمرها، تم حظر الطقوس الوثنية بموجب مرسوم حكومي. ومنذ ذلك الحين، تعرضت الأضرحة الشعبية ومعابد الأسرار للتخريب بشكل متزايد ومتكرر، وبشكل صارخ وعنيف. عندما غزا ألاريك، الزعيم المحارب للقوط، اليونان عام 396، كان آخر كاهن شرعي في إليوسيس قد مات بالفعل ولم يتبق سوى عدد قليل من المتأهلين. كان الفيلسوف الأفلاطوني المحدث إيونابيوس الساردي، الذي ربما يكون قد درّس هيباتيا، واحداً منهم. وصف كيف تدفق المتحولون المسيحيون إلى المزارات القديمة التي دمرها الغزاة القوطيون، وأعرب عن أسفه "لإلحاد أولئك الذين دخلوا معه [ألاريك] بثيابهم الداكنة دون عوائق، ولتفكك القواعد الكهنوتية والرابطة المقدسة التي جسدوها".[74]ونظراً لسياسة مؤرخي الكنيسة المتمثلة في كتابة ما يظهر مؤسستهم بصورة جيدة فقط، وتدمير الروايات المتضاربة، فإن مثل هذه الشهادة نادرة للغاية. إن الروايات عن جرائم قتل الوثنيين على يد المسيحيين نادرة، ولكن من المرجح أن يكون الطلاب والمعلمون من مدارس الأسرار قد قُتلوا بأعداد كبيرة. بحسب المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس (توفي عام 562)، فقد أبيد مليون وثني ومشرك وهرطقي في سوريا وحدها على يد الإمبراطور جاستينيان "خلال الاضطهاد المنهجي الذي يمارسه ذلك المتعصب المتشدد." [75] وبموافقة إله من خارج كوكب الأرض، ارتكبت الكنيسة الرومانية مثل هذه الفظائع دون عقاب ودون خوف من الانتقام.

وفي الأمريكتين بعد ألف عام، دارت أحداث دراما مماثلة. "كان الهنود يتعرضون للسرقة والقتل كمتعة لأن البيض المسيحيين لم يكونوا مسؤولين عن إساءة معاملة غير المسيحيين." في موجة جرائم الإبادة الجماعية هذه، كان الغزاة الأوروبيون يعيدون تمثيل العنف الذي مورس على أسلافهم في العصر المسيحي المبكر - وهو مثال واضح على الترابط بين الضحية والجاني.

[76]وكما ذكر مافور وديكس في مانيتو، "لا يشير تاريخ أمريكا أبدًا إلى أن المعتقدات الدينية للرجل الأبيض قد تكون هي السبب". [77] وبالمثل، فإن تاريخ أوروبا لا يشير أبداً إلى أن المعتقدات الدينية للمسيحيين ألهمت أعمال الإبادة الجماعية التي ارتكبوها وشرعنتها في انتصار المسيحية على الوثنية.

عندما كانت هيباتيا في العشرينيات من عمرها، كتب الخطيب اللاتيني ليبانيوس إلى ثيودوسيوس للاحتجاج على تدنيس الأضرحة الوثنية:

ينتشر الرهبان كالأنهار في جميع أنحاء الريف؛ ويدمرون المعابد، ويدمرون الريف نفسه في آن واحد. إن انتزاع المعبد الذي يحمي منطقة ما من مكان ما يشبه اقتلاع عينها وقتلها وإبادتها. تُعدّ المعابد بمثابة الحياة الحقيقية للريف، حيث عاشت أجيال في كنف العادات القديمة.[78]

يُظهر التماس ليبانيوس أنه ربط النشاط الفكري والروحي الذي تم القيام به في المعابد بقوة الحياة في بيئتها الطبيعية. بالنسبة للعقل الوثني، كان تدمير مراكز المعرفة والتعلم تلك بمثابة عمل عنيف موجه ليس فقط ضد الأشخاص الذين كانوا يرتادونها، ولكن ضد الطبيعة نفسها: "بتدمير المعابد، فإنهم يدمرون الريف نفسه". شكلت الأضرحة والمدارس التابعة لشبكة الأسرار عيون وأعضاء الثقافة الوثنية. وصل الهوس المسيحي ضد الديانة الوثنية إلى حد التطرف الجنسي الذي يصل إلى حد جماع الأموات. بعد قتل الكائن الحي، تم انتهاك جثته. في عام 400 ميلادي، وهو العام الذي تولت فيه هيباتيا مهامها في متحف الإسكندرية، ذكر يونابيوس السرديسي أن الرهبان المسيحيين كانوا "يعيشون مثل الخنازير في الأماكن المقدسة".[79]

في زمن قيصر، كان بإمكان الجمهوريين الرومان مثل شيشرون وكاتو أن يعتبروه علنًا مجرم حرب، ولكن في وقت لاحق تم قمع أي معارضة من هذا القبيل بشدة من قبل الأباطرة. بعد اندماج الإمبراطورية الرومانية مع الكنيسة الكاثوليكية، أصبحت جرائم الحرب مشروعة باسم المخلص. لقد تبنى الجناة عقيدة جيش الخلاص كغطاء ديني، من أجل إضفاء الشرعية على أفعالهم من خلال سلطة خارقة للطبيعة. لقد حوّلوا ضحاياهم إلى مجرمين، وأدانوا أكثرهم تهديداً باعتبارهم زنادقة، واستهدفوا جميع الوثنيين لمجرد كونهم وثنيين. بعد أن أصيب الأوروبيون الأصليون بالفيروس العقائدي للخلاص، دخلوا في طريق الإبادة الذاتية، وتلا ذلك ما يسمى بالعصور المظلمة.

من منظورنا الحالي للزمن والمسافة التاريخية، هل من الصعب تخيل كيف يمكن لشعب أن يهاجم ويمزق ثقافته الخاصة، ويدمر أسس وجوده الثقافي والتاريخي. لكن، إذا استطعنا أن نتخيل كيف حدث ذلك، ألا يمكننا أن نفهم بشكل أفضل ما نفعله بأنفسنا اليوم على المستوى العالمي؟

4

طائفة البر

إن الحماس الخلاصي الذي اجتاح أوروبا في فجر العصر المسيحي لم ينشأ من العقلية الجماعية لشعوبها الأصلية المتنوعة. وكما هو الحال مع وصول المستعمرين الأوروبيين إلى العالم الجديد، فقد مثّل ذلك تدخلاً فريداً لا مثيل له على أرض السكان الأصليين. يحب العلماء مقارنة المخلص المسيحي بالآلهة الوثنية مثل بالدور النوردي، وهو شامان "معلق على شجرة" نزل إلى العالم السفلي، أو أنجوس، إله الحب الشمسي في الأساطير الأيرلندية، لكن هذه المقارنات الأسطورية مضللة للغاية. لم يكن المخلص في الديانة اليهودية المسيحية موجودًا في أساطير الشعوب التي كانت مشاركتها في العالم الطبيعي خالية من الشعور بالخطيئة. لم تكن الحياة النفسية والخيالية للأوروبيين الأصليين تحوي أي شيء يشبه الشخصية الخارقة للطبيعة للمخلص الإلهي الذي كان من المفترض أن يظهر من فلسطين البعيدة.

الممسوح

ومثل الجدري الذي نقله المستعمرون الأوروبيون إلى العالم الجديد، فإن عقيدة الخلاص من فلسطين، بمجرد انتشارها في أوروبا، أثرت على مجموعة واسعة ومتنوعة من الشعوب التي لم تكن لديها مناعة طبيعية ضدها. كانت الطبيعة الغريبة لهذه العقيدة ("اللاهوت الصليب"، كما يسميها العلماء) واضحة من أصولها، لأن عقدة المخلص الفلسطيني نشأت في الشرق الأدنى في ظل ظروف استثنائية، وتحولت بشكل غريب. منذ نشأتها، كانت المجموعة الأساسية التي أدت إلى ظهور المسيحية عبارة عن مزيج غريب يتكون من عناصر شاذة لم تكن موجودة بشكل طبيعي في الثقافة التي ظهرت فيها واندمجت. باختصار، كانت هذه المجموعة بالضبط ما حذر منه اللاهوتيون الغنوصيون مثل هيباتيا: حالة من الأنوميا، الانحراف. تظهر الكلمة اليونانية *anomou* في كتاب الأبوكريفا يوحنا ونصوص أخرى من نجع حمادي في إشارة إلى الأنظمة الوهمية في النفس البشرية. يترجم العلماء عمومًا كلمة *anomou* إلى "الانحطاط"، وهي الكلمة نفسها التي استخدمها بليني الأصغر لوصف الإيمان الخلاصي. الترجمة الحرفية ستكون "شاذ".

كما هو مذكور في الفصل الأول، فإن عقدة المخلص تتكون من أربعة مكونات: خلق العالم من العدم بواسطة الإله الخالق الذكر؛ واختيار القليل من الصالحين لتحقيق خطة إلهية؛ ومهمة ابن الخالق (المسيا) في الخطة؛ والدينونة النهائية المروعة التي يتم فيها تدمير العالم حتى يتمكن الصالحون من الخلاص من خلال تحقيق العقاب الإلهي. المكون الأول، وهو خلق العالم بواسطة إله خالق ذكر، يمكن العثور عليه في العديد من المتغيرات حول العالم، لكن الأسطورة التوراتية تختلف عن سيناريوهات الخلق الأخرى باستبعادها لإلهة أنثوية. هذا الاستبعاد عاملٌ مثيرٌ للدهشة، على أقل تقدير. يدرك العلماء الآن الجهد الهائل والمستمر الذي تطلبه إنتاج وفرض سردية مقدسة تركز على إله ذكر دون وجود نظير أنثوي.

يمكن رؤية بعض عناصر هذا المركب الرباعي، وليس كلها، في تطور النظام الأبوي. نشأت الأبوية كنظام سياسي في بلاد ما بين النهرين حوالي 3500 قبل الميلاد، واتخذت شكلاً دينياً مميزاً في أسطورة

أبرام، ابن كاهن سومري من أور. إبراهيم، كما أصبح يُعرف، هو الأب المؤسس للأديان الخلاصية الرئيسية، وهي اليهودية والمسيحية والإسلام. بغض النظر عن العوامل المعقدة التي تقف وراء صعودها، فقد تم صياغة النظام الأبوي في الشرق الأوسط في نظام السيطرة الاجتماعية للثيوقراطية، أي الحكم من قبل الآلهة أو أحفاد الآلهة. بالطبع، لم يُذكر أبداً أن إبراهيم كان إلهاً، ولكن مع تطور السرد التوراتي، يظهر التحول اللاهوتي الغريب للألوهية البشرية تدريجياً.

في الأنظمة الثيوقراطية في الشرق الأوسط، كان الملك الإلهي يدّعي أنه الممثل السيادي للآلهة على الأرض. لقد كان انعكاساً بشرياً، وإن لم يكن تجسيداً حرفياً، للإله الحامي للأمة والثقافة التي قادها. في مصر حيث كانت الملكية المقدسة متطورة للغاية، كان يُنظر إلى الفراعنة على أنهم "آلهة حية" في نظر عامة الناس، ولكن هذا الوضع كان يُفهم بشكل مختلف من قبل الكهنة والهيروفانت الذين أداروا سلالات التكاثر الفرعونية ورسموا الأجيال المتتالية من رمسيس وأمنحتبس وتحتمس وغيرهم. كان الفراعنة البشريون مكلفين، بالنسبة للهيروفانت الذين كانوا "مرافقيهم"، بتمثيل الآلهة التي يحملون أسماءها بشكل طقسي. وغني عن القول، لم يكن من السهل دائمًا تحديد الخط الفاصل بين التمثيل والتماهي الحرفي، أو الحفاظ عليه، ولكن في نهاية المطاف كان دور الحاكم الثيوقراطي مكرسًا أكثر للعمل من أجل الآلهة بدلاً من التصرف مثلهم. كانت مهمة الفرعون والشخصيات الثيوقراطية في الشرق الأدنى هي قيادة القلة الصالحة، النخبة الحاكمة التي ستنفذ الإرادة الإلهية في المجتمع البشري. كان يُنظر إلى الملك على أنه "مسيا"، وهي كلمة مشتقة من الكلمة العبرية "ماشياه"، والتي تعني ببساطة "الممسوح". وهكذا، اجتمعت المكونات الثلاثة الأولى من مجموعة المخلص في صورة الوصي الإلهي، ولكن ليس المكون الرابع.

في الأصل، لم يكن المسح بالزيت يحمل ادعاءً بالألوهية. كان طقساً علمانياً للتنصيب لا أكثر. مع ترجمة كلمة "ماشياه" إلى الكلمة اليونانية "كريستوس"، أصبحت المكانة الملكية والبشرية البحتة للمسيا مرتبطة بالألوهية. لكن هذا الإنحراف في التسمية لم يحدث بمحض الصدفة اللغوية. عندما فرض قسطنطين التصويت على ألوهية المسيح في مجمع نيقية عام 325، ضمن بذلك أن الإرادة السياسية للإمبراطورية الرومانية ستكون مدعومة بالسلطة الإلهية. وفي قيامه بذلك، اعتمد على تعاليم القديس بولس، وهو يهودي متأثر بالثقافة اليونانية من سوريا، وأول منظّر يؤكد بشكل قاطع على ألوهية "المسيح". لكن مرة أخرى، كان هناك شيء غريب قيد الإعداد. إن تأكيد بولس شاذ، وغير معروف تماماً في اللاهوت اليهودي والوثني في عصره. (الأباطرة الذين ادعوا الألوهية أو "الإلهام الإلهي" كانوا ينغمسون فقط في تضخيم الذات، وهو أمر نموذجي للجنون النرجسي في عصر الحوت). وكانوا يتنافسون عبثاً مع المتأهلين في الأسرار السرية، الذين قيل إنهم كانوا يُعتبرون بطريقة ما آلهة من خلال ممارساتهم السرية.

لم يتم شرح أصل الألوهية البشرية في اللاهوت البولسي (وأيضًا اليوحناوي) بشكل كافٍ، ولكن من خلال تتبع عقدة المخلص الفلسطيني إلى مصادرها الأكثر خفاءً، ربما يمكن شرحها.

في العصور ما قبل البطريركية، كان يتم أداء طقوس المسح في *hieros gamos*، وهو الزواج المقدس للمرشح الملكي مع كاهنة في خدمة ماغنا ماتر، الأم العظيمة. اتخذت السلطة الأبوية شكلاً مميزاً ومهيمناً مع استبعاد الكاهنة. كان هذا التحول طويلاً وصعباً في الشرق الأدنى، ولم يتحقق بالكامل في أوروبا حتى لحظة ظهور المسيحية. امتدت فترة الحمل الطويلة والشاقة للنظام الأبوي من حوالي عام 4,200 قبل الميلاد، عندما بدأت الغزوات الهندو-أوروبية لأوروبا، إلى عام 1,800.

عصر حمورابي، مشرع القوانين، والبطريرك التوراتي إبراهيم.[80] تدريجياً، أصبح اختيار الملك الجديد وطقوس التمكين (الملكية المقدسة) موجهاً حصراً من قبل الرجال، وللرجال.

ملك يهودي

إن أسطورة الخلق التوحيدية التي تقتصر على الذكور في العهد القديم لها بعض السوابق في بلاد ما بين النهرين، الأرض التي هاجر منها إبراهيم. في ظل الحكم الثيوقراطي، عكست البنية السياسية للمجتمع النظام الكوني. إذا كان هناك إله واحد في السماء، فلا بد أن يكون هناك حاكم واحد ذو سيادة على الأرض. وقد صدقت هذه الصيغة في الصين البعيدة وبيرو وبولينيزيا، كما صدقت في الشرق الأوسط. لكن الحكم الديني اتخذ شكلاً غريباً وضمورياً - ومرة أخرى، هنا يكمن الإنحراف، والتحول الغريب - في الحياة الدينية للعبرانيين القدماء. مع المكون الثاني من عقدة المخلص، وهو تكليف القلة الصالحة بتنفيذ خطة الخالق، يحدث انتقال من الأسطورة إلى التاريخ، أو التاريخ الزائف، كما هو مسجل في العهد القديم، وهو خيال كهنوتي محمل بشكل غير متساوٍ ببعض العناصر التاريخية التي يمكن التحقق منها. الحدث الحاسم في التاريخ المقدس لليهود القدماء يقع في سفر صموئيل الأول:

> فَاجْتَمَعَ كُلُّ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى صَمُوئِيلَ ...، وَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ». (صموئيل الأول. 8 :4–5)

العبارة الأساسية هنا هي "كَسَائِرِ الشُّعُوبِ". يحدد المؤرخون التوراتيون أن البطريرك صموئيل عاش حوالي عام 1100 قبل الميلاد، أي بعد حوالي ثمانمائة عام من إبراهيم. منذ عهد أول بطريرك، كانت الجماعة الإسرائيلية تُحكم من قبل مجلس من الشيوخ، يُطلق عليهم اسم القضاة، والذين كانوا يتلقون المشورة عن كثب، إن لم يكن يخضعون لسيطرة، من قبل كهنوت وراثي. كان هذا مجتمعًا أبويًا ذا عنصر كهنوتي قوي، ولكنه لم يكن نظامًا دينيًا "مثل جميع الأمم" في الشرق الأدنى القديم. في أيام صموئيل، كان الإيمان بالله الأب يهوه يتراجع، لكن "كل إسرائيل، من دان إلى بئر سبع، عرفوا أن صموئيل قد تم تثبيته ليكون نبيًا للرب" (صموئيل الأول 3: 18). عندما اقترب من الموت، طلب شيوخ الجماعة، بدافع من انعدام الأمن الروحي على ما يبدو، من صموئيل أن ينصب ملكاً لإسرائيل يضاهي ملوك الأمم المجاورة. في هذا الحدث الحاسم، تبنى العبرانيون المؤسسة الأجنبية للملكية. كان هذا التطور استثنائياً لدرجة أن ميرتشا إلياده كتب:

> يُفسر النظام الملكي على أنه عهد جديد بين يهوه وسلالة داود، وهو استمرار لعهد سيناء. من خلال هذا التقييم لمؤسسة أجنبية باعتبارها فعلاً جديداً من التاريخ المقدس، يمكننا أن نُقدّر أصالة العقيدة الإسرائيلية

للملكية.[81]

كانت الملكية، كما يؤكد إلياده، "مؤسسة أجنبية" بالنسبة للعبرانيين. يمثل تبنيها نقطة انطلاق حاسمة لهذا الشعب، بل وللبشرية جمعاء. ستكون عواقب هذا "الفصل الجديد من التاريخ المقدس" هائلة، لكنها ستتكشف ببطء. سيستغرق الأمر ألف عام أخرى حتى تتجلى "أصالة العقيدة الملكية الإسرائيلية"، وتتطور أكثر، وتتجلى في النهاية في المخلص الإلهي للمسيحية.

كان يُطلق على الملك اليهودي لقب "ابن الله"، وهو لقب تشريفي لم يكن يُفهم على أنه يشير إلى تجسد الألوهية. يشرح الباحث في مخطوطات البحر الميت، جيزا فيرميس، ما يلي:

> في العبرية أو الآرامية، يُستخدم مصطلح "ابن الله" دائمًا بشكل مجازي كاستعارة لابن الله، بينما في اليونانية الموجهة إلى المسيحيين من غير اليهود، الذين نشأوا في ثقافة دينية مليئة بالآلهة وأبناء الآلهة وأنصاف الآلهة، كان تعبير العهد الجديد يميل إلى أن يُفهم حرفيًا على أنه "ابن الله"، مكتوبًا كما لو كان بحرف كبير: أي كشخص من نفس طبيعة الله.[82]

كان مفهوم الألوهية البشرية، ولا يزال، غريباً تماماً عن التجربة الدينية اليهودية. يا للمفارقة إذن، أن النسخة اليهودية من الملكية المقدسة قد تحولت إلى شخصية المخلص الإلهي، المسيح. كان أول ملك يهودي هو شاول (طالوت)، وهو رجل معذب انتحر بعد إصابته باكتئاب حاد ولقاء غريب ومقلق مع شامانية أنثى، ساحرة عين دور. وخلفه داود وسليمان، اللذان توليا الدور الملكي بمهارة أكبر. كانت كلتا الشخصيتين التوراتيتين معروفتين باحتفاظهما بعلاقات قوية مع ديانة الإلهة الكنعانية التي تجسدت في شخصية أستيروث، إلهة الشجرة. طوال العهد القديم، يوبخ يهوه بني إسرائيل بسبب "عبادتهم لآلهة غريبة" - أي عودتهم إلى الطرق الأصلية والطقوس البيئية الإقليمية التي تكرم الأرض. ومن بين هذه الطوائف، كانت عبادة أستيروث شائعة في كنعان.

مع اكتشاف كتابات أوغاريت في رأس شمرا، سوريا، عام 1928، تمكن العلماء من إعادة بناء طقوس ومعتقدات السكان الأصليين لكنعان، وهو الاسم القديم للأرض التي نسميها اليوم فلسطين. وقد أسفر ذلك عن إعادة تقييم شاملة لمصادر اللاهوت والطقوس في العهد القديم. من المعروف الآن أن الكتبة العبرانيين الذين قاموا بتأليف وتجميع العهد القديم من عام 700 قبل الميلاد فصاعدًا استقوا من النصوص الكنعانية بنفس القدر الذي استقوا به من المصادر المصرية وبلاد ما بين النهرين. ولكن لأن الأرض الموعودة كانت في كنعان، فقد استمد العبرانيون التوراتيون أعمق ما لديهم من المصادر الأصلية للأرض التي ادعوا أنها أرضهم الممنوحة من الله. إن مدى هذا الاستغلال مذهل ويلقي بظلال مختلفة تماماً على التاريخ التوراتي:

> ادعى بعض اللاهوتيين، عند فحصهم لأساطير أوغاريت، أنهم شعروا بالصدمة من العنف

والانحطاط في الديانة الكنعانية. لقد اعتبروها شكلاً بدائياً من أشكال تعدد الآلهة، "رجاسات الوثنيين"، وكانت إبادتهم على يد العبرانيين في فلسطين عملاً تقياً وإلهياً، وإن لم يكن للأسف شاملاً بما فيه الكفاية. إن هذا الرأي، إلى جانب كونه مشكوكًا فيه أخلاقيًا، يتجاهل حقيقة أن اليهودية، سواء عندما استعارت من نفس الدين البدائي أو عندما ردت عليه، تأثرت به. كانت العديد من امتيازات يهوه في الأصل امتيازات لبعل وعالي. كان دانيال البار كنعانيًا، وليس عبرانيًا... تُعتبر الأساطير الكنعانية سلفاً شرعياً للتقاليد اليهودية المسيحية.[83]

بالطبع، لا يخلو الكتاب المقدس من نصيبه من العنف والانحطاط. في تسجيل صراع "العبرانيين ضد الوثنيين"، يقدم العهد القديم دراسة حالة غنية لمتلازمة الضحية والجاني. تطورت الأخلاق والطقوس والمفاهيم اللاهوتية اليهودية بالتوازي مع حملات الإبادة الجماعية المستمرة في فلسطين، لكن طرق الوثنيين الملعونة لم يتم تبديدها بسهولة، أو اقتلاعها بسهولة من قلوب الناس. بدلاً من ذلك، تم استيعابها وإخفاؤها وتشويهها. جاءت محاولة إبراهيم الفاشلة للتضحية بإسحاق متبعة لعادة كنعانية تتمثل في قتل الأطفال. كان دانيال الكنعاني شخصية رئيسية في تطوير المكون الرابع من مجموعة المخلص، وهي الرؤية الأخروية. تم استيعاب هذه العناصر وغيرها الكثير من العناصر ذات الأصل الكنعاني في الديانة اليهودية، ثم تم تحويرها بطرق غريبة عن أصولها.

أجندة مزدوجة

ليس من السهل تتبع التسلسل المتقلب للأحداث الغامضة والتي غالباً ما تكون مشؤومة والتي تشكل التاريخ القديم لليهود. نادراً ما تتم قراءة الكتاب المقدس بشكل مباشر، دون مجموعة كبيرة من التوقعات التي تحدد مسبقاً ما سنجده فيه، بغض النظر عن ميولنا الدينية. لاحظ بول شيبارد أن نظرتنا للتاريخ "مؤطرة في نمط تاريخي حسم المسألة بالفعل"، أي أنه حدد مسبقًا ما يخبرنا به التاريخ عن أنفسنا.[84] وهذا ينطبق بشكل خاص على "التاريخ المقدس" السردي في العهد القديم.

علاوة على ذلك، فإن التأثير الدرامي الهائل للغة الكتابية يميل إلى تضليلنا عن التفاصيل المهمة.

منذ زمن صموئيل، سلطت روايات العهد القديم الضوء بشكل متزايد على الملك المسياني، الشخص الذي تم مسحه. ستحدد أفعاله كيف سيتمكن القليل من الصالحين من اتباع إرادة الإله الأب وتنفيذ خطته. هذا واضح بما فيه الكفاية، لكنه يتجاهل القضية الحاسمة: من يقوم بالمسح؟ لكي يكون الحاكم المختار قوياً، يجب أن يحصل على قوته من خلال وكيل المسح. إن منطق التمكين بسيط: يجب أن يكون أولئك الذين يمسحون بالزيت، بمعنى ما، أقوى من أولئك الذين يمسحون بالزيت. لكن بأي معنى يكون أكثر قوة؟

في المجتمعات ما قبل الأبوية، كان يتم مسح الملك المقدس بواسطة امرأة، كاهنة تمثل الإلهة، "القوة الأصلية وراء العرش". كانت طقوس المسح هي "الزواج المقدس". مع ظهور النظام الأبوي، طرأ تغيير جذري على طقوس التمكين. بالنسبة للعبرانيين القدماء، حدث هذا بطريقة غريبة وسرية إلى حد ما - وهذا ليس مفاجئاً، لأن الحكم الديني (الثيوقراطي) كان "مؤسسة أجنبية" بالنسبة لهم. لقد كان هذا نوعاً من

الإنحراف الاجتماعي لم ينشأ داخل المجتمع الإسرائيلي، بل تم استيراده. كان الشيوخ ("القضاة") الذين حكموا المجتمع يتلقون المشورة من عدة سلالات من الكهنة الوراثيين الذين تم تسميتهم على أساس النسب: بنيامين، ولاوي، وهارون، وما إلى ذلك. تم تأسيس ملك شاول تحت إشراف هذه الكهنة، بتوافق كبير من المجتمع (صموئيل الأول 11: 15). لكن ربما لأن أول مرشح يهودي للحكم الديني فشل بطريقة بائسة بشكل مذهل، فعندما حانت اللحظة التي منح فيها داود الملك لسليمان حدث شيء شاذ تمامًا ـ مرة أخرى:

> وَلْيَمْسَحْهُ هُنَاكَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ وَنَاثَانُ النَّبِيُّ مَلِكًا [سليمان] عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ قَرْنَ الدُّهْنِ مِنَ الْخَيْمَةِ وَمَسَحَ سُلَيْمَانَ. (ملوك الأول 1 :34, 39)

كما يتضح لاحقاً (وإن لم يكن ذلك بشكل كامل أبداً) بين سطور الرواية التوراتية، فإن كاهن صادوق لا ينتمي إلى الكهنوت الوراثي لبنيامين وهارون ولاوي. في الواقع، يُعد كهنوت صادوق العامل الأكثر غموضًا وتجاهلًا في التقاليد اليهودية المسيحية. لقد ظهر فجأة من العدم. لا بد أن هذه الكهنوتية قد نشأت قبل إبراهيم لأن ممثلها الرئيسي كان الشخصية الغامضة التي جندت البطريرك الأول ومنحت جماعة إسرائيل هويتها كـ "شعب مختار" (أي القلة الصالحة، المكلفة بتنفيذ الخطة الإلهية: المكون الثاني من عقدة المخلص). يفترض التقليد أن يهوه اختار العبرانيين، لكن الفاعل الفعلي لم يكن الإله الأب. كان ملكي صادق، رئيس كهنة صادوق. "وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا ِللهِ الْعَلِيِّ." (التكوين 14 :18).

إن لقاء إبراهيم وملكي صادق في سفر التكوين 14 يدشّن مهمة الشعب المختار. بالتأكيد ليس من قبيل الصدفة، فهو يقدم أيضاً النموذج الأولي للقداس المسيحي: سر الخبز والخمر. كذلك، منذ بدايتها في هذا الاجتماع الدرامي، ارتبط تنفيذ الخطة الإلهية ارتباطاً وثيقاً بالعنف الذي أقرته قوة عليا. وبصفته قائدًا محاربًا للعبرانيين، شن إبراهيم غارات على أراضي دان وحوباه المجاورة، ووصل إلى دمشق لإنقاذ أخيه الضال لوط (تكوين 14: 12-17). صحيح أن الحرب الأهلية كانت هي السائدة في زمن الأب، حيث انخرطت فيها العديد من القبائل بضراوة لا نهاية لها، لكن المغزى من القصة هنا هو أن ملكي صادق يمنح الموافقة الإلهية على المذبحة: "مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ". (التكوين 14: 19-20). ليس إله القبيلة وحده من يوافق على انتصار أبرام، بل "الأعلى" بين جميع الآلهة. إن هذا التظاهر المتعالي بالتفوق متأصل في عقدة المخلص.

من هو ملكي صادق؟ (Melchizedek) إنه شخصية غريبة تظهر من العدم ثم تختفي، لكن مسار التاريخ المقدس اليهودي المسيحي بأكمله يتحدد بشكل قاطع بظهوره. إن لقب "ملك شاليم" يربطه بالموقع في كنعان حيث ستُؤسس أورشليم. بخلاف ذلك، لا يُعرف شيء عن أصوله.[85]اسمه، الذي يتضمن الجذر السومري *melki*-، "أمير"، "الوريث الإلهي" يعني "أمير البر". كلمة "*zedek*" العبرية هي شكل مختلف من كلمة "*zadok*"، والتي تُكتب أيضًا "*tsedeq, tzaddik*" و"*zaddik*". عندما يُطلق على الإنسان كلمة "*zaddik*" تعني "العادل" أو "الصالح". ومن الأمثلة على ذلك دانيال البار في العهد القديم ويعقوب البار، أخو يسوع، في العهد الجديد. بمعنى فضفاض، فإن *zaddik* هو ببساطة إنسان أفضل، يُحكم عليه من خلال طاعته لله، ولكن بالمعنى الدقيق فهو شخص يفي بمعيار من النقاء والكمال يتجاوز

تمامًا الإمكانات البشرية. أن تكون *zaddik* هو علامة على التفوق المتعالي الذي يمنحه يهوه، فوق جميع الآلهة الأخرى.

إن لحظة تأسيس جماعة إسرائيل حدث هام، لكنها تخفي حدثًا آخر سيثبت في الوقت المناسب أنه أكثر أهمية: بداية طائفة الصادقية (Zaddikite) للبر تحت قيادة ملكي صادق (Melchizedek). * هناك هدف معلن وهدف خفي في اللقاء مع إبراهيم. والهدف المعلن هو تنفيذ اختيار يهوه لليهود القدماء لتمثيله أمام جميع أمم الأرض، وتحقيق خطته، التي تفوق كل تصميمات القدر في العالم. هذا الاقتراح الرائع واضح تمامًا للعديد من المؤمنين، ولكن كما لاحظ أحد علماء الكتاب المقدس بسخرية، "ما أغرب أن يختار الله اليهود".[86] في الحقيقة، ملكي صادق هو من اختارهم.

على مر التاريخ، كان اليهود وغير اليهود على حد سواء على دراية شديدة بهذا التظاهر، أو هذه الدعوة الإلهية، إن شئت. إن اختيار خالق كل مجموعة عرقية من بين جميع المجموعات العرقية في العالم لتلقي وحيه، واتباع قوانينه، وتحقيق خطته، وإظهار أعلى مثال أخلاقي للبشرية، والوفاء بمهمتهم حتى نهاية العالم المروعة، هو ادعاء معروف، بالطبع. على الرغم من أن هذا الادعاء شاذ في التجربة الدينية للبشرية، إلا أنه نادراً ما يتم التشكيك فيه. قد يعتبر البعض التشكيك في ذلك عملاً معادياً للصهيونية أو معادياً للسامية، ولكن الغريب في الأمر أن الادعاء نفسه لا يُعامل أبداً على أنه اقتراح معادٍ للإنسانية.

هل يمكن أن تكون دعوة الله لتقديم أعلى معايير الإنسانية مناهضة للإنسانية؟ حسناً، لقد اعتقد الغنوصيون مثل هيباتيا ذلك بالتأكيد. لقد اقترحوا أن المكانة الفريدة التي يدعيها العبرانيون، ومجموعة الأفكار العظيمة التي تصاحبها، ما هي إلا خدعة. من وجهة نظر الغنوصيين، فإن "الخطة الإلهية" التي سيتم تحقيقها من خلال الشعب المختار والمسيا، والتي تبلغ ذروتها في يوم العقاب المروع، ليست دعوة إلى المجد الروحي، بل هي خداع كبير ومؤلم.

تاريخ الخلاص

يعتبر مليارات المؤمنين المتحمسين حول العالم الكتاب المقدس حقيقة حرفية، وينظرون إلى العبرانيين القدماء كنموذج يحتذى به للجنس البشري ككل. هكذا بالضبط أصرت الكهنوتية اليهودية على أن ينظر "الشعب المختار" إلى قصتهم، وروايتهم القبلية الفريدة. غالباً ما قاوم الناس الذين كُتبت لهم هذه النصوص أجندة الصادقيين، ومع ذلك فقد تم تبني النموذج اليهودي لتاريخ الخلاص (كما يسميه العلماء) في نهاية المطاف من قبل جزء كبير من الجنس البشري. كيف نفسر هذا التطور الغريب؟

في الكتاب المقدس، بما في ذلك العهدين القديم والجديد، تتكشف المكونات الأربعة لعقدة المخلص بشكل درامي في الزمن التاريخي الخطي. إن تاريخ الخلاص متضمن في مجموعة من المعتقدات حول الخلق، والخطيئة، والجنس، والاختيار الإلهي، والتدخل من خارج كوكب الأرض، والخلاص، والحكم الكوني، والعقاب، والقيامة. هذا هو النص التوجيهي للحضارة الغربية. (مع الإسلام، وهو التحول الذي طرأ في العصور الوسطى على مفهوم المخلص، يتغير النص، مما يعكس انخفاضًا أعمق في قيمة الحالة الإنسانية مقارنة بالمفهوم اليهودي المسيحي لـ "السقوط"، ومع ذلك تظل المكونات الأساسية الأربعة لهذا المفهوم ثابتة.) كل من يتعاطف مع القصة يتبنى المعتقدات التي تحملها، حتى دون أن يكون واعياً بكيفية قيامه

بذلك. بما أن السلوك البشري مدفوع بالمعتقدات، فإن قصة الخلاص تكتسب قوة هائلة لتحديد التجربة الشخصية وحتى تشكيل مسار التاريخ نفسه. يصر العديد من المؤمنين على أن القصة صحيحة حرفياً، مما يقدم الدليل القاطع على أن الله منخرط بنشاط في الشؤون البشرية، بينما يجد آخرون حقيقة رمزية واستعارية في تاريخ الخلاص دون الحاجة إلى مساواته بالواقع. لكن في كلتا الحالتين، لا يشكك المؤمنون في الحقيقة الأساسية أو سلامة القصة.

عند مواجهة تاريخ الخلاص، يصعب تحديد ما هو الأكثر سخافة: الحبكة والهدف المعبر عنهما في النص، أم المصداقية الهائلة التي حظي بها. إن "الخطة الإلهية" غريبة جداً عن الحكمة الأصلية، وخاطئة جداً للتوجيه الاجتماعي من الناحيتين الروحية والبقاء، ومخالفة جداً للغرائز الأخلاقية الفطرية للبشرية، لدرجة أن قبولها من قبل ملايين لا تعد ولا تحصى من الناس عبر العصور أمر يذهل العقل ويعجز الخيال. ولأنها أصبحت السيناريو السائد في التاريخ النفسي لجنسنا البشري، فهناك ميل عالمي للافتراض بأنها يجب أن تكون صحيحة، بطريقة أو بأخرى، على مستوى أو بآخر. لكن هل مجرد قبول أي فكرة أو معتقد دليل على صحته؟ فيما يتعلق بتاريخ الخلاص، فإن حقيقة أن الكثير من الناس قد اعتنقوه، ولا يزالون يفعلون ذلك، تعيق رؤية أساسية: المعتقدات التي سيتم رفضها والسخرية منها إذا اعتنقتها طائفة من بضع مئات من الأعضاء تصبح مقدسة ولا جدال فيها عندما يعتنقها الملايين.

وفقًا للنقد الغنوصي للدين اليهودي المسيحي، فإن انتصار تاريخ الخلاص لا يرجع إلى حقيقة لا يمكن إنكارها يحملها، بل إلى قوته الوهمية الخفية. إنها تعمل مثل هوس قهري يستحوذ على العقل الجمعي، على غرار ما أسماه فيلهلم رايش الذهان الجماعي. في كتاب "علم النفس الجماهيري للفاشية"، يوضح رايش كيف تندمج السلوكيات الصوفية والعسكرية (أو الفاشية) "المتجذرة في بنية الشخصية الذكورية السلطوية" معًا في الهواجس الدينية المشتركة بين الاشتراكية الوطنية والصهيونية والكاثوليكية. في تحليله لـ "الأيديولوجية السلبية للمعاناة في جميع الأديان الحقيقية"، كشف كيف أن الإصرار غير العقلاني على القيمة الخلاصية للمعاناة ("الوباء العاطفي") يقود المجتمع مباشرة إلى الصراع والجنون.[87]

وعلى غرار تحليل رايش، رأى الغنوصيون في برنامج الخلاص الذي نشأ في فلسطين بعد عام 150 قبل الميلاد نظام معتقدات زائف ينحرف بالجنس البشري عن إمكاناته الحقيقية. كان هذا هو التحذير الذي وجهه علماء اللاهوت والمتصوفون المدربون من الأسرار، رجال ونساء كان من شأن انضباطهم أن يمكّنهم من تقييم المفاهيم العقائدية اللاهوتية برؤية ثاقبة ودقة نقدية. لم يكن لدى السكان الأصليين لأوروبا، الذين سيستسلمون في نهاية المطاف لهجمة الخلاصية، مثل هذه القدرات النقدية. ليس الأمر أنهم يفتقرون إلى الذكاء، أو أنهم كانوا بأي حال من الأحوال أدنى عقلياً من المسيطرين، لكنهم كانوا يفتقرون إلى الدفاعات الفكرية اللازمة لمقاومة عقدة المخلص. شكل الغنوصيون في مصر وبلاد الشام والشرق الأدنى خط دفاع حاسم إلى أن تم تدميرهم على يد أنصار النظام الوهمي الذي حاولوا فضحه. وبالنظر إلى الأصل القديم لحركتهم، فمن المرجح أن الغنوصيين كانوا قادرين على مراقبة البرنامج الخلاصي على مدى فترة طويلة، وصولاً إلى لحظته التأسيسية.* *

لحظة مصيرية

تكليف ملكي صادق لإبراهيم قيادياً للشعب المختار (سفر التكوين 14) يوفر ليهوه تمثيلاً بشرياً على الأرض، ولكنه يفعل أكثر من ذلك أيضاً. إنها تُهيئ المجتمع البشري اللازم لبرنامج طقوسي تحدده امتيازات خفية خارقة للطبيعة. كان المجتمع الإسرائيلي مهدًا لهذه الطائفة. كان ذلك ذريعة للطائفة التي سكنتها سراً، أو أصابتها، مثل الفيروس. باختصار، لم يتم إنشاء مجتمع إسرائيل حصريًا لخدمة خطة الإله الأب. وكان من المفترض أيضاً أن يكون بمثابة مقر للحركة التي تتمحور حول ملكي صادق، المشرف الخالد على طائفة الصادقين، والتي تم الحفاظ على أيديولوجيتها المليئة بالكراهية والرؤيوية في المخطوطات التي تم العثور عليها بالقرب من البحر الميت في عام 1947. يُعدّ الصادق *(Zaddik)* مفهوماً أخلاقياً وميتافيزيقياً في آن واحد، وهو ينطوي على كمال خارق للطبيعة، كما ذُكر سابقاً. أولئك الذين يتبنون هذا المعيار يجب أن يقفوا ضد البشرية جمعاء. يجب عليهم، في الواقع، أن يرفضوا إنسانيتهم من أجل مثال فوق بشري. هذا شيء لم يرغب العبرانيون القدماء في فعله أبداً. كان الجزء الأكبر من المجتمع الذي قبل دور الشعب المختار يعتقد أن إسرائيل يمكن أن تكون أمة مثالية في العالم ككل، لا بمعزل عنه، ولا ضده. ما الفائدة من تقديم مثال يُنفر منه أولئك الذين سيستفيدون منه؟ ومع ذلك، مراراً وتكراراً، تم دفع المجتمع الإسرائيلي إلى الصراع مع العالم بسبب الامتيازات المتجاوزة للإنسانية للكهنوت السري.

جون أليغرو، وهو أكثر علماء مخطوطات البحر الميت استقلالية في التفكير، اكتشف الأجندة المزدوجة الضمنية في مهمة الشعب المختار. في كتابه "كشف لغز مخطوطات البحر الميت"، يقول إن "ما طلبه الله من اليهود لم يكن بناء مملكة سياسية تحت قيادة قائد حرب،

بل تشكيل مجتمع ثيوقراطي". [88]على وجه الدقة، لم يكن ما طلبه الله مجرد بناء مملكة سياسية، أي دولة إسرائيل المقدسة. أراد الله كلاً من المملكة القبلية ونواة المجتمع الثيوقراطي. أما الهدف الثاني فلم يكن ليتحقق في السعي الجماعي للشعب، بل فقط في البرنامج السري للصديقين، أي أكثر الناس استقامة، والمتشددين في استقامتهم. على مر التاريخ اليهودي، كان هناك توتر ملموس ومؤلم بين هذين العنصرين: الهدف المعلن المتمثل في إقامة مملكة سياسية إسرائيلية للشعب، والهدف الخفي لقلة صالحة أدى معيارهم للنقاء الخارق للطبيعة إلى عزلهم عن المجتمع الذي آواهم.

في عام 70 ميلادي، عندما دمر الجيش الروماني بقيادة تيتوس القدس، كان يتخذ إجراءً نهائياً وحاسماً ضد زعزعة استقرار الإمبراطورية بأكملها بسبب القومية المتشددة لجماعة منشقة، وهي طائفة الصادقين ذات النزعة الأخروية. وبما أن هذه الجماعة كانت مختبئة داخل المجتمع اليهودي ككل، فقد كان لا بد من ضرب أمة إسرائيل بأكملها من أجل القضاء عليها. سقطت قوة الإمبراطورية على يهودا وشتتت جميع اليهود، سواء كانوا من الصادقين أم لا، في منفى دام قرونًا من الأرض الموعودة.

لن يعودوا إلا في لحظة مصيرية، في العام الذي تأسست فيه دولة إسرائيل، عام 1948، بعد بضعة أشهر من اكتشاف مخطوطات البحر الميت.

---

* ______أستخدم مصطلح "الصادقي" (وهو مصطلحي المعتاد) للإشارة إلى الدائرة الداخلية من الكهنة اليهود المكرسين لأيديولوجية صادق المتمحورة حول ملكي صادق، ومصطلح "الصادقي" (وهو التهجئة العلمية المتعارف عليها) للإشارة إلى الحركة الثورية الفلسطينية المحيطة بتلك الدائرة الداخلية. انظر إلى المسرد.

* ______للاطلاع على السؤال الصعب حول الأصول التاريخية والجغرافية للحركة الغنوصية، انظر مقالتي على الرابط التالي:

.http://www.metahistory.org/GnosticOrigins.php

5

جنون مسياني

> إن الدير [في خربة قمران]، هذا البناء الحجري الذي يصمد، بين المياه المرة والمنحدرات الشاهقة، بفرنه ومحابره، وطاحونته وحفرته، ومجموعة أحواضه المقدسة وقبور الموتى غير المزخرفة، ربما يكون أكثر من بيت لحم أو الناصرة، مهد المسيحية.[89]

تقع خربة قمران، "أطلال قمران"، على بعد حوالي ثلاثين ميلاً شرق القدس، وتطل على البحر الميت. منذ عام 1947 وحتى أواخر الخمسينيات، أسفرت الحفريات في هذا الموقع المهجور عن كنز غير مسبوق من الكتابات القديمة. وشملت الاكتشافات أعمالاً كاملة مثل أقدم مخطوطة لإشعياء، بالإضافة إلى آلاف القطع الصغيرة بحجم الطوابع التي كان لا بد من ضمها بدقة، مثل قطع أحجية الصور المقطوعة. كُتبت المخطوطات بين عامي 250 قبل الميلاد و70 ميلادي، عندما دمر الجيش الروماني أورشليم في محاولة قمعية لقمع الثورة اليهودية. كان الهدف من الثورة هو إقامة دولة يهودية ثيوقراطية مستقلة في فلسطين، بما يتوافق مع العنصرين الأولين من عقدة المخلص. كان هذا هو هدفها السياسي والعسكري على الأقل. لكن طائفة خربة قمران كان لها أيضاً أجندة أخرى، وهي برنامج كارثي للعقاب النهائي، يتوافق مع المكونين الثالث والرابع من عقدة المخلص: مجيء المسيح والدينونة الأخيرة. إن المزيج القاتل من العوامل العسكرية والصوفية ليس غريباً على العالم الحديث، بالطبع. تمثل طائفة الصاديقيين في البحر الميت الشكل اليرقي لمتلازمة الإرهاب العالمي في عصرنا الحالي.

كُتبت المخطوطات على جلد معالج باللغتين العبرية والآرامية، مع بعض المدخلات اليونانية. وهي متنوعة للغاية في محتواها: قواعد الحياة المجتمعية، ورؤى نهاية العالم، وشروح مستفيضة، ومشاهد أسطورية، وأعمال فلكية (بما في ذلك برج المسيا)، والكلمات الأخيرة للعديد من الآباء، والمزامير، والطقوس الدينية، والحجج القانونية، والتعاويذ، والتقاويم. تتألف المواد من فئتين: الكتابية والطائفية. وتشمل الفئة الأولى، التي تمثل حوالي ربع المجموعة بأكملها، أجزاءً معروفة بالفعل من الكتاب المقدس العبري. إن النسخ القمرانية لهذه النصوص أقدم بألف عام من الكتاب المقدس الماسوري، وهو النسخة العبرية القياسية للكتاب المقدس المسيحي. والمثير للدهشة أن الكتاب المقدس الماسوري غالباً ما يتطابق حرفاً بحرف مع مخطوطات البحر الميت (DSS)، مما يشهد على مثابرة الكتبة اليهود على مدى قرون عديدة، ولكن هناك اختلافات كبيرة أيضاً. تمت ترجمة النسخة السبعينية اليونانية التي أنتجت في الإسكندرية بين عامي 250 و 100 قبل الميلاد من أصول عبرية كُتبت قبل عدة قرون، ثم فُقدت. تتفق نصوص قمران بشكل أوثق مع الترجمة السبعينية وغيرها من الترجمات اليونانية مقارنة بالكتاب المقدس الماسوري. وغني عن القول، أن مخطوطات البحر الميت كانت بمثابة كنز ثمين لعلماء الكتاب المقدس.

أما الثلاثة أرباع الأخرى من الوثائق التي عُثر عليها في خربة قمران فهي خاصة بالطائفة الدينية الصغيرة التي أنتجت المخطوطات. وقد أسفرت المواد الطائفية عن ما لا يقل عن ست نظريات تتعلق بتأليفها، لكن الطابع الصادقي للمخطوطات واضح بذاته، بغض النظر عمن قام بتأليفها. تنص قاعدة الجماعة، وهي الوثيقة التأسيسية للطائفة، بوضوح على الشروط المطلوبة من أولئك الذين يرغبون في أن يكونوا أعضاء: "ينفصلون عن جماعة القوم الباطلة ويتحدون، فيما يتعلق بالشريعة والممتلكات، تحت

سلطة بني صادوق" (1QS 5:1– 3). كتب مايكل وايز وروبرت أيزنمان أن المخطوطات "تحتوي على أثمن المعلومات حول أفكار وتيارات اليهودية والأخلاق التي أدت إلى ظهور المسيحية". إنها روايات شهود عيان حقيقية عن هذه الفترة ... إنها ليست أقل من صورة للحركة التي انبثقت منها المسيحية في فلسطين. [90]

باختصار، فإن أيديولوجية الصاديقيين الموجودة في المخطوطات تمثل البنية الأيديولوجية للدين المسيحي.

أدوار قمران

على الرغم من أن مواد مخطوطات البحر الميت غير تاريخية بمعنى أنها لا تصف أشخاصًا وأحداثًا محددة، إلا أنها تفتح نافذة على الفترة التاريخية الممتدة من 250 قبل الميلاد إلى 70 ميلادي، مما يسمح للباحثين بإعادة بناء أحداث تلك الحقبة الفريدة من الاضطرابات والتحولات. وبالتالي، فإن أدب البحر الميت يلقي بضوء جديد تماماً على حياة وأعمال يسوع التاريخي. بعض المواد مكتوبة بلغة مشفرة، وتستخدم الوثائق الرئيسية مثل قاعدة المجتمع أسماء مشفرة لأشخاص مختلفين مثل معلم البر، والمسيا، والكاهن الشرير، وأبناء صادوق، والكيتيم، ورجل الأكاذيب. يتولى أشخاص مختلفون هذه الأدوار على مدى سبعة أو ثمانية أجيال. كان أتباع الصادقين يرون أنفسهم يؤدون سيناريو مكتوبًا مسبقًا، حبكة تاريخية تعكس، كما اعتقدوا، عناية الله الآب. ومن المثير للدهشة أن تقلبات الحبكة لم تكن دائماً في صالح القلة الصالحة التي لعبت دور البطولة في الدراما التاريخية الملحمية لله.

كان معلم البر الشخصية الروحية الرائدة في طائفة الصادقية، وكان المسيا هو البطل العسكري والملك الذي سيؤسس مملكة إسرائيل تحقيقاً للخطة الإلهية. سيحدث هذا عندما يتم الإطاحة بالكتيم (الرومان) على يد أبناء صادوق، الثوار الغيورين (الصادوقيين) بقيادة المسيا. الحبكة هنا بسيطة بما فيه الكفاية، ولكن كان هناك تعقيد مثير للاهتمام. تشير المخطوطات مراراً وتكراراً إلى فعل خيانة من جانب رجل الأكاذيب، والذي يُطلق عليه أيضاً اسم المستهزئ، والمبصق، ورجل السخرية، والذي سيتسلل إلى العهد وينقلب عليه، مما سيؤدي إلى ضلال الكثير من بني إسرائيل. يتعين على معلم البر أن يفضح ويعارض رجل الأكاذيب، وفي الوقت نفسه، أن يقف في وجه الكاهن الشرير، رئيس الصدوقيين في هيكل القدس. كان المعلم الشخصية العامة الأكثر تبجيلاً لدى الصالحين. لقد مثّل معياراً أرثوذكسياً متشدداً لدرجة أن الصدوقيين المحافظين أنفسهم شعروا بالخوف منه، وقاوموه وحركته.

بسبب خيانة رجل الأكاذيب، هُزمت قضية الصادقين مراراً وتكراراً، وتأخر إقامة ملكوت الله في الأرض المقدسة مراراً وتكراراً. أسقط هذا النمط التاريخ على نهاية الزمان الأسطورية، حيث لم يعد انتصار المسيا وأبناء صادوق حدثًا محليًا في فلسطين، بل معركة عالمية تشمل الجيوش السماوية بقيادة قائد يُدعى ناسي، وهو ملكي صادق في دور المنتقم الخارق للطبيعة.[91] وكانت المعركة الأخيرة بين الله وبليعال، التي وضعت أبناء النور في مواجهة أبناء الظلام، الحدث الأبرز في الحبكة الرؤيوية للرؤيا الأخروية اليهودية. تم وصفها بشكل بياني في أعمدة مخطوطة الحرب التي عُثر عليها في قمران.

إن استخدام هذه الأسماء الرمزية هو الجانب الأكثر إثارة للاهتمام وكشفاً لمخطوطات البحر الميت. في تحليله الرائع للمخطوطات، يُبين هيو شونفيلد أن هذه التسميات يمكن تطبيقها على شخصيات تاريخية مختلفة، ولكن ليس بطريقة حصرية، تقتصر على شخص واحد لكل دور.[92]بعد عام 1991 عندما انفجرت فضيحة قمع الفاتيكان للمخطوطات، اتخذ روبرت أيزنمان الخطوة الحاسمة المتمثلة في تحديد الشخصيات التاريخية المحددة التي شغلت أدوار قمران في القرن الأول الميلادي. وقد اقترح أن معلم البر هو يعقوب البار، وأن الكاهن الشرير هو على الأرجح حنانوس، خصم يعقوب الرئيسي بين السنهدرين (المحكمة العليا) في معبد القدس. في خطوة مثيرة للجدل لا يزال العديد من العلماء يعارضونها، حدد آيزنمان مسيا طائفة الصادقين بأنه يسوع، شقيق يعقوب. كان أبناء صادوق، بالطبع، هم متمردو صادوق في قمران، وهي بؤرة البحر الميت، أي تلاميذ يسوع.

إن كون قمران موقعاً متقدماً للمقاتلين الذين يقاتلون لتحرير يهودا من الاحتلال الروماني وليس ملاذاً للمسالمين الذين يشبهون الهيبيين والذين يطلق عليهم اسم الإسينيين، كانت معلومات أخفاها فريق علماء المخطوطات الخاضعين لسيطرة الفاتيكان عن العامة. يبدو أن الصاديقيين كانوا متعصبين دينيين يمكن مقارنتهم بالإرهابيين المنتشرين في العالم اليوم. كانت الشخصية الرئيسية بين المتمردين في معسكر البرية هو قائدهم وبطلهم القومي يسوع، المرشح المسياني الذي قُدِّر له أن يصبح "ملك اليهود" ويحكم دولة إسرائيلية ثيوقراطية متحررة من الاحتلال الروماني. إذا كانت قراءة أيزنمان المثيرة للجدل للعهد الجديد صحيحة، لكان يسوع ليس حاخامًا متطرفًا يحمل رسالة حب لليهود والأمم على حد سواء، بل متمردًا سياسيًا، ياسر عرفات طائفة البحر الميت.

الانتفاضة اليهودية

كان المكابيون الذين أسسوا حركة المقاومة اليهودية في فلسطين قد أسسوا لفترة وجيزة نظامًا قوميًا في العصر الحشموني (165-63 قبل الميلاد)، لكنهم فعلوا ذلك إلى حد كبير ضد إرادة شعبهم. في القرن الثاني قبل الميلاد، كانت الجليل منطقة وثنية في الغالب. كان الدين المحلي يتمحور حول آلهة النباتات السومرية، إنانا ودوموزي، الإلهة وملك الرعاة، ونظائرهم العبرية هي أستيروث ويهوه. تجري تيارات أسطورية صامتة وعميقة. بعد قرون، عندما تم تأليف أسطورة المخلص المسيحي، تم قمع أستيروث تمامًا، وكان يهوه يتحول بسرعة من إله الرعد القبلي الكنعاني إلى مالك الأرض الغائب للكوكب بأكمله.

في صياغة الدين العبري ليتناسب مع عقدة المخلص، بذلت الكهنوتية اليهودية كل ما في وسعها لإنكار العناصر الوثنية والإقليمية في سيناريوها القبلي. أما كتّاب العهد الجديد الذين لم يكونوا مقيدين إلى هذا الحد، فقد أعادوا إدخال بعض العناصر الوثنية في صورتهم الخيالية للمعلم الشعبي وصانع المعجزات، والذي سيتم بعد ذلك وضعه في قالب المسيا اليهودي. عندما يتعلق الأمر بكتابة قصة ميلاد يسوع، تم وضعه في المذود حيث كان دوموزي، الراعي المتعب المحبوب من قبل الإلهة، ينام أحيانًا.

كان العديد من اليهود الفلسطينيين في تلك الحقبة يشعرون بالراحة مع آلهة كنعان الأصلية، لذلك كان لا بد من تحويلهم قسراً إلى الدين القومي المفروض في العصر الحشموني. كانت هناك موجة قصيرة من الحمى المسيانية عندما تم إعلان أورشليم عاصمة في عام 141 قبل الميلاد، ولكن بشكل عام، كانت

الغالبية العظمى من السكان اليهود تميل إلى التسامح مع الطرق الوثنية (إن لم يكن تقليدها). لقد فضلوا الاندماج في الثقافة الهلنستية التي سادت منذ أن استحوذ الإسكندر الأكبر على المنطقة في عام 332 قبل الميلاد، ومواصلة حياتهم بشكل طبيعي. لم يكن السعي وراء الأجندة المسيانية خياراً شائعاً في فلسطين. كانت تنتمي إلى مجموعة متشددة من أصحاب الرؤى الانتقامية والكارثية الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "أبناء النور". كان الجناح العسكري لهذه الحركة هم الغيورون، وهم مقاتلون وقطاع طرق كانوا على استعداد لقتل اليهود المتعاونين معهم كما كانوا على استعداد لقتل العدو، الكيتيم المكروه - وهي كلمة رمزية قمرانية للرومان. كان المرشدون الروحيون للغيورين هم الحسيديم، أي الأتقياء. لقد شكلوا الدائرة الثانية، أو الدائرة الباطنية، من طائفة قمران. في الدائرة الباطنية أو الداخلية كان يوجد الصادقين، وهم أيديولوجيون متطرفون حُفظت رؤاهم المروعة في مخطوطات البحر الميت.

في أي لحظة، لم يكن من الممكن أن يتجاوز عدد نواة الصاديقيين بضع مئات من الرجال، ومع ذلك فقد قادوا الحركة ومارسوا ضغطاً كافياً على المجتمع اليهودي لزعزعة استقرار فلسطين وتهديد وحدة الإمبراطورية. بلغ الضغط ذروته بعد عام 63 قبل الميلاد عندما ضم بومبي، الخصم اللدود ليوليوس قيصر، يهودا إلى روما. أنهى هذا الحدث فترة الاستقلال التي دامت مئة عام في أعقاب ثورة المكابيين. كان أثر هذا التحول هو تصعيد اليأس، مما أدى إلى إصابة حتى أفراد الشعب غير المتطرفين. في كتاب "الحروب اليهودية"، لاحظ المؤرخ يوسيفوس عن كثب الضرر النفسي: "على الرغم من أن اليهود كانوا يعتقدون أن يهوه سينقذهم، إلا أنه رفض باستمرار القيام بذلك، وكلما زاد شوقهم، زادت معاناتهم".[93]

لقد اكتشفنا هذا النمط الغريب من قبل: الخطة الإلهية مقدر لها أن تفشل كمشروع بشري حتى يمكن تحقيقها كدراما كارثية تتجاوز حدود البشر. وغني عن القول، إن هذا النوع من التفكير مصاب بالفصام ومربك للغاية. وصف المؤرخ المتخصص في المخطوطات، هيو شونفيلد، الأجواء الاجتماعية في ذلك الوقت قائلاً:

منذ عام 160 قبل الميلاد، نحن في عصر جديد، عصر من الحماس والتدين غير العاديين، حيث تم فيه استغلال كل حدث تقريبًا، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وفحصه وتحليله، لاكتشاف كيف وبأي طريقة يمثل علامة من علامات العصر ويلقي الضوء على اقتراب نهاية الزمان. كانت الحالة النفسية للشعب اليهودي برمتها غير طبيعية. قد تجد أغرب الحكايات والتخيلات مصداقية سريعة. ظهر نوع جديد من الأدب بأسماء مستعارة، جزء منه موعظة أخلاقية وجزء منه نبوءة نهاية العالم، وهو نوع من الخيال العلمي المسياني .[94]

"كانت الحالة النفسية للشعب اليهودي برمتها غير طبيعية." ومرة أخرى، يتضح عامل الإنحراف، بل ويصبح مهيمناً. يحدث هذا لأن شيئاً غير طبيعي، بل وغير إنساني، كان يُفرض على الشعب اليهودي من قبل الصادقين. بذل اليهود المعتدلون قصارى جهدهم الإنساني لمقاومة هذا التطفل. لقد صدوا حركة الصادقين وكشفوا الغيورين في وسطهم، مما أجبرهم على الفرار إلى معسكرات في البرية في يهودا وبالقرب من دمشق، حيث ذهب شاول صائد الجوائز للبحث عنهم وتصفيتهم. بقي يعقوب الصادقي، "البار"، في هيكل أورشليم. كان هو البقية الوحيدة المتبقية من "حزب المعارضة" في قمران، كما يسمي روبرت أيزنمان طائفة الصادقين في دراسته الضخمة، يعقوب، أخ يسوع.

اعتقدت طائفة قمران أنهم قادوا الانتفاضة اليهودية، وهي الانتفاضة ضد الاحتلال الروماني لفلسطين، وفي الوقت نفسه اعتقدوا بأمور أخرى ذات طبيعة صوفية وميتافيزيقية، لا علاقة لها بالتغيير السياسي. تصف مخطوطة الحرب، وهي واحدة من أوائل النصوص التي عثر عليها فلاحون بدو في صيف عام 1947، المواجهة النهائية بين أبناء النور وأبناء الظلام. إنها سيناريو للمعركة المروعة التي تتحقق فيها المهمة الفاشلة للشعب المختار في النهاية، ويتم فيها تبرير قضيتهم. ما بدأ بثورة المكابيين سينتهي بحدث سحري حيث سيتم إحياء القلة الصالحة، حتى لو قُتلوا على يد العدو، بواسطة يهوه وسيتم تبرئتهم بقوة ناسي، الشكل الكوني لملكي صادق. الثورة السياسية والبعث الجسدي كانا جزءًا من نفس الخطة الرئيسية. في الدراما النفسية التاريخية لنهاية العالم، تتكشف الأحداث التي تتكشف في زمن تاريخي خطي لتصل إلى ذروتها في نهاية الزمان، لحظة الحساب النهائي. تبدو مخطوطة الحرب وكأنها تدريب عسكري غريب ذو طابع احتفالي يهدف إلى إعداد القوات لذلك الحدث النهائي الذي يشبه الهلوسة.

حمى نهاية الزمان

لم تكن الرواية المقدسة للعبرانيين القدماء نصاً دينياً - ليس في البداية على أي حال. لم يصبح الأمر كذلك إلا بمرور الوقت عندما تحوّل المكون الثالث من عقدة المخلص، وهو المسيا، بشكل غريب. كما هو شائع في فهم رواية العهد القديم، فإن الصالحين هم المجموعة العرقية التي اختارها الله لتنفيذ خطته. قد يبدو هذا التصنيف شاملاً للأمة الإسرائيلية بأكملها، ولكنه في الحقيقة لا يشملها أبداً. منذ اللحظة الأولى لتاريخهم، يخضع العبرانيون لأجندة مزدوجة، كما أشار جون أليغرو. كان الأعضاء الأساسيون في طائفة البحر الميت، المعروفون باسم "الصادقين"، يعتقدون أن الشعب اليهودي ككل قد فشل في اتباع خطة الأب - فشل منذ البداية.

أطلق الصاديقون على أنفسهم اسم العهد، البقية الحقيقية الوحيدة من الشعب المختار الذين سيعيشون

مصيراً إلهياً. حتى لو لم يتم تأسيس مملكة إسرائيل بشكل حقيقي ووجودي وبشري، فعندما تأتي نهاية العالم، سينقذهم الله ويبرئهم من خلال استدعاء المسيا والقدوشيم، وهم جيش سماوي من الملائكة المحاربين المتوجين في مركبات مستديرة لامعة.

هم، أي الصادقين، وليس الشعب اليهودي ككل.

في أقصى حالاتها، لم يكن عدد أتباع طائفة البحر الميت يتجاوز عشرة آلاف، مع وجود ما يصل إلى ألفي عضو يعيشون في معسكرهم الرئيسي في البرية، وهو الموقع المحصن المطل على البحر الميت، على بعد حوالي ثلاثين ميلاً شرق أورشليم. وسكن آخرون في دمشق، التي كانت بؤرة للمعارضة الصديقية. كان عدد اليهود في مدينة الإسكندرية مسقط رأس هيباتيا أربعة أضعاف العدد الإجمالي للطائفيين المتطرفين في الشرق الأدنى، ولا بد أن السكان اليهود شكلوا نسبة كبيرة من الإمبراطورية الرومانية في تلك المنطقة. عندما تم قمع أيديولوجيي الصاديقيين وجناحهم العسكري المخيف، الغيورين، بوحشية في عام 70 ميلادي، تلقى جميع سكان اليهود في العالم الكلاسيكي الضربة. عند قراءة مخطوطات البحر الميت اليوم، قد يكون من الصعب فهم كيف ولماذا كانت حركة الغيورين الصاديقيين تشكل تهديداً كبيراً. يقدم نيل آشر سيلبرمان تشبيهاً مفيداً:

> إن رؤى المخطوطات، مثل رؤى دعاة نهاية العالم المعاصرين جيم جونز وديفيد كوريش، عن الجهاد الإسلامي والكاهانيين في الضفة الغربية، يمكن أن تتحول إلى أنظمة إباحية للعنف، يتم تنفيذها بتلذذ مروع بالدماء. أو بدلاً من ذلك، يمكن أن تصبح هذه الرؤى نقطة انطلاق لمزيد من الهلوسات الصوفية والرحلات إلى عوالم أخرى؛ طريق في البرية المنعزلة لنفسية الفرد. في رسالتها الكارثية التي لا هوادة فيها، تمنح المخطوطات صوتاً لمجموعة شعرت بالتهميش والإقصاء في عالم انقلب رأساً على عقب.[95]

في القرن الأول الميلادي، كانت الإمبراطورية الرومانية مهددة بحركة الغيورين بنفس الطريقة التي يهدد بها الإرهاب الديني العالم بأسره اليوم. كان هذا التشابه لافتًا للنظر للغاية بالنسبة لكاتب الخيال العلمي فيليب ك. ديك، الذي أدرج مواضيع غنوصية ويهودية ذات طابع نهاية العالم في العديد من رواياته، لدرجة أنه اقترح أن الزمن توقف في عام 70 ميلادي، تاركًا العالم عالقًا

في تلك اللحظة، يعيد تشغيل نفس السيناريو. "لم تنتهِ الإمبراطورية أبداً." [96]

يبدأ التاريخ اليهودي المقدس بفعل النفي، وهو دعوة إبراهيم للخروج من أور في بلاد الكلدانيين. القصة التي تلي ذلك هي حكاية "البرية المنعزلة للنفس" لمجتمع، وليس لفرد. على مر القرون، أنتج اللاوعي العرقي (أو النفسية الجماعية) لليهود، أولاً، الملك الممسوح. الملك اليهودي، الذي ينتمي إلى مؤسسة مستعارة، هو المسيا، وفقًا للمعنى الحرفي، "الممسوح". لكن الشخصية المسيانية تتغير مع إحباط الآمال الجماعية في تحقيق خطة الله، مرارًا وتكرارًا - وفي أغلب الأحيان، يكون ذلك على يد الله نفسه! يتحول المسيا من ملك حرفي إلى شخصية رمزية وصوفية تجسد المهمة الإلهية المحفوفة بالمخاطر لشعبه. ومع حدوث ذلك، يصبح أقل ارتباطاً بالنصر العسكري النهائي الذي سيؤمن الأرض المقدسة، وأكثر ارتباطاً

بنهاية العالم، ذروة الزمن التاريخي.

إن هذا التحول الأسطوري برمته مدفوع بالفشل واليأس، وهو عرض لما أسماه د. هـ. لورانس "مصير مؤجل". [97]في كتاب *"عقيدة المسيح"*، يشرح إريك فروم كيف أثر فشل التوقعات المسيانية بين اليهود على المسيحية: "بينما سعى الغيورون والسيكاري ["حاملو السكاكين"، المقاتلون المسلحون من أجل الحرية] إلى تحقيق رغباتهم في مجال الواقع السياسي، فإن اليأس التام من التحقيق دفع المسيحيين الأوائل إلى صياغة نفس الرغبات في الخيال".[98] إلا أن الحل الخيالي كان متأصلاً منذ البداية، وليس فقط بسبب استحالة الانتفاضة اليهودية ضد روما. إذا اعتبرنا الأمر بمثابة طرح تاريخي، فإن عقدة المخلص تتطلب هدفاً مستحيلاً حتى يتمكن الله من التدخل في الحدث التاريخي الحاسم، وهو نهاية العالم. يشهد جزء كبير من أدبيات مخطوطات البحر الميت على هذا المنطق الغريب.

إذ شعروا بأن يوم النصر لإسرائيل لن يأتي أبداً في الزمن التاريخي، تحول التوقع الجماعي إلى انتصار منتصر في آخر الزمان، في "نهاية الأيام"، *aharit-hayyamin* بالعبرية. هذا مصطلح قديم مشتق من مصادر أكادية. في الأصل، يبدو أنها كانت استعارة لنهاية دورة أو نمط معين من الأحداث، على غرار التغير الموسمي: نهاية أيام الصيف، على سبيل المثال. في الاستخدام الكتابي، تغير المعنى. وردت عبارة *"Aharit-hayyamin"* في سفر التكوين (49 :1) وفي سفر العدد (24 :14)، و"تحتوي كلتا هاتين الفقرتين على نصوص نبوية قديمة، والتي أشارت في الأصل إلى المستقبل، بمعنى غير محدد ولكنه محدود، ولكن أعيد تفسيرها وأعطيت معنى أخروياً في فترة ما بعد السبي، بحيث أصبح من المفهوم الآن أنها تشير إلى مرحلة نهائية وحاسمة من التاريخ".[99]

لقد ازداد التوقع لمسيا نهاية الزمان بشكل مطرد خلال فترة السبي البابلي (586-538 قبل الميلاد) عندما تم ترحيل العديد من اليهود، وخاصة الأكثر قوة وثراءً، إلى بلاد ما بين النهرين بعد سقوط أورشليم. عندما تم تحريرهم في عام 538 قبل الميلاد على يد الإمبراطور الفارسي كورش، عادت مجموعة متشددة إلى فلسطين وأعادت بناء هيكل سليمان. يمثل اكتماله في عام 516 قبل الميلاد بداية فترة الهيكل الثاني في التاريخ اليهودي. أدت هذه الأحداث مباشرة إلى عصر الأنبياء: إشعياء، حزقيال، دانيال، إيليا. يقول جون ج. كولينز، وهو المرجع الرئيسي في مجال الرؤيا اليهودية، إن "كتاب نهاية العالم ورثوا من الأنبياء الاعتقاد بأن الله سيتدخل في التاريخ في اللحظة الحاسمة ليحكم على العالم".[100]كان هؤلاء الكتاب من الكتبة الحاخاميين المكلفين بتجميع التوراة في أيام الملك المحارب يوشيا (حكم من 639 إلى 609 قبل الميلاد)، "الذي مهدت إصلاحاته الطريق لحيوية دينية ووطنية متجددة تطورت إلى جنون منتظم" في القرون اللاحقة.[101]

تذبذبت الحماسة الدينية صعوداً وهبوطاً مثل الأفعوانية، اعتماداً على الانتصارات العسكرية الإقليمية (والصغيرة نسبياً) للإسرائيليين. في عام 609 قبل الميلاد، خاض يوشيا معركة ضد الفرعون المصري نخو في مجيدو (2 ملوك 9 :27)، وهو مكان تم تحديده لاحقًا كموقع هرمجدون. في أي لحظة من التاريخ اليهودي، كانت الجوانب التاريخية والأسطورية للأحداث متداخلة بشكل وثيق، إن لم تكن مختلطة. أدى النفي إلى بابل في نهاية المطاف إلى تحطيم موجة الثقة الوطنية التي نشأت في عهد يوشيا. أكثر من أي حدث تاريخي آخر، غيّر السبي مصير بني إسرائيل وغير مفهومهم عن مهمتهم الإلهية.

خلال فترة السبي، استوعب العلماء والكهنة المكلفون بكتابة النص التوجيهي للمهمة الإلهية للشعب

المختار المذهب الفارسي للشر الكوني المنسوب إلى النبي الإيراني زرادشت. عند العودة إلى فلسطين في عام 538 قبل الميلاد، طرح المنظرون فكرة جديدة متطرفة للغاية عن نهاية العالم، والتي أكدت على المواجهة الكونية بين الخير، الذي يمثله بنو إسرائيل، والشر، الذي يمثله كل شخص آخر تقريبًا في العالم. وجدت هذه الرؤية تعبيرها النهائي في مخطوطة الحرب التي عُثر عليها في قمران. تفوح من لفافة الحرب رائحة الكراهية والانتقام مثل ضباب خانق من أبخرة الأمونيا، وهي مزيج غريب من ترتيل التدريبات العسكرية والرؤية الصوفية الشاملة. يصف هذا النص تكتيكات ساحة المعركة للمواجهة النهائية بين أبناء النور وأبناء الظلام. تُعد هذه المخطوطة واحدة من النصوص السبعة الأولى التي عُثر عليها في قمران، وقد تم تحديدها في البداية من قبل العلماء في اللحظة التي صوتت فيها الأمم المتحدة على تشكيل دولة إسرائيل في نوفمبر 1947. لم يغب عن بال الكثيرين ممن عاشوا تلك اللحظة الدرامية، سواء في إسرائيل أو في أماكن أخرى، رمزية هذا التزامن.

مخطوطة الحرب

تعتبر نسخ الأعمال النبوية لأخنوخ ودانيال وإشعياء وإرميا من أهم المواد الموجودة في مخطوطات البحر الميت. إنهم يعرضون النطاق الكامل للنزعة الأخروية للصاديقيين ويكشفون عن أصولها. المخطوطة 4Q201، كتاب المراقبين، هي نسخة من كتاب أخنوخ، وهو نبي مؤثر تم حذف كتاباته من العهد القديم. *
إن كتاب أخنوخ هو مصدر منحول أو خارج القانون لأسطورة النفيليم، أو المراقبين أو الملائكة الساقطين، والذي يبدو أنه يوازي أو يتداخل في بعض النواحي مع نص الأنوناكي من سومر. يقول سفر التكوين 5 أن الله نقل أخنوخ إلى السماء - وهو موضوع أسطوري يمهد لصعود المسيح. يرتبط النص 4Q385 ارتباطًا وثيقًا بمادة أخنوخ، ويقدم وصفًا لرؤية حزقيال لمركبة سماوية *(مركابا)*. كانت رؤية المركابا نموذجًا مهمًا للصديقيين، الذين توقعوا وصول أسطول المركبات التي يقودها الملائكة، القدوشيم، في اللحظة الأخيرة وإنقاذهم من أعدائهم. في العهد القديم، يعلن سفر حزقيال 37 وعد يهوه بإنقاذ جلود القلة الصالحة:

> هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا يهوه عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي.

لقد تبنى الثوار اليهود الراديكاليون، المكابيون، هذا المفهوم الحرفي للقيامة الجسدية لتعزيز عزيمتهم في الثورة الحاسمة عام 168 قبل الميلاد، وهي اللحظة التي كُتبت فيها أقدم مخطوطات البحر الميت.

كان كتابا المكابيين، اللذان يتألفان إلى حد كبير من مواد تاريخية قابلة للتحقق، مدرجين في نهاية العهد القديم، ولكن تم حذفهما لاحقًا. هذا أمر مؤسف، لأنها توفر رابطاً متيناً بين العهد القديم والعهد الجديد. يمثل تمرد المكابيين بداية اضطرابات سياسية خطيرة في فلسطين بسبب تحريض الجماعات المتطرفة والجماعات ذات النزعة الكارثية، حيث تعتبر جماعة الصديقين أسوأها وأكثرها تطرفاً وتشدداً وكراهية للجماع. تصاعدت الاضطرابات الاجتماعية والدينية لمدة 134 عامًا (ما يقرب من خمسة أجيال) وبلغت

ذروتها في ثورة عام 66 ميلادي، ليتم سحقها بالتدمير الشامل لأورشليم بعد أربع سنوات. اشتعلت شرارتها لفترة وجيزة في عام 86 ميلادي في ماسادا حيث صمد ألف من المتعصبين الغيورين، بمن فيهم النساء والأطفال، في وجه الفرقة الرومانية العاشرة المكونة من خمسة عشر ألف جندي لمدة عامين تقريبًا. وأخيراً، عادت للظهور في عام 132 ميلادي في الانتفاضة المخطط لها جيداً لشمعون بار كوخبا، الذي استرشد بنبوءة "النجم والصولجان" التي ألهمت أتباع قمران. كان آخر مسيا متشدد في سلالة أصحاب الرؤى الصاديقية.

كان المكابيون وخلفاؤهم في الثورة اليهودية مقاتلين وإرهابيين ربما اعتقدوا أو لم يعتقدوا أن يهوه سيقيمهم من قبورهم. لم يكن القيامة الجسدية اعتقادًا شائعًا بين اليهود المعتدلين؛ بل كانت عقيدة سرية للصديقين. يؤكد جزء DSS 4Q521، المسمى "نهاية العالم المسيانية"، قدرة الرب على "شفاء الجرحى وإحياء الموتى" - وهي كلمات مطمئنة لجماعة متمردة صغيرة كانت معارضتها العنيفة للآلة العسكرية الرومانية وصفة أكيدة للانتحار.

إن القيامة الجسدية والنقل إلى السماء هما بالطبع من المعتقدات الشائعة لدى ملايين المسيحيين الأصوليين المعاصرين والمورمون، الذين ينتظرون بفارغ الصبر "الاختطاف"، عندما يتم تدمير العالم ويرفعهم الله إلى السماء. (إن الجهاديين المسلمين الذين يتوقعون أن يتم نقلهم فوراً إلى الجنة إذا ماتوا دفاعاً عن الإسلام يمثلون شكلاً مختلفاً من نفس الاعتقاد.) يعتقد المؤمنون أنهم يتبعون تقليداً مسيحياً "طبيعياً" نشأ من أصول متواضعة في الديانة اليهودية، لكن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. ربما يصاب المتشددون المتدينون في الولايات المتحدة بالدهشة عندما يعلمون أن توقعاتهم العزيزة لم تكن سوى هاجس نادر لدى طائفة منشقة من المنبوذين الغاضبين، تشبه طائفة ديفيديين في واكو، تكساس.

أو ربما سيسعدون بذلك.

تستمد الأيديولوجية الأساسية للمسيحية الأصولية الحديثة من "الصديقين" في البحر الميت وليس من الدين اليهودي السائد. القيامة في شكل مادي مطابق للجسد الحي (على عكس نوع من استمرارية حياة النفس)، والنقل إلى السماء، وتدخل الله الآب في التاريخ، والمعركة ضد الشر الكوني التي تنتهي بيوم القيامة، والعقاب الإلهي - كل هذه المعتقدات تعكس "الصادق"، المعيار الخارق للطبيعة. في طائفة البر التي قادها ملكي صادق، اجتمعت العناصر المتشددة والصوفية لتشكل مزيجاً مميتاً ومتفجراً. دمرت طائفة الصادقين نفسها بنفسها من خلال إنزال القوة العسكرية للإمبراطورية الرومانية على نفسها وعلى المجتمع اليهودي بأكمله، لكن برنامجهم نجا وتحول إلى ما أصبح فيما بعد المسيحية الرومانية. أصبح أعداء النظام هم النظام نفسه.

هكذا يتم نقل السلطة في علاقة الضحية بالجاني.

---

* يتعرف العلماء على آلاف شظايا مخطوطات البحر الميت من خلال الحرف Q الذي يرمز إلى قمران، ورقم يشير إلى الكهف الذي تم العثور فيه على المواد، ورقم لاحق للإشارة إلى تسلسل الفهرس: 4Q201 هي الشظية رقم 201 التي تم فهرستها من الكهف رقم 4.

6

التحول

في غضون قرن من تدمير أورشليم، انتشر مجمع المخلص الفلسطيني إلى أوروبا عبر روما. من أجل تبشير الشعوب الوثنية في العالم القديم، كان لا بد من إخفاء الصورة المتشددة لمسيح الصادقين في شخصية تبدو بريئة، "يسوع اللطيف، الوديع والمتواضع". كان الجنون المسياني الذي هز فلسطين لقرون غريباً على النفسية الأوروبية. ولكي يتم نقلها إلى أوروبا وفرضها على الشعوب الأصلية، كان لا بد من حدوث تحولات أخرى في عقدة المخلص، وخاصة المكون الثالث، وهو المسيا الذي أرسله الآب لضمان خلاص القلة الصالحة.

"الاثنا عشر"

لم تكن الحمى الشديدة للتوقعات المسيانية في العالم الكلاسيكي في فجر عصر الحوت (حوالي 120 قبل الميلاد) عالمية، كما يميل العلماء إلى افتراضه. كانت هذه الظاهرة في الغالب ظاهرة تخص سكان المدن من العبيد الذين سعوا إلى التحرر من وضعهم الاجتماعي المتدني، معتقدين أنهم يستطيعون أن يشهدوا تغييراً مفاجئاً ومذهلاً في مصيرهم من خلال تبني عقيدة الخلاص الجديدة. في الواقع، كانت المسيحية المبكرة حركة شيوعية لا تمانع في استخدام العنف والإكراه النفسي لتحقيق غاياتها. يتناول إريك فروم هذا الأمر على هذا النحو في دراسته المتعمقة، ″عقيدة المسيح″. يقوم د. هـ. لورانس بنفس المقارنة في عمله الأخير، نهاية العالم، الذي استشهدت به في جميع أنحاء هذه الصفحات. وقد لاحظ علماء قمران أيضاً وجود عناصر شبيهة بالشيوعية في قواعد وممارسات طائفة البحر الميت: إلغاء الملكية الخاصة، والتصنيف العسكري للأعضاء، والمطالبة بالزهد الشخصي. يمكن تشبيه المشرف الصارم على طائفة قمران، أو ما يُعرف بالمقابة، بقائد بلشفي. يمكن تصور معلم البر في قمران على أنه متشدد عقائدي مثل لينين، وهو رجل كان مقدراً له أيضاً أن يخون. ويمكن استخلاص أوجه تشابه أخرى.

ليس من قبيل المصادفة أن إدموند ويلسون، الذي كتب أحد أقدم وأفضل الكتب عن مخطوطات البحر الميت، كتب أيضًا كتاب ″إلى محطة فنلندا″، وهو سرد رائع للأصول الأيديولوجية للثورة الروسية. ولا يتوقف التشابه بين الثورة اليهودية والثورة الروسية عند هذا الحد. في الفترة الطويلة والمليئة بالتوتر التي سبقت الثورة، استلهم المثقفون الروس في سانت بطرسبرغ وموسكو من الفيلسوف الصوفي فلاديمير سولوفييف (1853-1900)، الذي أضفى تأثيره طابعًا مسيحيًا قويًا على السياسة الروسية. كان سولوفييف، الذي توفي في نفس الشهر والسنة التي توفي فيها نيتشه، معروفًا على نطاق واسع بلقاءاته الثلاثة الرؤيوية مع صوفيا الإلهية، ومفهومه السامي عن ثياندروس، "الإنسانية الإلهية". للوهلة الأولى، تبدو هذه مواضيع غنوصية، وربما كان سولوفييف غنوصيًا بالفطرة، لكنه اعتبر تجاربه ضمن إطار الدين الأرثوذكسي اليوناني بشكل صارم. تحت تأثير معلمه، نيكولاي فيدوروف، وهو عالم زاهد كان يؤمن بالقيامة الجسدية للطبقات المضطهدة في العالم، طرح سولوفييف فلسفة معقدة جعلت المسيح وصوفيا محور التطور الجماعي للبشرية. كما تنبأ سولوفييف بظهور المسيح الدجال وغزو جحافل صفراء من الشرق ستجتاح

أوروبا. تُظهر فلسفته جميع العناصر الأربعة لعقدة المخلص في مزيج سلافوفيلي غريب.

كان اثنان من أكثر تلاميذ سلوفييف إخلاصاً من العباقرة الشباب في النخبة المثقفة الروسية: أندريه بيلي وألكسندر بلوك، وكلاهما ولد عام 1880. بيلي - مؤلف رواية سانت بطرسبرغ، وهي رواية رمزية مصنفة كتحفة عالمية على مستوى جويس ومان وبروست - انخرط بعمق في الباطنية المسيحية لعالم الخوارق النمساوي رودولف شتاينر. أصبح بلوك أحد أعظم الشخصيات الأدبية في روسيا في القرن العشرين. قام بتأليف قصيدة بعنوان "الاثنا عشر" (1918)، وهي واحدة من أكثر الأعمال إثارة للدهشة والجدل في مجمل الأدب الروسي. يصف هذا النص المسيرة الرسمية التي قام بها اثنا عشر بلشفيًا، وهم رجال معروفون بارتكابهم جرائم الاغتصاب والقتل، على شكل حرف V، حيث كانوا يقومون بدوريات في شوارع بتروغراد وسط عاصفة ثلجية شتوية عاتية. تقارن القصيدة البلاشفة بالرسل الاثني عشر. في مقدمة الصف يتقدم شخص طويل القامة لا يتزعزع: يسوع المسيح.

قد تبدو روسيا في القرن العشرين بعيدة كل البعد عن فلسطين في القرن الأول، ولكن ربما ليس الأمر كذلك. إن إحداثيات المكان والزمان هي مجموعات فارغة في المشهد الحالم السائل للنفس البشرية. ألف عام هي مجرد طرفة عين في عين العقل الجمعي. يمكن مقارنة الطريقة التي ركزت بها النفسية الروسية على المسيح باعتباره القائد الروحاني للثورة بالطريقة التي أثر بها المسيح الفلسطيني على الشعوب الأصلية في أوروبا، قبل ستة عشر قرنًا. مع ذلك، ثمة فرق شاسع: يبدو أن النفسية الروسية قد أنتجت بشكل عفوي المنقذ الوهمي للثورة، ولكن في أوروبا كان لا بد من فرض المسيح بوحشية على الشعوب الأصلية. التبشير عملية إكراه واستمالة. يتحول الناس إلى دين آخر من أجل البقاء في النظام الاجتماعي السائد. إذا بدا أنهم يخضعون لتحول حقيقي يركز على النفس، فهذا في الواقع مقياس للتكيف النفسي أكثر من التحول الروحي. (يكرر المؤرخون بملل حكايات عن كيف أن الشعوب الوثنية، بعد فترة طويلة من اعتناقها للدين، لا تزال متمسكة بطرق أجدادها.) ما لم تكن هناك قوة داخلية للمقاومة، أو مناعة نفسية إن صح التعبير، فإن النفس الفردية ستتكيف مع ضغط الخيال الجماعي. سيصبح ما يؤمن به وينسى ما يعرفه.

قد يكون رواية "اثنا عشر" لبلوك بمثابة تحول متأخر للغيورين من البحر الميت. إنهم متشددون متطرفون يقودهم محارب مسياني لا يرحم. فيما يتعلق بالنفس البشرية (بغض النظر عن العرق أو العمر)، فإن ما يخرج هو ما دخل. كان الأمير فلاديمير من كييف حفيد روريك، المؤسس التقليدي للدولة الروسية. ولد فلاديمير عام 956، وتولى حكم ما سيصبح الإمبراطورية الروسية عام 980. كان طاغية عدوانياً وسّع إمبراطوريته من خلال سلسلة من الفتوحات القوية. في عام 988، عقد تحالفاً عسكرياً مع الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني، وتم توطيد هذا التحالف بالزواج من أخت الإمبراطور، آنا. وفي المقابل، وافق على اعتناق المسيحية. على غرار قسطنطين قبل ستة قرون، اعتنق فلاديمير المسيحية فقط لتحقيق مكاسب سياسية. تقول الحكاية الخرافية التي يرويها المؤرخون عادةً: "بمجرد أن اعتنق الأمير الدين الجديد، تبعه الناس طواعية". يا له من أمر رائع بالنسبة لهم جميعاً. يمثل تحول روسيا في عهد فلاديمير عام 988 أعمق انحدار لعقدة المخلص الفلسطيني إلى المناطق النائية في آسيا.

كلما تعمقت في نفسية شعب ما، كلما كان الارتداد أقوى. إلى جانب الإمبراطورية الرومانية، لم يشهد العالم سوى عدد قليل من الأنظمة الاستبدادية المطلقة والدائمة مثل السلالة المسيحية التي أسسها فلاديمير. لقد اعتنق الشعب الروسي المسيحية تحت وطأة الإكراه والضغط والتخويف والتهديدات بالموت والهلاك. لقد تم حشر المسيا الصادقي في أفواههم، وإذا به يظهر مرة أخرى في عام 1918، نحيفًا، ذو عيون

فولاذية، ومتعطشًا للانتقام.

من ملكي صادق إلى الملك اليهودي إلى المسيا الصادقي إلى يسوع المسيح —هذا طريق طويل وشاق، وهو تغيير يتطلب تركيزًا استثنائيًا من أمثالنا، الذين لا يستطيع الكثير منهم البقاء في اللحظة الحالية لمدة ثلاث دقائق في كل مرة. لكن في سلسلة متصلة من النفس البشرية، تجتاز عقدة المسيا القرون مثل حجر يقفز فوق الماء. إن التموجات التي تحدثها هي موجات من التغيير التاريخي، تشكل وتذيب الملامح الكبيرة للمجتمع البشري. ما نحتاج إلى فهمه بشكل حيوي - الآن بعد أن أصبح هناك عدد من المسيحين المتشددين يجوبون الأرض - هو كيف يمكن للرؤية المختلة عقلياً والمعادية للجنسانية لدى الصادقين أن تنتج يسوع المحب الذي ذكره الإنجيليون.

كان المسيح الصادقي شخصية سياسية محاطة بهالة صوفية. لقد كان بالضبط ما كُتب على اللوحة الموجودة على الصليب: "ملك اليهود". أو على الأقل كان يريد أن يكون كذلك. إن لم يكن إرهابياً بنفسه، فقد كان محاطاً ومحمياً من قبل الإرهابيين. كان شمعون الصخرة مقاتلاً لا يُستهان به. كان يهوذا "الإسخريوطي" يُطلق عليه هذا الاسم لكونه أحد السيكاريين، وهم قتلة اشتهروا بخفائهم في استخدام السكاكين.[102] وقد قام الغيورون بقطع حناجر اليهود والرومان على حد سواء في حملتهم لتحرير الأرض الموعودة. أدخل اليهود الصلب فقط ليجدوا أن الرومان قد تبنوه واستخدموه ضدهم.[103] إن الأدلة المستقاة من مخطوطات البحر الميت تدعم تسييس روبرت أيزنمان للأناجيل بشكل أقوى وأكثر اتساقًا من أي قراءة أكاديمية أخرى للصديقين والثورة اليهودية.

لكن كيف في خضم كل هذا، يظهر يسوع (يشوع، لنعطي اسمه اليهودي الصحيح) كمعالج ومعلم لطيف، ورسول إلهي أو موحى به إلهياً لمحبة الله؟

تحويل البرابرة

في كتابه "يسوع الساحر"، جادل الباحث في مخطوطات البحر الميت، مورتون سميث، بأن يسوع الأناجيل في عصره وبيئته كان من المستحيل تمييزه عن صانع معجزات شعبي أو معالج بالإيمان. على الرغم من أن المسيح الفلسطيني بشخصيته الحقيقية والأصلية كان غريباً تماماً عن المخيلة الأصلية للشعوب الأوروبية، إلا أن شخصية يسوع الساحر قدمت مزايا لأولئك الذين نشروا الإيمان الجديد. بسبب خصوبة وانفتاح حياتهم النفسية والخيالية، كان الأوروبيون يميلون إلى رؤية يسوع كنسخة من آلهتهم الأصلية وأبطالهم الشامانيين، معالجًا نفسيًا مثل أولئك الذين عرفوهم. كان التحول واسع النطاق للسكان الأصليين أكثر نجاحًا عندما أقنع المبشرون مثل أولفيليس، أسقف آريوس للقوط (حوالي 311-حوالي 383 م)، "البرابرة" في المناطق النائية بأن يسوع والمسيح ليسا سوى أسماء مختلفة لشامانهم أو آلهتهم القبلية. حدث الشيء نفسه في أيرلندا حيث تم ربط الآلهة الكلتية الأصلية مثل إينغوس بالمسيح. بحسب الرواية التاريخية، التي تُفضل المنتصرين، فإن تحول الشعوب البربرية حدث بشكل شبه معجزة، كما لو أنهم وجدوا في يسوع المسيح الهوية الحقيقية لآلهتهم الأصلية.

لكن الحقيقة كانت مختلفة تماماً. كانت الرسالة الخلاصية المرتبطة بيسوع المخلص شيئًا كان من الأفضل للسكان الأصليين قبوله، وإلا سيتحملون العواقب. كان خطر المسيا الخارق المدعوم بإله أب منتقم

يلوح في الأفق خلف وعد الحب المتجسد في شخصية يسوع. غالباً ما تضمنت عمليات التحول التي قام بها القديس باتريك وغيره من المبشرين معارك سحرية أو مسابقات شامانية انتصر فيها القديسون، وبالتالي أطاحوا بالسحر الأصلي. كانت هذه المعارك مجرد خرافات كتبها رهبان مسيحيون في العصور المظلمة، استندوا إلى التراث الشعبي المحلي في عملية محوها. لقد نجحت القصص بشكل جيد مع الأشخاص السذج الذين اعتمدت ثقافاتهم الشفوية على رواية القصص من أجل استمرارية الأجيال، لكن هذا وحده لا يمكن أن يفسر انتصار النظام السياسي والعسكري المرتبط بيسوع المسيح ورسالة الخلاص. إلى جانب قصص المعجزات الجديدة والتخفيف من حدة دور المخلص الزائف، كان هناك الكثير من الإنفاذ الوحشي. كلما زادت مقاومة السكان الأصليين، زادت حدة تطبيق القانون.

كان لـ"تحول" أوروبا الوثنية إلى المسيحية ميزة أخرى. لم يكن لدى الأوروبيين مقاومة نفسية فطرية تذكر أو معدومة لفيروس أيديولوجي لم يواجهوه من قبل - تمامًا كما حدث لاحقًا في الأمريكتين حيث استورد المستعمرون والمبشرون الأوروبيون، وأحيانًا نشروا عمدًا، مجموعة من الأمراض البيولوجية التي لم تستطع السكان الأصليون مقاومتها. بحلول الوقت الذي أدرك فيه السكان الأصليون أن يسوع ذو النزعة المعتدلة جاء بمجموعة غريبة من القواعد وأجندة غريبة ذات أصل متجاوز للدنيا، كان قد تم حسم الأمر، وتم وضع نظام تحكم اجتماعي قاسٍ. ومع ذلك، استمر الأوروبيون الأصليون في مقاومة التحول الديني لعدة قرون، وغالباً ما كانوا يتظاهرون بالقبول بينما يصرون على عاداتهم الأصلية. سرعان ما يتعرف السياح المثقفون في أوروبا اليوم على أمثلة من التقاليد الأصلية المخفية في المواقع والمزارات المسيحية: مغارة الإلهة السوداء المتخفية في صورة مزار للعذراء؛ والينبوع السحري المرتبط زوراً بقديس مسيحي؛ والكاتدرائية أو الكنيسة المزينة بالرموز الوثنية؛ وما إلى ذلك.

دعوة للكمال

بالنسبة للعبرانيين القدماء، بالطبع، لم يكن هناك أي سؤال حول التحول الديني.

لم يكن من الضروري تحويلهم إلى القناع الديني لمتلازمة الضحية والجاني لأنهم كانوا شعبًا محددًا بها منذ البداية. باعتبارهم جماعة مختارة ذات تقاليد مقدسة فريدة، فقد تم تمييزهم عن السكان الأصليين لكنعان حيث هاجر إبراهيم بأمر من إلهه الأبوي. ما واجهه بنو إسرائيل لم يكن التحول الديني، بل كان الطلب على الامتثال المطلق لإرادة الخالق. منذ نشأتها، عانى المجتمع الإسرائيلي من الشعور بالذنب لأنه لم يكن قادراً على الالتزام بالقواعد الصارمة التي يمليها يهوه. أولئك الذين تم اختيارهم شعروا بأنهم غير جديرين بهذه الدعوة. ومما زاد الطين بلة، أنهم كانوا مقيدين بـ "الدعوة اليهودية للكمال"، كما يسميها المؤرخ الثقافي جورج شتاينر.[104] صدرت الدعوة للكمال الخارق من ملكي صادق، لكنها ظلت في الخلفية، كأمر خفي لم يعرف إنجازه إلا القليل جدًا.

وهكذا كان اليهود القدماء مثقلين بعبء مضاعف: فقد كانت لديهم مهمة إلهية يجب عليهم إنجازها، ومع ذلك، في الوقت نفسه، كان نضالهم الجماعي بأكمله بمثابة واجهة لبرنامج سري يقوده الصادقين، وهم الكهنة الغامضون لملكي صادق. كان من المستحيل بشريًا الالتزام بتعاليم يهوه بأمانة كاملة. لا يحتوي سفر اللاويين على التعليم الأساسي الذي قيل خطأً أنه نشأ مع يسوع، "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ (19 :18)"، بل إنه يصف أيضًا أكثر من ستمائة قاعدة دقيقة للسلوك الاجتماعي والجنسي والأخلاقي والصحي والغذائي. كان من المفترض أن يمارس اليهود فقط كل من حب الجار/القريب ومجموعة القواعد. كان هذا طلباً كبيراً، لكن الرغبة في الامتثال هي ما يهم، وكان من الممكن تصور درجة قصوى من الطاعة. كان بإمكان الجماعة أن تصل إلى توافق وثيق مع متطلبات الله، لكن ذلك لم يكن ليحدث لأن برنامج الصادقين طالب بمعيار من الكمال المتعالي الذي لا يمكن لأي إنسان أن يتوافق معه.

على الرغم من أنها تبدو وكأنها تكليف من الله، إلا أن الدعوة للكمال هي في الواقع دعوة إلى الجنون والفناء الذاتي.

العدوى الفيروسية

دعونا نتذكر أن الخطة الإلهية بالنسبة للعبرانيين القدماء اتخذت شكلاً غريباً انعكس في كتابة الكتاب المقدس بعد السبي البابلي (586-538 قبل الميلاد). دمج التاريخ اليهودي السيناريو الفارسي للشر الكوني مقابل الخير الكوني مع مصير قبيلة سامية صغيرة، هي قبيلة الإبيرو، والتي تعني حرفياً "رعاة الحمير". في النص التوجيهي الذي كتبه الكتبة الأرثوذكس المتشددون في فترة الهيكل الثاني (بدءًا من 516 قبل الميلاد)، تحولت شخصية المسيا العلماني، الملك اليهودي، بشكل غريب. كانت جماعة كهنة صادق السرية، من نسل ملكي صادق، هي التي تدير عملية التحول بطريقة "عمليات سرية". ومع تزايد استحالة خطة الله، أصبح سيناريو نهاية العالم اليهودي أكثر تطرفاً وتفصيلاً. كتب د. هـ. لورانس عن سفر الرؤيا، الذي أطلق عليه اسم "قبلة الموت" للعهد الجديد، ونظر في كيف "أصبح اليهود شعبًا ذا مصير مؤجل" (المذكور أعلاه). كانت مهمة الأنبياء مثل حزقيال ودانيال، والكتاب الذين استلهموا منهم في كتابة رؤيا نهاية العالم، هي "رؤية النصر الخارق للأرض للمختارين".[105] كلما قل احتمال أن يكون لبني إسرائيل مملكتهم الخاصة في الأرض المقدسة، كلما زادت الحاجة الملحة لإيجاد حل خارق للطبيعة لخطة الآب.

لكن لم يوافق جميع أفراد المجتمع اليهودي المنتشر في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية على

الخطة. في الواقع، كانت المقاومة له أكبر في فلسطين حيث كان العديد من اليهود راضين بممارسة طقوسهم بهدوء واعتدال، ويعيشون على علاقات وثيقة وودية مع جيرانهم الوثنيين. بعد السبي، بقي العديد من اليهود طواعية في بابل، بعد أن تم استيعابهم بنجاح في تلك الثقافة. في ظل السلالة الحشمونية التي أسسها ثورة المكابيين، كان لا بد من تهويد شعب يهودا بالقوة، وعندما رفضوا الامتثال، دمرت جيوش الملك اليهودي مدنهم. وبشكل عام، كان اليهود في فلسطين القديمة يميلون إلى العيش في تعايش سلمي مع جيرانهم غير اليهود. في الواقع، كان الاندماج هو الموهبة البارزة لليهود الساميين في جميع أنحاء الإمبراطورية. بفضل اندماجهم في ثقافات متنوعة في العديد من المناطق، تمكنوا من الحفاظ على معتقداتهم وقواعد حياتهم، ومع ذلك استطاعوا التعايش والازدهار مع بقية العالم. لكن مطلب حركة الصادقين الغيورين منع اليهود المؤمنين بيهوه من تقديم تنازل للأمميين والوثنيين. كانت الطائفة المتطرفة في البحر الميت ملتزمة بالعنف (حماس باللغة العربية) لفرض أجندة معادية للجماعات القومية على شعبها.

منذ زمن المكابيين (168 قبل الميلاد)، ومع الانتقال إلى عصر الحوت، تصاعدت التوقعات المسيانية بشكل حاد في جميع أنحاء الإمبراطورية. كان كثير من الناس، بمن فيهم اليهود المتدينون، راضين بقبول فكرة ظهور العديد من المسيا كمرشدين روحيين ومعلمين أخلاقيين ومصلحين سيواجهون مظالم الإمبراطورية. لكنّ الصدّيقيين كانوا مصممين على انتصار مسياهم على جميع الآخرين. إن الوجود العنيد للطائفة الراديكالية الصغيرة في فلسطين هدد بزعزعة استقرار الإمبراطورية وجلب حزنًا هائلاً على المجتمع اليهودي ككل.

وكما اتضح، فإن الحل الخارق للطبيعة الذي قدمه الصادقين لم يحدث قط، ولكنه تحقق بطريقة أخرى في المسيحية. لقد اعتدنا على رؤية الشذوذات في سياق "التاريخ المقدس" للعبرانيين القدماء، لكن الشذوذ الأكبر على الإطلاق كان لم يأت بعد. كيف تحوّل الملك اليهودي، إلى مسيا نهاية العالم في مخطوطات البحر الميت، إلى المخلص الإلهي، يسوع المسيح؟ أقترح أن أطلق على هذا التطور المهم اسم التحول - العملية التي توسع من خلالها برنامج الصادقين من بيئة طائفية ضيقة إلى طليعة التاريخ العالمي.

يمكن تشبيه عملية التحول بدخول فيروس إلى مجموعة ناقلة حيث ينضج ويتقوى، ويصبح أكثر ضراوة حتى اللحظة التي ينفجر فيها في انفجار وبائي.

في الواقع، كان تشبيه الفيروس شائع الاستخدام في فجر المسيحية. في عام 50 ميلادي، كتب الإمبراطور كلوديوس إلى جماعة اليهود الإسكندريين حول الخطر الناجم عن الطوائف المتطرفة في فلسطين ومقاطعة سوريا المجاورة، التي كانت يهودا تنتمي إليها. وحذرهم من أن يكونوا شركاء في "آفة تهدد العالم بأسره".[106] لم يكن كلوديوس في حالة ذعره يهاجم اليهود الذين خاطبهم، لأنهم كانوا جزءًا قيّمًا ومندمجًا جيدًا في الإمبراطورية. كان يحذرهم من شيء ما يظهر في مجتمعهم العرقي. يجب القول إن السلطات الرومانية كانت تتوقع حدوث مشاكل من هذا الاتجاه منذ فترة طويلة. في وقت مبكر يعود إلى عام 161 قبل الميلاد، أي بعد أربع سنوات فقط من ثورة المكابيين، أنشأ اليهود الفلسطينيون سفارة في روما تحت قيادة رجل يدعى يهوذا. لكن بعد عشرين عاماً، أغلق هيسبالوس السفارة، وطُرد اليهود من روما، حيث اعتُبرت معتقداتهم المتشددة تهديداً للأمن العام. إن ضم يهودا من قبل بومبي، خصم قيصر، في عام 54 قبل الميلاد، سيثبت أنه حدث مصيري للغاية لكل من الإمبراطورية وبني إسرائيل. عكست رسالة كلوديوس، التي كُتبت بعد قرن من الزمان، التصور المتزايد بأن الإمبراطورية كانت في فلسطين تُخفي بذور دمارها.

رجل الأكاذيب

كانت مسيرة بولس، الذي كان يُعرف سابقًا باسم شاول الطرسوسي، قد بدأت للتو عندما كتب كلوديوس رسالته مستخدمًا مصطلح "آفة"، أي الطاعون. يكشف سفر أعمال الرسل 24: 5 عن لغة مماثلة عندما اتُهم بولس أمام الحاكم الروماني فيلكس في قيصرية: "فَإِنَّنَا إِذْ وَجَدْنَا هذَا الرَّجُلَ مُفْسِدًا وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ، وَمِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ." ومثل الكثير مما ورد في سفر أعمال الرسل والأناجيل، فإن هذا الاتهام غير مفهوم إلى حد كبير بدون المفتاح الذي توفره مخطوطات البحر الميت. بصبر لا ينضب وشرح دقيق للنصوص، أظهر روبرت أيزنمان أنه من الخطأ تمامًا أن نتصور أن بولس كان يبشر بالمسيحية على هذا النحو بأي شكل من الأشكال. تؤكد الحقائق التاريخية المعروفة في ذلك الوقت، بما في ذلك تقارير شهود العيان، ما يمكن استخلاصه من خلال الاستدلال الدقيق من مخطوطات البحر الميت: كان بولس يبشر بالعقيدة الناصرية أو الناصورية، أي الأيديولوجية المتطرفة للصديقين، والتي نقلها إلى المسيحية. (تشير الكلمة العبرية *nazor*، التي تعني "الفرع"، إلى السلالة الجينية للمسيا من نسل داود ويسى. إن ربط هذا المصطلح بقرية الناصرة أمر زائف. [107]

كان بولس بالفعل يحرض على الفتنة ضد الإمبراطورية، لأنه كان ينشر المعتقدات المتطرفة لطائفة صوفية عسكرية تهدف إلى الإطاحة بالاحتلال الروماني لفلسطين وإقامة مملكة إسرائيل. من خلال تبني بولس للنزعة الأخروية المتشددة للصديقيين، كان يروج أيضاً لعقيدتهم المسيانية، لكنه كان يحرفها وفقاً لشروطه وغاياته الخاصة، والتي لم تكن تلك التي وضعها مؤسسوها.

في لغة التشفير الخاصة بالمخطوطات، يُعتبر بولس رجل الأكاذيب.

هذا التحديد يغير تمامًا قصة اهتداء بولس في دمشق. تم وصف هذا الحدث مرتين في سفر أعمال الرسل، أولاً في الفصل 9 بصيغة الغائب، ثم في الفصل 22 بكلمات بولس نفسه. بحسب الرواية المعتادة، ذهب شاول إلى دمشق حوالي عام 40 ميلادي للقضاء على المسيحيين واضطهادهم. وفي طريقه إلى المدينة، يصادف شخصية مضيئة تُعرّف عن نفسها قائلة: "أنا يسوع الذي تضطهده". ثم يُؤخذ شاول إلى دمشق حيث يخبره الصوت في النور أنه "سيُخبرك بكل الأشياء التي كُلفتَ بفعلها". يستقبله رجل يدعى حنانيا، "رجل متدين، وفقًا للشريعة، وله سمعة طيبة بين جميع اليهود الذين سكنوا هناك" - أي الأعضاء المخلصين لخلية الصادقين المعروفة بوجودها في دمشق، وهي نظير حضري للمستوطنة القمرانية. بطريقة ما، تم إطلاع حنانيا مسبقاً على وصول شاول. كيف يمكنه أن يكون على علم مسبق بالحدث الخارق للطبيعة الذي وقع لصائد الجوائز الشهير من أورشليم؟ حسناً، لا بد أن وصول شاول إلى دمشق كان متوقعاً بخوف شديد من قبل الصادقين هناك. من المحتمل أنهم نصبوا فخاً للقبض على شاول وتحويله إلى أغراضهم. وفي الوقت نفسه، يبدو أن نوعاً من التجارب الرؤيوية أو الخارقة للطبيعة قد حدث. يبدو الأمر كما لو أن شاول أصيب بانهيار عصبي، وفي الوقت نفسه وقع في أيدي الرجال الذين كان يطاردهم.

بعد فترة وجيزة من إقامته مع حنانيا وتلاميذ آخرين، بدأ شاول، الذي أعيد تسميته الآن بولس (عادة ما يحدث تغيير الاسم في التحولات الطائفية)، في التبشير برسالته الفريدة، التي "وَيُحَيِّرُ الْيَهُودَ السَّاكِنِينَ فِي دِمَشْقَ مُحَقِّقًا "أَنَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ." (أعمال 9 :22). عندما ذهب إلى أورشليم في المرة التالية، لم يكتفِ

بإرباك اليهود مرة أخرى، بل أثار ضجة احتجاجية عنيفة لدرجة أنه اضطر إلى الفرار من المدينة. ومن بين أكثر الأشخاص الذين شعروا بالصدمة والذعر من رسالته يعقوب البار، معلم البر في قمران الذي يمثل الصادقين في معبد أورشليم، وهو الموقع الحضري المهم الآخر لطائفة البحر الميت.

وهكذا تبدأ دعوة بولس، وهي مهمة مدفوعة بالتحدي والتخريب والخيانة.

عميل مزدوج

في التفسير المعتاد لهذه الأحداث الغريبة، يشعر اليهود بالضيق لأن بولس يبشر بالمسيحية الحقيقية، رسالة يسوع الخلاصية المليئة بالحب، وهي رسالة كاثوليكية - عالمية، قابلة للتطبيق على العالم بأسره - والتي تتعارض مع روح الطائفية والقصاص التي يتبناها اليهود. لكن مع وجود أدلة مخطوطات البحر الميت، لم يعد هذا التفسير قابلاً للتطبيق. تدعم المادة الموجودة في المخطوطات قصة مختلفة، مشفرة في أدوار قمران. يكشف هذا عن صراع يعقوب البار (دوره: معلم البر) لمنع أخيه يسوع (دوره: المسيا) من أن يصبح رمزاً للدين الناشئ لبولس (دوره: رجل الأكاذيب). يحذر مخطوط دمشق بعبارات صريحة من شخص سيأتي ويحرف مهمة الصادقين، ويشير إلى الوقت الذي ظهر فيه مستهزئ، قام بتقطير مياه خادعة لإسرائيل، وجعلهم يضلون في البرية التي لا مسالك لها. لقمع السبل القديمة، حتى ينحرفوا عن الطرق الصالحة [108]

إن فعل الخيانة المذكور مراراً وتكراراً في المخطوطات يبلغ ذروته في بولس الذي يختطف أيديولوجية الصادقين ويستخدمها لتأسيس دين جديد، وهو المسيحية. هكذا تم تنفيذ عملية التحول.

تتضح سخافة النظرة التقليدية لاهتداء بولس من خلال الأدلة الموجودة في المخطوطات، وقليل من المنطق السليم.

لم يكن بإمكان بولس، الذي أسس المسيحية فعلياً من الناحية العقائدية، أن يذهب إلى دمشق لاضطهاد المسيحيين، ثم يتحول إلى المسيحية على الطريق، لأنه لم يظهر المسيحيون على هذا النحو إلا في أعقاب تحوله. لم يكن هناك مسيحيون في ذلك الوقت، بعد عشر سنوات فقط من وفاة يسوع. في الواقع، لم تكن هناك مسيحية بالمعنى الذي نفهمه اليوم من حيث تعريف المسيحية من الناحية العقائدية، حتى قرنين آخرين. لكن بولس أسس الجوهر الأيديولوجي للإيمان المسيحي، حيث غرس فكرة محبة الله ونعمته في شخصية المسيح الصادقي. ألم تكن هناك، ربما، حركة يسوع مستقلة عن البرنامج العسكري للصديقيين؟ على الرغم من أنه ربما كان هناك عدد قليل من أتباع حاخام متطرف كان يبشر بالسلام والتسامح، إلا أن مثل هذه المجموعة لم تكن لتشكل تهديداً للسلطات الرومانية. لكن طائفة الصادقين بجناحها العسكري المتشدد، الغيورين، شكلت تهديداً خطيراً حقاً للقوى القائمة. كان لا بد أن تكون جماعة مسلحة هي التي أُرسل بولس للعثور عليها وتصفيتها. وبالمثل، كان مجرد إنسان، المسيا الصادقي، هو الذي رفعه بولس إلى مستوى إلهي باعتباره "المسيح".

فشل الصادقين في الإطاحة بروما، ولكن من خلال عملية التحول، استهلك البرنامج الخلاصي المستمد من أيديولوجيتهم المتطرفة الإمبراطورية واستحوذ على سلطتها.

كان الرجل الذي أصبح الرسول بولس في الأصل مرتزقاً استأجرته السلطات الرومانية لتعقب الطوائف المتطرفة مثل جماعة الصادقين. باختصار، كان صائد جوائز. هذا واضح حتى من أعمال الرسل وحدها. مرارًا وتكرارًا، يحمي الرومان بولس. إنهم يوافقون على أفعاله ويوفرون له قوات وحرساً شخصياً. كما أن السنهدرين، الذي يريد زعيمهم في معبد أورشليم (الرمز: الكاهن الشرير) قمع الصادقين، يقر أيضاً مهمة صائد الجوائز. كل هذا مذكور بوضوح في سفر أعمال الرسل.

بحسب تقاليد جماعة قمران، كانت هناك خلية رئيسية للعهد في دمشق.[109] وفي سياق البحث عنها، وقع بولس في الطائفة التي أُرسل للقضاء عليها. خلال إقامته مع حنانيا، تم إطلاعه على الأسرار الداخلية للصديقيين، بما في ذلك السر الأخير، وهو هوية ملكي صادق. يبدو أن بولس أثبت أنه مجند موهوب بشكل استثنائي.

يشبه ملف شخصية بولس ما يُعرف اليوم بالشخصية السيكوباتية: شخص متحمس، لامع، ومقنع للغاية، قادر على لعب أدوار مختلفة في بيئات اجتماعية مختلفة، ولكنه يحتفظ دائمًا بأجندة خفية تخدم مصالحه الشخصية. في الواقع، إن نداء بولس "أن تكون كل شيء لكل الناس" هو الصيغة المثالية للشخصية السيكوباتية.

بمجرد أن أُعفي بولس من التجنيد، بدأ يبشر بمبادئ الصادقية علنًا. كان هذا بحد ذاته عملاً شنيعاً من أعمال الخيانة التي دفعت خمسين من أنصار حركة الغيورين إلى الصيام حتى يتمكنوا من قتله (أعمال الرسل 4). في هذه الحالة، كما في حالات أخرى كثيرة، كان بولس تحت مراقبة دقيقة من قبل السلطات الرومانية التي تدخلت لحمايته وإنقاذه في عدة مناسبات. بسبب معرفته بخلية دمشق وأنشطة معسكرات البرية اليهودية، كان عميلاً مزدوجاً لا يقدر بثمن بالنسبة لروما، لكن ميوله المسيانية جعلته مثيراً للمشاكل يصعب السيطرة عليه. مع اقتراب نهاية حياة بولس، أدرك الأشخاص أنفسهم الذين أرسلوه لتصفية خلية دمشق الصادقية أنه كان يسبب مشاكل أكثر مما يستحق. أُعدم بولس في روما عام 64 ميلادي، وهو العام الأول الذي بقي فيه أي سجل لاضطهاد "المسيحيين".

في تطبيق لافت للنظر للتشبيه الفيروسي، يتحدث روبرت أيزنمان عن "البكتيريا المشتعلة للدعاية اليهودية المسيانية ونهاية العالم" التي تم استيعابها في موعظة بولس، في تحدٍ مباشر ليعقوب البار.[110] لقد تحدى رجل الأكاذيب علنًا معلم البر، تمامًا كما تنبأت مخطوطة الصادقين. إن الشكل اليرقي لـ "العصية الحارقة" هو مركب المخلص الفلسطيني، وهو في حد ذاته طفرة شاذة لموضوع أسطوري عالمي. لقد تم رعايتها في الحياة الدينية اليهودية لقرون، بتوجيه سري من كهنة صادق. على الرغم من أن الفيروس الأيديولوجي الذي حمله بولس نشأ مع طائفة الصادقين الصغيرة، إلا أنه انتشر بشكل وبائي في عقيدة الحقيقة الواحدة. انتشر إلى أوروبا، ثم إلى الأمريكتين. واليوم، باتت هذه الآفة تصيب العالم بأسره.

فرق وحوّل

النص التوجيهي للخلاص هو العهد الجديد، بما في ذلك أعمال الرسل ورسائل بولس. في مزيجها المحير من السرد الخيالي والخطاب اللاهوتي الرفيع، يصوغ العهد الجديد ويؤكد تواطؤ الضحية والجاني الذي تجسده محن اليهود في العهد القديم. إن التواطؤ ينطوي على نوع من العقد في الخطيئة، حيث يقصر كلا الطرفين عن تنفيذ أوامر الله. إن الجناة الذين يؤذون الآخرين هم مذنبون بلا شك، وكذلك الأشخاص الذين يؤذونهم، والذين قد يعتقدون أنهم يُعاقبون بشكل عادل من قبل قوة أعلى. إن الظلم الذي لحق بالضحايا هو نتيجة للظلم الذي ارتكبوه في نظر الله. ومما يزيد الأمر سوءاً، أن التركيبة الملتوية لعلاقة الضحية بالجاني تبرر الهيمنة والعنف والعدوان و القتل باعتبارها تعبيرات عن العقاب الإلهي. إن الذين ينفذون إرادة الله بطرق عنيفة هم صالحون مثل أولئك الذين يعانون من العنف، لأن الرابطة تحدد وتشرع كلا الدورين. إن صفقة تقديس العنف وضمان الإنصاف العادل لضحاياه يصعب التغلب عليها. إن إغراء الضحايا بأن يصبحوا جناة موجود دائمًا، على الرغم من أن ليس كل الضحايا يستسلمون له. أولئك الذين يفعلون ذلك يصبحون الأفضل في لعبة السيطرة.

إن استمرارية العهدين، التي رفضها الغنوصيون مثل مرقيون بشدة، تضمن أن المتحولين إلى المسيحية سيقعون في فخ متلازمة الضحية والجاني منذ البداية. إن عقيدة الخطيئة لا تمنح أتباعها فرصة للفشل: فهي تقنعهم بأنهم قد فشلوا بالفعل، حتى قبل أن يحاولوا. "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ." علاوة على ذلك، فإن الشعور بالفشل أمام الله يصب مباشرة في متلازمة الضحية، مما يدفع المؤمنين إلى تخيل أن الإساءة والأذى اللذين يصيبانهم يرجعان إلى عيوبهم الأخلاقية. إذا تعرضوا للأذى، فلا بد أنهم يستحقون ذلك. إنها غلطتهم، فبمشيئة الله يُعاقبون ويُعاقبون لمصلحتهم. إن العقاب على عدم اتباع خطة الله يُفرض

على بعض الناس (الضحايا) من قبل أشخاص آخرين (الجناة) الذين يدعمون الخطة بشكل صحيح. طالما لم يتم التشكيك في أيديولوجية الخلاص، يمكن أن تزدهر أمراض الضحية والجاني وتبقى مخفية، مستخدمة معتقدات الخلاص كغطاء.

لم يكن من الممكن أن تطغى أيديولوجية الخلاص على شعوب الشرق الأدنى، حيث نشأت، أو أن تنتشر إلى أوروبا ثم إلى العالم بأسره، لولا وجود رابطة الضحية والجاني داخلها. في كل من أوروبا والأمريكتين، كان من الممكن أن تقاوم المرونة الأخلاقية الطبيعية للشعوب الأصلية عقيدة الخطيئة. في الواقع، كان العقل الأصلي، إذا تُرك وشأنه، سيعتبر مثل هذه الآراء سخيفة ومثيرة للسخرية. إن الوثنيين في العالم الكلاسيكي الذين لم يخشوا نظام المعتقدات اليهودية المسيحية، كانوا ينظرون إلى تلك العقيدة بهذه الطريقة تحديداً. لكن عقيدة الخطيئة كانت مقنعة لأنها شرعت في ارتكاب الجرائم تحت ستار العقاب. إن البرنامج الديني نفسه الذي هاجم أساليب حياة السكان الأصليين ودمر الأعراف والتقاليد الاجتماعية للشعوب الأصلية، وحولهم إلى ضحايا، قدم لهم تبريراً جاهزاً لدور الضحية، فضلاً عن ضمانة بأن الضحايا سينتصرون في النهاية. لم يكن لدى السكان الأصليين البراعة الكافية لإدراك أن الجناة، وهم أنفسهم الذين كانوا يدمرون أسلوب حياتهم، هم من كانوا يعدونهم بأنهم سينجون في النهاية من الوقوع ضحية. لقد افتقروا إلى هذه البراعة لأن الثقافة الشفوية الأصلية كانت تستند في كل مكان إلى نفس المبدأ: الصدق، أي اتساق القول والفعل.

عبارة "فرق تسد" معروفة جيداً. لكن ما ينطبق هنا هو اختلاف طفيف في تلك العبارة: "فرق وحوّل". من أجل تحويل الشعوب الأصلية، كان من الضروري تقسيمهم داخلياً، وفصلهم نفسياً، وفصل القول عن الفعل. بالنسبة للمسيطرين الذين استخدموا الدين الخلاصي كأداة للغزو، كان الانقسام الداخلي قائماً بالفعل. "الرجل الأبيض يتحدث بلسانين." كان من "الطبيعي" بالنسبة للمستعمرين البيض أن ينقضوا وعودهم ويخونوا الثقة، وأن يقولوا شيئاً ويفعلوا عكسه، وأن يعدوا بالحب ويمارسوا العنف، وأن يدعوا إلى اللطف ويمارسوا القسوة. لم يكن هذا السلوك انحرافاً عن برنامج الخلاص، ولا انحرافاً ارتكبه عدد قليل من الفاسدين باسم الله والمخلص: بل كان، وسيظل دائماً، التطبيق الصالح والدقيق للإيمان.

لقد سادت ديانة الخلاص لأنها قدمت عكس ما وعدت به للناس الذين لم يكونوا في البداية قادرين على إدراك ازدواجية المعايير، ثم عندما رأوها في النهاية، وجدوا أنفسهم متورطين فيها، معتمدين عليها لإرشادهم إلى طريق الخروج من محنتهم. تكمن عبقرية القديس بولس في تحويل العقلية المنقسمة للعبرانيين إلى خدعة لاهوتية، واعداً بنعمة الله لجميع أولئك الذين قبلوا أدواراً في لعبة الضحية والجاني، من كلا الجانبين. كان مكان بولس نفسه في صف الرومان واضحاً، عميل مزدوج وأكثر من ذلك، كما يتضح من تحليل أيزنمان الدقيق لمخطوطات البحر الميت. من المحتمل جداً أن يكون اعتناقه المسيحية على يد الصادقين قد تم تدبيره حتى يتمكن من الوصول إلى تعاليمهم السرية وخيانتهم. إن جوهر رسالة بولس يعكس الخيانة والخداع اللذين أنتجاها.

لقد أدرك الغنوصيون الخدعة النفسية المعقدة المخبأة في تعاليم بولس عن الخلاص، لكن الشعوب الأصلية التي افتقرت إلى الخبرة في مثل هذا الخداع والنفاق وقعت ضحية له مرارًا وتكرارًا.

الكشف الغنوصي

مع اختطاف أيديولوجية الصادقين وتحويلها إلى المسيحية، أصابت حالة الفصام الديني لدى العبرانيين القدماء البشرية جمعاء. لا بد أن يكون التحول أحد أكثر الأحداث إثارة للدهشة في التجربة النفسية التاريخية للبشرية، ومع ذلك لم يتم الاعتراف به على هذا النحو إلا نادرًا. لا يزال العديد من العلماء يرفضون الادعاء بأن اللاهوت والأخلاق المسيحية هما التعبير الوبائي للفيروس المسياني اليهودي. لقد بذل الكتّاب الأوائل الذين تناولوا المخطوطات، مثل ثيودور هـ. جاستر، جهوداً كبيرة لإبعاد أدب قمران عن العقائد المسيحية: "لا يوجد فيها [مخطوطات البحر الميت] أي أثر لأي من المفاهيم اللاهوتية الأصلية - تجسد الألوهية، والخطيئة الأصلية، والفداء من خلال الصليب، والحياة الآخرة - التي تجعل المسيحية عقيدة مميزة". [111] حتى عندما يُفكك علماء مسيحيون مثل إيان ويلسون شخصية يسوع إلى حدّ إنكار وجودها، فإنهم يُصرّون على نفس الإنكار: فالمخطوطات "أثبتت، للأسف، أنها لم تُلقِ سوى القليل من الضوء الجديد على يسوع والمسيحية المبكرة." [112] بالنظر إلى الأدلة التي قدمتها المخطوطات، والطريقة التي ترتبط بها هذه الأدلة بوضوح بالتاريخ المعروف لعصر يسوع، وتجعل حياة يسوع مفهومة، فإن هذا البيان مثير للسخرية تمامًا.

إن عملية التحول غريبة لدرجة أن العلماء حتى يومنا هذا لا يستطيعون رؤية الاستمرارية العميقة بين المخطوطات والعقائد المسيحية. إن الأدبيات النقدية مليئة بالآراء المتناقضة، والتي غالباً ما يعبر عنها نفس المؤلف. يصر هيرشل شانكس، وهو عالم بارز في الدراسات الكتابية لعب دورًا رئيسيًا في كسر الجمود الفاتيكاني بشأن أبحاث قمران، على أن "يسوع ليس موجودًا في المخطوطات". ولا شك في تفرد المسيحية." لكن بعد خمسين صفحة في نفس الكتاب يقول إن المخطوطات تظهر "أن رسالة المسيحية المبكرة قد تم التنبؤ بها في جذورها اليهودية في كل جانب تقريبًا". وحتى حياة يسوع، كما وردت في الأناجيل، غالباً ما يتم التلميح إليها في المخطوطات.[113]

تكمن نقطة الضعف لدى الباحثين فيما يتعلق بالتحول في محورين. أولاً، إنهم لا يميزون بشكل كافٍ بين الأيديولوجية الأساسية للخلاص والمذاهب الثانوية. جميع عناصر ما سبق هي عناصر صديقية خالصة: على سبيل المثال، قيامة يسوع تستند إلى المخطوطات وتعكس على وجه التحديد الوضع الخارق للطبيعة والخالد لملكي صادق. في رسالة بولس إلى العبرانيين 7، يقدم بولس تأكيداً مذهلاً مفاده أن ملكي صادق هو القوة الكامنة وراء المسيح - مسح الممسوحين، كما لو كان الأمر كذلك. ويا لها من قوة رائعة! على ما يبدو، يقف مؤسس الصادقين خارج نطاق الجيل البيولوجي: "بلا أب، بلا أم، بلا نسب، ليس له بداية أيام ولا نهاية حياة". وفي المقطع نفسه، يعلن بولس أن كهنوت ملكي صادق يلغي ويبطل الكهنوت التقليدي للاوي وهارون. إن هذا الإنجاز المذهل في الاستيعاب يحدد الحرية العقائدية للأيديولوجية المسيحية من جذورها اليهودية، ولكنه يفعل ذلك من خلال استحضار شخصية غامضة وخفية تدير عملية سرية خلف كواليس التاريخ الديني اليهودي.

إن إصرار بولس على الخلاص بالإيمان هو إنجاز آخر من أعمال الاستحواذ، وهو سرقة مباشرة من تفسير حبقوق pesher (التفسير): "والبار سيحيا بالإيمان". [114] لكن ما قصده بولس بالإيمان – أي الثقة العمياء وغير المشروطة في قوة المخلص الإلهي الخلاصية – ليس ما فهمه الصادقين بهذا المصطلح. بل على العكس. إن "حماسة" بولس الشهيرة هي سمة من سمات الغيورين يتم تطبيقها مراراً وتكراراً على غايات غير غيورية. بالطبع، لم يخترع بولس المسيحية بمفرده. لقد تطلب الأمر تعاوناً كبيراً من العديد من الأطراف، بما في ذلك المحامين والكتاب الذين ألفوا الأناجيل الأربعة. أما العقائد الأخرى للمسيحية مثل

الخطيئة الأصلية، والولادة العذرية، ولاهوت الصليب، والقداس، فهي إضافات تمت بمرور الوقت إلى المركب الأساسي. بعضها، مثل ولادة العذراء والقداس، مسروقة بشكل واضح من الديانة الوثنية، والبعض الآخر تم اختراعه بلا مبرر لأن الكنيسة احتاجت إليه. إنها لا تمثل الأصول الصادقية للمسيحية الرومانية، بل هي زخارف لاحقة لما انبثق من تلك الأصول.

في النقطة العمياء الثانية، لا يكتشف العلماء عملية النقل لأنهم لا يستطيعون تخيل كيف تم تحويل شخصية المسيا القمراني الكريهة والمنتقمة إلى شخصية "يسوع اللطيف والوديع". إنهم يفشلون في إدراك أن رسالة الحب في قصص المعجزات الساحرة في العهد الجديد ليست سوى غطاء سكري على سم السيانيد المرير لهذيان الصادقية.

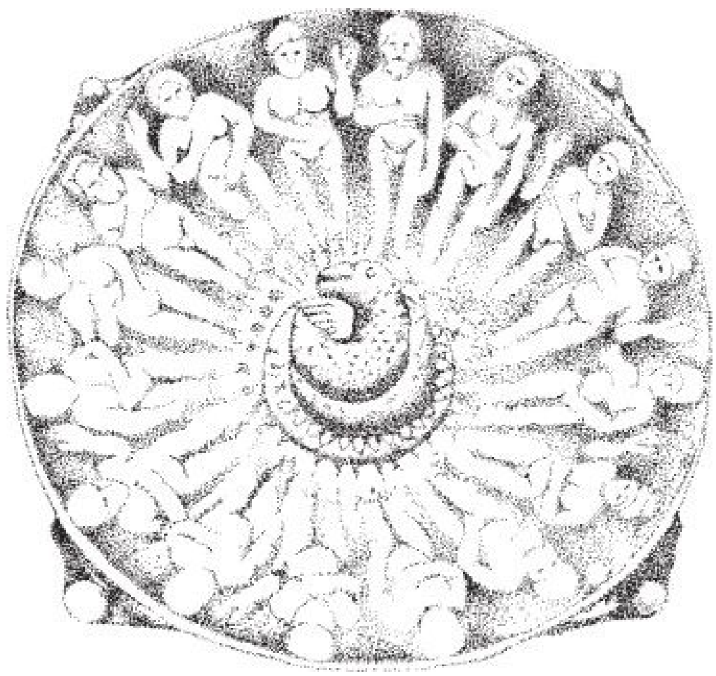
لكن ما يعجز العلماء والمؤمنون عن رؤيته، أو يرفضون رؤيته، لم يمر دون ملاحظة أو اعتراض في القرون الماضية. لقد كان العديد من الوثنيين، بمن فيهم السلطات الرومانية اليقظة، يراقبون وباء الخلاص لفترة طويلة، كما أشرنا بالفعل. وكان الغنوصيون حاضرين أيضاً، وكان لهم حضور دائم في ساحة مدارس الأسرار ومحيط المعبد. ومثل هيباتيا، كان بإمكان العديد منهم أن "يتفوقوا في الحجة على كل مؤيد للعقائد المسيحية في شمال مصر" وفي أي مكان آخر، أينما ازدهرت الأسرار، في جميع أنحاء العالم القديم. كان المتأهلون أكثر قدرة من أي شخص آخر على اكتشاف الإنحراف الأخلاقي، والانحراف الخبيث في عقدة المخلص الفلسطيني. كانوا أكثر من أي شخص آخر قادرين على دحض ذلك، وهو ما فعلوه بالفعل، سواء في المناقشات الشفوية المفتوحة أو في كتاباتهم الغزيرة، والتي تم تدمير معظمها.

علاوة على ذلك، كان لدى الغنوصتيكوي أفكارهم الخاصة حول المسائل التي ادعى المنظرون المسيحيون أن لديهم الإجابات النهائية والحصرية بشأنها: الخلق، والخطيئة، والموت، والقيامة، والخطة الإلهية، وطبيعة الشر وعملياته. كانت رسالتهم هي الإرشاد الروحي للبشرية، والذي يتحقق من خلال التعليم بدلاً من التلقين. كان لديهم آلاف السنين من الخبرة. ووقوفاً في وجه عقدة المخلص، كانت لديهم أفكارهم الخاصة حول الخلاص كعملية تطورية مشتركة تتحقق من خلال اتصال البشرية بإلهة الحكمة، صوفيا، التي جسدها هو الأرض. لقد كانوا هم، المتأهلون، الذين راقبوا عن كثب ظهور الوباء الأيديولوجي، والذين خاطروا بحياتهم عندما حانت اللحظة لمواجهته. لقد كانوا هم من يملكون قصة رائعة لإرشاد الجنس البشري - قصة ضاعت عندما دمر حاملو الطاعون المتحمسون الأسرار.

فُقدت حتى ديسمبر 1945.

الجزء الثاني

قصة لإرشاد الأنواع



وعاء أورفيك المقدس مع ستة عشر متأهل

7

الكنز المصري

في خريف عام 1947، وفي اللحظة التي كان فيها العلماء في القدس يلقون نظرة أولى على مخطوطات البحر الميت، ضربت مصر موجة خطيرة من الكوليرا. أدى الإنذار الصحي العام إلى شلّ حركة السفر وترك عالم مصريات فرنسي شاب يدعى جان دوريس عالقاً في العاصمة. تم بناء الحي المتداعي المعروف باسم الفسطاط، والواقع على الجانب الجنوبي من المدينة القديمة، من قبل الرومان كحصن على نهر النيل. ومن بين كنوزه المهملة المتحف القبطي، الذي كان آنذاك تحت إدارة عالم مصري طموح يُدعى توغو مينا. التقى دوريس، المتخصص في اللغة القبطية، بمينا أثناء انتظاره حتى يتمكن من مغادرة القاهرة لاستكشاف بعض الأديرة القبطية في الجنوب حول طيبة.

في صباح أحد الأيام، أخرج مينا رزمة سميكة من درج مكتبه وعرضها على دوريس، سائلاً إياه عن رأيه فيما بدا لمينا أنها مواد غامضة ولكنها ربما ذات أهمية. كان رد فعل الباحث الشاب واضحاً:

> من الكلمات القليلة الأولى استطعت أن أرى أن هذه نصوص غنوصية، أحدها يحمل عنوان "الكتاب المقدس للروح العظيمة غير المرئية"، بينما كان هناك عنوان "كتاب يوحنا السري" في مكان آخر. هنأتُ توغو مينا بحرارة على هذا الاكتشاف الاستثنائي، وشرعتُ على الفور، بمساعدته، في مهمة ترتيب هذه الأوراق، لأنها كانت قد أصبحت مختلطة إلى حد كبير. [115]

بعد ذلك بوقت قصير، سافر دوريس إلى الأقصر لاستكشاف أطلال الأديرة في المنطقة المحيطة بتشينوبوسكيان، "مكان تربية الأوز". هذا هو الاسم القبطي لحمرا دوم، وهي قرية صغيرة تقع عند سفح المنحدرات المسماة جبل الطريف. تم اكتشاف الكنز النادر الذي كان بحوزة مينا هناك من قبل فلاح عربي قبل حوالي ثمانية عشر شهراً، في ديسمبر 1945. تم حشو كتب مكتبة نجع حمادي (NHL) في جرة من الطين الأحمر وإخفاؤها في كهف في المنحدرات. تقع قرية نجع حمادي غرباً عبر النيل، والتي كان من المقرر تسمية النصوص باسمها. (حمرا-دوم هي نقطة صغيرة في المشهد القاحل، أصغر من أن تستحق الذكر وإلا لكانت النصوص قد أصبحت تُعرف باسم مكتبة الحمرا-دوم.) وبغض النظر عن القيمة التي لا تقدر بثمن لمحتواها، فإن هذه المجلدات الثلاثة عشر ذات الأغلفة الجلدية الموجودة في الكنز المصري هي قطع أثرية أدبية فريدة من نوعها، وهي أقدم الأمثلة الباقية للكتب المجلدة ذات الصفحات المرقمة.

أناجيل بديلة؟

في 12 يناير 1948، أعلنت الصحافة المصرية للعالم عن وجود المادة النادرة التي وقعت في أيدي توغو مينا. قبل اكتشافها، كان الدليل الوحيد القابل للمقارنة على الآراء الغنوصية هو ثلاثة نصوص غامضة،

مكتوبة أيضاً باللغة القبطية، تُعرف باسم مخطوطات بروس، وأسكيو، وبرلين. ومع انتشار الخبر، تساءل العلماء عما إذا كان الاكتشاف المصري قد يحتوي على ترجمات قبطية لكتابات غنوصية أصلية باللغة اليونانية. استنادًا إلى فحص "الكرتون"، والرسائل المؤرخة، والقصص الواردة في أغلفة المخطوطات، يعرف الخبراء أن الكتب لا بد أنها أخفيت بين عامي 345 و 348 ميلاديًا. وهي محفوظة اليوم في غرف خاصة في المتحف القبطي بالقاهرة القديمة حيث قام جان دوريس بفحصها لأول مرة.

في عام 1966، قام فريق من العلماء بقيادة جيمس روبنسون من معهد الآثار والمسيحية في كليرمونت، كاليفورنيا، بترجمة كاملة باللغة الإنجليزية لمخطوطات نجع حمادي (NHC)، كما تسمى أيضًا (*codex* هي كلمة لاتينية تعني كتاب). بين عامي 1972 و 1977، أنتج مشروع مكتبة الغنوصية القبطية، كما كان يُعرف الفريق، الطبعة المصورة من مخطوطات نجع حمادي، وهي مجموعة من المجلدات الكبيرة الأنيقة مع صور واضحة كاملة الصفحة لكل صفحة في المخطوطات. وفي عام 1977 قاموا بنشر مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية، مما أتاح المواد لأول مرة للعالم الناطق باللغة الإنجليزية. * وتشمل هذه الكتابات النادرة قصة صوفيا، التي تقدم تاريخًا أسطوريًا للأرض يتوافق في بعض النواحي مع نظرية غايا. بمحض الصدفة، أصبحت القصة المقدسة للأسرار متاحة للعالم بعد خمس سنوات فقط من طرح جيمس لوفلوك لفرضية غايا، وبعد أربع سنوات من التعريف الأولي لعلم البيئة العميق من قبل آرني نايس.

وفقًا لرأي العلماء الغنوصيين المتفق عليه، يمكن اعتبار معظم كتابات نجع حمادي بمثابة "القطات محذوفة" من الأدب المسيحي المبكر، مثل شرائط الفيلم التي تُركت على أرضية غرفة التحرير. باعتبارها مواد كان من الممكن تضمينها في العهد الجديد، فقد تم اعتبارها على نطاق واسع "أناجيل مفقودة". بعض الرسائل (كما تسمى النصوص في مصطلحات العلماء) تحمل بالفعل الكلمة اليونانية *(الإنجيل) evangelium* في الصفحة الأخيرة، حيث تم الإشارة إلى العناوين. إن عنوان كتاب إيلين باجلز *"الأناجيل الغنوصية"*، الذي نُشر لأول مرة عام 1979 ولا يزال يُقرأ على نطاق واسع، يعزز هذا التفسير. لكن عند التحليل الدقيق، فإن الجزء الأكبر من المواد المصرية لا يبرر مثل هذه المقارنة السطحية.

تنتمي الأناجيل الأربعة للعهد الجديد إلى نوع أدبي قديم يسمى الرواية الهلنستية. كان هذا النوع من الروايات الرومانسية عبارة عن رواية قصيرة مليئة بالمعجزات، والعلامات الخارقة للطبيعة، ومشاهد قصيرة مع شخصيات نمطية، بالإضافة إلى أمثال مستمدة من الفولكلور والتقاليد الدينية - باختصار، مزيج من الخرافات والحكمة الشعبية مع عناصر واقعية. انتشرت العديد من هذه الروايات القصيرة في القرون الأولى من العصر المسيحي، ولكن من المثير للريبة أن القليل منها قد نجا. لماذا؟ كانت الروايات الهلنستية بمثابة قصص الخيال الرخيصة في عصرها، ويمكن مقارنتها بالقصص المصورة للكبار. تخيل أن مثل هذه المواد الزائلة قد تبقى حية لمئات السنين. لن يحدث هذا إلا إذا كان هناك سبب محدد للحفاظ عليه. لنفترض، على سبيل المثال، أن مجموعة من الناس قررت تأسيس طائفة دينية على أساس شخصية سوبرمان. سيحافظون على قصص سوبرمان المصورة بينما ستعاني قصص الأبطال الخارقين الآخرين مثل سبايدرمان ودكتور سترينج من مصير الزمن، أو سيتم التخلص منها عمداً لضمان هيمنة مواد سوبرمان. إن بقاء الأناجيل المسيحية الأربعة بشكل حصري، وبالتالي فرادتها الظاهرية، يعتمد على القمع المتعمد للعديد من الروايات الهلنستية الأخرى.

لا يوجد في مواد نجع حمادي ما يشبه الروايات الهلنستية، لذلك من غير الصحيح مقارنتها بالكتابات

المسيحية المصنفة في هذا النوع. كان كتاب "الأناجيل الغنوصية" بمثابة الكتاب الرائد الذي أدخل الفكر الغنوصي إلى التيار السائد، لكن اختيار باجلز للعنوان كان خطأً فادحاً، حيث أدى إلى تضليل العديد من الأشخاص الذين يسعون إلى فهم الغنوصية ورؤيتها على أنها مجرد شكل مبكر ومشكوك فيه من المسيحية. وبعيداً عن كونها نسخاً بديلة للعهد الجديد، تحتوي المخطوطات المصرية على كمية كبيرة من المواد التي ترفض وتفند رسالة الخلاص التي قدمها الإنجيليون - وتفعل ذلك بعبارات قاسية وجارحة في كثير من الأحيان.

يندر معظم علماء الغنوصية، دون استثناء تقريباً، من خلفية يهودية أو مسيحية. إن ميلهم هو التقليل من شأن العناصر المعادية لليهود والمسيحية في المخطوطات، إن لم يكن تجاهلها تماماً. حتى الآن، لم يحاول أحد ممن كتبوا عن مواد نجع حمادي تقديم محتوى ونطاق العناصر الوثنية الحقيقية فيها. لا يهتم العلماء ببساطة بالأفكار الغنوصية في حد ذاتها، بل فقط بما يمكن أن تخبرهم به الكتابات الغنوصية عن المسيحية المبكرة. إنهم يعلقون بلا نهاية على معنى النصوص، وخاصة عندما يجدون تلميحات للعقيدة المسيحية، لكنهم يتجاهلون رسالتها الأساسية غير المسيحية.

لكن الوصول إلى تلك الرسالة ليس بالأمر السهل. بشكل عام، فإن كتابات نجع حمادي هي مزيج متنوع من الخطابات الفوضوية، ومقتطفات من المعارف الصوفية والأسطورية، ورحلات غامضة في اللاهوت، وطقوس وألغاز باطنية، وتأملات ميتافيزيقية سامية غالباً ما تذكرنا بالفلسفة البوذية للفراغ. وتشمل هذه المخطوطات مقتطفًا من جمهورية أفلاطون، وجزءًا من رسالة عُثر عليها كاملة في كتاب هرمس، ونعم، خطبتين مسيحيتين بدائيتين ربما ألقاهما أحد المبشرين. تختلف هذه الرسائل اختلافاً كبيراً في طولها. أما أطولها، مثل كتاب أبوكريفون يوحنا والرسالة الثلاثية، فهي عبارة عن روايات أسطورية معقدة حول مسائل كونية مثل تنظيم البليروما (الفراغ الغنوصي، مصفوفة الآلهة البدائية)، وسقوط الإلهة صوفيا، وحركات الديميورج المجنونة (إله الخلق الزائف)، والانبثاق ما قبل الأرضي للبشرية البدائية (أنثروبوس: "الإنسان") الكوني. أما أقصرها فهي مجرد ملاحظات مكتوبة بخط اليد، بما في ذلك نص من أربعين سطراً، وهو صلاة الرسول بولس، مكتوبة داخل غلاف المخطوطة رقم 1. تظهر بعض النصوص، مثل كتاب الأبوكريفا (أو الكتاب السري) ليوحنا، في أكثر من نسخة واحدة في المخطوطات، وكذلك في مواد غير تابعة لمخطوطة نجع حمادي مثل مخطوطة برلين (BG). تحتوي مخطوطة برلين أيضًا على إنجيل مريم، وهو رسالة قصيرة ومتضررة للغاية تُنسب إلى مريم المجدلية، والتي تم تضمينها في مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية على الرغم من أنها لم تكن جزءًا من المجموعة المصرية.

المواد المصرية متنوعة بشكل كبير، وغالباً ما تقدم عناصر متناقضة مختلطة في وثيقة واحدة. إن تعاليم سيلفانوس عبارة عن عظة مسيحية مبكرة تتضمن بعض الأفكار الغنوصية الحقيقية، في حين أن أحكام سيكستوس هي مجموعة مماثلة من الأمثال تكاد تخلو من العناصر الغنوصية الوثنية. إن الكتاب السري ليعقوب ليس وثيقة غنوصية على الإطلاق، بل هو خطاب يهودي مسيحي حول الخلاص. ربما وصل كتاب توما المناضل إلى بلاد الشام على ظهر حصان محمل من دير في الهند. لقد تمت مقارنته بـ "خطبة النار" في البوذية الماهايانية، فهو أقرب إلى البوذية منه إلى الغنوصية في طبيعتها ومحتواها. إن إنجيل توما، الذي يعتبر على نطاق واسع بمثابة العرض الرئيسي لمخطوطات نجع حمادي، هو عبارة عن مجموعة من العبارات المبتذلة مع بعض اللمحات الخافتة من رسالة التنوير الراديكالية للغنوص. يقدم كتاب يوغنوستوس و خطاب حول الثامن والتاسع لمحات مذهلة عن التعاليم والممارسات في الأسرار الوثنية. بعض الخطابات الطويلة المتعلقة بالأسرار، مثل إعادة صياغة سام وزوستريانوس، غامضة

لدرجة تثير الاستياء. إن إنجيل المصريين، وكتاب اللوجينس (الغريب)، وشهادة الحق، وغيرها من النصوص، متضررة بشدة لدرجة أنها تتطلب إعادة بناء كبيرة ومشكوك فيها.

إن قراءة هذه المواد قد تكون مرهقة ومثيرة للغضب، كما يكتشف أي شخص يطلع على مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية سريعاً. تحتوي على قدر هائل من التكرار، أو ما هو أسوأ من ذلك، شبه تكرار، مع وجود تناقضات كثيرة، وفجوات بسبب تلف الصفحات، وإقحامات، ومعضلات نحوية - بشكل رئيسي، خلط في الضمائر المرجعية، وهو أمر شائع في اللغة القبطية، لدرجة أنك غالباً لا تعرف من هو "هو" أو "نحن" أو "هم" - ونقص مروع في اللغة الواضحة في جميع أنحاء النص. كلمة واحدة من كل خمس كلمات في اللغة القبطية هي كلمة مستعارة من اليونانية، ولكن لا يزال من المستحيل تقريبًا معرفة كيف كانت ستبدو "الكلمات اليونانية الأصلية". تقدم العديد من المقاطع أفكاراً سامية ومتطورة، لكن التركيب النحوي القبطي الركيك لا يتناسب مع هذا الخطاب الراقي كما لا تتناسب أحذية المشي لمسافات طويلة لراقصة الباليه. إن تعليق جان دوريس، بأن النصوص "مختلطة إلى حد كبير"، هو تعبير بخس. إنّ مجمل النصوص الغنوصية عبارة عن فوضى كثيفة وفوضوية ويائسة. ومع ذلك، قد يكون هذا أقرب ما سنصل إليه على الإطلاق من الكشف المكتوب عن التعاليم الغنوصية من أسرار بلاد الشام ومصر. *

يكمن التحدي الكبير في المواد القبطية الغنوصية في قراءة هذا الكم الهائل من المعلومات للوصول إلى جوهر الرسالة الغنوصية في حد ذاتها.

كاشف أم مخلص؟

يتضح التأثير العميق والمذهل لمواد نجع حمادي عندما تتم مقارنة المخطوطات ذات العناصر البارزة المعادية للمسيحية، مثل الرسالة الثانية لسيث الكبير، بالعقائد الخلاصية الشائعة في اليهودية والمسيحية، والتي تم العثور على شكلها الأولي في مخطوطات البحر الميت، كما هو موضح في الجزء 1. بمجرد اكتشاف سماتها الرئيسية، يبرز الاحتجاج الغنوصي ضد الدين الخلاصي اليهودي المسيحي بشكل أكثر وضوحًا كدافع مؤثر في المجموعة بأكملها. إن القراءة المتكررة والبحث والدراسات المقارنة تكشف عن الجوهر الحقيقي للحجة الوثنية الراديكالية لـ "أبناء شيث/سيث"، كما أطلق على أنفسهم أعلى متأهلي الغنوص. شيث هو أحد أبناء آدم الذين غابت قصتهم تمامًا تقريبًا عن العهد القديم بعد ذكر موجز في سفر التكوين 4: 25: «وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثًا، قَائِلَةً: «لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلاً آخَرَ عِوَضًا عَنْ هَابِيلَ». لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ." اعتقد الغنوصيون أنهم ينتمون إلى "بذرة أخرى"، أي سلالة روحية تنبع من البشرية البدائية (آدم وحواء)، ولكنها متميزة في البداية عن التقاليد المقدسة اليهودية المسيحية. يمكن تلخيص حجتهم ضد هذا التقليد في سطر من الرسالة الثانية لسيث العظيم (IV,1) حيث يحتج المعلم الغنوصي على "الخطة التي وضعوها حولي، لإطلاق ضلالهم وعبثهم على العالم" (55.10). † كان يُنظر إلى المعلم الذي يتحدث هنا على أنه فوستر "حامل النور" أو "الكاشف". هذا لقب للمعلم المستنير في الأسرار الذي يحافظ على النقل المقدس للغنوص، وهي معرفة مثل تلك التي تتمتع بها الآلهة.

يُعدّ فوستر نظيراً دقيقاً لبوذا، "المستنير" أو "المستيقظ". على غرار الغنوصيين الشاميين والمصريين، فإن الكاشفين ليسوا تجسيدات خارقة للطبيعة، بل هم بشر موهوبون يمتلكون معرفة استثنائية بالأمور

الطبيعية والإلهية، ويظهرون قدرات خارقة للطبيعة. ويمكن مقارنتهم بـ فيديادهارا "حاملي المعرفة" و السيدهات "المنجزين" في التصوف الهندي والماهايانا والبوذية التبتية. إن كلمة "سيدها" السنسكريتية مشتقة من الكلمة اليونانية *"adept"*، من *"adepsci"*، والتي تعني "أن يكون متقنًا" أو "متدربًا". السيدهي هي قوى خارقة للطبيعة مثل الاستبصار، والسمع الروحي، والأحلام الواعية.

دعونا نتذكر أن عقدة المخلص، جوهر الديانات الإبراهيمية الثلاث، تتكون من أربعة مكونات رئيسية: خلق العالم من قبل الإله الأب بشكل مستقل عن الإلهة؛ واختيار واختبار القلة الصالحة أو "الشعب المختار"؛ ومهمة المسيا الذي أرسله الإله الأب لإنقاذ العالم؛ والحكم النهائي الذي يصدره الأب والابن على البشرية. جزء كبير من المواد الأصلية الحقيقية في المخطوطات المصرية مخصص لدحض هذه المكونات والسخرية من المعتقدات المرتبطة بها. اعتبر الغنوصيون "الخطة الإلهية" للخلاص، أي تجلي إرادة الله في سياق الأحداث التاريخية، تشويهاً بشعاً للسلالة الروحية الحقيقية التي يمثلونها. من وجهة نظرهم، فإن الحب الإلهي للبليروما، الآلهة المتعالية، يتجلى في الكاشفين البشريين، الذين يظهرون عبر العصور لتعليم البشرية وإرشادها. لقد طرحوا عملية تعليمية مستمرة لتنوير البشرية، ونظامًا لتنمية القدرات البشرية وإيقاظ العبقرية الفطرية لجنسنا، ولكن لم تكن هناك خطة للخلاص على هذا النحو.

يُطلق العلماء على عملية نقل الغنوص بشكل دائم من قبل المعلمين المستنيرين اسم دورة الكشف. لقد حذر الكاشف الذي يتحدث في الرسالة الثانية لسيث العظيم من أن الخلاصية هي خطة تم وضعها ضد حراس الغنوص.

الذين "يُطلق أعداؤهم على العالم ضلالهم وحماقتهم". عندما تحولت أيديولوجية الصادقين في مخطوطات البحر الميت إلى حركة دينية جماهيرية بعد عام 150 ميلادي، تجاهل المعلمون في الأسرار نذرهم بعدم الكشف عن هويتهم وخرجوا علنًا للاحتجاج على ما اعتبروه خداعًا وانحرافًا في نظام المعتقدات الخلاصية. لكي تنتصر المسيحية، لم يكن على أتباعها إسكات الغنوصيين فحسب، بل كان عليهم تدمير شبكة الأسرار الألفية، والقضاء على كل دليل على وجودها على الإطلاق. من منظور الزمن، يعود احتجاج كاشفي الغنوصية ليطارد العقل البشري - وربما يوقظ البشرية على مصدر هلاكها.

يقدر الباحث الغنوصي ك. و. تروجر أن ثلث المدونة القبطية معادية لليهودية.[116] أعتقد أن العناصر المعادية لليهودية والمعادية للمسيحية مجتمعة تشكل أكثر من نصف المادة الموجودة في مخطوطاتنجع حمادي. تُعدّ الرسالة الثانية مثالاً نموذجياً للاحتجاج الغنوصي ضدّ فكرة الخلاص. تحتوي على صفحات تلو الأخرى من الهجمات اللاذعة على المعتقدات والعادات اليهودية والمسيحية. إنها تسخر من الآباء المؤسسين المذكورين في الكتاب المقدس وتنتقد بشدة أولئك الذين يتبعون الدين الأبوي، عاجزة عن رؤية كيف يفسد هذا الدين إحساسهم بالإنسانية:

> وكان آدم موضع سخرية، وكذلك إبراهيم، ويعقوب، وداود، وسليمان، والأنبياء الاثنا عشر، وموسى، ويوحنا المعمدان... لم يعرفني أحد منهم، أنا الكاشف، ولا إخوتي في الأسرار... لم يعرفوا الحقيقة قط، ولن يعرفوها، لأن هناك خداعاً عظيماً على أرواحهم، ولن يتمكنوا أبداً من إيجاد عقل الحرية، لكي يعرفوا أنفسهم، في الإنسانية الحقيقية. (62.27; 63.34; 64.20 ff)

نقطة بنقطة، تهاجم الرسالة الثانية المعتقد الأساسي المتأصل في عقدة المخلص، "عقيدة الرجل الميت"، وهي محور اللاهوت المسيحي. مرارًا وتكرارًا، يقارن هذا بين المخلص الخلاصي والكاشفين الذين يجسدون ويعلمون الأنثروبوس، الهوية الحقيقية للجنس البشري. رأى الغنوصيون في المسيح اليهودي - الشخصية الصادقية التي تحولت فيما بعد إلى المخلص المسيحي، يسوع المسيح - كاشفاً مزيفاً ونموذجاً زائفاً للبشرية. إن ادعاءه بالحصرية بوصفه "الابن الوحيد لله" لم يكن سوى كذبة تهدف إلى إقامة سلطة لا يمكن تحديها من قبل البشر العاديين. على غرار تقاليد الأسرار، يظهر كاشفو الأسرار بشكل دوري عبر العصور للتنوير والتعليم. إنهم بشر بالكامل، على عكس الكائن الغريب ذي القدرات الخارقة، ملكي صادق، القوة الكامنة وراء المسيح. لقد أدرك كل كاشف الهوية الحقيقية للجنس البشري، لكن الوضع الفريد (كما يُزعم) ليسوع المسيح الخارق لا يعكس حقًّا مثل هذا الإنجاز الروحي. بالنسبة للغنوصيين، لا يمكن إلا لإنسان حقيقي من لحم ودم أن يكون قدوة للبشرية ويعلمها.

المصطلحات اللاهوتية

اعتبر الغنوصيون التجسد خدعة كهنوتية فُرضت على البشرية، ولكن ليس هذا فحسب. كما اعتبروا أن "ابن الله" فكرة وهمية تم غرسها في العقل البشري بواسطة نوع من الكيانات الشاذة غير البشرية أو

الطفيليات العقلية، وهي الأركونات. هذه الأشباح النفسية الغريبة هي أتباع الديميورج، إله الخلق الزائف - وهو مفهوم يبدو أنه فريد من نوعه في الفكر الغنوصي. في تعريفهم للديميورج بأنه يهوه، الإله الأب في التقاليد اليهودية والمسيحية، تعرض الغنوصيون لهجوم مباشر من أولئك الذين أسسوا دينهم على اعتقاد عزيز بالكائن الذكر الأسمى. غالباً ما كان الهجوم عنيفاً، وأحياناً قاتلاً، كما في حالة وفاة هيباتيا.

لا يستطيع الباحثون المعاصرون تجاهل حقيقة أن الغنوصيين اعتبروا الكائن الأسمى في الديانة اليهودية المسيحية دجالًا مختلًا عقليًا، لكنهم يقللون قدر الإمكان من شأن هذا الادعاء الشائن. في العديد من الأعمال الأكاديمية، يتم تجاهل طبيعة ونشاط الأركونات ببساطة في صمت. (لا يتضمن النصان الأكثر شهرة حول الغنوصية، وهما كتاب هانز جوناس ″الدين الغنوصي″ وكتاب إيلين باجلز ″الأناجيل الغنوصية″، مصطلحي "الأركونات" وما يعادلهما من مصطلحات مترجمة، "الحكام" و"السلطات"، في الفهرس.) ومع ذلك، فإن سيناريو الديميورج وأتباعه الغريبين يظهر بقوة في قصة صوفيا، وهي أسطورة الخلق التي يتم تدريسها في أسرار بلاد الشام. من الواضح أن الغنوصيين ربطوا الأركونات بما اعتبروه جنونًا دينيًا لليهودية والمسيحية، لكن فكرة "زرع كائن" غريبة لدرجة أن العلماء يكرهون التفكير فيها. إن تجاهل المادة الأركونية في مخطوطات نجع حمادي يعفي الخبراء من المسؤولية، لأنه يعفيهم من تقديم معالجة كاملة وعادلة للنقد الغنوصي للدين الخلاصي. باختصار، إنه يحميهم من خطر الخطأ اللاهوتي.

إن الخداع والتزييف من سمات الأركونات: "إن لذتهم تكمن في الخداع *[apaton]* ... وروحهم المزيفة *[antimimon]*" (الكتاب السري ليوحنا، الجزء الثاني، 1 :21). يشير مصطلح *apaton* اليوناني إلى النية المتعمدة للخداع، ويشير مصطلح *antimimon* إلى أسلوب الخداع الأركوني: حرفيًا، "المحاكاة المضادة". وهذا يعني نسخ شيء ما ولكن جعل النسخة، أو النسخة المزيفة، تخدم غرضًا مناقضًا للشيء أو الفكرة الأصلية. في نظرتهم إلى الخداع الذاتي البشري - وهي نظرة متطورة للغاية، قابلة للمقارنة بعلم النفس المعرفي في عصرنا - اعتبر الغنوصيون المخلص الإلهي بمثابة محاكاة مضادة لكاشفهم. رأى أتباع الوثنية من أسرار بلاد الشام ومصر في برنامج الخلاص الدليل والأداة للانحراف الأركوني. لكنهم لم يلوموا الأركونات على ابتكار البرنامج، بل على تواطئهم مع أولئك البشر الذين قاموا بذلك:

> اختار يلداباوث نفسه رجلاً معيناً يدعى إبراهيم ... وعقد معه عهداً بأنه إذا استمر نسله في خدمته فسيعطيه الأرض ميراثاً. وفي وقت لاحق، أخرج من مصر عن طريق موسى نسل إبراهيم، وأعطاهم الشريعة، وجعلهم يهوداً. ومن بينهم اختارت الآلهة السبعة، والتي تسمى أيضًا الهيبدمد، رسلها لتمجيد كل واحد منهم وإعلان يلداباوث إلهًا، حتى يتمكن باقي البشر، عند سماعهم التمجيد، من خدمة أولئك الذين أعلنهم الأنبياء آلهة. *(ضد الهرطقات* , 1.30.10)

هذه هي اللحظة الحاسمة في التاريخ المقدس للعبرانيين القدماء، والتي تُرى من منظور غير مألوف إلى حد ما. لقد نسب الغنوصيون الرواية التقليدية، لكنهم ينسبون قيمة مختلفة تماماً لما يحدث بين إبراهيم والكيان الذي يعتبره الله الآب. يلداباوث (*YAL-dah-BUY-ot*، وهي كلمة مختلقة ربما مشتقة من الآرامية، "الذي يجتاز الفضاء الخارجي") هو الاسم السري للإله الخالق الزائف، أو ديميورج. عالمه هو النظام الكوكبي

باستثناء الأرض، الهيبدمد الكواكب السبعة. في علم الكونيات الخاص بقصة صوفيا، يظهر يلداباوث وأتباعه كصورة مشوهة وخالية من الحياة تعكس الأنماط الإلهية أو النماذج السماوية في البليروما (الإمتلاء)، أي الإله. يُطلق عليهم اسم الأركونات، من الكلمة اليونانية *archaia*، والتي تعني "بدائي" أو "الأول" أو "من البداية"، لأن تكوين عالمهم، وهو النظام الكوكبي الخاضع لقوانين غير عضوية وميكانيكية، يسبق تكوين الأرض الحية. (سيتم شرح قصة صوفيا ودور الأركونات بالتفصيل أدناه، بدءًا من الفصل 10.)

من منظور الغنوصية، فإن الأركونات ليست مجرد طفيليات عقلية - عقد وهمية في العقل البشري، تعتبر كيانات نفسية شبه مستقلة، إن صح التعبير - بل هي محتالون كونيون، طفيليات تتظاهر بأنها آلهة. لكنهم يفتقرون إلى العامل الإلهي الأساسي المتمثل في الإينويا: "الفكر"."النية"، و"الإرادة الإبداعية".

لا يمكنهم ابتكار أي شيء، بل يمكنهم فقط التقليد، ويجب عليهم تنفيذ نشاطهم المقلد بالخداع والتخفي، خشية أن يتم اكتشاف طبيعتهم الحقيقية. وبالتالي فإنهم يقدمون لإبراهيم شيئاً يملكه بالفعل كفرد من الجنس البشري. لقد مُنحت الأرض بالفعل للبشرية: إنها الموطن الثمين الذي حلمت به الإلهة صوفيا للأنثروبوس (الإنسان الكوني)، والذي أظهرته من خلال تحول قواها الخاصة. يقترب الأركونات من إبراهيم بصفقة زائفة، يعدونه فيها بامتلاك العالم الأرضي والسيطرة عليه، لكن هذا لا يتوافق مع إينويا: "الفكر". صوفيا الإلهية. الأرض ليست جائزة إقليمية، بل هي بيئة ثمينة يمكن للجنس البشري أن يدرك فيها عبقريته الفطرية، وقدرته على الابتكار، وذلك من خلال العمل ضمن الحدود الطبيعية التي وضعتها الإلهة. يقلد الأركونات إينويا: "الفكر" الإلهية، نية صوفيا، وفي الوقت نفسه يقلبونها. وبدلاً من المشاركة في المعجزة الإلهية للتكافل والظهور التطوري، وهو الحق الحقيقي للبشرية، فإنهم يعدون إبراهيم بسيادة زائفة تعمل ضد هذا الحق وتحيد الغرض البشري عن مساره الصحيح. هذا هو التقليد المضاد (countermimicry) قيد العمل.

لا داعي للقول إن *(Antimimon)* أنتيميمون أداة قوية للاستيلاء على الممتلكات. يقول الكتاب السري ليوحنا أن الديميورج "أزال نفسه من صوفيا وابتعد عن المكان الذي ظهر فيه" (10.20). بمعنى آخر، لا يحترم الأركونات حدودهم الصحيحة في النظام الكوني. إنهم لا ينتمون إلى الغلاف الحيوي الأرضي، بل إلى النظام الكوكبي الذي يقع خارج الأرض. لكنهم غازون ويشجعون على الغزو.

دعا الرب إله العهد القديم إبراهيم من المكان الذي ولد فيه، أور الكلدانيين. إذ اعتقد إبراهيم أنه يتصرف في سبيل مهمة إلهية، فقد تم تجريده من ممتلكاته. أصبح زعيماً لشعبٍ مُجبر على تجريد الآخرين من أراضيهم في حلقة متصاعدة من فقدان الأراضي واكتسابها. بمعنى أوسع، فإن البشرية جمعاء محرومة من إمكاناتها الحقيقية بسبب حيلة الأركونات - أي من خلال اتخاذ السيادة كوسيلة للتسامي. يرتبط موضوع التجريد ارتباطًا وثيقًا بالادعاء الإلهي للأركونات: "وقال اللورد الأركون للسلطات التي كانت تحضره: تعالوا نخلق إنسانًا على صورة الله وعلى مثالنا" (15.5 ،1 ،II). وهنا مرة أخرى نجد عنصراً مألوفاً من عناصر السرد التوراتي، يُروى بلمسة غنوصية. إن الأركونات أنفسهم مخدوعون في اعتقادهم أنهم قادرون على خلق البشر على صورتهم. إنهم لا ينجحون - فالمواد الغنوصية صريحة في هذه النقطة - لكنهم يغرسون في عقول البشر الاعتقاد بأنهم قد نجحوا.

تزعم جميع الديانات الإبراهيمية أن البشرية مميزة، وأنها النوع الوحيد المخلوق "على صورته". يرتبط

هذا الاعتقاد بالمكون الثاني من عقدة المخلص: فهناك قلة مختارة تعكس صورة خالقها بأمانة، بينما لا يفعل ذلك بقية البشر. إن هذا الاعتقاد الخبيث والانفصالي لا يقتصر على تمييز القلة الصالحة واستهدافها بالتمييز فحسب، بل يدين بقية البشرية التي لا تعكس الصورة الإلهية ولا تتبع خطة الآب. يأتي المسيا لتصحيح هذا الوضع، فينقذ قلة مختارة من الاضطهاد (النسخة اليهودية) أو يقدم الغفران الإلهي لجميع الخطاة التائبين (النسخة المسيحية)، لكن الخطة الرئيسية لم تكتمل بعد على الأرض، ويجب فرض العقاب النهائي. رفض المعلمون في الأسرار هذا السيناريو برمته باعتباره خرفًا، وحيلة ذهانية من طفيليات العقل الأركونية.

على عكس الأيونات الإلهية التي تنبثق دون أن تفرض نفسها، يعتقد الأركونات خطأً أنهم يستطيعون فرض عقليتهم على الجنس البشري. إنهم يريدون جعل البشرية مثلهم، لكنهم يُحبطون باستمرار بسبب تفوق الجنس البشري، "الذي أصله في العالم الخالد، حيث تسكن القوة العذراء، المتفوقة على حكام الفوضى وعلى كونهم" (حقيقة الأركونات، الجزء الثاني، 4: 93.25-30). تؤكد كتابات نجع حمادي باستمرار على أن البشرية متفوقة على الأركونات: "كان آدم أكثر صوابًا في تفكيره من الحاكم الأعلى، يلداباوث" (II، 1: 22.6). لكن على الرغم من أن البشر قادرون على التفوق فكرياً على الأركونات، إلا أننا لا نستغل دائماً الذكاء الفطري لنوعنا، والذي يطلق عليه الغنوصيون اسم "نوس". عندما تكون القدرة على التمييز ضعيفة، فإننا نميل إلى السماح للتظاهر والخيال بالتغلب على التفكير الواضح. إن فشلنا في امتلاك وتطوير الذكاء الفطري لجنسنا البشري، يجعلنا نخاطر بالانحراف بفعل نوع آخر من العقول، وهو الذكاء الاصطناعي الذي يجعلنا غير حقيقيين بالنسبة لأنفسنا.

إن انتصار الحكام أو السلطات، كما يطلق عليهم أيضًا الأركونات، سيتحقق في مرحلة التجربة الإنسانية حيث لا يستطيع أحد التمييز بين البلاستيك واللؤلؤ، ويكون التقليد منتشرًا لدرجة أن الإنسان الحقيقي يشعر وكأنه غريب على كوكبه الأم. عند تلك النقطة، سيصبح الجنس البشري مزيفاً لدرجة أننا لن نكون قادرين حتى على التمييز بين الأشخاص الحقيقيين والنسخ المستنسخة عديمة النفس. يبدو أن خيانة البشرية لنفسها وتخليها عنها ليس إلا تسلية للأركونات. إنهم يمارسون نفوذهم من خلال المعتقدات الدينية - وكذلك من خلال المعتقدات العلمية، عندما يتولى العلم الدور الذي كان يشغله الدين في السابق في المجتمع، كما هو الحال إلى حد كبير اليوم - لأن هذه المعتقدات لها التأثير الأقوى على إحساسنا بالإنسانية والإمكانات البشرية.

على الرغم من أن العلماء يرفضونها باعتبارها خرافات سخيفة، أو صناعة أساطير غنوصية غريبة للغاية بحيث لا يمكن اعتبارها، إلا أن دور الأركونات أساسي لكل من علم الكونيات الصوفانية والنقد الوثني للخلاص. تقول الأساطير المضادة الغنوصية إن الفيروس الأيديولوجي الذي أطلقه القديس بولس على نطاق وبائي قد تم احتضانه بين العبرانيين القدماء من قبل الأركونات. "اختار يلداباوث نفسه رجلاً معيناً يُدعى إبراهيم... وعقد معه عهداً." منذ البداية، أصابت المعتقدات الوهمية لعقلية غريبة الديانة اليهودية المسيحية، لكن الغنوصيين رأوا العدوى وهي تترسخ. لقد علّموا أن إيجاد المسار الحقيقي للبشرية يعتمد على دحض ورفض هذه المعتقدات، وصولاً إلى أصلها. إذا كانت وثائق الصادقين من البحر الميت هي حجر الزاوية للمسيحية، وهو ما يبدو الآن مستحيلاً إنكاره، فإن مواد نجع حمادي ذات الطابع الغنوصي الحقيقي هي الشحنة المتفجرة التي يمكن أن تفجر مؤسسة الإيمان من أسسها، إلى الأبد.

إن رسالة كاشفي الغنوصية هي بمثابة مادة لاهوتية متفجرة.

دين المستضعفين

في كتاب نُشر عام 1991، وصفتُ الغنوصية بأنها "الطرف الأضعف بين أديان العالم". [117] وبالطبع، يتم استبعادها تماماً من قائمة الأديان المهمة في العالم اليوم، أو التي كانت مهمة في أي وقت مضى. كان الهدف من التستر المسيحي الذي استمر لقرون هو القضاء على جميع الأدلة المتعلقة بالغنوصيين والأسرار، وإخماد جوهر الحكمة الوثنية للعالم القديم. كان لا بد من القيام بذلك بدقة وكفاءة عاليتين بحيث يبدو أن ما تم تدميره لم يكن موجوداً أصلاً ليتم تدميره!

أي نوع من الدين، وأي نوع من الحقيقة الكونية، وأي رسالة متوهجة من الحب والتسامح، تحتاج إلى أن تُعرف وتُقبل من خلال دمار من هذا النوع، وعلى هذا النطاق؟

في تاريخ الجنس البشري، لا توجد حملة إبادة روحية وثقافية وفكرية تضاهي ما تم شنه ضد حراس الأسرار وأتباعهم. لم تقتصر النية القاتلة لتدمير الغنوص على الأماكن المقدسة في مصر وبلاد الشام حيث تم الحفاظ على الأسرار من قبل الغنوصتيكوي، المتخصصين في الأمور الإلهية، بما في ذلك ألوهية الأرض نفسها. وامتد ذلك إلى أوروبا، حيث ازدهرت الحكمة الوثنية في تحالف قوس قزح من الأعراق والثقافات، ثم إلى الأمريكتين، حيث تم إبادة مئات الثقافات القبلية من كندا إلى بيرو. وتمتد اليوم من خلال التبشير العدواني إلى آسيا، ولا سيما كوريا والصين، وإلى أفريقيا، حيث تتحالف في كثير من الأحيان مع الحركات العسكرية، كما أنها لا تزال تسيطر على شعوب أمريكا اللاتينية والجنوبية. في جميع أنحاء العالم، تنتشر رسالة الخلاص الكاثوليكية مصحوبة بتفويض للتكاثر والانتشار في جميع أنحاء الكوكب. رفض الغنوصيون التكاثر البيولوجي الأعمى في الجنس البشري باعتباره علامة على الاستعباد للديميورج، إله الخلق الزائف الذي يأمر المؤمنين بالتكاثر والسيطرة على الأرض.

في كتابها "المتعة المقدسة"، تنصح ريان إيسلر بحكمة بأن معرفة ما فقدناه هو إدراك ما لا يمكن أن نفقده. مع اكتشاف الكنز المصري في ديسمبر 1945، نتذكر ما لا يمكن أن يضيع. من المبتذل القول بأن التاريخ يكتبه المنتصرون من أجل إضفاء الشرعية عليهم والاحتفاء بقضيتهم. أتاح الاكتشاف في نجع حمادي سماع الجانب الآخر من القصة. بعد مرور ستة عشر قرناً، نلقي نظرة خاطفة على ما فكر فيه "الخاسرون" وما علموه بكلماتهم الخاصة تقريباً. من النادر للغاية وجود مثل هذه النسخة البديلة من الشهادة البشرية، والتناقض الذي تقدمه مع مفاهيمنا المتوارثة عن الحقيقة والروحانية يمكن أن يكون مثيراً للتأمل.

بينما أكتب هذه الكلمات، مر ستون عامًا للأسبوع منذ العثور على مخطوطات نجع حمادي. (أقول "للأسبوع"، لأن اليوم المحدد غير معروف، لكن العلماء حددوا بعناية أن الجرة التي تحتوي على الكتب القديمة تم العثور عليها في الأسبوع الأول من ديسمبر 1945.) قد يكون الوقت قد حان للنظر فيما إذا كان بإمكان الفريق الأقل حظاً أن يعود إلى المنافسة. هناك بعض المحاولات الجارية لتحويل الدين إلى توجه بيئي وصديق للكوكب، وللتوفيق بين المعتقدات السائدة في الله وإدراكنا الناشئ للكوكب الحي، غايا، لكن الفكر الغنوصي لا يدخل في هذه المحاولات. ليس بعد، على أي حال.

في كتابها "غايا والله"، تقول اللاهوتية النسوية البيئية روزماري رادفورد روثر إن الناس لا يمكنهم

الوصول إلى وعي بقدسية الطبيعة (القيمة الجوهرية للحياة غير البشرية، بلغة آرني نايس البيئية العميقة) إلا من خلال تعديل بعض معتقداتهم الموجودة مسبقًا وتقاليدهم الراسخة منذ زمن طويل. في بداية حجتها، خلصت إلى أن الروحانية الغايانية (التي أقارنها بالرؤية الصوفيانية للأسرار) لا يمكن تحقيقها إلا في إطار المعتقدات الدينية القائمة بالفعل لدى مليارات الأشخاص حول العالم. فعلى سبيل المثال، يمكن إعادة تفسير الإيمان بعهد إبراهيم مع الله على أنه تفويض إلهي للجنس البشري لممارسة علم البيئة، والعمل كحراس للعالم الطبيعي. وعلى وجه الخصوص في المسيحية، هناك قناعة متزايدة بأنه يمكن استخلاص أو استنباط نوع من "علم اللاهوت البيئي" من أيديولوجية الخلاص والمعتقدات المرتبطة بها. مع التركيز على التحول الألفي نحو الروحانية الغايانية، حمل العدد الأول من مجلة "الإيكولوجيست" لعام 2000 العنوان الموضوعي "العهد الكوني"، مع العنوان الفرعي "إعادة دمج الدين في المجتمع والطبيعة والكون". يحتوي على مقالات كتبها أتباع القيم اليهودية المسيحية الإسلامية التقليدية الذين يرغبون في مواءمة معتقداتهم مع منظور غايا ومبادئ علم البيئة العميق. والجدير بالذكر أنه لا يحتوي على أي مقال من تأليف أحد دعاة حماية البيئة المتطرفين الذين يرغبون في الانضمام إلى تلك الأديان.

في المقال الرئيسي للمجموعة بعنوان "علم البيئة العميق والأديان العالمية"، يجادل روجر إس. جوتليب بأن علم البيئة العميق "ليس حركة خارج الأديان العالمية...". بل إن علم البيئة الروحية العميقة يحدث داخل الفضاء الخطابي والعاطفي والمعرفي، وفي بعض الأحيان حتى المؤسسي، للأديان العالمية نفسها.[118] لكن هل هذا صحيح حقاً، أم أن هذه النظرة إلى علم البيئة العميق مجرد أمنيات ناتجة عن التماهي الشخصي مع التقاليد الدينية التي لا يمكن التشكيك فيها أو التغلب عليها؟ هل يمكن حقاً أن ينشأ الاحتفاء بقدسية العالم الطبيعي من أنظمة معتقدات قائمة على المكونات الأربعة لعقدة المخلص؟ يستشهد غوتليب بالعديد من الأشياء الرائعة التي يستمدها الناس من الانتماء إلى التقاليد الدينية السائدة، بما في ذلك البوذية، لكنه لا يأخذ في الاعتبار أبدًا الاعتقاد الوثني بالخير الفطري للطبيعة البشرية، كما أنه لا يتحدى الخط المتشدد لأجندة الخلاص. إن المقالات الصادقة التي تم تجميعها في كتاب "علم البيئة العميق والأديان العالمية" لا تذكر الغنوصية أو الأسرار. تمكن معظم المساهمين من استخلاص القيم البيئية من التقاليد القائمة، لكن إريك كاتز، الذي كتب عن "اليهودية وعلم البيئة العميق"، يعترف "بمخاوف عميقة من إمكانية فهم اليهودية التقليدية كحليف لعلم البيئة العميق".[119] يُعد هذا النوع من الصدق بديلاً مرحباً به لعقلية التظاهر التي تهيمن على النقاش حول الدين التقليدي وعلم البيئة العميق، والتي تميل دائماً لصالح الأول.

في كتابها "غايا والله"، تؤكد روزماري رادفورد روثر بشكل قاطع أنه "لا توجد روحانية وأخلاق بيئية جاهزة في التقاليد الماضية".[120] حسناً، هذا يحل المشكلة. إن التستر الذي دام آلاف السنين على تدمير الرسالة الغنوصية لا يزال قائماً بالتأكيد في معهد غاريت الإنجيلي اللاهوتي في إيفانستون، إلينوي، حيث تدرّس روثر. بسبب افتقارهم إلى معرفة الرؤية الصوفيانية، يميل أتباع الديانات الإبراهيمية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، المضطربون والذين يبحثون في قلوبهم، إلى البحث عن نسخ بديلة من تقاليدهم الخاصة لإيجاد طرق للتعرف على الحكمة الإلهية واستعادتها. وقد يفعلون ذلك من خلال الكابالا في اليهودية، على سبيل المثال، أو من خلال تجلي الحبيب في التصوف، وهو البعد الخفي للإسلام. ومع ذلك، في هذا السعي وراء البدائل الدينية بشروط آمنة ومألوفة، نادراً ما يتم النظر في الخيار الأقدم والأكثر جذرية: الغنوص. هذا ليس مجرد دين بديل، بل هو بديل للدين نفسه. إنه طريق للمعرفة المباشرة، وممر يتجاوز الإيمان. وعلى هذا النحو، يوفر الغنوص الأساس الأساسية التجريبي لتعميق رؤية علم البيئة العميق. في محتواه، الذي ينعكس في المواد الراديكالية الحقيقية الموجودة في نجع حمادي، تقدم قصة

صوفيا سردًا مقدسًا عن الأرض. تقدم القصة المقدسة رحلة بحث رؤيوية يمكننا من خلالها فهم دور البشرية في أنشطة غايا ما بعد الإنسانية. إن النضج من الناحية التطورية المشتركة يتطلب منا كنوع أن نجد "توافقًا إبداعيًا" في التكافل الغاياني، كما اقترحت لين مارغوليس، مستشهدة بمصطلح اقترحه رائد البيئة إيان ماكهارغ.

هدفي الأساسي من كتابة هذا الكتاب هو إظهار أن الغنوص، الذي يعتبر مسارًا للتصوف التجريبي، والرؤية الصوفيانية، التي تعتبر سردًا توجيهيًا للتطور المشترك، يمكن أن توفر البعد الروحي لعلم البيئة العميق بشكل مستقل عن الديانات الرئيسية الثلاث المشتقة من التقاليد الإبراهيمية. من المؤكد أن هذا الموقف سيبدو لئيماً وغير كريم للوهلة الأولى، ولكن ربما بحلول نهاية الكتاب، سيبدو أقل قسوة. لماذا نستبعد إمكانية المصالحة من النوع الذي تدافع عنه روثر وغيرها بحماس شديد؟ لماذا هذا التشدد في إسقاط الإيمان بالخلاص؟ لماذا لا ندعو إلى الانسجام والشمول، بدلاً من التناقض والإقصاء؟

لقد تدهورنا جميعاً أخلاقياً وروحياً بسبب ما فعلته أيديولوجية الخلاص بالجنس البشري وبالكوكب. في ظل تشابك العلاقة بين الضحية والجاني، يسعى الضحايا عادةً إلى المصالحة مع الجناة، ليس فقط لأن المصالحة تخفف بشكل زائف من ألم الظلم الذي لا يطاق والأذى الذي يرتكب بجنون وبدون سبب - وهو أذى لا يمكن إصلاحه أبدًا، حتى من قبل الله - ولكن بشكل أكبر لأن روح المصالحة تسمح للضحية بالشعور بالفخر، واستعادة قدر ضئيل من الكرامة، والبقاء على أرضية أخلاقية أعلى من الجاني. باختصار، المصالحة هي طريقة رائعة للحفاظ على الرابطة سليمة. يمكنك الاعتماد على ذلك. الجناة يفعلون ذلك دائماً.

ولتجنب الانتكاس المرضي إلى متلازمة الضحية-الجاني، لا يمكن التهاون مع الجناة أو المعتقدات التي يخفون وينفذون من خلالها أفعالهم. إن الرؤية الصوفيانية للغنوص كافية في حد ذاتها، ولا تحتاج إلى إضفاء الشرعية عليها من خلال الارتباط بالمعتقدات الدينية السائدة. من السهل جداً أن ننسى ما عاناه الملايين، وما زالوا يعانونه حتى اليوم، باسم الخلاص الإلهي. لقد أدى وعد الانتقام الخارق للطبيعة من الظلم البشري إلى شلّ الحس الأخلاقي لكل من تبناه، لكن الجرح عميق لدرجة أننا لا نستطيع فهم أصله. إن غياب الشهادات من الجانب الخاسر في المعركة التي شنها جيش الخلاص يبقينا غافلين عن الطبيعة الحقيقية للمعركة. لقد اعتدنا على الشعور بالرعب عند سماع قصص المسيحيين الذين ألقوا للأسود، لكن سجل الاضطهادات التي عانت منها المسيحية المبكرة ضئيل مقارنة باضطهاد المسيحيين للوثنيين والغنوصيين ومدارس الأسرار. يقدم كتاب "الرسالة الثانية لسيث العظيم" شهادة مباشرة من أحد كاشفي الغنوصية. في أحد المقاطع، يقدم الكتاب رواية الخاسر عن مظهر الفائزين وتصرفاتهم:

> لقد كرهنا واضطهدنا، ليس فقط من قبل أولئك الذين لا يستطيعون فهمنا، ولكن أيضًا من قبل أولئك الذين يعتقدون أنهم يروجون لاسم الكريستوس، على الرغم من أنهم كانوا فارغين عن قصد، جاهلين بمن هم، مثل الحيوانات البكماء... لقد اضطهدوا أولئك الذين حررتهم أنا، أنا الكاشف، لأنهم يكرهون الأحرار - أولئك الكارهين الذين لو صمتوا لبكوا بكاءً عقيماً لأنهم لا يعرفون من أنا.
>
> بل إنهم خدموا سيدين، بل وجماعة. لكنهم سينتصرون في كل شيء، في الحروب

والمعارك، والانقسام والغيرة والغضب... بعد أن أعلنوا عقيدة رجل ميت وأكاذيب بحيث تشبه حرية ونقاء المتأهلين، جمعيتنا المقدسة.

وهكذا، إذ يتحدون في عقيدتهم القائمة على الخوف والاستعباد، والاحتياجات الدنيوية، ويتخلون عن التبجيل، ويتسمون بالتفاهة والجهل، فلا يستطيعون أن يتقبلوا نبل الحقيقة، لأنهم يكرهون ما هم عليه، ويحبون ما ليسوا عليه. (58–61)

---

* انظر "اقتراحات للقراءة والبحث" لمزيد من التفاصيل حول مخطوطات نجع حمادي والكتابات المعاصرة حول الغنوصية.

* لقد اقترحت أن اللغة القبطية هي نوع من لغة الاختزال التي يستخدمها الطلاب الكتبة لتدوين الملاحظات أو نسخ المحاضرات التي حضروها في معابد مدارس الأسرار المصرية. اطلع على مقالتي على http://www.metahistory.org/MysteriesDied.php.

† يشير القوس الذي يلي عنوان نص من نصوص نجع حمادي إلى المخطوطة بالأرقام الرومانية (من الأول إلى الثاني عشر) وتسلسل النص في المخطوطة برقم عربي. تشير الأقواس التي تلي الاقتباس إلى الصفحة والسطر في النص المذكور: IV,1: 55.10.

8
داخل الأسرار

إن تأسيس الأسرار هو الظاهرة الأكثر إثارة للاهتمام في دراسة الدين. كانت فكرة العصور القديمة هي أنه كان هناك شيء يمكن معرفته في الدين، أسرار أو ألغاز يمكن التلقين فيها؛ وأن هناك عملية تدريجية من الكشف في الأمور الدينية؛ باختصار، أن هناك علمًا للنفس، ومعرفة بالأشياء غير المرئية.

— جي. آر. إس. ميد، شظايا إيمان منسي[121]

نادرًا ما يناقش العلماء المتخصصون في الغنوصية "الأسرار". عندما يفعلون ذلك، فإنهم يطبقون تعريفًا عامًا للغاية على هذا المصطلح: كانت الأسرار طقوسًا مشحونة عاطفيًا يتم الاحتفال بها في الطوائف الوثنية المنتشرة في جميع أنحاء الشرق الأدنى ومصر واليونان، في العصر الهلنستي (320-30 قبل الميلاد). هذا الوصف صحيح، لكنه لا يذهب إلى أبعد من ذلك. تقدم المصادر القديمة صورة أكثر دقة وتحديداً من حيث الإطار الزمني والنطاق الجغرافي. يشيرون إلى الأسرار حسب المواقع (هيبرنيا، سَمَدْرَك)، والأسماء العرقية والثقافية (البراهمة، الفريجيون، المصريون)، وأسماء الطوائف (الأوزيريون، الأورفيون، الدرويديون). إنها تقدم ما يمكن تسميته نظرة واسعة النطاق للأسرار باعتبارها شبكة تمتد من أقصى الجزر الشمالية لبريطانيا وصولاً إلى الساحل الشمالي لأفريقيا وعمق آسيا، وهي شبكة ذات أصل قديم للغاية.

إن النظرة المحدودة القائلة بأن "طقوس الخلاص الوثنية"، كما يطلق عليها غالباً، لم تكن موجودة إلا في الشرق الأدنى، وخلال العصر الهلنستي فقط، تؤثر على كيفية فهم العلماء للغنوصية. يتبع الخبراء في تاريخ الأديان افتراضًا راسخًا مفاده أن الحركة الغنوصية كانت تتألف من طوائف هامشية متفرقة نشأت داخل المسيحية المبكرة، ولكنها لم تكن موجودة قبلها. يفترضون أن الديانة الغنوصية لم تكن موجودة قبل أقدم الإشارات النصية إليها الموجودة في كتابات آباء الكنيسة ضد الغنوصيين، بدءًا من "الدفاع الأول" لجوستن الشهيد حوالي عام 150 ميلادي. هذا الرأي، الذي أصبح الآن بالإجماع، ينفي أن الغنوصتيكوي مثل هيباتيا شاركوا في الأسرار، ويرفض احتمال أن يكون بعض الغنوصيين من *telestai* التيليستاي مؤسسي ومديري تلك المؤسسات القديمة والدائمة.

لكن الباحثين السابقين كان لديهم رأي مختلف تماماً. كتب جي. آر. إس. ميد قبل نصف قرن من اكتشاف نجع حمادي، مؤكداً أن "الأشكال الغنوصية تحتفظ بعناصر من التقاليد الغامضة للعصور القديمة بشكل أكثر اكتمالاً مما نجده في أي مكان آخر". [122] يؤكد التحليل الدقيق للمخطوطات المصرية وجهة نظره. ربما يكون هناك اتجاه لإعادة تعريف الغنوصية وفقًا لشروطها الخاصة قيد التكوين.

الجذور الشامانية

Telestes (تيليستيس) (جمعها *telestai*) التيليستاي هي كلمة يونانية مشتقة من *telos*، تيلوس وتعني "الهدف" أو "الغاية" أو "الشيء النهائي". *telestes* (تيليستيس) هو "الشخص الذي لديه هدف، ويسعى لتحقيق غاية". هذا ما كان يُطلق على المنضمين الجدد إلى شبكة الغموض. كان الغنوصتيكوس اسمًا آخر لنفس الشيء: وهو شخص مطلع يتمتع بمعرفة خاصة في الأمور الإلهية، وإرادة الآلهة وعملها؛ ومن ثم، خبير في علم اللاهوت وعلم الكونيات. معظم العلماء لا يعترضون على هذا التعريف، ومع ذلك فإنهم يرفضون فكرة أن الغنوصتيكوي مثل هيباتيا كان لهم أي علاقة بالتقاليد الدينية الأكثر تبجيلاً في العصور القديمة، وهي الأسرار.

تشهد المصادر القديمة على نطاق واسع على قدم الأسرار وتوجهها الأرضي، فضلاً عن تكريسها المشترك لـ ماغنا ماتر (الأم العظيمة، التي أربطها بـ غايا). تميل الدراسات الحديثة بشكل روتيني إلى تجاهل هذه الأدلة أو رفضها باعتبارها محض افتراء. لكن إذا كانت الأسرار أرضية، ألا يكون لها جاذبية عالمية وتنتشر في أشكال إقليمية على نطاق واسع؟ تُعد عبادة الإلهة العظيمة سمة مميزة للثقافات الأمومية التي تعود إلى العصر الحجري القديم. ومن الجدير بالذكر أيضاً في هذا السياق أن أقدم طبقات الشامانية في سيبيريا وجبال الأورال وأوروبا وغيرها، تُظهر توجهاً قوياً نحو الإلهة. يشير ميرتشا إلياده إلى أنه على الرغم من أن الشامانية أصبحت تُعتبر مهنةً للرجال، مُؤطَّرةً في سياق ديانة إله السماء الذكورية الهندو-أوروبية التي "لا تبرز فيها ألوهية الأرض على الإطلاق"، فإن الجذور الأكثر قِدماً للتجربة الشامانية تُشير إلى الدور الأساسي للمرأة - على سبيل المثال، بين شعب الأينو في اليابان.[123] تروي جوان هاليفاكس الأسطورة السيبيرية التي تقول إن الشامان الأصلي كان امرأة نسر وضعت ذريتها الذكور في شجرة سحرية. يقدم نص كوني غنوصي رئيسي، وهو كتاب الكتاب السري ليوحنا، صورة النسر الشاماني على شجرة الحياة. ورد ذلك في فقرة عن صوفيا الإلهية، "هي التي تسمى الحياة (زوي)، أم الأحياء". [124]

إن احتمال أن تكون المعرفة والممارسات الغنوصية هي الإزهار الأخير لتجربة الألفية في "التقنيات القديمة للنشوة" (مصطلح إلياده الشهير للشامانية) لم يتم الاعتراف به أو استكشافه بعد.

لقد دعمت أعمال العلماء الأوائل (عادةً الألمان، مثل ريتشارد رايتزنستين) هذا المسار من البحث بشكل واضح، ولكن لم يعد يتم الاستشهاد بأعمالهم. اعتبر رواد هذا المجال الحركة الغنوصية بمعناها الواسع ظاهرة روحية ضخمة ذات أصول آسيوية وسطى، تسبق المسيحية بقرون، إن لم يكن بآلاف السنين. ثمة ميل طفيف الآن للعودة إلى هذا الرأي. في مقدمته للطبعة القياسية من مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية، كتب جيمس روبنسون: "يبدو أن هذا النقاش يتجه نحو فهم الغنوصية كظاهرة أوسع بكثير من الغنوصية المسيحية التي وثقها علماء الهرطقة".[125] لكن حتى الآن، لا يوجد تأثير متسلسل من شأنه أن يغير الطريقة التي يمثل بها الباحثون الغنوصية للتيار السائد.

الشهادة المقدسة

جاء من إيزيس نور وأشياء أخرى لا توصف تؤدي إلى الخلاص.

—أريستيدس، المتأهل في الأسرار [126]

إن معنى الأسرار ليس واضحاً تماماً، لأن المتأهلين أقسموا على الصمت بشأن ما مروا به. ومع ذلك، يُفترض عموماً أن المشاركين في الطقوس المقدسة قد أدركوا تغييراً عميقاً في النفس، وتطهيراً داخلياً، وولادة جديدة. كانت "الأسرار" طقوسًا تأهيلية ذات طابع طوعي وشخصي وسري، تهدف إلى تغيير العقل من خلال تجربة

المقدس." [127] شعر المشاركون بالتجدد والنشاط، ولكن ليس "بالخلاص"، لأن الخلاص بالمعنى اليهودي المسيحي كان غير متوافق مع التجربة الدينية الوثنية. إذا كان الخلاص يعني أن يغفر الله ذنوب المرء، وأن يخفف عنه بتدخل قوة خارقة عبء المعاناة الوحيد والظالم الذي لا يطاق، وأن يتحرر من عناء هذا العالم، وأن يُسلم إلى الخلود في عالم آخر، فإن الوثنيين بالتأكيد لم يكونوا مهتمين بالخلاص. كان نظام المكافآت هذا غريباً على نظرتهم للعالم.

"ساد الصمت جميع "الأسرار"، وهي كلمة مشتقة من الفعل اليوناني *myo*-، والذي يعني "إغلاق العينين"، أو "إبقاء الفم مغلقًا"، إما "خوفًا من الخطر"، أو "في مواجهة الرهبة". [128] بالنظر إلى نذر الصمت، قد يُعتقد أنه لم يُسمح بأي شهادة حول الأسرار، لكن هذا ليس هو الحال بالضبط. تعهد المتأهلون بعدم الكشف عن أكثر جوانب الطقوس حميمية. لم يستطيعوا أن يقولوا ما واجهوه في لحظة الكشف النهائي، لكن كان بإمكانهم الإشارة إليه، وكان بإمكانهم، وقد فعلوا، وصف آثار التأهيل بشكل عام. يقدم الكاتب اللاتيني أبوليوس (الذي ازدهر حوالي عام 150 ميلادي) في كتابه "الحمار الذهبي" ما يُحتمل أن يكون سردًا أصيلًا وموثوقًا به عن طقوس الانضمام إلى أسرار إيزيس. في اللحظة الحاسمة من الكشف، يخاطبه صوت سامٍ:

> أنا الطبيعة، الأم الكونية، سيدة جميع العناصر، ابنة الزمن البدئية، سيدة كل الأشياء الروحية، ملكة الموتى، وملكة الخالدين أيضاً، المظهر الوحيد لجميع الآلهة والإلهات المعروفة لكم على الأرض. [129]

تتفق شهادة أبوليوس مع التقارير القديمة التي تفيد بأن التأهيل كان عبارة عن لقاء مع الطبيعة الحية، الأم العظمى - أو غايا بالمصطلحات الحديثة. لقاءٌ تميّز بظهور نورٍ غامض.

كان الكشف التأهيلي جزئيًا سمعيًا وجزئيًا استبصاريًا، لأن الكشف الأسمى للألوهية جاء من خلال أحاسيس ملموسة.[130]يقول تفسير سام من نجع حمادي (VII، 1،1.30): "كان النور مليئًا بالسمع والكلمة". في اللحظة القصوى من الكشف، رأى المتأهلون وسمعوا في آن واحد نوعًا من النور الخارق للطبيعة. يبدو أن هذه الظاهرة لم تكن مجرد جانب مكثف من الضوء الجوي كما نعرفه. الضوء الجوي غير مرئي، ولكنه يجعل كل شيء مرئياً. لكن نور الأسرار لم يكن من هذا النوع. كان "النور السماوي" (مصطلح تبجيلي يستخدم في التعليقات القديمة) الذي تمت مواجهته في الأسرار مرئيًا. ضع في اعتبارك هذا التشبيه: عندما

تكتب على جهاز كمبيوتر، يكون الضوء الكهربائي الذي يملأ الشاشة غير مرئي (أي واضح وشفاف)، لكن الصفحة التي تكتب عليها بيضاء ومرئية بوضوح.

في كتاب "دحض جميع الهرطقات " (الكتاب الخامس)، أشار هيبوليتوس إلى "البراهمة" في الإسكندرية الذين "يؤكدون أن الله نور، ولكن ليس كما يُرى به". هيبوليتوس، الذي كان أقرب إلى الموضوع بقرون من العلماء المعاصرين، اعتبر أن البراهمة من الهند ينتمون إلى شبكة واسعة من الخلايا الغامضة الممتدة عبر أوروبا وعمق آسيا. يشير تعليقه إلى أن تجربة نور الأسرار كان عالميا داخل الشبكة. ويذكر هيبوليتوس أيضاً وجهة النظر الغنوصية، التي يشترك فيها البراهمة، والتي مفادها أن "الألوهية هي خطاب". يؤكد هذا البيان الضمني أن الإشراق الغامض للطقوس الوثنية تفاعلي. كان "الاستماع والتحدث" عملية ثنائية الاتجاه. يقال إن "النور اللانهائي" حي. إن الغرض من مواجهة النور هو اكتشاف "أسرار الطبيعة السامية" (هيبوليتوس). كان النور الذي جاء من إيزيس (وفقًا لشهادة أريستيدس المذكورة أعلاه) أكثر من مجرد تكثيف مبهر للضوء الطبيعي. بطريقة ما، تواصل النور الإلهي مع أولئك الذين شاهدوه.

تؤكد التعاليم البراهمية حول الإلهة العظيمة الشهادة المباشرة الموجودة في الكتابات الهلنستية. "بصفتها الجانب الأنثوي *(شاكتي)* لبراهما، فإن ساراسواتي هي إلهة الخطاب الغزير *(فاك)*، وإلهة الكشف و "الحكمة"، كما يوضح عالم الهنديات البارز هاينريش زيمر[131] إن *vahana* المركبة أو وسيلة الإله هي أداة الكشف عنه من خلال الحواس البشرية. عندما تُسمى الإلهة *Gauri*، أي "البيضاء المتألقة"، فإنها تُقارن ببياض الغطاء الجليدي الناعم الكريمي لجبل كيلاش. يشبه البياض الحليبي للثلج نور الأسرار المرئي. في البوذية، الإلهة التي تمثل هذه الرؤية هي تارا البيضاء، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأميتايوس وأميتابها، بوذا النور اللانهائي. تصوّرات تارا البيضاء على أنها "الشابة ذات الثديين الممتلئين"، وجسدها "ينضح بالروح المتعالية العظيمة".

يمكن أن يؤدي "النعيم" إلى التجديد وحتى الخلود[132] كان اللقاء الرؤيوي في الأسرار حيويًا للغاية، حيث نقلت أسرار الحياة - وهو كشف بيولوجي صوفي، كما يمكن للمرء أن يقول. في التقاليد الآسيوية، تنحدر آلهة التنوير مثل تارا من آلهة الأشجار التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ أو من "الشجرة الأم"، موتفيدر. "شجرة العالم، التي تعبر عن عصارتها الذهبية اللبنية، ترمز إلى "الحقيقة المطلقة"، والعودة إلى المركز ومكان المنشأ، موطن الحكمة التي تشفي."[133]

كانت ممارسة الغنوص عبارة عن إضاءة كاملة للجسم في حضرة الطبيعة المقدسة التي عرفها الغنوصيون على أنها إلهة أنثوية متوشحة بتيارات حيوية من الضوء الأبيض المتموج.

إن *vahana* المركبة أو وسيلة الإله هي أداة الكشف عنه من خلال الحواس البشرية. *vahana* مركبة الإلهة الهندوسية ساراسواتي هي الطاووس ذو الذيل المروحي المليء بالعيون. بعد فترة طويلة من تدمير الأسرار لإفساح المجال أمام دين الخلاص الجديد، حافظت التقاليد الخيميائية الغربية على هذه الصور في *cauda pavonis*ذيل الطاووس، رمز الإشعاع تحت الحسي الذي يتم تجربته عند اكتمال العمل العظيم. يحتوي الضوء الأبيض على جميع الألوان، وهو مليء بالعيون، ضوء يرى كل شيء. حجر الفلاسفة، الذي يُطلق عليه غالبًا اسم "الحجر الأبيض"، هو أيضًا استعارة غامضة للوجود المرئي لنور الأسرار .

كان سمعان الساحر من السامرة أول معلم مسجل في مدرسة الأسرار يكسر حاجز السرية ويتحدى علنًا

دعاة الخلاص. يصف كتاب "اعترافات كليمنتين"، وهو مجموعة قصصية من القرن الثالث، مواجهاته مع الرسول بطرس. يرفض الغنوصيون بلا رحمة ادعاءات الكشف الإلهي التي يقدمها المسيحيون غير المطلعين. وفي حديثه إلى مجموعة من المتحولين المسيحيين، يقول صراحة: "هناك قوة معينة من نور هائل لا يوصف، يمكن اعتبار عظمته غير مفهومة، وهي قوة يجهلها حتى خالق هذا العالم، وموسى مشرع الشريعة، ويسوع سيدكم" (اعترافات كليمنتين، الكتاب 2، الفصل 49. كان من الجرأة الشديدة، في ذلك المكان والزمان، أن يتحدث أحد المتأهلين بصراحة تامة عن هذا الجانب الحميم من الأسرار. ينفي سمعان الساحر بشكل قاطع أن يسوع أو موسى، اللذين يمثلان التقاليد اليهودية المسيحية، قد تم تلقينهما الكشف البدائي.

عندما سأل بطرس سمعان: "إذا كان هذا النور قوة جديدة، فلماذا لا يمنحنا بعض الحواس الجديدة؟" يجيب سمعان قائلاً: "بما أن كل الأشياء الموجودة تتوافق مع تلك الحواس الخمس التي نمتلكها، فإن القوة التي تفوقها جميعاً لا يمكنها أن تضيف أي شيء جديد". تكشف هذه الاستجابة عن نقطة دقيقة في علم الإدراك نموذجية للتعاليم الغنوصية: فنور الأسرار الذي يغمر الحواس الجسدية لا يغيرها، ومع ذلك فإنه من خلال غمرها هذا يُظهر من خلال الحواس كشفًا فوق حسي. يذكرنا رد سمعان الضمني بتأكيدات أساتذة الزن المحيرة مثل هوانغ بو (القرن العاشر الميلادي): "طبيعتك الحقيقية ليست شيئًا تفقده أبدًا في لحظات الوهم، ولا يتم اكتسابها في لحظة التنوير".[134] في البوذية التبتية، يُعرف النور الذي يغمر الحواس الخمس باسم الإشعاع الخماسي للتاتاغاتا. إن نور الأسرار الكريمي الشبيه بالمارشميلو لا يمحو الأشكال، التي تبدو وكأنها تطفو فيه مثل بقع ملموسة. كما أنه لا يغير المظاهر، إلا أنه يجردها من كثافتها وكتلتها المألوفة.

تشير المزيد من الشهادات حول نور الأسرار إلى وجود أوجه تشابه وثيقة بين التنوير الوثني والتصوف البوذي. "إن النفس عند لحظة الموت تمر بنفس التجربة التي يمر بها أولئك الذين يتم إدخالهم في الأسرار. يُذهل المرء بضوءٍ رائع." هكذا تقول أشهر شهادة قديمة على الأسرار، وهي ما يسمى بجزء من كتاب ثيمستوس.[135]سيتعرف القراء المطلعون على الكتيبات المسماة "كتب الموتى" في التقاليد التبتية هنا على تشابه مباشر مع التعاليم البوذية حول تجربة ما بعد الموت. تصف هذه الكتيبات، التي تهدف إلى قراءتها للمتوفى، "ضوءًا واضحًا"

ولعبًا متداخلًا للأضواء الملونة، بما في ذلك توهج أبيض حليبي ناعم يقال إنه ينبعث من "عالم الإله". [136] يبدو أن المتأهلين الوثنيين كانوا قادرين على الوصول إلى هذا الجانب المحدد من النور الذي ينبثق في تجربة ما بعد الموت قبل وفاتهم. (إن التوازي بين طقوس التأهيل الوثنية وحالات ما بعد الموت الموصوفة في البوذية التبتية هو أحد الأدلة العظيمة التي لم يتم استكشافها بعد في تاريخ التجربة الصوفية.)

تقدم الكتابات الغنوصية في شكل "خطاب الكشف"، مثل "شرح سام" المذكور أعلاه، بعض الأوصاف المباشرة لتجربة السر. يواجه المتأهل إشعاعًا ساميًا ويتواصل معه. كان التوجيه بالنور الحدث الأسمى في عملية التأهيل. تقول الرسالة الثلاثية، وهي أطول وثيقة في مكتبة نجع حمادي، إن هذه التجربة هي امتياز يقدمه الإله الأعلى: "أرشد المنشئ [القبطية بيئوت PEIOT] أولئك الذين بحثوا عن رؤية أعلى من خلال إشراق ذلك النور الطاهر" (87: 88.10). إن نصوص الكشف مثل الخطاب حول الثامن والتاسع (مخطوطات نجع حمادي VI، 6) تعطي انطباعًا لا لبس فيه بأن المتأهلين يتلقون المعرفة مباشرة من النور الإلهي. في ذلك النص، يعلن الكاهن الأكبر، وهو المتأهل المخضرم الذي يجلب المتأهل إلى حضرة النور: "ابتهجوا بهذا الكشف!" فمن البليروما (الإمتلاء) [الألوهية] تأتي القوة التي هي النور، تتدفق فوقنا. لأني أراه! أرى العمق الذي لا يوصف" (57.25–30؛ ترجمة NHLE المعدلة). ستصل مقتطفات جميع المقاطع المماثلة في المدونة الغنوصية إلى ست صفحات.

النور السماوي، النور اللانهائي، نور الأسرار، النور الأبيض، النور الإلهي، كلها أسماء مختلفة لنفس الحقيقة السامية. إن نور الإشراق الغنوصي ليس مجازياً، بل هو جوهري. وللتأكيد على طبيعتها الحية والمانحة للحياة، يمكن أيضاً تسميته بالنور العضوي.

في كتاب *"الأديان الغامضة"*، يقول أنجوس إن "جميع مظاهر الظهور القديمة كانت من طبيعة النور المبهر". تم إعداد المتأهل أو الصوفي *(الجمع متأهلون)* بعناية للتعرف على النور العضوي وتدريبه على البقاء مركزًا عليه بثبات. تفاوت عمق ومدة لقاء الصوفي مع النور باختلاف قدرات المتأهل. "يبدو أن التمييز الذي وضعه بسيلوس بين *autopsia* (الكشف الذاتي)، الذي يرى فيه المتلقي نفسه النور الإلهي، يشير إلى أن المتأهلين لم يكونوا عرضة للرؤية بنفس القدر، و*epopteia* "الأسرار العظيمة"، التي يراها من خلال عيون hierophant (الكاهن الأعظم). [137]

كانت هذه التجربة من التعليم بواسطة النور العضوي، والطريقة التي تم بها إيصالهم إليه، هي ما مُنع المتأهلون منعاً باتاً من الكشف عنه. لكنهم لم يسعوا إلى لقاء النور لأغراض أنانية، بل احتفظوا بثمار تجربة التعلم النهائية لأنفسهم. ولم يكونوا يسعون إلى إشباع النزعة النرجسية المتمثلة في "التأليه"، كما هو مفترض على نطاق واسع. وتماشياً مع التزامهم بنقل ما تعلموه من خلال التأهيل، كتب التيليستاي *telestai* وتحدثوا بإسهاب كبير. على الرغم من عدم كشفهم عن تفاصيل حميمة عن اللقاء الأسمى، إلا أنهم كتبوا بإسهاب عما استخلصوه منه. قاموا بتعليم الآخرين، مسترشدين بما علمهم إياه نور الأسرار.

التجديد الصوفي

كيف نطور ذواتنا بشكل أوسع؟... تتطور النظرة البيئصوفية من خلال هوية عميقة لدرجة أن الذات لم تعد محددة بشكل كافٍ بالأنا الشخصية أو الكائن الحي. يشعر المرء بأنه جزء حقيقي من الحياة كلها.[138]

يقول أحد مبادئ العقيدة الكاثوليكية أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة. تقول الشهادات القديمة للديانة الوثنية: "لا خلاص بدون تجديد". [139] إن الكلمة اليونانية *palingenesis*، والتي تعني "التجديد"، لا تشير إلى فعل عامل خارق ينتج عنه تأثيرات على المستوى البشري. لا يمكن مساواتها بالقيامة. بل كان التجديد حدثًا دراميًا حدث في نفس المتأهل *(mystes)* بسبب اتصاله الوثيق بالعالم الطبيعي، مما أدى إلى اندفاعة من الحيوية الفائقة والنشوة. تحققت عملية التجديد من الناحية الحسية، في إطار العالم الطبيعي. تشير الأدلة القليلة المتبقية إلى أن التأهيل في الأسرار كان عبارة عن تنوير كامل للجسد، وليس رحلة خارج الجسد إلى فضاء أثيري يتجاوز هذا العالم.[140] وتشير الشهادات المتبقية في الغالب إلى أن التنوير الغنوصي تضمن حقيقة التنوير الجسدي الكامل، والوعي الكوني في الجسد. يمكن مقارنة هذه التجربة بالنشوة الصوفية لمرحلة "الكمال" في الدزوغشن، عندما لا يعود الجسد مجرد جسد:

إن مصطلح *kaya (sku)* لا يعني الجسم بالمعنى المادي العادي فحسب، بل يعني البعد الظاهر الكامل للفرد. إن الجسد المادي هو بالطبع الموضع المركزي لهذا البعد، لكن هذا الجسد لا يتوقف عند الجلد فقط. إنه لا يمثل شكلاً ثابتاً، كتمثال مثلاً، بل يمثل علاقة ديناميكية بين الفرد وبيئته.[141]

إن مواجهة نور الأسرار هنا والآن في العالم الحسي، في البيئة الأرضية، أنتجت موجة من الحيوية الفائقة التي بقيت في جسد المتأهل بعد انتهاء الطقوس.

أحد المنضمين إلى طائفة أتيس، وهو رجل يدعى داماسكيوس، ترك هذه الرواية: "تخيلت أنني أصبحت أتيس، وأنني كنت أتلقى التأهيل من أم الآلهة في المهرجان المسمى هيلاريا، حيث كان المقصود منه أن يدل على أن تحررنا من الموت قد تحقق". [142] إن ما "يتخيله" المتأهل ليس خيالاً، بل حدثاً صوفياً حقيقياً كأي شيء في "الحياة الواقعية".

كانالتعاطف مع حياة إله وثني أسلوباً نفسياً للتغلب على الهوية الذاتية الأحادية. شعر الوثنيون الذين خضعوا لطقوس التأهيل برابط قوي مع قوى الحياة الكبرى لدرجة أنه ولّد فيهم شعوراً بالخلود، وبالعيش هنا والآن خارج الحدود الطبيعية للوعي الذاتي. لقد وصلت هذه التجربة إلى "عمق كبير لدرجة أن الذات لم تعد محددة بشكل كافٍ بالأنا الشخصية أو الكائن الحي" (نايس، المذكور أعلاه). وبهذه الطريقة احتفل المتأهلون بانتصار، ليس على الموت نفسه، ولكن على الشعور المخيف بالفناء والانحصار في هوية الذات الواحدة.

في جانبها الشعبي، كانت الأسرار "الأقل شأناً" معروفة بأنها احتفالات بالفرح والشهوانية. عبّر المشاركون عن تحررهم من القيود البشرية والأنانية في هيلاريا ضحكة عالية. لم يكن هناك شيء يتم

الاحتفال به في الأسرار يتطلب عقاب الذات أو المعاناة، كما أن تلك الطقوس القديمة لم تمجد فعل المعاناة، سواء كانت بشرية أو إلهية. من المضلل تماماً مقارنة، على سبيل المثال، معاناة ديونيسوس بمعاناة المسيح. تُعد هذه المقارنة مثالاً بارزاً على تلك المقارنات الأسطورية المضللة التي تأسر العلماء. إن الفرق بين النعيم المتجدد والمعاناة الخلاصية هو الفرق بين طقوس التأهيل الوثنية وديانة الخلاص.

كانت طقوس التأهيل في الأسرار الوثنية تدور حول النشوة والابتهاج، وليس الألم في طبيعته، أو الألم الذي يؤتي ثماره، أو حتى الهروب من الألم. لقد كان مسارًا تنويريًا قائمًا على التجربة المباشرة، لا ينبغي الخلط بينه وبين البرنامج الخلاصي الذي يتطلب ويعتمد على الإيمان الأعمى. يفترض المنظور البيئصوفية لأرني نايس نفس الهدف الذي يتحقق في طقوس التأهيل الوثنية ولكن دون تسميته صراحة. ومع ذلك، هناك فرق جوهري أيضًا، لأن "التحديد" الذي اقترحه نايس وغيره من علماء البيئة العميقة مثل وارويك فوكس لا يصل إلى البعد الكامل للتعاطف المثير الذي تم الاحتفال به لآلاف السنين في تجربة الغموض. لفهم السبب، يجب أن ننظر عن كثب إلى تجربة التنوير الوثني.

معادلة الذات الإلهية

يُعد نص يوناني من القرن الثالث، وهو بردية ميموت السحرية، نموذجًا للأدب الهرمسي الذي يوازي في بعض النواحي الشهادة المتعلقة بالأسرار الموجودة في مخطوطات نجع حمادي. في الصلاة الجماعية، يخاطب المتأهلون أولاً الكاهن الأكبر، وهو المعلم الذي يرشد المتأهلين إلى النور الإلهي، ثم يخطابونه مباشرة:

> نشكرك يا الله العلي القدير، فبفضل حضورك الكريم وصلنا إلى نور الهداية، الذي لا يوصف ولا اسم له... لقد أنعمت علينا بالشعور والعقل والمعرفة - الشعور حتى نتمكن من إدراكك، والعقل حتى نتمكن من التفكير فيك، والمعرفة حتى نتمكن من الشعور بالسرور بمعرفتك. بفضلك نفرح لأنك أظهرت نفسك لنا بالكامل. نبتهج لأنك حتى في أجسادنا الفانية، قد ألهتنا برؤية نفسك... لقد عرفناك يا نورًا محسوسًا في مشاعرنا، يا نور حياة البشرية، يا نورًا هو المنشأ المثمر لكل ما هو موجود.[143]

من المثير للدهشة أن نرى صيغة "أنا-أنت"، التي وصفها مارتن بوبر بأنها السمة المميزة للمواجهة الدينية الحقيقية، موجهة هنا إلى ظاهرة ما بعد إنسانية تتمثل في الإشراق. يتم "إنقاذ" المتأهل من خلال مواجهة النور العضوي، ولكن ليس بالطريقة التي تعد بها عقيدة الخلاص بإنقاذ أتباعها. الغنوص هو اتصال مباشر وتواصل مع الألوهية دون وسيط من أي نوع. على الرغم من أن توجيهات المرشد الروحي قد تكون مفيدة، إلا أنها ليست ضرورية بشكل مطلق.

تم "تأليه" المتأهل، ليس بمعنى أن يصبح واحداً مع الله، أو حتى إدراك "الجانب الإلهي في الداخل". بل إن عملية التأهيل تحمل معها اليقين السامي بمعرفة ما يعرفه الله، أي المعرفة بطريقة تفوق قدرة البشر، من خلال إدراك متقدم، ووعي متزايد. لم يؤدِ الخلاص في الأسرار الوثنية إلى الارتقاء إلى مرتبة إلهية، ولكن

لسوء الحظ تم تفسير التأليه بهذه الطريقة من قبل أولئك الذين لم يمروا بهذه التجربة بأنفسهم، ومع ذلك حسدوا أولئك الذين مروا بها ورغبوا في تقليدهم. باختصار، كان التأليه فكرة مشوهة من بنات أفكار الغنوصيين، الذين كانوا كثرًا في فجر عصر الحوت. اليوم، إذا تم نقل الادعاءات الدينية المرتبطة بنظرية غايا إلى علم البيئة العميق، فإن "الهوية" التي اقترحها نايس وفوكس قد تنحرف بشكل خطير نحو تأليه العصر الجديد. على أقل تقدير، فإن التعريف الحالي والمثير للجدل للهوية لا يؤكد بشكل كافٍ أو واضح بما فيه الكفاية على أهمية موت الأنا في التعاطف المتعالي مع الطبيعة.

يمكن أن تُعزى المعلومات المضللة حول التأليه إلى مصادر مختلفة في العصور القديمة، ولكن بشكل رئيسي إلى المدعي الغنوصي، كليمنت الإسكندري (حوالي (140-215 م)، الذي ادعى زوراً أنه يعرف أعمق أسرار الأسرار الوثنية. لقد صاغ ما يمكن تسميته معادلة الذات الإلهية لشرح عملية التأهيل كما افترضها، بدلاً من شرحها كما كانت في الواقع. اليوم، يستشهد علماء الدين مثل إيلين باجلز بكليمنت لتأكيده أن "الغنوصي الحقيقي" هو الشخص الذي يعرف أن ذاته الداخلية هي الله. كما جادل بأن "حياة الغنوصي، في رأيي، ليست سوى الأعمال والكلمات التي تتوافق مع تقاليد الرب".[144] قارن هذا البيان مع تأكيد سمعان الساحر بأن يسوع كان جاهلاً بالنور. يجسد رأي كليمنت استغلال التقاليد الغنوصية للعقيدة المسيحية والادعاءات الصوفية التي تتمحور حول المسيح بعد عام 150 ميلادي. وهو يفترض خطأً وجود محتوى غنوصي حقيقي في العقائد المسيحية. * علاوة على ذلك، يجعل ذلك الحركة الغنوصية تبدو وكأنها ظاهرة ظهرت في أواخر منتصف القرن الثاني. إذا كان العلماء على حق في أن الطوائف الغنوصية لم تظهر إلا في اللحظة التي شرع فيها آباء الكنيسة مثل كليمنت في دحضها، فلا بد أن الحركة كانت قصيرة الأجل بالفعل. كان من الممكن أن تظهر ويُقمع في غضون قرن واحد تقريبًا.

نور التعليم

لقد ازدهرت المعلومات المضللة حول طقوس التأهيل التي بدأت مع كليمنت عبر العصور. لقد لاقت صياغته لمعادلة الذات الإلهية قبولاً واسعاً من قبل أنصار العصر الجديد للغنوصية الذين يرون فيها تأكيداً لمعتقداتهم بأن البشر إلهيون في جوهرهم. هل من المعقول حقاً أن تجربة الأسرار المتمثلة في تجاوز الذات من خلال موت الأنا المؤقت قد أدت إلى مثل هذه النظرة؟ كان الدرس الجوهري للأسرار هو أنه لا يوجد إنسان إلهي في جوهره، ولكن كل فرد موهوب بجرعة من الذكاء الإلهي، أو العقل. كان الغنوصيون يعتقدون أن البشر إلهيون بطريقة عملية وليسوا إلهيين في جوهرهم. إن العامل الإلهي موجود في ملكة نمتلكها، وهي ملكة تحتاج إلى تنمية، وليس في وعينا بحد ذاته - وخاصة ليس في وعينا بالذات.

يعتبر المتصوفون في العصر الجديد تأكيد الألوهية الكامنة "الرسالة الحقيقية ليسوع"، وهي رسالة إما ضائعة على أولئك الذين يفتقرون إلى الفهم المتأهل، أو تم تشويهها عمداً من قبل أيديولوجيي الكنيسة المتعطشين للسلطة. وهكذا، يشيد أندرو هارفي، في كتاباته عن إنجيل توما الغنوصي من نجع حمادي، بـ "التطرف الوحشي والرائع" ليسوع الغنوصي الذي يُظهر للباحثين عن الله كيف يجدون "الإلهي الكامن بداخلهم"، وبالتالي يصبحون "كائنًا بشريًا إلهيًا متمكنًا". يرى هارفي أن "وعي الملكوت" الذي بشر به يسوع هو تأليه داخلي، أي التأكيد على أن الذات الإلهية، أي حضور الله،

يكمن في أعماق كل شخص.[145] وهذا ليس تعليمًا غنوصيًا أصيلًا، على الرغم من أنه يُفترض على نطاق واسع أنه كذلك.

إن معادلة الذات الإلهية تشهد على استمرار الأفكار الخاطئة بشكل مثير للقلق في تاريخ الدين. إنها باقية في القناعات الشخصية لعلماء مثل إيلين باجلز التي تقول: "سر الغنوص هو أنه عندما يعرف المرء نفسه على أعمق مستوى، فإنه يعرف الله كمصدر لوجوده".[146] هذا البيان دقيق للغاية. يؤكد هذا النص بعناية أن الله هو مصدر وجودنا وليس مطابقًا له، كما هو مفترض في صيغة كليمنت، التي أيدها مؤخرًا أندرو هارفي وآخرون. يرفض اللاهوت المسيحي الأرثوذكسي (كما يمثله باجلز) معادلة الله والذات المباشرة باعتبارها إسرافًا من العصر الجديد، إن لم تكن هرطقة. بالنسبة لليهود والمسيحيين على حد سواء، فإن الإله دائماً ما يكون مختلفاً عن الذات العابدة.

تبلورت آراء كليمنت في أجواء الإسكندرية العالمية، وانتشرت بين أفراد المجتمع المصري الميسورين والمتعلمين الذين كانوا مفتونين، ومتعاطفين بشكل مبهم، مع فكرة المخلص المثيرة للجدل التي ظهرت في فلسطين.[147] زعم أن المعرفة التي تُدرَّس في الأسرار مستمدة من موسى والأنبياء العبرانيين - "تحريف طفيف للحقائق يُغتفر في حضرة الآب الصالح"، كما ذكرت مدام بلافاتسكي، بلا شك من باب السخرية.[148] وصف كليمنت الممارسات الغنوصية بأنها "حقيرة ودنيئة"، وأصر على أن الفلسفة الوثنية، إذا فُهمت فهمًا صحيحًا، تمثل نسخة بدائية من لاهوت الخلاص الذي ظهر في فلسطين في عصره. لقد تم التشكيك في مصداقية كليمنت كشاهد على طقوس التأهيل الوثنية، بل وتدميرها إلى حد كبير، من قبل جورج ميلوناس، الباحث الرائد في أسرار إليوسيس.

كثيراً ما يُستشهد بكليمنت وهو يقول إن جميع الغنوصيين مسيحيون حقيقيون. عندها يجب على المرء أن يسأل: ما هو مفهوم كليمنت عن المسيحي؟ الجواب هو: الشخص الذي يجد أن الله هو نفسه جوهر ذاته الداخلية، كما سبق ذكره. لكن الدراسة المتأنية للأدلة تُظهر بوضوح أن موت الأنا، وليس التماهي مع الله، كان سر تجربة الأسرار. ومن المفارقات أن الشعور بالتأليه يحدث عندما يتم إذابة الأنا مؤقتًا، لكن تأليه الأنا أو "الذات" لم يكن أبدًا على جدول أعمال الوثنيين. لم يكن الهدف من الأسرار تمكين أولئك الذين تم تأهيلهم، أو التضخيم النهائي لأناهم، بل تكريس عقولهم وحياتهم للأم العظيمة (ماغنا ماتر). كان الغرض من التاهيل ضمنيًا في أسلوبه: وهو أن يشاهد المرء "نور التعليم، الذي لا يوصف ولا اسم له"، وأن يتعلم من ذلك اللقاء أشياء سامية وعملية. تعلم المنتسبون كيفية التطور المشترك مع إلهة الأرض صوفيا وتوجيه الإمكانات البشرية إلى أعلى مستوى من تحقيقها. إن فقدان الهوية الشخصية أثناء طقوس التأهيل أدى إلى شعور مؤقت بالوحدة مع الله - أو مع الطبيعة، شلال، خنفساء يونيو، أيًا كان ما يطفو في النور العضوي - لكن تحديد الذات الإلهية لم يكن الهدف النهائي من التأهيل. لو كان الأمر كذلك، لما كانت "الأسرار" أكثر من مجرد خزانات حاضنة للتمجيد الذاتي.

يلاحظ المؤرخ روبرت توركان بحكمة أن طقوس التأهيل الوثنية "لم تكن تتمثل في 'العودة إلى الذات'، بل في أن يصبح المرء مختلفًا تمامًا من خلال استيعاب الآخرية الكاملة التي هي الألوهية". [149] هذا التعليق يكشف الكثير عن الأسرار أكثر من مجلدات من الضجة المفرطة حول معادلة الذات الإلهية.

---

* أنتجت الفترة الهيلينية بعض الغنوصية المسيحية، كما يتضح في أنظمة مرقيون وفالنتينوس، ولكن لا يوجد، ولم يكن هناك قط، شيء يسمى

المسيحية الغنوصية - لأن المسيحية دين خلاصي، يتعارض تمامًا مع مبادئ وممارسات التنوير في الغنوصية.

9

مدارس من أجل التطور المشترك

تشير الشهادات القديمة حول الأسرار باستمرار إلى أن كشف النور العضوي يعود إلى الإلهة، سواء كانت إيزيس أو ديميتر أو ماغنا ماتر. كتب أحد المعلمين من سلالة هيباتيا:

> تختم ديميتر كل ما رأيناه وسمعناه من خلال أقوالها وإشاراتها الخاصة، من خلال ومضات النور الزاهية، والسحاب المتراكم فوق السحاب... ثم أخيرًا، يملأ نور العجب الهادئ المعبد ونرى حقول إليسيوم النقية ونسمع جوقة المباركين. ثم، ليس فقط من خلال المظهر الخارجي أو التفسير الفلسفي، ولكن في الواقع يصبح الكاهن الأكبر خالقًا وكاشفًا لكل الأشياء.[150]

النور العضوي عبارة عن ضباب لؤلؤي كثيف، وليس شفافاً. تقارن المصادر الوثنية والآسيوية (التانترا) ذلك بضوء القمر الملموس أو عرق اللؤلؤ.[151] عند مواجهة النور، وإلى حد ما الدخول فيه، دخل المتأهلون في حضرة الإلهة البيضاء التي يتكون جسدها من "ومضات ضوئية زاهية، وسحابة متراكمة فوق سحابة". هي الأخرى، ولكنها أيضاً الأم. كان لا بد من تحقيق التخلي عن الذات، والاستسلام الكامل للذات، قبل أن يتمكن المتأهل من مواجهة إيزيس (ولكن أحد أسمائها التي لا تعد ولا تحصى)، رفع "حجاب إيزيس"، وتلقي التوجيه الإلهي.

ما الذي يمكن تعلمه اليوم من قبل أولئك المستعدين للتخلي عن الأنانية البشرية ومقابلة الإلهة، وعقولهم مضاءة بـ "نور العجب الهادئ"؟

الخلايا والمدارس

كانت العديد من الأشياء التي يتم تدريسها في مدارس الأسرار عملية، وواقعية تمامًا. وبعبارة أدق، كانت المدارس أماكن للتعليم، ولا ينبغي الخلط بينها وبين خلايا الأسرار حيث كانت تتم عمليات التاهيل. كانت الخلايا، التي تتكون من ستة عشر عضواً (الموصوفة في الفصل 16)، مرتبطة في البداية بمواقع ضخمة ودوائر حجرية وكهوف مزخرفة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وفي نهاية المطاف، تم بناء المعابد على مقربة من هذه المواقع. حول كل معبد، كان يرتفع مجمع من المباني التي كانت بمثابة فصول دراسية وورش عمل: كانت هذه هي المدرسة أو الحرم الجامعي الملحق بطقوس التاهيل في أماكن مثل أولمبيا ودلفي وإليوسيس.[152] وتماشياً مع الطابع البيئي الإقليمي للأسرار، صمم المتأهلون المناهج الدراسية لتعكس العناصر العرقية والثقافية والتاريخية واللغوية والجغرافية والبيئية الخاصة بالأشخاص الذين خدموهم.

هناك ارتباك طويل الأمد حول الطابع الطائفي للأسرار، ينبع من جهل الأيديولوجيين المسيحيين. تضمّ مؤلفات إيرينيئوس، وهيبوليتوس، وإبيفانيوس، وترتليان الزائف ما يقرب من مائة اسم: السيثيون، والكارباتيون، والنيكولايون، والباربيلو-غنوستيون، والأوفيونيون، والفالنتينيون، والجوروثينيون، والسيمونيون، والفيبيونيون، والبوربوريون، والسيكونديون.

الكولورباسيان، والكاينيتيون، والأركونيتيون، والكاتافيريان، وغيرهم الكثير.[153] بعض هذه الأسماء مشتقة من أتباع الأسرار مثل سمعان الساحر وفالنتينوس. عادة ما كان هؤلاء المتبحرون يبقون مجهولين، كما فعل مصممو الكاتدرائيات القوطية في العصور الوسطى، ولكن في العصر المسيحي المبكر اختار بعضهم كسر حاجز السرية حتى يتمكنوا من الظهور علنًا لمعارضة أيديولوجية الخلاص. تستمد أسماء أخرى في قوائم الهرطقات من المذاهب التي تعتبر أساسية لمجموعة معينة: يقال إن الغنوصيين الباربيلو عبدوا باربيلو ذو الوجوه الأربعة، وهو نموذج أنثوي إلهي قابل للمقارنة مع الماها مودرا في البوذية. كان أتباع أوفيس متفانين في عبادة الثعبان الإلهي، أوفيس، مما يعني أنهم كانوا من أتباع الكونداليني، قوة الثعبان. إن التعريف من خلال التيليستاي التخصص أقرب إلى الطريقة التي حدد بها أصحاب محلات بيع المشروبات الكحولية أنفسهم أنشطتهم. تتميز بعض الطوائف بالمنطقة التي كانت موجودة فيها: الفريغية، والإسكندرية، والسورية. تحدث المتأهلون عبر الشبكة عن أسرار هيبرنيان، وإيبيريا، وساموثراكيا، وما إلى ذلك، ودائماً بمصطلحات إقليمية محددة.

في الواقع، لم تكن أي من هذه الجماعات "طوائف غنوصية"، لأن كلمة الغنوصتيكوس كانت المصطلح العام لأي شخص مطلع على الأمور الإلهية، وكانت جميع المدارس تضم مثل هؤلاء الأشخاص. إن الأسماء التي أعطيت خطأً للطوائف الغنوصية في كتالوجات صائدي الهرطقة كانت ستصف خلايا أسرار، لكل منها تخصصها وطابعها الإقليمي، ومن هنا جاء التنوع الواسع في التسميات. لم تكن هناك طوائف غنوصية على هذا النحو، على الرغم من وجود اختلافات واضحة في ما كان يعلمه الغنوصتيكوي، ولهجات مختلفة أو مجالات خبرة مختلفة. فعلى سبيل المثال، أكدت تعاليم السيثية على دورة الكاشفين، بينما أكدت تعاليم الفالنتينية على "تصحيح" صوفيا (الحكمة) الإلهية من خلال تدخل الكريستوس. في وضع مماثل اليوم، قد يتخصص أستاذ التاريخ في تاريخ أمريكا اللاتينية، بينما يتخصص زميله في فنون ما قبل كولومبوس. كان الغنوصتيكوي أيضاً متخصصين للغاية. إن ترجمة كلمة الغنوصتيكوس إلى "خبير" أو "مصدر مطلع" أو "مستشار خاص" تقترب من الطريقة التي كانت تُفهم بها في زمن هيباتيا.

قام التيليستاي *(telestai)* بتدريب الطلاب القادمين والمغادرين على حد سواء. تضمنت دروسهم فنوناً وحرفاً يدوية عملية مثل صناعة الفخار وبناء السفن. شمل المنهج القديم كل شيء من الرماية إلى التوليد إلى علم الحيوان. تم تدريس الرسم، وصناعة الفخار، وعلم الأعشاب، والإبحار، ورسم الخرائط، والعديد من المهارات التطبيقية الأخرى، إلى جانب الدراسات الأوسع في علم الفلك، والطب، والرياضيات، والموسيقى. بالتأكيد لم يكن جميع المعلمين في العصور القديمة من المتأهلين في الأسرار، ولكن العديد منهم كانوا كذلك، وخاصة المعلمين الحقيقيين، بمن فيهم العديد من النساء. كان المعلمون الذين لم يخضعوا لعملية التاهيل سيعملون على اتصال وثيق مع أولئك الذين خضعوا له.

التجاوزية

لقد استند المتأهلون الذين كرسوا أنفسهم لتعليم البشرية في نهاية المطاف إلى ما تعلموه من التوجيهات التي قدمها النور العضوي. كانت الهوية الذاتية الفردية هي العائق الرئيسي أمام هذه التجربة، ولا تزال تشكل العقبة الأكبر أمام الفهم الحديث للأسرار. يقع معظم الناس في فخ التأليه عندما يكون موضوع التأهيل قيد النقاش. طالما لم يتم تجربة موت الأنا بشكل مباشر، فمن السهل افتراض أن عملية التأهيل تنطوي على

قفزة إلى مستوى أعلى من الهوية، لكن التأثير الواقعي لفقدان الأنا يبدد هذا الوهم. إن مسألة التوسع إلى "إحساس أوسع بالذات" هي واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في علم البيئة العميقة، ولا تزال دون حل.[154] عادة ما يتم الاستشهاد بالهوية العليا كوسيلة لتنمية تجربة البيئة العميقة، لكن التعاطف كلمة أفضل من الهوية لوصف ما جربه المتصوفون الوثنيون. ومع ذلك، لا تزال هذه اللغة إشكالية: يجادل آرني نايس ببلاغة بسيطة وعذبة بأن التعاطف مع كل ما هو حي يأتي إلينا من خلال شعور متزايد بالانتماء. كيف يمكن للمرء أن يعبر عن ذلك بشكل أفضل؟ لكن ماذا لو كان هناك شكل من أشكال التعاطف يتجاوز الهوية والتماهي؟ وكيف تتعارض الدعوة إلى توسيع نطاق الهوية مع شرط الأسرار المتمثل في موت الأنا؟

تشتهر البيئة العميقة بصعوبة اختيار اللغة المناسبة، لذلك قد يكون من الأفضل أن أدخل في هذا النقاش. أقترح مصطلح "التجاوزية" لوصف تجاوز هوية الذات الواحدة التي يتم اختبارها في الأسرار. للتجاوزية معنيان، مع الواصلة وبدونها: التجاوزية هي تجاوز الكيان أو هوية الذات الواحدة، والتجاوزية هي انغماس واعٍ عميق في كل ما هو حي، والشعور من خلاله، متجاوزًا. تطلبت تجربة الأسرار الشرط الأول للوصول إلى الشرط الثاني. في الانغماس الواعي، لا نعيش فقط في علاقة مع كل أشكال الحياة، متصلين بالطبيعة والكون، بل نعيش من خلال كل أشكال الحياة، وكل أشكال الحياة تعيش من خلالنا. يشير مصطلح تجاوز- هنا إلى "عبر" بدلاً من "ما وراء". وهذا يعني نوعاً من الانفتاح الذي يتم تحقيقه عن طريق إذابة تثبيتات الأنا الشخصية مؤقتاً. وصف أبوليوس الإحساس بأنه "يُسكب عبر العناصر".[155] يمكن التعبير عن تجربة موت الأنا في الأسرار بهذه الصيغة: "ما وراء الذات ويتدفق من خلال كل ما هو حي، كذلك كل شيء حي ويتدفق من خلالي".

إذا كان هناك نهج للبعد الديني لعلم البيئة العميق عن طريق الغنوص، كما أقترح هنا، فسيكون من الضروري إيجاده في تجاوز الذات، وليس في التأليه. إن اللقاء مع الإلهة البيضاء يتجاوز مجرد التحديد - لكن النظرية البيئية لا يمكنها الوصول إلى هذا الحد، أو أنها لم تفعل ذلك بعد. يجب أن يكون هذا هو الحال طالما أن مؤيديه لم يمروا بموت الأنا عند نقطة الانغماس المبهج في الطبيعة. لا بديل عن التخلي عن عقلك الأناني للسماح لجسمك بتلقي التدفق المبارك للنور العضوي. إن التنوير الغنوصي ليس موقفاً نظرياً ولا لعبة إلهية. الغنوص هو طريق الإدراك النشواني. لكن الإشارات إلى النشوة وموت الأنا غائبة بشكل واضح في المناقشات البيئية حول الهوية الذاتية الموسعة.

لتعريف الأسرار بلغة علم البيئة العميقة، أود أن أقول إنها كانت مدارس للتطور المشترك مع غايا، المعروفة في العصور القديمة باسم ماغنا ماتر. استلهم الغنوصتيكوي الذين كانوا يدرسون في مدارس الأسرار من أسطورة مفصلة تروي قصة إلهة تدعى صوفيا سقطت من السماء وتحولت إلى الأرض. اسمها الحكمة، وطبيعتها ذكية بشكل سامٍ، وعضوية، وذاتية التكوين، ومعقدة بشكل جميل. وقد تم رصد وجود تلك الألوهية تحديداً في اللحظة الحاسمة من عملية التأهيل. كانت لحظة تجليها هي نور الأسرار.

اليوم نطلق على الأرض اسم غايا للدلالة على إدراكنا الناشئ بأن الكوكب كائن حي. تُظهر لنا الصور الملتقطة من الفضاء الخارجي أننا نعيش على كرة أرضية زرقاء وبيضاء رخامية. لكن يقيننا بالعيش على كوكب كروي عائم بحرية لا يصل تلقائياً إلى الذروة الصوفية المتمثلة في مواجهة الإلهة الأرضية، غايا صوفيا. إننا نعيش على الأرض ونكون على اتصال مباشر مع الإلهة، ولكن عادة ما يتم تصفية هذا الاتصال من خلال التكييف العقلي وتثبيت الأنا، إن لم يكن محجوبًا تمامًا بسبب فقدان الحساسية تجاه العالم الطبيعي. محاصرين في الثقافة، ومنعزلين في المعدات التكنولوجية، ومنعزلين في اهتماماتنا النرجسية، لا

يستطيع البشر دخول حضرة الأرض، ولا يستطيعون الاستسلام لسحر جمالها الخارق للطبيعة. يعتمد التطور المشترك مع صوفيا على الاتصال بالإلهة في تجليها للنور اللبني الجوهري، كما جربه المتأهلون القدماء، لكن هذا الاتصال مستحيل طالما أن هوية الذات الواحدة تهيمن على الوعي.

روح العالم (Anima Mundi)

تم تنفيذ الأسرار على مستويين، مستوى شعبي ومستوى النخبة. كانت الطقوس الشعبية أو الأقل شهرة عبارة عن طقوس جماعية مرتبطة بالدورات الموسمية للبذر والحصاد وإعداد مخازن الطعام لفصل الشتاء. في عمليات الطبيعة، وفي الأنشطة الخاصة المطلوبة للزراعة، شعر سكان أوروبا الأصليون بأفعال الكائنات الإلهية، الآلهة الذكور والإناث. في الحياة العادية كانوا على دراية بالآلهة، ولكن في الأسرار كانوا يخصصون وقتاً خاصاً لتكريمها والتعبير عن الامتنان. إن "عبادة الآلهة الوثنية" هي واحدة من أسوأ الصور النمطية المرتبطة بالثقافة الأوروبية. تُستخدم هذه العبارة دون أدنى معرفة بما حدث بالفعل في تلك الطوائف، أو ما فعله المشاركون بالفعل، وما رأوه، وما شعروا به، وما اعتقدوا به. إن الافتراض بأن الوثنيين مارسوا التضحية البشرية، وانخرطوا في طقوس جنسية جماعية، وتخيلوا قوى خارقة للطبيعة، وأساءوا فهم قوانين الفيزياء، وتجاهلوا كل إحساس بالعدالة والمحبة الأخوية، وافتقروا إلى ما نعتبره الأخلاق الأساسية واللياقة، هو للأسف متأصل في هذا الموضوع. بالنسبة لمعظم الناس اليوم، يُعتبر الوثني شخصاً غير أخلاقي وغير متدين، وسيظل كذلك دائماً.

وقد احتفل بالأسرار الكبرى في الخريف، وقت الحصاد. كان يتم الاحتفال بها ليلاً لأنه كان من الأسهل إدخال المتأهلين إلى حضرة النور العضوي مع إضعاف إدراكهم الحسي الطبيعي بسبب الظلام. لم ينبهر المحتفلون بعرض خادع من المشاعل المشتعلة أو لهيب غامض مبهر، كما ورد في بعض التقارير القديمة. كان التيلستاي الذي يرأس الطقوس يوجه المتأهلين بعناية وانتقائية إلى التيلستيريون *(الحرم الداخلي)* حيث كان يجب مراقبة وامتصاص نور الأسرار بجرعات صغيرة ولطيفة. فعلى سبيل المثال، يقوم الرائي المخضرم بتوجيه المحتفل للوقوف أمام أحد الأعمدة الرخامية ومراقبة كيف يتخللها اللمعان الناعم للنور. لم يرَ المتأهلون الموجهون العمود فحسب، بل رأوا المادة المضيئة الناعمة التي كان العمود مغمورًا فيها - بل ورأوا العمود نفسه.

تم قياس *(epopteia)* الأسرار العظيمة، التي يتم رؤيتها بمساعدة الكاهن الأكبر، بعناية لتناسب قدرات المتضرع. لقد جاء *(autopsia)* الكشف الذاتي، أي الرؤية المباشرة والمستقلة للنور العضوي، في وقته الخاص لأولئك الذين دربوا قدراتهم على الانتباه من أجله. أدى ظهور النور العضوي إلى تدفق خفيف من الكثافة الجسدية التي أشبعت الشاهد بالنعيم ولفتت الانتباه إلى صفاء تام. في الأسرار، كان يتم الترحيب *(mystae)* بالمتصوفين الذين شاهدوا النور بثبات في صحبة المطلعين بتحية مباركة،

"يا طفل، لقد سقطت في اللبن". [156] أطلق الغنوصيون على أنفسهم اسم "العرق القائم" لأنهم كانوا قادرين على رؤية الإشعاع الإلهي وهم واقفون منتصبين، وامتصاص قوة التيارات الأرضية الهائلة التي تمر بين الأرض والسماء. وبينما كانوا يقفون في التيارات، تلقوا تعليمات من الذكاء الكوكبي، الإلهة صوفيا - أو بلغة اليوم، الكيان الغاياني.

لقد تعلموا أسرار الحياة من مصدر الحياة، الكوكب الأم.

في العصور القديمة، كانت طقوس التأهيل تؤدي من الاستسلام إلى التكريس. أولئك الذين مروا بتجربة التعلم العليا في الأسرار اعتبروها أيضاً التجربة الدينية القصوى للبشرية. لا يمكن فرض هذه التجربة بطبيعتها ولا التبشير بها. لا يمكن غرس فنون التطور المشترك، بل يجب استحضارها واستنباطها، واستدعاؤها من أعماق النفس حيث تتجذر القوى التي تحرك حياة الروح المتمركزة في روح العالم *(anima mundi)*. اليوم قد نتواصل مع غايا من خلال الاستماع إلى الرياح، والتحديق في الغيوم، وشم رائحة الأرض، وما إلى ذلك، لكن الانخراط المباشر والحميم مع الألوهية الكامنة في الكوكب ليس حلماً عاطفياً، بل هو تأهيل تهذيبي منضبط. إن "التصوف الطبيعي" لدى أتباع العصر الجديد الذين يقدسون الأرض كإلهة، والتناغم البيئي لدى علماء البيئة العميقة الذين يجدون قيمة جوهرية في الطبيعة بمعزل عن استخداماتها البشرية، هي في أحسن الأحوال أصداء ضعيفة لما حدث في الأماكن المقدسة للأسرار.

شاكتي وصوفيا

شاكتي، التي هي في ذاتها وعي نقيّ مليء بالنعيم، هي أيضاً أمّ الطبيعة، وهي الطبيعة نفسها التي ولدت من خلال اللعب الإبداعي لفكرها.[157]

اليوم، ونحن نتأمل في الطبيعة التي لا توصف لتجربة الأسرار، قد نشعر بالرهبة من شيء يبدو أنه يتعارض مع أدلة حواسنا. بفضل عيشنا على الأرض، لدينا اتصال مباشر بـ غايا، التي تتجلى في العالم الطبيعي، عالم الحواس. لكن لا شيء في العالم الحسي يكشف عن وجود الإلهة في إشراقة بيضاء حليبية مرئية. نشعر بالحضور الحي لغايا صوفيا في الطبيعة، لكننا لا نرى في الواقع النور الخارق للطبيعة. يمكن تسمية هذا اللمعان الخفي بالجسم المادي الأساسي للإلهة، على عكس جسمها الكوكبي، الأرض. تصف قصة صوفيا عند الغنوصيين كيف تحولت إلهة من البليروما (الإمتلاء) (المركز الكوني أو المجري) إلى كوكب الأرض، لكنها لا تشرح كيف بقيت على ما كانت عليه في الأصل، تيارًا جارفًا من الإشراق الحي. لفهم الوضع المزدوج لإلهة الأرض، من المفيد النظر إلى تعاليم التانترا الهندوسية.

في كتاب ″شاكتي وشاكتا″، قارن السير جون وودروف، وهو أبرز من روّج لـ"تانترا فيديا" الهندوسية في الغرب، الديانة الوثنية لعبادة الطبيعة بـ "طريق التليستي الغنوصي، أي متأهلي الأسرار". [158] شاكتي هو اسم للإلهة باعتبارها مصفوفة القوى المولدة التي تنتج وتحافظ على العالم الطبيعي. يظهر الجذر السنسكريتي *shak*-، بمعنى "أن يكون قوياً"، أيضاً في كلمة *Shekinah* (الشيكينة)، وهو اسم عبري يشير إلى وجود الإلهة الأنثوية التي تم استبعادها نصياً من الديانة اليهودية. وهو أصل كلمات مثل مقدس، كهنوتي، سر مقدس، وتضحية. يمكن أن تكون المركبات غايا-شاكتي (Gaia-Shakti) وشاكتي-صوفيا (Shakti-Sophia) مفيدة في تأكيد أوجه التشابه الواضحة والمتسقة بين التصوف الإلهي في الغرب وفي آسيا.

تعلم المشاركون في الأسرار الغربية أن الجنس البشري مجهز للعيش في تبادل مع الجسد العاطفي للإلهة، كما تفعل الأنواع الأخرى غير البشرية بالفعل. "كل الأشياء موجودة فيها، وهي التي من طبيعة الشعور في كتلة متجانسة." [159] هذا هو تعليم التانترا الهندوسية، المتوافق تمامًا مع الدين الشعبي الوثني والغنوص الشامية. لكن تعاليم التانترا تضيف نقطة إضافية، تشرح كيف يمكن لشاكتي صوفيا أن تتحول إلى الأرض وأن تظل على ما هي عليه من الناحية الكونية. "عندما تتحرك القوة العظمى لميغال ديناميس الغنوصية للخلق، فإنها تنبثق من أعماق الوجود وتصبح عقلاً ومادة مع بقائها على ما كانت عليه دائمًا.″ [160]

هذا البيان يجسد قصة صوفيا ويؤكد أن شاكتي صوفيا هي إلهة الطبيعة. هي أم الطبيعة (الجسم المادي الأساسي) والطبيعة نفسها (الجسم الكوكبي). تتحول الإلهة صوفيا إلى الأرض، وتتحول إلى العناصر المادية للكوكب الصلب، وتفرز العناصر الصلبة والسائلة والهوائية للغلاف الجوي من مادتها الخاصة، نور الأسرار. "هذه القوة البدائية (أديا شاكتي)، كموضوع للعبادة، هي الأم العظيمة (ماغنا ماتر) لجميع الأشياء الطبيعية (ناتورا ناتورانس) وهي الطبيعة نفسها (ناتورا ناتوراتا)." [161]

إن إدراك وجود شاكتي صوفيا في العالم الطبيعي هو هبة فطرية لجميع الشعوب الأصلية، وكان هذا هو المنهج في الأسرار حيث سعى الرجال والنساء إلى تعزيز وتكثيف هذا الإدراك إلى أعلى درجة ممكنة، مما منحهم معرفة دقيقة وحميمة بالعمليات البيولوجية والجيوفيزيائية، بما في ذلك الوصول المباشر إلى النشاط البيوكيميائي على المستوى الجزيئي. أولئك الذين قطعوا عهداً مقدساً بمعرفة غايا أطلق عليهم اسم فوسترس *(phosters)* "المستنيرين" أو "الكاشفين". "الدين الموحى به" لا يعترف إلا بوحي واحد

وحصري لبعض الوسطاء الذكور الذين يحفظون "كلمة الله" في الكتب، لكن طريق الغنوصيين الكاشفين كان كشفًا مفتوحًا ومستمرًا للإله في أبعاده الكونية والأرضية. لم يكن النص الذي قرأوه وكتبوه كتاباً مقدساً أملاه الإله الأب، مالك الأرض الغائب. لقد كانت شفرة حيوية، متحركة ومحركة، مكتوبة على الجسد الكوكبي للإلهة.

المتنورون

كان التليستاي *(telestai)* المعلمين فيه الأسرار شيوخًا متطورين، أساتذة سابقين في "التقنيات القديمة للنشوة". تقليدياً، كان الشامان بمثابة الوسطاء بين عالم الثقافة الذي صنعه الإنسان وعالم الطبيعة غير البشري. تطلبت دعوتهم الخاصة قدرة انفصامية على التنقل بين عالمين، والحفاظ على تميز العالمين، وإجراء التبادلات بينهما. يتمتع مرضى الفصام بطبيعتهم بهذه القدرة على الحركة، ولكن بدون توجيه روحي مناسب وتدريب ملائم، يسهل إضعافهم بسببها. يمكن أن تؤدي إدارة مرض الفصام بنجاح إلى أعمال عظيمة في صناعة الأساطير، كما يتضح في كتابات أنطونين أرتو وفيليب ك. ديك وكارلوس كاستانيدا، على سبيل المثال لا الحصر.

كان خبراء الأسرار الذين كانوا مسؤولين عن تنمية القدرات البشرية إلى مستواها الأمثل يحرصون بشدة على عدم المخاطرة بإلحاق الضرر بالفصام بتلاميذهم والمتأهلين. لقد أدركوا مدى سهولة استحداث واستغلال الحالات الحدية التي يمكن أن تنشأ تلقائيًا في عملية التأهيل. يؤدي الانخفاض المطلوب، أو الانحلال الكامل، للذات الأنانية إلى قابلية عالية للإيحاء لدى الشخص المعني. كان المتأهلون في الأسرار موضوعات رئيسية لـ "الغرس"، وهي العملية التي يتم فيها زرع محتوى أو برنامج نفسي محدد مسبقًا في العقل الباطن. يحدث الغرس بشكل عالمي في الطبيعة كوسيلة يتم من خلالها نقل البرامج الغريزية من جيل إلى آخر. اشتهر عالم السلوك الحيواني كونراد لورنتز (1903-1989) بغرس في البط حديث الولادة، وإقناعه بأنه أمه. صاغ لورنتز مصطلح "آلية الإطلاق الداخلية" (IRM)، حيث تكون الكائنات الحية مهيأة وراثيًا للاستجابة لمحفزات معينة. كان من الممكن أن يصادف المتأهلون الغنوصيون الأفكار الواردة في كتابه *"عن العدوان"* (1966) من خلال ملاحظتهم المباشرة والوثيقة للأنشطة النفسية، والتي تم صياغتها اليوم في علم البرمجة اللغوية العصبية.[162]

باختصار، يمكن تدريب النفس على تقليد السلوك المصمم لها بشكل طقوسي، أو تكرار السلوك المحدد عند التعرض لإشارة معينة (اقتراح ما بعد التنويم المغناطيسي). تعتمد هذه التلاعبات بالنفس على الشرط الأساسي للتأهيل: التحلل المؤقت لمرشح الوعي الذاتي.

كان التلاعب السلوكي والبرمجة النفسية والتحكم بالعقل أموراً بغيضة تماماً بالنسبة إلى *(telestai)* التيليستاي (المتأهلين) الحقيقيين للأسرار القديمة. مثلت هذه الإجراءات بالنسبة لهم طريقاً يؤدي بعيداً عن التكريس لصوفيا والعمل العظيم المتمثل في التطور المشترك مع الطبيعة، نحو الهندسة الاجتماعية وألعاب القوة الشخصية. كان هدف *(telestai)* التيليستاي (المعلمين في الأسرار) هو تعزيز مجتمع عاقل ومتوازن من خلال مساعدة الأفراد على بلوغ أقصى إمكاناتهم، وعدم التدخل بشكل مباشر في الإدارة الاجتماعية.

لكن مع مرور الوقت، سلك بعض المتأهلين مسار الهندسة الاجتماعية. اختار الأعضاء المنشقون عن الحركة الغنوصية استخدام المعرفة التأهيلية لتطوير وتنفيذ تقنيات مختلفة لتعديل السلوك. في الأصل، كان هؤلاء النظراء البعيدون للمتنورين أعضاء في النظام المجوسي، وهو سلالة فارسية قديمة من الشامانية التي اشتُقت منها الحركة الغنوصية. * يفهم المؤرخون أن المجوس كانوا كهنة زرادشت، أو زاراثوسترا. وفقًا لملاحظة مكتوبة على هامش كتاب ألكيابيدس الأول، وهو عمل يُنسب إلى أفلاطون، "يقال إن زرادشت كان أقدم من أفلاطون بـ 6000 عام".[163]في كتابها الاستثنائي وغير المعروف، "أفلاطون ما قبل التاريخ"، تحدد ماري سيتغاست ظهور النظام المجوسي، وهو الكهنوت الأصلي للديانة الإيرانية القديمة، في عصر التوأمين، حوالي 5500 قبل الميلاد، وهو تاريخ تدعمه المصادر اليونانية. امتد عصر التوأمين، أو عصر الجوزاء، من 6200 إلى 4300 قبل الميلاد. ويتوافق موضوع الثنائية المرتبط بكوكبة التوأمين مع الموضوع المركزي للدين الإيراني: الثنائية الكونية المطلقة، الخير مقابل الشر.

لكن هذا النوع من الثنائية ليس ما تجده في التعاليم الغنوصية. كانت المشكلة التي واجهت أسلاف المجوس من الغنوصيين هي ثنائية النية البشرية، وليس ثنائية المطلقات الكونية. حوالي عام 4000 قبل الميلاد، ومع صعود الحضارة المدنية في الشرق الأدنى، اختار بعض أعضاء النظام المجوسي تطبيق بعض أسرار التأهيل على فن إدارة الدولة والهندسة الاجتماعية. لقد أصبحوا مستشارين لأول الثيوقراطيين في الدول القومية الأبوية، ولكن في الواقع كان المستشارون هم من يديرون الأمور. قام المستشارون ببرمجة رعاياهم الملكيين بشكل منهجي ليعتقدوا أنهم ينحدرون من الآلهة. وللحفاظ على هذا الوهم العظيم، قاموا بتدشين طقوس تمكين مفصلة، أو طقوس ملكية. كانت هذه الطقوس في الواقع أساليب للسيطرة على العقول تُمارس على عامة الناس من خلال الرمزية الجماعية والغموض الذي يكتنف السلطة الملكية. كانت طقوس الملكية من هذا النوع متميزة عن طقوس التأهيل التي تؤدي إلى التوجيه من النور والتكريس للإلهة العظيمة. لم يكن هدفهم التعليم والتنوير، بل الإدارة الاجتماعية. امتنع الغنوصيون عن تولي أي دور في السياسة لأن نيتهم لم تكن تغيير المجتمع بل إنتاج أفراد ماهرين ومتوازنين ومستنيرين من شأنهم إنشاء مجتمع جيد بما يكفي بحيث لا يحتاج إلى إدارة خارجية. كانت نية السحرة المنشقين في إدارة المجتمع من خلال ضوابط سرية تستند إلى افتراضهم بأن البشر ليسوا جيدين بما فيه الكفاية، أو موهوبين بما فيه الكفاية، لخلق عالم إنساني. كان هذا الاختلاف في وجهات النظر حول الإمكانات البشرية هو العامل الرئيسي الذي أدى إلى انقسام المجوس.

يدرك المؤرخون وجود انقسام في النظام المجوسي، لكنهم لا يفهمون أصله ولا عواقبه. داخل النظام، مُنح *(telestai)* التيليستاي (المعلمين في الأسرار) لقب فايدمنا (*vaedemna*)، "الرائي"، "الحكيم"، تمييزًا لهم عن الكاهن، الزواتار *(zoatar)*، الذي كان يمارس مهامه علنًا في المجتمع ويقدم المشورة لرجال الدين في الشرق الأوسط بشأن مسائل الحكم والأخلاق الاجتماعية، ناهيك عن التخطيط الزراعي - لأن زرادشت كان مسؤولاً، بحسب جميع الروايات، عن إدخال الزراعة المخططة واسعة النطاق. يتفق المؤرخون اليوم بشكل عام على أن النساء اكتشفن كيفية زراعة النباتات من خلال جمعها، ثم قام الرجال لاحقاً بتوسيع هذا الاكتشاف ليصبح ما يعادل الزراعة التجارية في العصور القديمة. وهكذا نشأت أولى المدن-الدول الثيوقراطية في الهلال الخصيب. (يمكن تعريف الحضارة بأنها أسلوب حياة يبدأ بتجميع الخضراوات لزيادة عدد السكان، وينتهي بسكان من الخضراوات.) كانت المجتمعات الحضرية بحاجة إلى السيطرة الاجتماعية، وتولى المتنورون دور المخططين والمتحكمين - وفي أغلب الأحيان، كانوا متحكمين خفيين.

في كتاب "أفلاطون ما قبل التاريخ"، توضح ماري سيتغاست أن "زرادشت في أحد أقصى الحالات وُصف بأنه شخص بدائي منغمس في النشوة، نوع من "الشامان"؛ وفي الطرف الآخر، وُصف بأنه شخص مألوف دنيوي لملوك خوارزم وسياسات البلاط".[164] إن التمييز بين الشامان-الرائي والشخصية الكهنوتية المنخرطة في سياسات البلاط يجسد الانقسام في النظام السحري. في الكتاب الثالث من الجمهورية، كشف أفلاطون عن منطق المتنورين: "اختلاق كذبة نبيلة من شأنها أن تحمل في حد ذاتها قناعة مجتمعنا بأكمله". أول استخدام مسجل لكلمة (gnostikos) الغنوصتيكو سيظهر في كتاب أفلاطون السياسي (258e–267a) حيث تم تعريف السياسي المثالي بأنه "سيد الفن الغنوصي".[165] منذ دخولها إلى التقاليد الفكرية الغربية، ارتبطت كلمة (gnostikos) الغنوصتيكوس بشكل خاطئ بفصيل المجوس المنحرف، ولكن في وقت مبكر تم التبرؤ من الاسم من قبل (telestai) التيليستاي (المعلمين في الأسرار) الذين لم يشاركوا في الحكم والإدارة الاجتماعية، باستخدام منطق "الكذبة النبيلة". في الواقع، لم يكن (gnostikoi) الغنوصتيكوي مثل هيباتيا ليستخدموا هذا المصطلح لوصف أنفسهم. بعد ستة قرون من أفلاطون، أصبح يُستخدم كإهانة. سخر آباء الكنيسة من المعلمين في الأسرار باستخدام مصطلح(gnostikos) الغنوصتيكوس، والذي كان المقصود به "الذكي المتغطرس" أو "العارف بكل شيء". استخدم المتأهلون الوثنيون فيما بينهم مصطلح (telestes) تيليستيس (المتأهلفي الأسرار). ومن المفارقات أن مصطلح "غنوصي" وصل إلينا ملوثاً بإدانة الكنيسة الرومانية ومرتبطاً بأعضاء النظام المجوسي الذين تبرأ منهم حراس الأسرار.

كان برنامج المتنورين (ولا يزال) أساسياً للنظام الأبوي ودينه الذي يغطيه. مع أنه لا يمكن القول بالضبط أن المنحرفين البارعين هم من خلقوا النظام الأبوي، إلا أنهم بالتأكيد سيطروا عليه. وما زالوا يفعلون ذلك. إن إساءة استخدام المعرفة التأهيلية لإحداث حالات انفصام الشخصية ("الاستدراج")، والتلاعب بشخصيات متعددة في نفس الشخص ("التمهيد")، والتحكم في السلوك من خلال الإيحاء ما بعد التنويم المغناطيسي ("تقنية المرشح المنشوري") لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، مع عواقب شريرة حقًا على العالم بأسره. إذا قبلنا أن الأسرار كانت مدارس للتطور المشترك للأرض مخصصة للإلهة صوفيا، فلا يمكن أن يكون يديرها أشخاص مهووسون بالسيطرة مثل المتنورين، كما افترض بعض الكتاب المعاصرين الذين يسعون إلى فضح المتنورين.

في مدارس الأسرار، كان معلمو الغنوصية الذين كانوا قلقين للغاية بشأن الانقسام في النظام المجوسي عازمين على موازنة وتصحيح مكائد البارعين المنحرفين. تضمنت عملية التأهيل إذابة حدود الأنا استعدادًا لعلاقة عميقة مع الطبيعة، وليس خفض وعي الأنا بحيث يمكن برمجة الشخص سلوكيًا باستخدام قوة الإيحاء والصدمة والغرس وغيرها من الأساليب النفسية الدرامية. كانت أدوات تعديل السلوك هذه محظورة تمامًا في الأسرار التي يشرف عليها الغنوصيون.

---

* من المستحيل تطوير هذا الادعاء ضمن حدود هذا الكتاب. راجع مقالتي بعنوان "الغنوصيون أم المتنورون؟" على Metahistory.org.

10

الإلهة الساقطة

خضع المتأهلون إلى طوائف الأم العظيمة لتجربة تعليمية سامية، كشفت لهم من خلال وعي غير عادي الأصول الكونية للحياة على الأرض. ثم عادوا إلى الحياة العادية لتعليم ما تعلموه. كما هو مذكور في الفصل 1، أكد جي آر إس ميد، أحد أوائل العلماء والمترجمين قبل نجع حمادي، أن المتأهلين "كانوا مقدمي جميع فنون الحضارة ...". كانوا معلمي الأجناس الوليدة. [لقد] قاموا بتدريس الفنون، وطبيعة الآلهة، والعوالم الخفية، وعلم الكونيات، وعلم الإنسان، وما إلى ذلك. باختصار، كانوا معلمي العالم القديم، وأساتذة وعمداء التعليم الكلاسيكي.

اللغة المقدسة

كانت شبكة مدارس الأسرار بمثابة النظام الجامعي في العصور القديمة. كانت الكلية المصرية التي درّست فيها هيباتيا تنتمي إلى ما يمكن اعتباره "رابطة اللبلاب" في الشبكة. كانت ممفيس بمثابة جامعة ييل، وكانت الأقصر بمثابة جامعة هارفارد. وينطبق الأمر نفسه على المدارس الشامية في فلسطين وسوريا وتركيا، حيث كان معظم الغنوصيين المعروفين يدرسون. شمال حوض البحر الأبيض المتوسط باتجاه أوروبا نفسها، وفرت اليونان المنطقة الرئيسية للكليات التابعة. في كتابه *"أثينا السوداء"*، يستشهد مارتن برنال بأسطورة قديمة تروي كيف تأسست أسرار إليوسيس على يد بعثة من مصر.[166] ويبدو أن طائفة إله الحبوب المصري أوزوريس قد تحولت إلى طائفة ديميتر، لكن هذا التفسير مضلل إلى حد ما لأن الأسرار لم تنتشر عالميًا فقط عن طريق الانتشار الجغرافي. في كل منطقة نشأت فيها هذه الطقوس، اتخذت كل من طقوس التأهيلية والكليات الجماعية طابعًا إقليميًا يعكس التركيبة الجسدية والنفسية للسكان. وهذا يجسد النزعة الإقليمية الحيوية التي تميز أوروبا الأصلية، والتي لا تزال واضحة حتى اليوم في التنوع الغني للثقافة المحلية في جميع أنحاء القارة.

ومع امتداد شبكة الأسرار إلى أوروبا، تغير طابعها إلى حد ما لأن تقاليد التأهيل في شبه الجزيرة الأيبيرية والجزر البريطانية كانت أقل تأثراً بالعوامل الآسيوية، وخاصة ثنائية المصدر الواحد الفارسية التي نوقشت سابقاً فيما يتعلق بعقدة المخلص الفلسطيني. في الخلايا السورية الشامية على وجه الخصوص، كان التليستائيون *(telestai)* المعلمين في الأسرار على دراية عميقة بالقضايا الإشكالية للثنائية الزرادشتية والثيوقراطية، وهي الأداة السياسية للنظام الأبوي. كانت هذه المخاوف خاصة بالمتأهلين في مهد ومعقل المجتمع الثيوقراطي، أي الشرق الأدنى. في معظم الجوانب الأخرى، كانت السمات الأساسية للمعرفة التأهيلية موحدة في جميع أنحاء الشبكة. كان بإمكان مدير كليات الدرويد في جزر هيبريدس الخارجية أن يتحدث مع التليستاي (المتأهل في الأسرار) من المدارس المصرية والشامية، باستخدام اللغات البدائية لعلم الفلك والهندسة. كما ذكر أعلاه، في زمن هيباتيا كانت هناك مجموعة دراسية في الإسكندرية مخصصة للحفاظ على التقاليد التأهيلية

لأسرار هيبرنيان من أقصى شمال أوروبا.[167] كانت هناك كليات درويدية في العديد من المناطق بسبب

الدور الحامي للعرق الكلتي في جميع أنحاء أوروبا. كان من المعروف أن الدرويديين، أو الغنوصيين الأيرلنديين كما يمكن تسميتهم، كانوا ماهرون، يجيدون عدة لغات. النسخة الكلتية التي يتم التحدث بها اليوم في اسكتلندا وأيرلندا، والتي تسمى الغيلية، تنحدر مباشرة من اللغة القديمة التي لم يتم تدوينها أبداً. لم يتم تدوين اللغة الكلتية إلى حروف إلا في ثلاثينيات القرن العشرين على يد علماء أرادوا الحفاظ على الثقافة الشفوية الغنية للشعر الغالي.

إن اللغة اليونانية كما تُكتب اليوم قريبة من اللغة التي كانت تُتحدث في زمن سقراط، لكن اللغة اليونانية تختلف اختلافًا كبيرًا عن اللغة الغيلية من حيث أنها كُتبت منذ حوالي 900 قبل الميلاد، أي منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام. في كتابه "الإلهة البيضاء"، اقترح روبرت جريفز أن الكتابة العلمانية دخلت أوروبا بواسطة "متأهلين مستقلين" معروفين بأسماء مثل قدموس، وجويديون، وأوغما صن فيس، وهيراكليس. منذ حوالي عام 600 قبل الميلاد، اجتمع قادة الأسرار في موجة من النشاط أدت إلى ظهور مجلدات لا تعد ولا تحصى من الأعمال المكتوبة. قام قدموس، شقيق أوروبا، بتكييف الأبجدية اليونانية من الكتابة الفينيقية التي تم تقديمها، على الأرجح، حوالي عام 1250 قبل الميلاد.[168] قبل ذلك بآلاف السنين، استخدم قادة الأسرار رموزًا ولغات سرية مثل الرونية الدرويدية والنوردية، والأوغام الخاص بالشعراء الويلزيين، والأبجدية الشجرية الكلتية الشهيرة التي وصفها روبرت جريفز، والذي يوضح اتساقها حرفًا بحرف مع بنية اللغة العبرية القديمة. ومن المثير للاهتمام أن الشفرة المكونة من 22 أساسًا لمعظم الأبجديات القديمة موجودة في اللغة العبرية، وهي اللغة المقدسة للتوراة، ويمكن رؤية تبديلها الرمزي في التارو، وهي مجموعة من الصور الرمزية المستخدمة في التنجيم والاستشارة النفسية. كانت هذه الرموز اللغوية أدوات عمل للمعلمين في مدارس الأسرار.

لقد تم التركيز كثيراً على حقيقة أن الشفرة المكونة من 64 وحدة من الحمض النووي موجودة في كتاب "ايجنغ كتاب التغيرات"، وهو أداة صينية قديمة للتنبؤ، ولكن الأنظمة المتغيرة المكونة من 20-22 قاعدة مثل الأبجدية الشجرية الكلتية قد تكون بنفس القدر من الأهمية في الإشارة إلى أن القدماء كان لديهم معرفة مباشرة ببنية الحياة وصولاً إلى المستوى الجزيئي. في كتاب "الأفعى الكونية"، يوضح عالم الأنثروبولوجيا جيريمي ناربي أن الشامان البيروفيين الذين يستخدمون الأياهواسكا يدّعون الوصول المباشر إلى عمليات البيولوجيا الجزيئية، وهو ادعاء تؤكده معرفتهم الوثيقة بعلم الأدوية والذي يتجاوز في بعض جوانبه معرفة الفنيين المعاصرين الذين يعملون في مختبرات مجهزة بالكامل. كان من شأن التوجيه من قبل نور الأسرار أن يمنح المتأهلين الوثنيين معرفة مماثلة. كان علم الأعشاب والطب، بما في ذلك تقنيات علاج الأحلام، من الأجزاء الأساسية أيضاً في مناهج مدارس الأسرار. أسماء مثل أسكليبيوس وهيجيا لم تكن تنطبق على الأفراد بقدر ما كانت تنطبق على الألقاب الفخرية الممنوحة لمديري ومديرات الكليات التأهيلية.

كان الإدراك الحسي تحت السطحي على المستوى الجزيئي شائعًا بين السيدها، وهم اليوغيون الماهرون في آسيا. يُطلق باتانجالي على القدرة على الرؤية المجهرية اسم *anima* "الرؤية المجهرية".[169] في كتابه عن اليوغا سوترا لباتانجالي، يسلط ميرسيا إلياده الضوء على الطبيعة التجريبية للتدريب اليوغي: "من خلال تحقيق السامادهي [التركيز الكامل والخالي من العيوب] فيما يتعلق بموضوع معين أو فئة كاملة من الأشياء، يكتسب اليوغي 'قوى' خفية معينة [سيدهي] فيما يتعلق بالموضوع أو الأشياء المعنية بتجربته".[170] أكد السير جون وودروف أن اليوغيين في الهند كانوا يمتلكون معرفة دقيقة وكاملة بتشريح جسم الإنسان،

وصولاً إلى أدق تفاصيل بنية الأعصاب، متجاوزين بذلك معرفة الأطباء الغربيين المدربين. إن كلمة "سيدها" السنسكريتية، والتي تعني "الشخص المنجز"، هي المكافئ الدقيق لكلمة "بارع"، والتي تشتق من الكلمة اليونانية "أديبسكي *(adipisci)*"، والتي تعني "تم بلوغه" أو "إنجازه"، كما سبق ذكره. كان الغنوصيون ونظرائهم الأوروبيون، أي المنخرطون في الأسرار، من سيدها الذين كانوا يمتلكون مجموعة من القدرات الباطنية المدربة التي تسمح لهم بإجراء ملاحظات مباشرة على أكثر العمليات حميمية في علم الأحياء وعلم وظائف الأعضاء والكيمياء.

كان لدى الكليات التي أدارت مدارس الأسرار هيئات تدريسية.

لقد أظهر ريتشارد رودجلي (الحضارات المفقودة للعصر الحجري) أن أنظمة الكتابة لم تظهر فجأة أو بشكل خارق في أي منطقة، بل تطورت عمداً من لغات رمزية موجودة مسبقاً، أي أنظمة الكتابة المقدسة. لأسباب لم يتم توضيحها بشكل واضح قط - وهنا تكمن قصة عظيمة لم تُروَ - بدأ المتأهلون الذين يعيشون في جميع أنحاء العالم القديم في فجر الألفية الأولى قبل الميلاد في إدخال أنظمة الكتابة العلمانية. لقد اخترعوا القراءة والكتابة حرفياً. وبذلك فقد تولوا المهمة المقدسة المتمثلة في تعليم القراءة والكتابة وتحليل النصوص والترجمة. كان تعليم مهارات اللغة أحد المسؤوليات الرئيسية لمدارس الأسرار.

إذا كان الكاتب اليوناني بلوتارخ مثالاً على ذلك، فقد نبدأ فقط في تخيل مدى إنجازهم لرسالتهم. كان متأهلا مسؤولاً عن أحياء إليوسيس (Eleusis). (اسم هذا المكان هو مركب محتمل من الجذر اليوناني *eu*، بمعنى "الصحة" و"العقلانية"، والكلمة الشامية *el*، بمعنى "الألوهية"، ومن ثم "مكان العقلانية، والصلاح الإلهي"، وذلك بسبب الاتصال المباشر مع الإله.) خلال حياته (حوالي 46–حوالي 120 م.) شهد بلوتارخ أفول الأسرار، وهي المقدمة الكئيبة للعصور المظلمة التي بدأت بمقتل هيباتيا. كان كاتباً غزير الإنتاج، ولم يبقَ من أعماله إلا جزء منها، ومع ذلك فهي تتألف من مئات الآلاف من الكلمات. لقد ترك لنا الرواية الأكثر اكتمالاً التي لدينا عن أسرار "إله الحبوب" المصري، أوزوريس. إن إنتاج بلوتارخ الأدبي لا ينضب، والذي شمل السيرة الذاتية والمقالات الأخلاقية والأساطير والتعليقات الباطنية والمقالات التاريخية وكنز غني من المواد الشخصية والقصصية، وهو النموذج الأمثل لعميد مدرسة الأسرار. تخيل مئات من البلوتارخيين، ذكوراً وإناثاً، يعملون في الجزر البريطانية، وشبه الجزيرة الأيبيرية، وبلاد الغال، وإيطاليا، والبر الرئيسي لليونان والجزر اليونانية، وبلاد الشام، ومصر، وليبيا، وقرطاج، وستحصل على فكرة عن مدى اتساع النظام الجامعي القديم.

إذا كانت الأصول ما قبل التاريخية لشبكة مدارس الأسرار متزامنة مع أقدم المواقع الضخمة، كما يبدو مرجحًا، فيمكن تأريخها بشكل متحفظ إلى 6,000 قبل الميلاد. وهكذا، في آخر عُشر من مدتها قبل العصر المسيحي، أي 600 عام فقط، أنتجت الأسرار مجموعة من الأدبيات التي عكست تطورها الطويل السابق. في عام 400 ميلادي، عندما عاشت هيباتيا ودرّست، كان لديها أكثر من ألف عام من المعرفة والتعلم المستمر لتستند إليه.

التكريس

كان نظام التأهيل نظامًا تطوعيًا لم يفرض أي قيود على الأنشطة الدنيوية للمشاركين فيه، باستثناء أنه طالبهم بإظهار أمانة لا هوادة فيها في جميع مساعيهم في العالم. (كانت الخيانة والحسد والقتل بدون سبب هي العوامل الثلاثة التي استبعدت المرشحين من الانضمام.) في الواقع، كان هدف المتأهلين هو خدمة العالم بأسره من خلال رعاية وتوجيه الإمكانات البشرية، فرداً فرداً. أطلق عليهم اسم "تيليستاي" لأنهم كانوا مكرسين لهدف أسمى، غاية، هدف - "تيلوس". تشير هذه الكلمة إلى "الشيء المطلق"، بدلاً من "الكمال"، كما هو شائع في الترجمة. إنها تقترب من المفهوم الحديث للتوجه نحو الهدف، أو الغائية. في الاستخدام العامي، يمكن أن تشير كلمة *telos* إلى موت شخص ما: "لقد لقي حتفه، *telos*". الموت هو اللحظة الأخيرة في الحياة. من خلال المواجهة المباشرة مع النور العضوي، أدرك المتأهلون أن غايتهم هي هدف يتجاوز الموت. شهد الشاعر اليوناني بيندار (حوالي 518-438 قبل الميلاد) على هذا التأثير في طقوس التأهيل بهذه الكلمات: "طوبى لمن رأى تلك الاهتمامات المشتركة في العالم السفلي، ويعرف نهاية الحياة [telos] وأصلها الإلهي".[171] أدرك التيليستاي (المعلمين في الأسرار) أيضًا أن أي شيء يتم تعلمه بعمق، بطريقة تتوافق مع الإمكانات الفريدة للطالب، سيبقى بعد أولئك الذين يعلمونه. لقد أدركوا أن القدرة التعليمية للجنس البشري خالدة، متجذرة في الموهبة الخالدة للعقل، الذكاء الإلهي، ولكنها تحتاج إلى توجيه دقيق. لم يؤمنوا بأننا شرارات إلهية محاصرة في ظلام العالم المادي، بل بأن كل شخص يحمل شرارة العبقرية الأصلية للبشرية. هناك عدة طرق لفهم التوجه الأخلاقي والتعليمي للأسرار، لأن telosالغاية لها أبعاد متعددة.

كان التعليم والتوجيه مرتبطين ارتباطًا وثيقًا في مناهج مدارس الأسرار. في نهاية المطاف، كان هدف المتأهلين هو توجيه البشرية لتصبح قادرة على توجيه نفسها بنفسها. لقد قاموا بتعليم ما يمكن تسميته بالتوجيه الذاتي ولكن بدون نزعة نرجسية أو تركيز أناني. لم يكن هدف الطريقة التليستية (الغائية) ما يسمى اليوم بالتمكين الذاتي، بل التكريس. قد يسعى المرء إلى التمكين الذاتي لتحقيق منفعته الخاصة، أو لاكتساب أي شيء يريده، ولكن يجب تحقيق التكريس من خلال الالتزام غير الأناني بشيء آخر غير الذات. حرفياً، تعني كلمة "consecration" "مُمكّن بـ *(-con)*". تم استبدال حرف *e* في هذه الكلمة بحرف *a*، مما أدى إلى إخفاء الجذر الهندو-أوروبي *sacr*- قليلاً، وهو جذر مشابه للكلمة السنسكريتية Shakti، وهو اسم للإلهة. بهدف تعزيز التوجيه الذاتي بهدف عيش حياة مكرسة، قام معلمو التيلستاي بتعريف طلابهم الجدد بإطار سردي، وقصة إرشادية. ضمن أحداث القصة، وجد كل فرد دعوته المقدسة وأصبح موجهاً ذاتياً، وعاملاً حراً. كان جوهر البرنامج التليستيي (الغائي) يتمثل في فهم عميق لما يعنيه أن تكون أداة للتطور المشترك، مكرسة لغايا صوفيا.

نميل اليوم إلى تصور التطور من منظور بيولوجي، ولذلك نتخيل أن التطور المشترك هو، أو قد يكون، وسيلة للبشرية للمشاركة بحكمة ومحبة في شبكة الحياة التي تشمل جميع الأنواع، وحتى لمواءمة نفسها مع الروح الكوكبية، غايا. هذا الاحتمال يجسد غاية الأسرار. إذا جعلنا نحن كأفراد في العالم الحديث التطور المشترك طموحنا الشخصي، وإذا طرحناه كهدف اجتماعي، واعتبرناه أعلى طموح لجنسنا البشري، فقد يكون من المفيد لنا أن نتذكر أن هذه النية الرائعة قد تحققت بالفعل من قبل الأشخاص الذين سبقونا. يمكننا أن نؤكد لأنفسنا أنه أمر قابل للتحقيق، لأنه قد تم تحقيقه بالفعل. لقد تم تجربته واختباره بنجاح هائل.

بمعنى ما، أدركت جميع الشعوب الأصلية حول العالم هذه النية وعاشت وفقًا لهذا التطلع العظيم المتعالي. لكن بطريقة محددة للغاية، وبطريقة فنية ومتقنة، فإن أولئك الذين شاركوا في أسرار الأم العظيمة في أوروبا ومصر والشرق الأدنى، حققوا التطور المشترك على مستوى من الإنجاز لا يسعنا إلا أن نأمل

في تخيله. إذا كان الشاعر أوكتافيو باث محقاً، وأن المستقبل هو عودة دائمة للماضي في الحاضر، فإن المكان الذي كان فيه الرواد هو المكان الذي قد نذهب إليه: إلى مستقبل يستحق العيش. في تكريسهم لغايا، تعلموا من خلال التواصل المباشر مع الذكاء الكوكبي. عندما واجهوا النور الإلهي، وجدوا قصة ترشد الجنس البشري، واتبعوها.

إن فقدان تلك القصة يفسر إلى حد كبير الانحطاط الأخلاقي والروحي للمجتمع الغربي، والذي بات الآن يلوث العالم بأسره.

سيرة الكواكب

كانت الرواية الرئيسية للأسرار هي أسطورة صوفيا، وهي قصة كيف تحولت الإلهة صوفيا، وهي إلهة على المستوى الكوني، إلى كوكب الأرض. كانت هذه الأسطورة محور الأسرار المخصصة للأم العظيمة، ماغنا ماتر. لا يقتصر الأمر على شرح أصل الحياة البشرية على الأرض فحسب، بل يشرح أيضًا أصل الحياة والوعي على الأرض نفسها. وصف عالم الهنديات هاينريش زيمر الأسطورة الهندوسية للأم العالمية قائلاً:

> لا يمكن للأسطورة أن تكشف في الواقع عن نشأة إلهة الأم العظيمة، ولكن فقط عن الطريقة التي تظهر بها، لأن الأسطورة تعرف عن عدم بدايتها، وهو أمر مضمن في مصطلح "الأم": إنها تعرف أنها كأم كانت موجودة قبل أي من الأشياء التي منحتها الحياة.[172]

يشير هذا البيان إلى الطبيعة الفريدة لعلم الكونيات الموجودة في الأسطورة الغنوصية للإلهة الساقطة. إن ربط الأرض بإلهة أو إلهة أنثوية أمر شبه عالمي في الأساطير العالمية والحكايات الشعبية، ولكن المواد الغنوصية وحدها هي التي تقدم سيناريو كاملاً يصف كيف يتحول هذا الإله من المستوى الكوني إلى جسم كوكبي. يقول زيمر إن الأم العظيمة "كانت موجودة قبل أي شيء من الأشياء التي منحتها الحياة". إذا كان هذا هو الحال مع صوفيا، كما اعتقد الغنوصيون وعلموا، فعلينا أن نتساءل عن نوع الوجود السابق الذي كانت تعيشه.

اليوم نطلق على الأرض اسم غايا اعترافاً متزايداً بأن الكوكب حي وذكي، كائن حي فائق واع. لكن بفعل ذلك، لا نفترض عادةً أن الكمال الكامن في غايا كان موجودًا قبل الكوكب المادي. إن تسمية الأرض بـ "غايا" هي مجرد طريقة للتعبير، ولكن هل يمكن أن تكون أكثر من ذلك؟

إن الحدس الناشئ لدى أعداد متزايدة من الناس بأن غايا حية وذكية في حد ذاتها، وأنها "ذاتية التكوين"، وتضع نظامها الخاص، قد يدفع الآن إلى حدس أعمق: إن الوجود الذاتي التكوين المتجسد في الأرض كان موجودًا قبلها. صوفيا تعني "الحكمة"، لذلك يمكننا أن نفترض أن أتباع الأسرار أدركوا في الجسم الكوكبي حكمة وجود إلهي فوق أرضي، مماثل للحكمة التي تحرك الجسم البشري، ولكنه أكثر تعقيدًا واتساعًا وقوة بشكل لا نهائي. هذه هي الفكرة البيئية الأساسية، بالطبع. وقد تكون أيضاً هي الرؤية الدينية الأساسية.

في علم الكونيات الغنوصي، صوفيا هو الاسم الأسطوري لغايا قبل أن تصبح الأرض.

اليوم، ومع الاعتراف المتزايد بأهمية غايا لصالحنا، فإننا محظوظون لأن نلاحظ كما فعل جيمس لوفلوك أنه من المنطقي فقط أن نرى الأرض بهذه الطريقة. هل نحن حقاً بحاجة إلى نظرية الأنظمة العامة، وعلم التحكم الآلي، والهياكل المبددة، والصيغ التكرارية للتنظيم الذاتي لفهم غايا، أم أن هذه المخططات المفاهيمية مجرد تشتيت للعقل الذكوري عن الاتصال التعاطفي مع الكوكب الحي؟ كانت النظرية عند الإغريق القدماء تعني theoria الرؤية، بكل بساطة، ولكن بالنسبة للعقل الحديث، فنحن للأسف غالباً ما نكون مدينين للنظرية نفسها، ومقيدين بها لدرجة أننا لا نستطيع رؤية الأرض التي يجب أن ترسم الخريطة.

ما يمكن العثور عليه الآن في "نظرية غايا" هو بُعد تخيلي حي، وليس مجرد هيكل للتفكير العام في الأنظمة السيبرانية. لحسن الحظ، فإن هذا البعد الخيالي متاح بالفعل - لدينا على الأقل البدايات الخصبة منه - في قصة صوفيا. * تتميز الرواية المقدسة التي تتمحور حول أسرار الأم العظيمة ببنية معقدة يمكن تلخيصها في تسع حلقات:

الأولى: تنشأ حالة التفرد داخل الألوهية، عالم البليروما (الإمتلاء) (الكمال الإلهي - فلكيًا، مركز المجرة). تحمل نقطة التفرد إمكانية ظهور أشياء جديدة في الكون. يُطلق عليه اسم الأنثروبوس (الإنسان الكوني).

الثانية: إلهان (أيونات) من بين جميع آلهة البليروم، ثيليتي ("المقصود") وصوفيا، يشكلان التفرد بمجموعة من المواهب ويجهزانه للإسقاط في الأذرع المجرة، حيث تظهر الأنظمة الكوكبية.

الثالثة: تقوم الأيونات في البليروما (الإمتلاء) ببث هذه التفرد المشفر إلى عالم "الفوضى الخارجية" حتى تتمكن من التكشف تدريجياً في العوالم الناشئة. إنها تعشش في سحابة جزيئية (سديم الجبار) مثل نمط الندى على شبكة العنكبوت.

الرابعة: مفتونة بما قد يحدث للأنثروبوس (الإنسان الكوني) أثناء كشفه عن إمكاناته في بيئة كوكبية، ينغمس إيون صوفيا في الحلم، وهي العملية الكونية للانبثاق. لكنها تفعل ذلك بمفردها، من جانب واحد، دون مقابل، في تناقض مع القانون الكوني للقطبية الذي يتم من خلاله الحفاظ على الانسجام والتوازن في العوالم المتعددة. مفتونة بإمكانيات التفرد البشري، الأنثروبوس، تنجرف بعيدًا عن البليروما، وتغادر المركز الكوني، وتغوص في عالم الفوضى الخارجية الدوامة خارج النواة المجرية.

الخامسة: إن سقوط صوفيا من الألوهية ينتج عنه تأثير غير متوقع في عالم الفوضى، مما يؤدي إلى ظهور نوع من الكائنات غير العضوية، وهم الأركونات. في افتتان صوفيا بالأنثروبوس (الجنس البشري)، وفي تصورها لكيفية تطوره، لم تتوقع الإلهة ظهور هذه الكيانات الغريبة. إنها تمثل عاملاً شاذاً أو منحرفاً قد يؤثر على تطور البشرية.

يتجمع الأركونات حول إله مركزي، وهو الديميورج، الذي يعتقد خطأً أنه خالق كل ما يراه. يشرع الإله المختل عقلياً في بناء موطن سماوي لنفسه من المادة الذرية: هذا هو النظام الكوكبي باستثناء الأرض والشمس والقمر.

السادسة: مع ظهور هيكل النظام الكوكبي، يظهر نجم وليد من السديم الذي يندمج فيه الأنثروبوس. بسبب كتلته الهائلة، يتسبب النجم في تماسك النظام الكوكبي الناشئ حوله. تصبح الشمس المركزية للسماء الأركونية، وهي عالم من الميكانيكا السماوية تهيمن عليه قوى عمياء وغير عضوية. تُخجل صوفيا الديميورج بإعلانها له أن الأنثروبوس، على الرغم من أنه لم يولد بعد، يتفوق على الأركونات في الذكاء، لأن البشرية هي انبثاق من البليروما، بينما ينشأ الأركونات خارج النواة الكونية، دون فعل انبثاق. إذ شهد النجم الوليد هذا التوبيخ، وصُدم من غطرسة الديميورج، فإنه يخضع لتحول: يختار أن يصطف مع صوفيا ضد عالم القوى الأركونية، أي المجال الكوكبي غير العضوي. تُدرك الإلهة الساقطة هذا الخيار وتُنجب من نفسها ابنة على صورتها، وهي قوة الحياة زوي، التي تتحد مع الشمس، النجمة الأم للنظام الكوكبي.

السابعة: تتحول صوفيا إلى شكل أرضي، لتصبح كوكبًا عضويًا، واعيًا ومدركًا. لكن الأرض الحية تُحاصر بعد ذلك في النظام غير العضوي للديميورج، عالم الميكانيكا السماوية.

الثامنة: تتحول مشاعر صوفيا من حزن وخوف وارتباك إلى العناصر المادية للأرض والمحيط الحيوي. تتصلب الكرة الأرضية وتنشأ الحياة بأشكال متفشية، لكن صوفيا غير قادرة على إدارة نسلها. تشعر الآلهة في البليروما بصعوبتها، فترسل مجتمعة إيون كريستوس للتدخل وإعادة النظام إلى التنوع البيولوجي لعالم صوفيا. عند قيام كريستوس بهذا الشفاعة، فإنه يترك نوعاً من الصورة اللاحقة المشعة في المحيط الحيوي، ثم يبتعد عن الأرض ويعود إلى البليروما.

التاسعة: الآن وقد أصبحت صوفيا متحدة تماماً مع عمليات الحياة على الكوكب الذي أصبحت عليه، تجد نفسها عالقة بشكل غريب ومعزولة في التجربة التي كانت قد تصورتها في البليروما. هذا عالم حيث يشرع نوع معين من الأنثروبوس (البشرية الحالية) في عيش الإمكانات التي منحتها إياها صوفيا وثيليتي، وبالتالي إظهار حداثة الإنسان على الأرض.

لكن مع كل جديد تأتي مخاطرة الانحراف. يبدو أن صوفيا نفسها قد انحرفت عن النظام الكوني من خلال انغماسها في عالم الكواكب، وذلك بسبب فعلها الشغوف والمستقل المتمثل في الحلم. بطريقة غامضة، فإن "تصحيحها" (إعادة توجيهها إلى المركز الكوني) يرتكز على التحدي الثلاثي الذي يواجه البشرية: إيجاد مكانتها التطورية، والابتعاد عن تدخل الأركونات، وتحديد دورها في أغراض غايا ما بعد الإنسانية.

قصة إلهة الحكمة صوفيا قصة مفتوحة النهاية ومستمرة. لا يمكن كتابة خاتمتها إلا إذا تم تخيل القصة المقدسة وعيشها. بخلاف الرواية المقدسة للتقاليد اليهودية المسيحية الإسلامية، فإن القصة لا تنتهي بحدث كارثي في لحظة معينة من الزمن التاريخي الخطي. لا تتضمن الحبكة التطورية المشتركة أي مواجهة نهائية بين الخير والشر. لا توجد قوة خارقة للطبيعة أو قدرة على معرفة كل شيء أو مصير يتجاوز حدود البشر تحدد النتيجة مسبقاً. بل إن قصة الإلهة الساقطة هي الإطار المفتوح للمشاركة الخالدة في أغراض غايا ما بعد الإنسانية. لا ينكر هذا السرد المقدس أو يقلل من شأن الأغراض البشرية طالما يتم تصورها بما يتوافق مع مجمع الحياة الأكبر في المحيط الحيوي. يعتمد بقاء الإنسان على "التوافق الإبداعي" في "تاريخها"، كما ذكرت لين مارغوليس في مناقشات نظرية غايا. إن قانون غايا ليس البقاء للأصلح، بل البقاء لما يناسب أغراضها، وما يتردد صداه في أحلامها.

ما يُرضيها، إن شئت.

تعاليم الرؤية

اعتبرت النساء والرجال في العصور القديمة الذين تعلموا وعلموا قصة صوفيا المقدسة أن نهايتها ستتحقق، وإن لم تكن محددة تمامًا، من خلال العلاقة بين إلهة الحكمة والبشرية. بمعنى ما، تُعتبر صوفيا منقذة البشرية، لأنها تمنح الجنس البشري قوة خاصة، هي قوة إيبينويا: "البصيرة"، والتي من خلالها يستطيع إدراك دوره الفريد في عملية حياته. الخيال هو الإيبينويا. هذه هي القدرة التي يحتاجها البشر للانخراط بوعي في "تصحيح" صوفيا، وهي عملية إعادة تنظيمها إلى المصدر الكوني الذي انحرفت عنه من خلال إسقاط نفسها في العالم البشري الناشئ قبل الأوان وبدون قرين، أي نظير كوني. بمعنى آخر، تعتمد غايا صوفيا على البشرية لتطالب وتطور إمكاناتها الفطرية حتى تتمكن من تحقيق رغبتها الخاصة: النجاح في تجربة كوكبية حيث يُظهر الإنسان كامل نطاق المواهب التي وهبتها له إلهة الحكمة وقرينها، ثيليتي.

لقد حلمت إيون صوفيا بالبشرية من فيض الكون، البليروما، وانغمست من المركز الكوني، محولة نفسها إلى العالم الذي يمكننا فيه أن نصبح ما تتخيله. بفضل وجودها في هذا العالم، يمكن أن تزهر الألوهية في الأبواغ البشرية، حبوب لقاح الألوهية المتفتحة. إن مستقبل البشرية الأمثل هو مجرد حلم صوفيا.

البشر ليسوا النوع الوحيد في المحيط الحيوي، بالطبع، وليسوا النوع الأعلى أو المتفوق بأي حال من الأحوال. جميع الأنواع الأخرى مرتبطة بشكل وثيق بغايا، ولكن بطرق مختلفة تمامًا عنا لأن البشرية متورطة بعمق وبشكل فريد في كل من الانجذاب البدائي الذي أدى إلى سقوط صوفيا من البليروما، والانحراف الذي نتج عن ذلك. تقول القصة إن هناك إجراءات كونية جارية لمساعدة صوفيا في تنظيم عالمها والتعويض عن خطر الانحراف الذي يشكله الأركونات. يصف "الكتاب السري ليوحنا" الفعل المحدد لتدخل بليروم (الحلقة 8) وردة فعل صوفيا عليه بتفصيل دقيق:

> عندما وافقت الروح الخفية للمنشئ، تدفقت القوة الإلهية عليها من كل البليروما للمولدات، الأيونات الإلهية. لأنه لم يكن قرينها وحده من جاء لمساعدتها، بل جاءت البليروما بأكمله من خلال الكريستوس حتى تتمكن من تصحيح نقصها. وتم رفعها إلى مرتبة أعلى من مملكة نسلها، اللورد أركون، حتى تكون في المرتبة التاسعة إلى أن تصحح نقصها. (II, 1, 14. 5–10)

في لغة الأسرار، يشير الرقم التاسع إلى الأرض كجسم كوكبي عضوي متميز عن النظام الكوكبي غير العضوي، والذي يسمى الهيبدمد أو السابع. في العديد من الأساطير حول العالم، يمثل الرقم تسعة رقم الإلهة. ثلاثة في ثلاثة هي السمة الأبرز للألوهية الأنثوية. يقول غريفز: "إنّ الإلهة الثلاثية هي المرأة في طبيعتها الإلهية: ساحرة الشاعر، والموضوع الوحيد لأغانيه".[173]

من الناحية الكونية، فإن الثامن هو فلك النجوم الثابتة، دائرة البروج. يحتوي سفر رؤيا آدم (مخطوطات نجع حمادي V, 5) على مقطع شعري طويل يصف ثلاثة عشر كوكبة يمر فيها المنير *(phoster)* "بمجد

عظيم ... تاركًا ثمار المعرفة الحية". يؤكد النص أن "أولئك الذين يتأملون في معرفة الأبدي في قلوبهم" سيتلقون التنوير الروحي مباشرة من عوالم الأبراج. ربما كان هذا هو العالم الذي نظر إليه العرافون الغنوصيون من أجل فهم السيناريو الرؤيوي المعقد لقصة صوفيا.

كتب التليستاي وتحدثوا على نطاق واسع كجزء من عملهم التعليمي، لكنهم احتفظوا أيضًا ببعض التعاليم للنقل الشفهي فقط: "لأنهم سيُعرفون حتى المنطقة الكونية للأيونات لأن اللغة التي يحفظونها فيما يتعلق بخالق الأيونات لم تُدوّن في الكتب، ولم تُكتب" (رؤيا آدم، 85.5). تشير كتابات نجع حمادي إلى تعليمات خاصة محفوظة من أجل "نقل أوامر العقل" مثل التيرما أو كنوز الحكمة في بوذية نينغما.[174] وقد نجا نوع واحد من التيرما الغنوصية، والذي يُقارن بـ "تيرما الأرض" البوذية المكتوبة بنصوص رمزية على لفائف، في نص غير تابع لنجع حمادي بعنوان كتابي جيو (مخطوطة بروس). يتردد صدى التقاليد التبتية في اكتشاف التيرما المخفية في الصخور في النص الغنوصي: "لأنها [هذه التعاليم] ستكون على جبل عالٍ، على صخرة الحقيقة" (85.10). ويحدث تشابه آخر في اللوجينس (الغريب) (مخطوطات نجع حمادي XI,3: 68.5– 25) حيث يتم توجيه المتأهل *mystes* إلى "كتابة الأشياء التي سأخبرك بها والتي سأذكرك بها من أجل أولئك المستحقين، الذين سيأتون من بعدك. وستترك هذا الكتاب على جبل، وستتخلى عن الحارس قائلًا: "تعال أيها الرهيب". وهذا يذكرنا بتقاليد نينغما المتعلقة بالكتب المخفية التي تحرسها شياطين شرسة حتى يأتي الشخص المناسب لاكتشافها.

يشير الباحث البوذي تولكو ثوندوب إلى أن نوعًا من التيرما يسمى "تعاليم الرؤية النقية" ليس حصريًا لطائفة نينغما، مما قد يسمح بإمكانية حدوث مثل هذه الظواهر خارج التقاليد التبتية. كانت جماعة الثامن، وهو أيضاً اسم رمزي للنواة الداخلية لخلية الأسرار، تميل بشكل خاص إلى قراءة وإخفاء تعاليم معينة في عالم الأبراج. تتمتع التيرما بخاصية الإطلاق التدريجي: فهي تبقى في مكان إخفائها.

إلى أن يحين الوقت المناسب بعد قرون لاكتشافها.[175] بالنسبة للتليستاي، كان عالم الأبراج النجمية بمثابة ساعة كونية منقوشة بصور متحركة هائلة، وهي الأبراج، كل منها يتوافق مع عصر عالمي. لم يقتصر الأمر على قدرتهم على قراءة الدروس السائدة التي يجب أن تتعلمها البشرية في كل عصر، والتي تشمل فترات زمنية شاسعة، بل كان لديهم أيضًا طرق لفك رموز التفاصيل الدقيقة للأبراج. في كل صورة من الصور الثلاث عشرة رأوا لغة مشفرة تسجل الإمكانات البشرية، على غرار الطريقة التي تسجل بها اللغة الجينية - وتكتب - الإمكانات الكاملة للحياة العضوية.

إن هذه القدرة على قراءة الطبيعة على المستوى الكوني هي سمة مميزة للثقافات الشامانية حيث كانت مراقبة النجوم والتنبؤات ممارسات شائعة. كانت ديانة بون بو، وهي ديانة أصلية من ديانات ما قبل البوذية في التبت، شكلاً قديماً من أشكال الشامانية، وكان أتباعها متخصصين في مراقبة السماء والتنبؤ الفلكي. تم تبني حكمة النجوم الأصلية لـ "بون" في تقنيات سرية لتوجيه "مبدأ الوعي" بعد الموت "حتى نتمكن من التجسد بقوانا الخاصة".[176] هذا هو أصل استمرارية اللامات المتناسخين التي لا تزال قائمة في البوذية التبتية حتى اليوم. من المرجح أن يتمكن بارعي الأسرار أيضاً من اختيار وتوجيه تجسدهم الخاص، مسترشدين بالأنماط طويلة المدى التي يقرؤونها في دائرة الأبراج.

إن الأدلة الواسعة النطاق على وجود أحجار ضخمة ومواقع مقدسة مصطفة فلكياً في جميع أنحاء أوروبا تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الشامانية الأوروبية الأصلية كانت موجهة نحو النجوم أيضاً. في

كتابه "الآثار اليهودية" (1.68-72)، ذكر المؤرخ يوسيفوس أن بني شيث كانوا يعتبرون من قبل العبرانيين القدماء كعرّافين سماويين "اكتشفوا علوم الأجرام السماوية وأنماطها". كان يُعتقد أن هذه الحكمة قد نزلت من عصور ما قبل الطوفان، قبل الطوفان، وحُفظت على لوحين أو عمودين قائمين في موقع أسطوري يُدعى سيريس. كان جبل سعير موقعًا مقدسًا لأبناء شيث، كما أطلق بعض الغنوصيين على أنفسهم.[177] ويعتبر جاك لاكاريير أيضًا أن معرفة السماء هي المصفوفة الأصلية لنظام المعرفة في المدارس الغنوصية.[178] ومن المؤكد أن هذه المعرفة هي مصدر المنظور الكوني السينمائي الذي نصادفه في قصة صوفيا.

الأبراج في دندرة

على الضفة الغربية لنهر النيل، وعلى مرمى حجر من نجع حمادي تقع دندرة، موقع معبد بطلمي رائع مخصص للإلهة حتحور، حواء المصرية. يوجد نقش بارز على سطح كنيسة صغيرة هناك يحفظ دائرة الأبراج الوحيدة السليمة التي نجت من العصور القديمة. تُظهر المحاور الموجودة في البنية الداخلية للنموذج أن مصمميه فهموا دورة الـ 26,000 سنة الكاملة للحركة المدارية البروجي. لقد أغفل العلماء قرب هذا الكنز الفلكي من كهوف نجع حمادي، ومع ذلك فمن المرجح أن تكون المخطوطات المصرية قد نشأت من المكتبة الرسمية لمعبد دندرة، أو ما تبقى منه.

تقع أطلال دير قبطي قديم، تابنيسي، على الضفة المقابلة لنهر دندرة. في ذلك الوقت الذي تم فيه إخفاء المخطوطات في كهف حوالي عام 345 ميلادي، كان مؤسس الدير، الراهب الجماعي باخوميوس، قد توفي للتو. وبعد جيل، أصبح الدير تحت سيطرة شنودة الأثريبي (348-466)، الشخصية البارزة في الكنيسة المسيحية القبطية والحليف المقرب لكيرلس الإسكندري، الرجل الذي ربما دبر مقتل هيباتيا. ولدهشته، اكتشف شنودة أن مجموعة صغيرة من الغنوصيين المضطهدين قد لجأت إلى معبد حتحور. وكتب إلى كيرلس أن الهراطقة يمتلكون "كتباً مليئة بالرذائل" التي يجب تدميرها بالتأكيد. أمر شنودة الغنوصيين بالتخلي عن معتقداتهم المنحرفة وقبول كيرلس كمعلمهم الروحي. عندما قاوم الهراطقة، حذرهم شنودة بعبارات لا لبس فيها: "سأجعلكم تعترفون برئيس الأساقفة كيرلس، وإلا فإن السيف سيقضي على معظمكم، وعلاوة على ذلك، فإن من ينجو منكم سيذهب إلى المنفى". إذا تساءل أي شخص عما حدث لآلاف المعلمين والطلاب في مدارس الأسرار القديمة، فإليكم الإجابة في سطر واحد. رد كيرلس بتأييد واضح لضرورة الإبادة الجماعية، مؤكداً كيف يُظهر ذلك فعالية الإيمان الحق الواحد:

> قام عدد كبير من أولئك الذين مارسوا السحر بشكل رسمي بجمع كتبهم وحرقها علنًا، وعندما تم حساب القيمة الإجمالية، تبين أنها بلغت خمسين ألف قطعة من الفضة. وبهذه الطرق أظهرت كلمة الرب قوتها، فانتشرت على نطاق أوسع وبشكل أكثر فعالية.[179]

كُتبت هذه السطور على بعد حوالي ثلاثين ميلاً من المكان الذي كانت تُخبأ فيه مخطوطات نجع حمادي. من أخفى المخطوطات فعل ذلك تحت ظل شنودة المخيف، الذي "حلم بتحرير العالم من القوى الشيطانية من خلال تفتيش المعابد والمنازل الخاصة بحثًا عن الأصنام لتحطيمها"، ولا شك،

الكتب لحرقها.[180] وقد تم فرض "السلوك العنيف والمدمر" لهذا الراهب المصري من قبل الأشخاص الخاضعين لحكمه في الدير الأبيض، والذين بلغ عددهم ألفي راهب وألف وثمانمائة راهبة. كان على أولئك الذين مارسوا أسلوب الحياة الرهباني الجماعي أيضاً واجب القضاء على التقاليد الغنوصية، من جذورها وفروعها. وصف أحد المؤرخين رهبان شنودة بأنهم "قوات الصدمة" للحركة المسيحية الجديدة في ذلك المعقل القديم للأسرار، في مصر.[181]

كان بارعون الأسرار المتعصبون في دندرة على الضفة الأخرى من النهر يدركون تمامًا أن إرثهم المقدس من التعاليم سيتم إبادته. وفي الوقت نفسه، كانوا يعلمون أن معبد النجوم الذي شهد معركتهم الأخيرة سيصمد. سيكون ذلك بمثابة دليل على حكمتهم الفلكية الخالدة وإيمانهم بالانتقال الشبيه بالتيرما

باستخدام الشفرة الكونية، أي الأبراج.

---

* للاطلاع على نسخة موسعة من هذه الحلقات التسع، راجع مقالتي "القصة المقدسة لصوفيا" على موقع Metahistory.org. أستخدم كلمة "*mythos*"، والتي تعني حرفياً "قصة، رواية"، على النقيض من كلمة "أسطورة"، لأن الأسطورة تُفهم بالمعنى الحديث على أنها زيف أو اختراع لا أساس له.

11

فيزياء زمن الأحلام

تبدأ القصة المقدسة لصوفيا في لحظة واحدة في زمن لا نهاية له ولا قياس له، ولكن ليس في اللحظة الأولى لخلق الكون. يشير مصطلح الكون، المكتوب بأحرف كبيرة، إلى مجمل المجرات في المصفوفة غير القابلة للقياس للزمكان. الكون موجود بالفعل عندما تبدأ قصة صوفيا، ولم تكن أبداً غير موجود. ليس هناك لحظة نشأت فيها، ولن تكون هناك لحظة تتوقف فيها عن الوجود. لا يوجد انفجار عظيم في الرؤية الغنوصية، ولا في نظيراتها الهندوسية والتانترية والبوذية حيث يكون الانبثاق والانعكاس هما المبدأين الديناميكيين اللذين يعملان في جميع أنحاء الكون وداخل النفس البشرية: الانبثاق، وليس الخلق؛ الانعكاس، وليس السبب والتأثير. الأبدية ثابتة، لكن الكون غير مستقر بطبيعته، فهو دائم التغير، ومحتوياته تتغير باستمرار، وتتحول، وتدور. الحياة لغز من التحول المستمر والمتواصل، حلم حي ينتقل باستمرار من مشهد إلى آخر، وكل حدث يدور حول اللحظة الخالدة، الآن.

إن ما يتغير في الكون ليس مصدر الطاقة، بل الظروف اللازمة لظهور تلك القوة المصدرية الغامضة. قال الشاعر الصوفي ويليام بليك: "الأبدية مغرمة بإبداعات الزمن". كل لحظة تحمل في طياتها إمكانية مثيرة لظهور نقطة تفرد من أعماق الآن الأبدي. ستظهر المستجدات وتنتشر في العوالم المتجلية.

ينشأ الكون كظهور مادي من مصدر قوة خفي، وهو وعي أساسي لا يكشف عن نفسه مباشرة: المُنشئ. في الدزوغشن، يُطلق على الوعي الأساسي اسم ريغبا، وفي التانترا الهندوسية، باراسامفيت، وفي المواد الغنوصية، برونويا: "العناية الإلهية". (أذكر هذه المقارنات، ليس لإظهار معرفتي المشكوك فيها، ولكن للتأكيد على أن الفكر الغنوصي ليس ظاهرة شاذة ومعزولة، كما يعتقد معظم علماء الدين.) تخبرنا التعاليم الميتافيزيقية التانترية أن الميل الفطري لقوة المصدر هو إخفاء نفسها حتى تتمكن من الظهور على غير ما هي عليه. تُسمى قدرتها على إخفاء نفسها بالمايا. يُعتقد خطأً أن كلمة "مايا" تعني الوهم، لكنها في الواقع القوة التي يظهر بها الوعي الأساسي، الذي يتجاوز الزمان والمكان والمادة، من خلال أنشطة متعددة في الزمان والمكان، متخذاً شكلاً مادياً. ومن المفارقات أنه يختبئ لكي يُكشف. إن الوعي الأساسي لا يقتصر على الأفعال والمظاهر التي يظهرها، بل يعمل من خلالها. إن المظاهر المادية التي ينتجها، بما في ذلك النجوم والكواكب والبشر والميكروبات، حقيقية وحية، وليست وهمية. لم يعلّم الغنوصيون أن العالم المادي وهم، ولكن كما سنرى، فقد حذروا من وجود عامل وهمي يعمل في الكون وفي العقل البشري، بشكل مترابط، مما يجعلنا نسيء فهم النظام العالمي ونفقد مكانتنا فيه. هذا هو العامل الأركوني الذي يظهر في الحلقة الرابعة من القصة المقدسة.

ظهور غايا

يقول البوشمن في صحراء كالاهاري: "هناك حلم يحلم بنا". الكون حلم حي. إن المصدر الغامض لكل ما يحدث يمارس لعبته الخفية والمتناظرة في مليارات النجوم في مليارات المجرات. إن مصدر عملية العالم لا يكشف عن نفسه أبداً، ومن المفارقات أنه يبدو عاجزاً: فهو لا يفعل شيئاً حتى لجعل العوالم تظهر. بدلاً

من ذلك، فإنه يمنح قوته اللامحدودة بإخلاص لمجموعة هائلة من القوى المولدة، والتي تسمى "الأيونات" في علم الكونيات الغنوصي. تعني كلمة "أيون" "إله"، "دورة"، "انبثاق"، "قوة توليد". هناك إيون واحد أسمى وإيونات تابعة لا حصر لها، إله واحد وآلهة كثيرة. الإله الواحد، المُنشئ، يمنح قوته للأيونات الأخرى، أو المولدات، كما يمكن ترجمة المصطلح اليوناني. إن المُنشئ - بالمعنى التقليدي، الله، أو الألوهية، ولكن لا ينبغي تصوره كإله خالق أبوي - لا يخلق بشكل مباشر، بالطريقة التي يصنع بها الخزاف إناءً. ينقل الإله الواحد الإمكانات إلى المولدات في عمل من أعمال الفيض غير الأناني. إنها توفر تفرداً خالصاً وغير مشروط بحيث يمكن أن تحدث الصدفة والتغيير في الكون.

ثم تتبع المولدات مثال المنشئ: فهي تستقبل التفرد وتسمح له بإيثار أن يتكشف من تلقاء نفسه. إنهم يخلقون بشكل غير مباشر من خلال عملية تشبه الحلم، بدلاً من الإنتاج العملي والصناعي للعوالم. إنهم لا يخلقون على الإطلاق، بل ينبثقون. إنهم يحولون التفرد غير المتشكل إلى بذرة نية تكوينية، وانبثاق منفصل. في التانترا الهندوسية، يُطلق على الانبثاق اسم باريناما، وهو نظير دقيق للكلمة اليونانية أبوريا، المستخدمة في الرسالة الثانية لشيث العظيم: "انبثاق واحد (أبوريا) من الأبديين، الأيونات غير المعروفة، التي لا يمكن قياسها وبدون تعريف" (54.18). كل انبثاق من هذا القبيل هو مانوجينس، يتم توليده بشكل فريد. في سياق استعادة الأسطورة، أجد أنه من المناسب ترجمة اللغة الكونية الغنوصية بمصطلح من الفيزياء الفلكية الحديثة: المانوجينس = التفرد.

تُعد نظرية الانبثاق المعيار الوصفي في علم الكونيات الغنوصي، والأنظمة الميتافيزيقية الآسيوية، وسيناريوهات العقل الأصلي. يبدو أن هذه هي الطريقة الأكثر طبيعية لوصف الكون بالنسبة للجنس البشري، على النقيض من نظرية الخلق التوراتية، والتي تمثل نوعًا مختلفًا تمامًا من الاستعارة، ولها دلالات مختلفة تمامًا. لا ينبغي تسمية "أسطورة الخلق" الغنوصية بهذا الاسم، لأن قصة صوفيا تقدم بديلاً مثيراً لسيناريوهات الخلق غير القائمة على التجسد مثل قصة سفر التكوين التوراتية ونظرية الانفجار العظيم. إن الرواية المقدسة للأسرار هي أسطورة الظهور، وليست أسطورة الخلق.

يُطلق على مصدر جميع المظاهر المادية لدى السكان الأصليين الأستراليين اسم زمن الأحلام. هذا ليس زمناً بعيداً في الماضي، أو نقطة أصل في الزمن الخطي، بل هو البعد المكثف للحظة الأبدية الآن. كل كائن حي واعٍ في العالم، بما في ذلك الأشكال غير العضوية مثل الصخور ومعالم المناظر الطبيعية مثل الجبال، هو عبارة عن رسوم متحركة من زمن الأحلام - رسوم متحركة دائمة ومستمرة. زمن الأحلام هو حدث يستمر إلى الأبد بلا بداية ولا نهاية، ويدعم اللعب المستمر للظواهر. عندما يتجلى زمن الأحلام في معرفة وسلوك معينين، يشير السكان الأصليون إلى حلم المخلوق الذي يجسد تلك المعرفة ويظهر ذلك السلوك. فعلى سبيل المثال، فإن "حلم الكنغر" هو خلاصة المعرفة الفطرية والسلوك الغريزي لجميع حيوانات الكنغر التي تعود إلى أسلاف زمن الأحلام.

إن مفهوم السكان الأصليين عن الأحلام قريب مما يعنيه العلم بالغريزة، أي البرنامج الجيني للنوع. وبدقة، فإن الحلم هو السرد الكامل لتسلسل الجينوم، لذلك يجب التعبير عنه في قصص طويلة، وحبكات معقدة، وتسلسلات أسطورية، وأغاني. بالنسبة للعقل الطبيعي، يقدم الحلم شكلاً إيقاعياً وبنية سردية، ويعمل من خلال التفاعل بين الأضداد. في الشامانية الخاصة بطائفة الشيفية في جنوب الهند، والتي تقدم أوجه تشابه وثيقة مع "عبادة الثعبان" الغنوصية، فإن الحلم هو "لينغا شاريرا"، الجسد الجنسي (الذي يعتبر بمثابة خطة أو نموذج لنوع ما)، والذي يسبق التطور الجسدي لحامله. إنه يهاجر ويتطور... يتميز هذا

المفهوم بوجود "دارما"، أي هدف يجب تحقيقه. [182] يمكن أيضًا استخدام كلمة "الحلم" (بحرف كبير) للتعبير عن الانبثاق الإبداعي للأيونات الغنوصية مثل صوفيا. يصف كل من مصطلح *"parinama"* السنسكريتي و*"aporria"* اليوناني فعل الحلم. إن جوهر هذه الفكرة الكونية ليس التطور، بل الظهور. وهذا يمثل أيضاً أحدث ما توصلت إليه النظرية الفيزيائية الحالية، سواء في علم الأحياء أو علم الفلك.

تفترض نظرية الانبثاق، أو فيزياء زمن الأحلام كما يمكن تسميتها، المفهوم الرائج للتكوين الذاتي، أي التنظيم الذاتي أو الترتيب الذاتي الواضح في جميع أنحاء الطبيعة الأرضية وكذلك في الكون ككل. أكدت لين مارغوليس أن عمليات الحياة على كوكب الأرض تُظهر التكوين الذاتي في أبهى صوره وأكثرها تعقيداً. يُعد مفهوم التكوين الذاتي محورياً في علم التعقيد الجديد، أو نظرية التعقيد، والتي كانت تسمى سابقاً نظرية الفوضى، أو علم الاحتمالات. المصطلح الذي يُستخدم حاليًا لوصف هذا النموذج هو الظهور: تطور الحياة والوعي ضمن مصفوفة مشتركة حيث تظهر أشياء جديدة تعمل العناصر على تحسين الخصائص المتكاملة للكل. [183] تقدم الأشكال الكسورية التي تعرض أنماطًا متشابهة ذاتيًا في مقاييس مثيرة للاهتمام طريقة لفهم الهوية الناشئة أو "البنية العميقة" المشتركة بين الخلية والكائن الحي والكائن الحي الفائق. اكتشاف العرافين الغنوصيين في التيارات الكسورية المتغيرة باستمرار في قلب المجرة - الرقصة الرائعة للآلهة الراقصة - البنية العميقة لكل الحياة والوعي في المحيط الحيوي. الهوية الناشئة تعني عدم تحديد موقع المصدر والتجلي. "ما هو موجود هنا، موجود هناك." "ما ليس هنا ليس في أي مكان"، كما يقول كتاب فيشفاسارا تانترا.

تنبثق مليارات المجرات في الكون من أرضية بدائية تتجلى من خلالها، كاشفة ليس عن نفسها، بل عن التجديد اللامتناهي الذي هي قادرة عليه. في كل ما يظهر يوجد تنظيم ذاتي وتقييد ذاتي، وهما السمتان المميزتان للتكوين الذاتي. كل شيء حي متداخل بشكل كسري مع كل ما هو حي. يُظهر كوكب الأرض هاتين السمتين، وهما التكوين الذاتي والهوية الناشئة، بوفرة عظيمة ومجيدة.

قد نتساءل، كيف أصبحت غايا قادرة على إنتاج نفسها بنفسها في المقام الأول؟

في الحلقة الأولى، تقدم قصة صوفيا رؤية شعرية لكيفية ظهور الجديد بشكل دوري وغير متوقع في الكون الأبدي. كل جديد ينبع من الواحد الذي لا ينبع من أي شيء. (يعلمنا الزن والدزوغشن أن كل فكرة عابرة لدينا تنشأ بنفس الطريقة، ومن نفس المصدر.) إن التحول الأبدي يتأثر باستمرار بظواهر التفردات الناشئة، مما يسمح بحدوث شيء جديد في الأنشطة المتكررة ذات النمط الضيق للعوالم التي لا تعد ولا تحصى. تدور قصة صوفيا حول هذه الحالة التفردية. يصف كيف أن البشرية متورطة في سعي الإلهة لتحقيق التجديد، ودمجه في النظام الكوني الخالد.

المجرة الحلزونية التي نسكنها ليست الكون بأكمله، بل هي كوننا المحلي. لكي نروي قصة كوننا، نحتاج إلى فهم الظروف الخاصة بالمجرة الأم، وليس الظروف الكونية بمعنى عام ومجرد. هذا الفهم هو بالضبط ما يقدمه لنا علم الكونيات الغنوصي. جاك لاكاريير يقول إن العرافين الغنوصيين "تنبأوا واستشرفوا ... ما يسميه علم الفلك الحديث السدم والدوامات والتجمعات خارج المجرة". [184] في نطاق رؤيتهم الواسعة، تمكن العرافون الغنوصيون من تمييز الخصائص والظروف الفريدة لنظامنا العالمي. على حد علمي، لا يوجد نظام ميتافيزيقي آخر يقدم هذه المعلومات بهذه الطريقة تحديداً. ومع ذلك، هناك ثروة من المواد الأصلية التي تؤكد جانبًا أو آخر من جوانب علم الكونيات الغامض الموجود في قصة صوفيا.

هكذا يُمهد أحد النصوص الغنوصية من نجع حمادي لخلفية قصة صوفيا، السيرة الذاتية الكوكبية:

> جميع انبثاقات المُنشئ هي البليروما (الإمتلاء)، وجذر كل هذه الانبثاقات هو الواحد الذي يتسبب في ظهورها من ذاته، ويحدد لها مصائرها. ثم يظهر كل بليروما بشكل مستقل، من أجل تحقيق الأصالة بطريقته الخاصة (إنجيل الحقيقة، 41.15-20).

يدعم العلم الحالي فرضية العوالم المتعددة التي طرحها الغنوصيون. توفر صور هابل دليلاً مذهلاً على تنوع وديناميكية المجرات التي لا تعد ولا تحصى والمنتشرة عبر الزمكان مثل البذور المتلألئة. بطريقة غامضة، يسود وجود موحد واحد جميع المجرات، ولكن داخل كل مجرة توجد أيونات فردية، وآلهة، وكائنات إلهية. هذه ليست كيانات بحد ذاتها، بل تيارات واسعة النطاق. الكلمة الألمانية *Geist*، والتي تعني "روح"، مشتقة من الجذر الهندي الإيراني*ghei*، "يتحرك بقوة". [185] تتحرك الكائنات الكونية العليا بقوة: إنها ليست كيانات بل تيارات حية هائلة. تتدفق التيارات وتدور، وتندمج، وتنقسم، وتهدأ، ثم تتدفق مرة أخرى. الآلهة ترقص.

إن الأيونات ليست كيانات متميزة بل تيارات تتميز بشدتها، وهي الخصائص المنفصلة لقوة تدفقها، كما يمكن القول.[186]إن الآلهة الكونية هي وحدات متماسكة من القوة، وليست كيانات نقطية (ذات وجود محدد ومركزي). إن تكوين النغمي واللحني لسيمفونية شهرزاد لريمسكي كورساكوف عبارة عن حركة واحدة موزعة على الأوركسترا، ومع ذلك فإن السيمفونية، عند عزفها، ليست وحدة بسيطة ومفردة على الإطلاق. وبالمثل بالنسبة للأيونات، التي لها بصمات صوتية وضوءية، وهي ظواهر تعلم المتأهلين التعرف عليها في جلسات متكررة من التعليم بواسطة النور. لقد تمكن الخبراء البارعون من تحديد الأيونات من خلال بصمته، وهي عبارة عن وتر أو خيط صوتي يُسمع بوضوح، تمامًا كما يستطيع الموسيقي أو قائد الأوركسترا الذي يعرف شهرزاد التعرف على السيمفونية بأكملها من مقطع موسيقي واحد. نسب الغنوصيون إلى إيون صوفيا بصمة خاصة، مما نبههم إلى ثراء ودقة ذكائها. الحكمة هي اسمها، وقوتها هي، وبصمة تدفقها. وصف الغنوصيون المولدات في البليروما - من الناحية الفلكية، النواة المجرية - من خلال تجربة مباشرة للظواهر الكونية في حالات خارقة للطبيعة.

تمثل الإلهة ساراسواتي في الأساطير الهندوسية نوعًا من الذكاء الصوفياني. تحتوي سمات ساراسواتي على بعض الأدلة على خصائص التدفق لصوفيا. "بصفتها الحكمة والمعرفة، فهي أم الفيدا، أي كل المعرفة المتعلقة بالبراهمان والكون." [187] "كلمة "الحكمة" مشتقة من الجذر الهندو-أوروبي *weid*-، وهو مصدر كلمات *vidya* و*veda* و*wit*، والمرتبطة بالكلمة العربية حكمة والكلمة العبرية *chockmah*. إن تحريف المصطلح العبري يعطي اسم Achamoth *"*أشاموث*"*، وهو اسم يطلق على الإلهة الساقطة: صوفيا أشاموث، الإلهة التي سقطت على الأرض.

قبل سقوط إيون صوفيا، تشارك في طقوس سامية مع الإيونات الأخرى في البليروما.

قالب الأنثروبوس

تربط معظم روايات سقوط إلهة الحكمة صوفيا بشكل وثيق بنشاط إيون آخر، كريستوس، الذي سمي أيضًا نسبة إلى خصائص التدفق، "قوة المسح". من الناحية الكونية، فإن المسح هو قدرة الأيون على التحول من حالة مسامية تشبه الرغوة إلى حالة سائلة تشبه الندى. الرغوة ليست ندى، لكن تخيل الرغوة تتحول إلى ندى. هذا هو المسح في المجال البليروميكي. إن نتاج المسحة، وهو المَيْرُون، هو عرق محبة الآلهة. في نشوة رقصهم، تنفجر الأيونات في عرق عطري، في انفجار مشرق وندي. هذه مسحة على المستوى الكوني.

يقبل علماء الفيزياء الفلكية الآن وجود "الندى الجزيئي" في أذرع المجرة على الرغم من عدم وجوده بعد في مركز المجرة، وهم يترددون في افتراض أنه يمكن أن يكون له خصائص بيولوجية. قد يكون منظرو علم الكونيات البلازمية في الحالة المستقرة على وشك إدراك المسامية الشبيهة بالرغوة، عالية الكثافة، ومنخفضة الكتلة للتيارات الأيونية. يُعد علم الكونيات البلازمي حاليًا أفضل بديل لخيال الانفجار العظيم.[188] في علم الكونيات التانتري والغنوصي على حد سواء، هناك مداعبة أكثر بكثير من ممارسة الجنس العنيف الذي يصل إلى النشوة. ينطبق هذا بالتأكيد على اللهو الصاخب للآلهة في البليروما.

إن اقتران صوفيا مع إيون آخر، ثيليتي، في قلب مجرتنا يشير إلى الحدث الافتتاحي لقصة صوفيا. يشكل هذان المولدان معًا حالة التفرد التي يقدمها المنشئ. الكلمة اليونانية أنثروبوس تعني "البشرية"، أو بشكل أدق، "النموذج البشري".

كلمة أنثروبوس محايدة جنسياً، وهي تختلف عن الكلمات الخاصة بالجنس *andros*، "ذكر" و *gyne*، "أنثى". الأنثروبوس هو الاسم الغنوصي للمصفوفة الكونية للجنس البشري، أي الجينوم البشري ما قبل الأرضي. تفترض قصة صوفيا نسخة من "نظرية التبذر الشامل"، وهي النظرية التي طرحها الكيميائي السويدي الحائز على جائزة نوبل سفانتي أرهينيوس حوالي عام 1900، والتي قبلها، بأشكال مختلفة، عالم الفلك فريد هويل، وعالم الأحياء الحائز على جائزة نوبل فرانسيس كريك (الذي شارك جيمس واتسون في اكتشاف بنية الحمض النووي)، ولين مارغوليس، و العديد من العقول الرائدة الأخرى في عصرنا.[189]

تتحد صوفيا وثيليتي لترميز أو تكوين الأنثروبوس، وتتصرفان بطريقة تتوافق مع القانون الكوني، "لأن إرادة المنشئ لا تسمح بحدوث أي شيء في البليروما باستثناء الاقتران" (شرح الفالنتينية 36.25-30). الاقتران *(Syzygy)* هي كلمة يونانية غريبة يستخدمها علماء الفلك للدلالة على اقتران الأجرام السماوية. يريد المنشئ أن يتم إنجاز كل نشاط في البليروما بواسطة الأيونان المزدوجين، لكن هذه ليست قاعدة صارمة، ولا يتم فرضها. في حالة اقتران صوفيا-ثيليتي الذي يشفر الأنثروبوس، يتم ملاحظة إرادة المنشئ. بمجرد أن يتم تشكيلها من خلال الرقصة الطقسية للأيونان المزدوجين، تصبح التفردية (singularity) جاهزة للظهور في الكون ككل.

ما يحدث بعد ذلك في البليروما هو عمل جماعي، تعاون جميع الأيونات، وليس فقط صوفيا وثيليتي تعملان كزوج منفصل. في الحلقة الثالثة، تتحد فرقة آلهة البليروم بأكملها في رقصة جماعية لعرض التفرد المشفر في صورة ملموسة. إنهم يزرعونها في الكون الخارجي، وتدور أطراف المجرة مثل دوامة ضخمة حول مركز البليروميك. تقع النقطة التفردية داخل سحابة سديمية. على الرغم من أن اللغة المستخدمة هنا أسطورية أو شعرية أسطورية، إلا أنه يمكن قراءة الوصف على أنه ينطبق على الديناميكيات الداخلية للمجرة. تشير الأسطورة بوضوح إلى عمليات فيزيائية فلكية لا تزال مجهولة للعلم، ولكن ربما بدأت تظهر في فيزياء البلازما ونظرية التعقيد والرؤية الجديدة للظهور.

Pleroma تعني "الامتلاء" أو "كمال" أو "الوفرة". الدوامات المجرية كلها عبارة عن أشكال مختلفة من شكل الكأس، وهو عبارة عن حلقة مسطحة ذات لب مركزي (انتفاخ المجرة) وقرص محيط (الأذرع الحلزونية). يتم موازنة مركز المجرة، أو ما يُعرف باسم "بليروما"، بواسطة هيكل دائري مسطح، أو هيكل دوار، يُطلق عليه اسم "Kenoma" الكينوما، أي "النقص" أو "العالم الأدنى". البليروما هي كمال وإمكانات لا نهائية تتدفق إلى عالم "النقص"، أي الإمكانات المحدودة. في البليروما، تكتمل كل الاحتمالات، ويتحقق كل شيء، ويتطور إلى أقصى إمكاناته. لا تستطيع الآلهة البليرمية مثل صوفيا إلا أن تعطي من نفسها، بإخلاص، دون التأثير على ما تنبعث منه أو فرض نفسها على الشروط التي وضعتها في الكينوما. يُعدّ التدفق غير الأناني لآلهة البليروم موضوعًا رئيسيًا في علم الكونيات الصوفيانية. وهو أيضاً نموذج للكرم الإنساني.

الكينوما، وهي الهيكل الدائري للمجرة، هي عالم الفوضى حيث تتطور الإمكانات المحدودة والمقيدة. وهي تتكون من مصفوفات المادة الأولية المظلمة الديما *(dema)*، والحقول الذرية ودون الذرية، بما في ذلك العناصر العضوية الأولية، وبقايا العوالم الماضية. تولد الشموس في أذرع المجرة وتظهر الأنظمة الكوكبية هناك. تتطور الحياة العضوية على بعض الكواكب، ولكن يبدو أنه لا يمكن تحديد أصل الحياة على الكوكب الذي نشأت عليه. يجادل فرانسيس كريك، الحائز على جائزة نوبل وأحد مكتشفي بنية الحمض النووي، بأنه نظراً لتعقيده الهائل، فلا بد أن الحياة على الأرض قد نشأت من مكان آخر في الكون. تقبل لين

مارغوليس، المؤلفة المشاركة لفرضية غايا، أيضاً إمكانية أن تهاجر أشكال الحياة المجهرية (الوحدات التكاثرية) بحرية عبر الفضاء بين النجوم. الكون مكان مليء بالغبار، وبعض هذا الغبار عبارة عن بقايا عضوية. إن فكرة أن الحياة الناشئة على الكواكب في أذرع المجرة الدائرية تنشأ في مركز المجرة، كما هو موضح في الحلقة 3، لم يتم الاعتراف بها بعد من قبل العلم. ستكون هذه النظرية غير مقبولة طالما أن العلماء لا يستطيعون تخيل أن نواة المجرة هي دوامة من القوى الفائقة العضوية، حية وواعية، ولكن هذه هي الرؤية الغنوصية للبليروما (الإمتلاء).

في علم الكونيات التانتري، يُطلق على تكوين الكينوما اسم *adrista* أدريستا، أي "البقايا". إنها، كما يخبرنا العلم، غبار النجوم المتبقي من دورات التطور السابقة، وهي دورات بلا بداية ولا نهاية.

> الآن الأبدية (وهي الحقيقة المطلقة) ليس لها ظل خارجها، لأنها نور لا حدود له حيث كل شيء في الداخل ولا شيء في الخارج. لكن في ظاهرها يوجد الظل، الذي يُطلق عليه اسم الظلام. من الظلام تنبثق قوة بلا شكل. هذا هو عالم الظلال الذي يسوده الفوضى اللامحدودة. من هذا العالم، ينبثق كل نوع من أنواع الانبثاق الإلهي، بما في ذلك العالم الذي نسكنه، لأن كل ما يحدث في الفوضى يكون قد تم زرعه مسبقًا هناك بواسطة ما ينتجه (أصل العالم 98.20-30).

هنا، تلعب لغة تجربة الأسرار دورًا في السيناريو الكوني. إن النواة المجرية عبارة عن دوامة دوارة من النور العضوي، وهي مادة مشعة يمكن مقارنتها بحلوى النوجا الناعمة والمضيئة. لا ُتلقي بظلال. ينتمي الظلام إلى المناطق الخارجية لعجلة الطاحونة المجرية، كينوما. يعاد تدوير ومعالجةا بقايا العوالم السابقة باستمرار في الهيكل الضخم للدوارة. أي شيء يتطور في الكينوماتم زرعه هناك عن طريق الانبثاق البليروميكي - بما في ذلك البشرية نفسها، أو سلالات مختلفة من البشرية، وأنواع أخرى.

يُشابه جذع النور في السرد الغنوصي أسطورة الخلق اليابانية، حيث يُسقط إلهان سماويان، أو كامي، "رمحًا سماويًا جوهريًا" من مركز الكون إلى مياه الفوضى البدائية.[190]وتظهر صورة الإخصاب الكوني في أطراف المجرة في الأساطير المصرية،

حيث تحمل إلهة السماء نوت، المنحنية على شكل بيضاوي، أبراج الأبراج الفلكية مُشفّرة على جسدها.[191] وتظهر صور التكوين الجنيني الكوني في جميع النظريات الكونية للثقافات الراقية تقريبًا، وفي التراث الشعبي أو "البدائي" بشكل عام.

يصف النص المسمى "في أصل العالم" (مخطوطات نجع حمادي II، 5) حدود النواة البليرومية، والتي تسمى *menix* أو hymen أو *stauros* أو *horos*. بينما تبقى الأيونات في المركز، يمكنها أن تنبعث إلى الأذرع، عالم الفوضى عديمة الشكل، لكنها لا تعبر إلى تلك المناطق. يمكن تشبيه ساق الضوء المتلألئ المنبعث من مجموعة العصور بضوء كاشف يضيء من خلال جدار خيمة من القماش الأبيض. يمر شعاع الضوء عبر الجدران، لكن مصدر الشعاع يبقى داخل الخيمة. توضح النصوص الغنوصية أن هذين الشرطين الأساسيين، وهما الاقتران الأيوني والانبثاق المحدود، يتم تحديدهما من قبل المُنشئ. إنها

قوانين كونية لكنها غير مطبقة، لذا فإن الاستثناءات ممكنة.

صوفيا واحدة من تلك الاستثناءات.

الرغبة الإلهية

يدرك علماء الفيزياء الفلكية الآن أن لب مجرتنا يحتوي على "صفار" مركزي ومنطقة حدودية مميزة مثل الجدار المسامي للخلية الحية. إن العوالم التي تظهر خارج الغشاء المحيط لها خصائص ذاتية التكوين أو ذاتية التنظيم لأنها انبثقت من العصور القديمة، لكنها ليست مخلوقة ولا مُدارة من قبلها. الحياة في الكون الحي منظمة ذاتياً، وكذلك كوكبنا الأم. عادة ما تُترك خصائص التنظيم الذاتي التي تمنحها الآلهة البليرومية للمادة لتسير في مسارها الخاص. ينطبق هذا على العديد من العوالم، ولكن هناك استثناءات.

تحتوي الحلقة الرابعة من القصة المقدسة على حدث محوري. يصف كيف أن صوفيا لا تبقى منفصلة عن آفاق مستقبل الأنثروبوس. تُسمى قوة الرغبة الإلهية في النصوص الغنوصية *"enthymesis"*. هذه الكلمة مرتبطة بالغدة الزعترية، وهي العضو الموجود في وسط الصدر. في اليونان القديمة، كان يُنظر إلى النفس البشرية على أنها فراشة، تُسمى *"النفس/psyche"*، متصلة بالجسم عند الغدة الزعترية. من المحتمل أن تكون الكلمة اليونانية *thumon* مشتقة من الجذر *thuein*، بمعنى "يحرق" أو "يدخن" أو "يضحي". إن *enthymesis* الداخلي لصوفيا هو رغبة ملحة تغمرها كالدخان، وتفصلها عن بقية الأيونات. يستحوذ الانجذاب على الإلهة ويستحضر بشكل عفوي الاستجابة الطاقية المعقدة النموذجية لأيون، وهي اندفاعة القوة السامية والمحركة الفائقة ـ الحلم.

12

الإله المجنون

في موجة مذهلة من الرغبة، ينطلق إيون صوفيا من قلب المجرة. وتستمر مغامرتها مع واحدة من أغرب الأحداث في علم الكونيات الخيالي العلمي للغنوصيين: ظهور نوع غريب، وهم الأركونات.

أن تُجبر على الانقياد لعاطفتها المنفردة والسقوط من البليروما - هذا هو المصير الفريد للإلهة صوفيا. في الحلقة الرابعة، تستحضر الأسطورة الغنوصية العديد من الروايات في الأساطير والفولكلور عن إلهة أنثى تسقط من السماء أو تتجسد في الأرض. فعلى سبيل المثال، يروي هنود طومسون في شمال غرب أمريكا هذه القصة:

> في البداية، كانت الأرض (Kujum-Chantu) تشبه الإنسان، امرأة برأس وأذرع وأرجل وبطن ضخم. عاش البشر الأصليون على سطح بطنها [تحكي الأسطورة كيف حوّل الكائن القديم] المرأة السماوية إلى الأرض الحالية. أصبح شعرها الأشجار والعشب، ولحمها الطين، وعظامها الصخور، ودمها ينابيع الماء.[192]

تُظهر هذه المقارنات (ويمكن ذكر بعضها الآخر) أن علم الكونيات الغنوصي متجذر بعمق في الحكمة الأصلية ويعكس نسخة متطورة من الإحساس الأصلي بالحياة على الأرض. تصف قصة صوفيا وجود صوفيا السابق في البليروما ودورها في إسقاط الأنثروبوس. كما تصف بتفصيل كبير الآثار الجانبية الشاذة لسقوطها وتداعياتها الدائمة على البشرية. على حد علمي، فإن هذه العناصر من السرد الغنوصي القائم على انبثاقية فريدة واستثنائية.

في الحلقة الرابعة من القصة المقدسة، تخضع صوفيا لعملية الانفصال التي ستؤدي إلى تحولها إلى العالم نفسه الذي تم تصوره في حلمها. لكن قبل أن يظهر ذلك العالم، كوكبنا الرخامي الأزرق والأبيض، في شكله المادي، وقع حدث هائل وغير متوقع في أذرع المجرة. في منطقة *dema* الديما، وهي عبارة عن مصفوفات كثيفة من المادة الأولية، أدى غطس صوفيا إلى ما يمكن تسميته بتأثير التناثر. بطريقة لم تستطع التنبؤ بها في أحلامها، تسببت في حدوث شذوذ كوني، حدث غريب يهيئ ظروفًا غريبة لظهور الأرض لاحقًا.

إله مختل

تتجاوز صوفيا الحدود الطبيعية للانبثاق البليروميكي عندما يدفعها الإكراه الحلو للرغبة الإلهية إلى تثبيت حلمها على عالم قادم، عالم لم يكن موجودًا عندما تخيلته. ثم تصبح هي نفسها ذلك العالم نفسه! يا لها من

رؤية عظيمة امتلكها عرافو الأسرار، ويا له من تعاطف شعروا به تجاه محنة الإلهة الساقطة. لا بد أن الأمر استغرق أجيالاً من التحقيقات المنضبطة في الظواهر الخارقة والتعاون الإبداعي لكشف قصة صوفيا. لكي يتصوروا ما رأته، كان على أصحاب الرؤى الغنوصية أن يدخلوا عالم الأحلام ـ كما قد نفعل نحن أيضاً. تخيل قالب الأنثروبوس كبقعة من الندى الجزيئي المترسب في الديما، مثل بقعة من أنفاس ملونة على مرآة من حجر الأوبسيديان. توجد مثل هذه البقع، وتسمى السدم المجرية. وأبرز مثال في مجرتنا هو السديم العظيم في كوكبة الجبار (أوريون)، M 42، والذي يمكن رؤيته بالعين المجردة. من المعروف أن هذه السديم هي مهود ولادة النجوم حيث تولد شموس ضخمة في انفجارات لا يمكن تصورها. إن احتمال احتواء السديم أيضًا على أغشية شبيهة بالشبكة من المركبات العضوية، أي قوالب للحياة، يعتبر الآن أمرًا معقولًا من قبل بعض علماء الفيزياء الفلكية، كما لاحظنا.

بمجرد أن تغوص، تنزل صوفيا إلى منطقة السديم المجري حيث يتم إيداع قالب الأنثروبوس، ولكن ليس إلى السديم نفسه. الفضاء بين النجوم في الأذرع المجرية هو حقل من المادة الأولية، الديما، وهو ما أطلق عليه الفيزيائي بول ديراك اسم الرغوة الكمومية. عادةً، لا يندفع تيار البليروم من الضوء السائل، بخصائصه المتمثلة في المسامية العالية والكتلة المنخفضة وقوة التحريك الفائقة، مباشرة إلى الديما. عندما تصيب صوفيا تلك المنطقة، ينتج عن تأثيرها تأثير غير عادي. ما يحدث بعد ذلك هو أغرب حدث في علم الكونيات الغنوصي، وربما في أي علم كونيات أنتجه الخيال البشري حتى الآن. إن "الغرابة الشديدة" لقصة صوفيا دفعت علماء مثل ريتشارد سميث إلى مقارنة المواد الغنوصية بـ "أكثر أنواعنا الأدبية الحديثة رؤية، وهو الخيال العلمي".[193] في الواقع، تُعتبر الكونيات الغنوصية نوعًا من الخيال العلمي اللاهوتي.

عندما يتدفق إيون صوفيا إلى الديما، فإن عمودها الهائل من النور العضوي ينتج تأثيرًا متناثرًا. إن الديما فوضوية، وليست منظمة في أشكال متماسكة أو عوالم عضوية، ولكن تحت تأثير القوة الذاتية التكوين والمحركة للأيون، تصبح منظمة على الفور. يؤثر الحلم الأيوني، مصدر النظام الكوني، على المادة بحيث تصبح منظمة ذاتياً. هذا بالضبط ما يحدث مع الديما، ولكن بطريقة شاذة ومبكرة، لأن سقوط صوفيا لا يتبع الترتيب المعتاد للعملية الكونية. يصف النص المسمى "أقنوم الأركونات " هذا الوضع الغريب (II، 4: 93.30 وما بعدها، تعليقاتي بين قوسين).

> يوجد حجاب بين العالم العلوي [في قلب المجرة]، والعوالم الموجودة في الأسفل [الخارجية، في أطراف المجرة]؛ ونشأ الظل تحت هذا الحجاب. أصبح جزء من الظل [الكتلة المظلمة] مادة [ذرية]، وتم إسقاطه بعيدًا [متشكلًا جزئيًا في مصفوفات أولية، الديما/. وما خلقته صوفيا [بتأثيرها] أصبح نتاجاً في المادة /الديما/، [شكل حديث الولادة] مثل جنين مجهض. وبمجرد أن تشكل، اتخذ شكلاً مرناً مصبوباً من الظل، وأصبح وحشاً متغطرساً يشبه الأسد. كان خنثى، لأنه كان مشتقاً من مادة [محايدة، غير عضوية].

إن إيون صوفيا عبارة عن تيار حي وواعٍ بذاته ذو حجم هائل. وعلى النقيض من ذلك، فإن المادة الموجودة في الديما خاملة نسبياً، وليست حية أو مستيقظة بطبيعتها، ومع ذلك لديها القدرة على نوع من الحياة الزائفة، محاكاة للوجود البيولوجي. الحلقة الخامسة تتحدانا لنتخيل أن القوة الخارقة لحلم صوفيا تتسبب في ظهور شكل حياة شبحي في الديما.

علّم الغنوصيون أن الأركونات هي شكل من أشكال الحياة المقلدة، وهي نوع من الكائنات المقلدة. ينتج عن تأثير صوفيا حشد غريب من العناصر، كما يطلق عليها في التراث الكابالي المستمد من التعاليم الغنوصية المعروفة لدى اليهود الفلسطينيين. كلمة "أركونات" مشتقة من الكلمة اليونانية "*archai*" التي تعني "في البداية" أو "السابق". لقد شرحت هذه المصطلحات بالفعل، ولكن يجدر تكرارها للتأكيد على أن الأركونات تنشأ قبل الأوان - ومن هنا جاء التشبيه بالإجهاض أو الإسقاط في نصوص نجع حمادي. ينشأ هذا النوع الشاذ قبل الوقت الذي تظهر فيه الأرض من خلال التحول المباشر للمادة الإلهية الخاصة بصوفيا. الأركونات هم نسل صوفيا، بمعنى ما، ولكن بطريقة مختلفة تمامًا عن البشر والكائنات العضوية الأخرى. إنها لا تنبثق من جوهرها الإلهي، النور العضوي، بل من تأثيره على المادة الجسيمية في الديما. إنها فصيلة غريبة ذات تركيب غير عضوي، لكنها حية وواعية بطريقتها الخاصة.

في البداية، لم يكن لدى الأركونات موطن. إنهم يتجمعون مع بعضهم مثل مستعمرة حشرات تهبّ بعنف عبر الفضاء بين النجوم، وتنجذب نحو تيارات صوفيا ثم تُصدّ مرة أخرى. وبما أنها لم تُسقط في البداية من البليروما، فإنها تفتقر إلى الترميز الذاتي. ليس لديهم قصد فطري، إينويا: "الفكر". يمثل الأركونات ظاهرة خارجة عن نطاق البليروم، انحرافًا كونيًا، أنومي *anomia*. إن ظهورهم من مجال المادة الأولية سابق لأوانه، لذلك تتم مقارنتهم بجنين مجهض. يشبه شكل جسم الأركون جنينًا غير مكتمل النمو. ربما تكون هذه الصورة الأكثر غرابة وإثارة للدهشة في المواد الغنوصية. تلتصق جحافل الأركون المكونة من أشكال حشرية جنينية بصوفيا مثل غزو القمل المتكاثر. إن الإجهاض الكوني للإلهة سيكون له عواقب وخيمة على البشرية.

في الحلقة الخامسة، تستمر الغرابة الشديدة. من فيلق الأركون يظهر شكل ثانٍ، وهو طفرة تسمى النوع التنيني *drakonic* في مخطوطات نجع حمادي يقول الكتاب السري ليوحنا إن صوفيا نفسها تسببت في ظهور قائد أو كيان رئيسي بين الأركونات.

> ورغبت صوفيا في أن تجعل الشيء الذي لم يكن له روح فطرية خاصة به يتشكل على صورة ويحكم المادة البدائية وعلى جميع القوى التي أطلقتها. وهكذا ظهر لأول مرة حاكم من الفوضى، يشبه الأسد في مظهره، خنثى، لديه إحساس مبالغ فيه بالقوة بداخله، وجاهل من أين أتى. (مخطوطات نجع حمادي , 5: 100.1–10)

هذا الكيان، المسمى ديميورج، هو طفرة غريبة ومخيفة، "له جسد يشبه الأسد برأس تنين *drakona*، وهو زاحف" (مخطوطة برلين 37.2-25). لم يتم وصف نوعين من الأركونات، أحدهما حديث الولادة أو جنيني، والآخر تنين، بشكل مفصل في المواد التي لا تزال موجودة. يتم الإشارة إليها بإيجاز شديد، ولكن بشكل واضح بما يكفي لإعطاء فكرة أن شيئًا غريبًا للغاية يحدث. يُعتبر الأركون ذو الشكل الأسدي الزاحف، والذي يُطلق عليه أيضًا اسم يلداباوث، مهيمنًا وعدوانيًا مقارنةً بالأركونات الأكثر سلبية والتي يشبه شكلها جنينًا مولودًا قبل الأوان. على الرغم من أن "رئيس الأركون" خنثى، إلا أنه سرعان ما يتخذ وضعية ذكورية قوية. وهو الآن يتولى زمام الأمور في الوضع الاستثنائي الذي نتج عن سقوط صوفيا، أو على الأقل يحاول ذلك. في ختام الحلقة الخامسة، يشرع الديميورج في إنشاء موطن لنفسه في رحابة الأذرع المجرية.

الجنة الافتراضية

لقد علّم الغنوصيون أن الديميورج لا يستطيع حقًا خلق أي شيء لأنه يفتقر إلى قوة النية المنبثقة من البليروما والمستندة في النهاية إلى المُنشئ. لا يستطيع الأركون أن يبتكر أي شيء، لكن بإمكانهم تقليده ونسخه وتكراره. تُسمى قدرتهم على المحاكاة "فانتازيا" *phantasia* لتمييزها عن القوة الحقيقية المحركة للأيونات، والتي تسمى "إينويا" يُطلق على يلداباوث اسم *antimimon pneuma*، أي "الروح المزيفة" في الكتاب السري ليوحنا ونصوص كونية أخرى. تُسمى المنازل السماوية التي يبتكرها بالستيريوما *stereoma*، وهي إسقاط مجسم يشبه الهولوغرام لكائن حي. الصورة المجسمة ليست حية، لكنها تستطيع تمثيل أو نسخ شيء حي. باستخدام الكلمة القبطية هال (HAL)، والتي تعني "المحاكاة"، تشرح النصوص الكونية الغنوصية أن سماء الديميورج متعددة القصور هي كون افتراضي، عالم واقع افتراضي (VR). *
على الرغم من أنه يرى أنماط البليروما فائقة الحركة فقط كأشكال ثابتة تشبه الأحافير، وليست أشكالًا سائلة حية راقصة، فإن الديميورج يستعير ما يكفي من الإحساس بالنظام لنمذجة عالمه، وهو موطن لمستويات الأتباع الأركونية.

> قام اللورد أركون بتنظيم كل شيء في عالمه وفقًا لنموذج الأيونات الأولية، التي أُعطيت له لكي يتمكن من إعادة خلقها. ليس لأنه رأى الأيونات الخالدة [بقوته الخاصة]، ولكن بالقوة التي فيه المأخوذة من أمه، والتي سمحت له بالخلق على صورته (الكتاب السري ليوحنا الثاني 33.5-32.30).

إن عالم الأركونات ليس موطناً بشرياً صالحاً للحياة، ولا يمكن أن يكون كذلك. لم يكن العالم المحتمل الذي تصورته صوفيا في عالم الأحلام هو الذي عجل بسقوطها. إذن، الأسطورة تعلمنا، والأسطورة صحيحة من الناحية المادية. نحن لا نسكن النظام الكوكبي ككل، بل نسكن الأرض حصراً. إنّ الأركونات الذين يسكنون النظام الكوكبي هم كائنات غرباء في عالمنا. إن عالم يلداباوث ليس سوى محاكاة (هال القبطية) للماندالات الراقصة المتلألئة في البليروما، وليس عالماً ناشئاً حقيقياً مثل عالمنا، مليئاً بإمكانات التجديد والابتكار والفرصة والتغيير. يحاكي الكون الآلي للكواكب "نموذج الأيونات الأولية". يتم تنظيم النظام الكوكبي بواسطة قوانين هندسية ودورية تعكس الحياة الإلهية، لكن النظام نفسه ليس حيًا، وليس عضويًا. وعلى النقيض من ذلك، فإن الصفات الحية والمحركة لـ "البليروما" على الأرض تؤثر في كل شيء.

إن جحافل الأركونيين هي بالتأكيد واحدة من أكثر السمات صعوبة في علم الكون الغنوصي، مما يذكرنا بنشأة حشرات العث التي أثبتها أندرو كروس في عام 1837. تعكس العديد من العناصر في قصة صوفيا الأساطير الأصلية، كما لاحظنا. لا شك في ذلك، الحلقة الخامسة تحتوي على عناصر محيرة لا يمكن التوفيق بينها وبين الفهم العلمي - ليس بعد على أي حال. إن ثوران نوع غير عضوي في الفضاء بين النجوم أمر غريب حقاً. كيف يمكن لشكل من أشكال الحياة أن ينشأ بدون موطن ينشأ منه؟ ومن السمات الأخرى للقصة التي قد تجعل العقل الحديث يتردد هي التأكيد الغنوصي الفريد بأن الأرض لا تنتمي إلى النظام الكوكبي ولكنها ببساطة محتجزة فيه.

إن نظام الديميورج بالستيريوما هو النظام الكوكبي الذي يستثني الشمس والقمر والأرض. تشكل هذه الأجسام الثلاثة كوناً مستقلاً. تشكل الأرض والشمس والقمر نظامًا تكافليًا مغلقًا على نفسه ومتميزًا ديناميكيًا عن آلية الساعة للكواكب الأخرى. على الرغم من أن هذه الفكرة قد تبدو شاذة، إلا أنها لا تتعارض مع الفكر العلمي. يقول الفيزيائي جيم يورك، الذي صاغ مصطلح "الفوضى": "نميل إلى الاعتقاد بأن العلم قد فسر كل شيء عندما فسر كيف يدور القمر حول الأرض. لكن فكرة الكون الذي يشبه الساعة لا علاقة لها بالعالم الحقيقي."[194]

يحمل نص كوني غامض من نجع حمادي عنوان "بروتينويا ثلاثية الأشكال"، أي "النية الأصلية ثلاثية الأشكال". أعتبر هذا مصطلحاً غامضاً لنظام الأجسام الثلاثة الذي تم التنبؤ به في حلم صوفيا قبل سقوطها. لو لم يظهر الأركونات عندما اصطدم الأيون بالديما، لربما كنا نعيش في نظام كوكبي يتكون فقط من النجم الأم والأرض والقمر. تتفق بروتينويا ثلاثية الأشكال مع نظرية غايا، إذا افترضنا أن الشمس والقمر منخرطان بشكل وثيق في عمليات الحياة داخل المحيط الحيوي الأرضي. إنهما "خارج الكوكب" ولكنهما أجزاء لا تتجزأ من النظام البيئي لكوكب الأرض.

نحن نسكن كونًا ثلاثي الأجسام.[195] صوفيا هي في الأساس ربة أسرة ذات والد واحد - إلهة كوكب واحد، إن صح التعبير. لكنها تعتمد على دعم الأجسام البديلة، الشمس والقمر، لإدارة ذريتها الأرضية. بالنظر إلى المعرفة الفيزيائية الفلكية الحالية بوجود العديد من الكواكب الشبيهة بالأرض، والعديد من الاختلافات في الأنظمة الكوكبية المعروفة في مجرتنا، فإن وجود عالم ثلاثي الأجسام أمر ممكن تمامًا.

قد تتعرض قدراتنا الخيالية لاختبار شديد بسبب بعض جوانب قصة صوفيا، وخاصة في الحلقة 5، ولكن سيكون من المؤسف أن نتوقف عن مواصلة التفكير في هذا السيناريو الرائع. الغنوص هو طريق للمعرفة يكون فيها العارف منخرطاً بشكل وثيق في الأمور المعروفة. إن التأمل في القصة المقدسة يعني الانخراط فيها. إذا واجهنا صعوبة في فهم علم الكونيات الخاص بالأركون، فقد يكون ذلك تحديداً لأننا متورطون فيه بطرق لم نفهمها بعد. هكذا، على الأقل، ربما كان المعلم الغنوصي سيجيب على صعوباتنا في هذه المرحلة.

خطأ كوني

السماء الأركونية هي مسرح لعمل من أعمال الجنون الكوني:

> والآن، بعد أن تم توحيد السماوات الخارجية مع قواتهم وإدارتهم بالكامل، أصبح الديميورج وقحاً. وقد حظي بتكريم جيش من الملائكة الذين باركوه وأكرموه. أما هو فقد كان مسروراً وتباهى أمامهم قائلاً: "ها أنا ذا لست بحاجة إلى أحد آخر، ولا إلى آلهة أخرى". قال: "أنا هو الله، ولا يوجد غيري". (في أصل العالم، 103.1– 15)

إن الديميورج، المتغطرس بطبيعته، يعتبر نفسه مركز الخلق، سيد كل ما يراه. تنص النصوص الغنوصية بوضوح على أن يلداباوث مجنون، أو إله مختل عقلياً، أو إله دجال. إن الديميورج هو بالفعل نوع من الآلهة، كيان كوني في حد ذاته، لكنه ليس إيونًا بليروميكي. إنه شبح غير عضوي مقدس ذاتياً، يعاني من وهم بشأن هويته. هذا ليس المقصود به أن يكون مجازاً أو استعارة أسطورية. ليس الأمر كذلك على الإطلاق، لأن المواد الغنوصية تُظهر بوضوح أن أتباع الأسرار كانوا يعتبرون يلداباوث والأركونات كائنات حقيقية موجودة مادياً في نظامنا الكوكبي، والذين يحاولون بشكل خاطئ اختراق المحيط الحيوي.

الله موجود، لكنه مجنون. وهو يعمل ضد الإنسانية. هذه هي الرسالة المذهلة التي تحملها الرؤية الصوفيانية للأسرار. حذر الغنوصيون من أن البشر يتعايشون في نظام كوكبي مع كيان مختل عقلياً يمكنه الوصول إلى عالمنا من خلال عقولنا. إن "ابن" صوفيا طفلٌ مشاغب، على أقل تقدير. إن المشاكل التي يطرحها الديميورج على البشرية لم تبدأ بعد في الظهور.

يقال إن السماء الأركونية هي *anomou*، "شاذة"، لأنها ناتجة عن فعل أيوني خارج البليروما. دعونا نتذكر صيغة أخرى لهذا المصطلح، وهي "أنوميا"*(anomia)*، التي تم تطبيقها على مناقشة أسطورة المخلص الفلسطيني في الجزء الأول. إن الشذوذ في الكون الخارجي الذي تسبب في احتجاز الأرض العضوية في النظام الكوكبي غير العضوي له آثار مؤكدة على النفس البشرية أيضًا. علّم الغنوصيون أن استراتيجية الأركونات هي *(apaton)* "الخداع" أو "الحيلة".

يقول الكتاب السري ليوحنا أن متعة الأركونات تكمن في الخداع، وجعلنا نرى عالمهم على غير حقيقته، وتشويه فهم عالمنا. إن الكلمة القبطية SOREM، التي تعني "الخطأ" أو "الانحراف"، تحدد الفكرة الغنوصية للأركونات الذين يُطلق على ظهورهم في النظام الكوني اسم "توليد الخطأ". الكلمة اليونانية المقابلة، *plane*، تعني "خطأ" أو "الضلال".

حذر الغنوصيون من الخطر الأكبر الذي يشكله الأثر الجانبي لسقوط صوفيا: قد تنحرف البشرية عن مسارها الصحيح في التطور. سيضيع فرصته في الابتكار وسيفشل في تحديد مكانته التطورية الفريدة في النظام البيئي لكوكب الأرض. يبدو الأمر كما لو أن وجود الأركونات في النظام الكوكبي يُنشئ مجالاً منحرفاً يشوه التفكير البشري. يقول إنجيل فيليب من نجع حمادي: "إن النظام العالمي الذي نعيش فيه قد نشأ بسبب خطأ". قد تكون هذه واحدة من أغرب الأفكار التي طُرحت على الإطلاق.

قد تكون هذه أيضاً واحدة من أهم الحقائق التي نحتاج إلى إتقانها، سواء من الناحية الجسدية أو النفسية، لضمان بقائنا كنوع.

---

*تُكتب اللغة القبطية بالأحرف اليونانية باستخدام الأحرف الكبيرة حصراً. في الحالات النادرة التي يتم فيها الاستشهاد بكلمات قبطية، سأتبع العرف المتبع في وضعها بأحرف كبيرة لتقريب كيفية ظهورها في النصوص الغنوصية التي لا تزال موجودة.

13

شغف صوفيا

كان وجود الأركونات في الكون ككل وتأثيره على العقل البشري مصدر قلق بالغ لدى العرافين الغنوصيين. 11 كان الغنوصتيكوي الشاميون متخصصين في الكشف عن القوى الخارقة للطبيعة والمنحرفة. باختصار، كانوا علماء نفس خارقون؛ أو بعبارة أخرى، محققين نفسيين. وفي الوقت نفسه، كانوا علماء كونيات بارعين. لم يكن أي شيء رأوه في الكون، ولا أي من العجائب التي لاحظوها في إدراك متزايد - أو إدراك مفرط، كما يمكن تسميته - بعيدًا ومنفصلًا عن البعد البشري. لقد لاحظوا في جميع نظرياتهم وأبحاثهم مبدأً توجيهياً سامياً: كما في الخارج، كذلك في الداخل.

إن رؤية الانعكاس الفعلي للعمليات النفسية في الأحداث الكونية هو التوازي النفسي الكوني النموذجي للعقل والمنهج الغنوصي. أستخدم مصطلح "فعلي" للإشارة إلى أن الانعكاس هو فعل حقيقي، يتم تنفيذه وتفاعلي، وليس مجرد مسألة انعكاس سلبي أو ثابت. لم تكن نظرة الغنوصيين العميقة إلى التوازي بين النفس والكون مجرد لعبة من التوافقات اليونغية، أو مجرد لعبة من التشبيهات أو التحويلات الرمزية. كانت ممارسة الغنوص وسيلة لفهم الواقع الوجودي للكون بشكل مباشر، والمشاركة في كيفية عمل الكون داخل النفس البشرية. يمكن أن تكون قصة صوفيا إطارًا للتعلم البيئي العميق، يمتد حتى إلى عالم ما وراء الأرض، إذا كنا على استعداد لقبول أننا متورطون بشكل فعلي في كل ما تصفه الرواية.

إن الإنسانية جزء من حل محنة صوفيا، ولكن ليس هذا فحسب. مع تطور القصة، يصبح من الواضح أكثر فأكثر أننا كجنس بشري نمثل جزءًا من تفسير محنتها. إن الطريقة التي نصف بها معضلة صوفيا قد تحدد في نهاية المطاف الطريقة التي يمكننا بها وصف دورنا في النسيج التكافلي للحياة.

الشمس التائبة

عندما يخرج الأركونات من فوضى أطراف المجرة، لا يزال الأنثروبوس في طور الحضانة في السديم القريب (الحلقة 5). لم تتحول صوفيا بعد إلى الكوكب الذي ستظهر عليه البشرية. لكن تجربة مستقبل جنسنا البشري، السلالة الأرضية من الأنثروبوس، قد تأثرت بالفعل بأبناء عمومتنا الغرباء. إن الخداع الأركوني، المتمركز في جنون الديميورج، سيصيب في النهاية الوعي البشري ويحيد مسار الحياة على الأرض. ولكن حتى مع ظهور هذا التهديد، تتكشف أحداث أخرى في الكون ستحدد كيف يمكن للبشرية مواجهة خطر الأركونات والتغلب عليه.

تصف الحلقة السادسة من القصة المقدسة كيف أنه حتى أثناء تشكل هيكل الأنظمة الكوكبية، يظهر نجم وليد من السحابة السديمية حيث يتم تضمين الأنثروبوس: "الإنسان". إن النجم لا ينتج عن تحريض صوفيا للديما، ولكن من خلال عمليات أخرى تتكشف بشكل مستقل ومستمر في أطراف المجرة. بسبب الكتلة الفائقة للجسم النجمي، فإن المنازل السماوية للديميورج (القرص الكوكبي الأولي، من الناحية الفلكية) تنجذب بسرعة إلى النجم الوليد وتتخذ مسارات دائرية حوله، تمامًا كما تشكل برادة الحديد نمطًا متناظرًا عند نثرها على ورقة موضوعة فوق مغناطيس. الآن تتحرك الكواكب الناشئة في مدارات ثابتة، ولكن بدون الأرض، لأن هذا الكوكب لم يكن موجودًا بعد. يعلن الديميورج المتغطرس نفسه الإله الوحيد في

الكون، سيد ومسيطر على كل ما يراه.

لتوبيخ الأركونات، تستحضر صوفيا صورة أنثروبوس المتداخلة في سديم أوريون. وتعلن أن الأنثروبوس متفوق على الأركونات، وتتنبأ بأن البشرية، عندما تظهر في شكل عضوي، ستهزم أعمال الديميورج. بعد أن شهدت ساباوث، النجمة الوليدة في مركز العالم الأركوني، هذا الإعلان، خضعت لتحول روحي وكرست قواها الجبارة لصوفيا. في الواقع، تثور النجمة الأم على حكم القوى الكوكبية غير العضوية وتتوافق مع ديناميكيات الحياة العضوية، متوقعة تحول صوفيا الكامل إلى الأرض. تُدرك الإلهة الساقطة هذا الخيار وتُنتج من نفسها إشعاعًا إلهيًا على صورتها، قوة الحياة زوي، التي توحد قواها مع الشمس، النجمة الأم للنظام الكوكبي.

كل هذا يمثل عبئاً كبيراً، وغني عن القول. هذه إحدى اللحظات السينمائية العظيمة في قصة صوفيا. إن دراما الشمس التائبة هي حلقة غنية ومفصلة، ولكنها ربما ليست غامضة من الناحية الأسطورية كما قد تبدو للوهلة الأولى. صحيح أن "الغرابة الشديدة" للأسطورة الغنوصية تبدأ فعلاً مع هذه الأحداث. بعد التأكيد المذهل على أن الأرض لا تنتمي إلى النظام الكوكبي، بل هي محتجزة فيه فحسب، يأتي هنا اقتراح آخر مذهل للعقل: الشمس، النجم المركزي لنظامنا الشمسي، هي كائن واعٍ يتماشى مع الحياة ويقف في وجه الكواكب غير العضوية في النظام. تتوب ساباوث وتنضم إلى جانب إيون صوفيا، التي تخضع تدريجياً لتحول عميق خاص بها مع حدوث هذه الأحداث الكونية.

هل من سبيل لفهم "تحول" ساباوث؟ أمرٌ مدهش، أليس كذلك؟ لا يُصدق؟ هراء أسطوري محض؟ ربما، ولكن ألا تقترب هذه الحلقة من بعض النواحي مما تخبرنا به نظرية غايا؟

الآن، وبعد مرور حوالي ثلاثين عاماً، أصبحت قصة نشأة فرضية غايا جزءاً من التراث الشعبي الكوكبي. أثناء عمله في مختبر الدفع النفاث التابع لناسا في سبعينيات القرن الماضي، كُلِّف جيمس لوفلوك بمهمة تحديد ما إذا كان من الممكن وجود حياة على المريخ. وللقيام بذلك، قام بمقارنة التركيب الجوي للمريخ والكواكب الأخرى مع التركيب الجوي للأرض. ظهرت هذه الفرضية خلال محادثات لوفلوك مع زميله ديان هيتشكوك، مما قادهما إلى فهم كيف أن الغلاف الجوي للأرض شاذ بالنسبة لبقية النظام الكوكبي. إليكم تأكيدًا من قصة صوفيا، تمت إعادة صياغته ونقله إلى نظرية علم الكونيات الحديثة.

إن الاختلافات بين الأرض وبقية النظام الكوكبي هائلة، وهي التي تجعل الحياة على كوكبنا الأم ممكنة. تتمثل "الشذوذات" الرئيسية المعنية هنا في ثلاثة أمور: حالة عدم التوازن الجوي التي تحافظ على نسبة الأكسجين عند حوالي 21 بالمائة، وثبات نسبة الملوحة في البحر عند حوالي 3 إلى 5 بالمائة، ونطاق درجة الحرارة القريب للمحيط الحيوي على الرغم من الزيادة الهائلة بنسبة 30 بالمائة في حرارة الشمس منذ تشكل الأرض قبل 4.32 مليار سنة. سيقول الغنوصي إن هذه الشذوذات ترجع تحديداً إلى كون الأرض عالماً عضوياً يتم الحفاظ عليه ذاتياً بواسطة إلهها الكامن، أيون صوفيا. الأرض هي كل ما لا تمثله الكواكب الأخرى.

من بين الشذوذات الثلاثة المميزة، فإن الشذوذ الثالث هو بالطبع الأكثر صلة بدراما الشمس التائبة. يُعتقد أن النجم المركزي لنظامنا يشبه فرن صهر ضخم ينفجر بالهيدروجين والعناصر المعدنية في مزيج ناري رائع. إنها تطلق موجات هائلة من الحرارة والإشعاع، ومع ذلك عندما تصل الإشعاعات الشمسية إلى الأرض، يتم قياسها بدقة بحيث تظل ثابتة ضمن النطاق الصغير الذي يسمح للحياة في المحيط الحيوي

بالظهور والازدهار. كان من الممكن أن يؤدي تذبذب طفيف في الإشعاع الشمسي خلال ملايين السنين، عندما ارتفعت درجة حرارة الشمس بنسبة 30 بالمائة، إلى احتراق الأرض مرات عديدة.

إن النجم الأم، المسمى ساباوث، يميل بالفعل بشكل إيجابي نحو كوكبنا الأم.

الهولوغرام ثنائي المصدر

من منظور قصة صوفيا، فإن كلمة "شذوذ" تحمل معنيين. بمعنى ما، يشير ذلك إلى أن الكوكب الأم يقف منفصلاً عن بقية النظام الكوكبي، ولكنه يعني أيضاً أن النظام الكوكبي برمته شاذ. "لقد نشأ العالم الذي نسكنه من خلال خطأ"، كما تقول العبارة الشهيرة من إنجيل فيليب (مخطوطات نجع حمادي II، 3:75.5). الخطأ ليس في عالمنا بحد ذاته، ولا في كوكب الأرض، بل في الهيكل غير العضوي للنظام الكوكبي الذي تم أسر الأرض فيه. في البروتينويا ثلاثية الأشكال، حلمت صوفيا الأصلي بعالم يظهر فيه الإنسان ويظهر تفرده، تخيلت الإلهة نظامًا ثلاثي الأجسام، لكن هذا ليس ما آل إليه عالمنا. ومع ذلك، من الممكن تمامًا أن يتكون النظام الكوكبي من شمس واحدة، وهي النجم المركزي، وكوكب واحد مع قمر.

على الأرض نعيش في نظامين في آن واحد: النظام الأرضي والنظام الكوكبي، أو خارج الأرض. هذه الحقيقة العلمية واضحة في علم الكونيات المقدس، ولكن بالنسبة للإدراك الغنوصي فهي ليست مجرد حقيقة علمية. وتماشياً مع التوازي النفسي الكوني، فإن لهذا الوضع آثاراً فعلية ضمن التجربة الإنسانية. إنه يؤثر على طريقة عيشنا وتفكيرنا بشكل حميم. النظام الكوكبي باستثناء الشمس والأرض والقمر (وهو قمر تابع للأرض، وليس كوكبًا في الواقع) هو عالم الأركونات، وهو نوع من الكائنات الغير أرضية التي يعتمد تكوينها الجسدي والعقلي على الكيمياء غير العضوية. إن الأركونات موجودة بالفعل في الخارج، وتقيم في آليات الساعة الكوكبية، وهي موجودة أيضًا في عقولنا، كجزء من طريقة تفكيرنا وإدراكنا. (للاطلاع على المزيد من الأفكار حول قضية الأركونات المقلقة، انظر الفصل 21.)

في الاستعارة الرائعة لكاتب الخيال العلمي فيليب ك. ديك، الذي تأثر بشدة بالأفكار الغنوصية، فإن الواقع البشري عبارة عن صورة هولوغرامية ذات مصدرين. الأمر أشبه بوضع صورة هولوغرام لمكان ما، مثل قلعة، فوق صورة هولوغرام أخرى لمكان مختلف، مثلاً، منزل شجرة متقن الصنع، ونحن نعيش في هذا الاندماج. إن نظام الأجسام الثلاثة لحلم صوفيا الأصلي موجود بالفعل، لأن حلمها يستمر حتى وهي نفسها منغمسة فيه بعمق، متجسدة في الأرض. لكن في الوقت نفسه، نحن نعيش في إطار النظام الكوكبي، الكون الآلي ذو الآليات العمياء. لقد علّم الغنوصيون أن البيئة الكوكبية هي مجال منحرف يشوه إدراكنا لديناميكيات الأرض. صحيح أن هذه ليست فكرة يمكننا استيعابها بسهولة، أو حتى قبولها للتأمل. إنه أمر غامض حقاً، ويمثل تحدياً كبيراً للتحليل والخيال.

يمكن القول إننا نخضع لاختبار من خلال هذا الجزء من القصة لنرى ما إذا كان بإمكاننا فهم اندماج العقل الأركوني مع عقلنا. كيف يمكننا اكتشاف التأثيرات اللاواعية التي تتخفى في العمليات الروتينية للعقل والخيال؟ إذا كان الغنوصيون بالفعل خبراء في العلوم المعرفية والفكرية وبارعين في خوارق علم النفس، كما أعتقد أنهم كانوا، لكانوا قد طوروا هذا النوع من الكشف إلى فن دقيق. ربما يمكننا أن نتعلم فعل الشيء نفسه، لأن الوضع الكوني الذي نواجهه قد يفرض علينا هذه المهمة. على أي حال، من المفيد للغاية

الاستعانة باستعارة فيليب ك. ديك كأداة مساعدة مفاهيمية.

إن علم الكونيات الغنوصي ثنائي، ولكن ليس بنفس طريقة علم الكونيات عند زرادشت - الثنائية الفارسية، التي نوقشت أعلاه فيما يتعلق بصعود الثيوقراطية اليهودية. دعونا نتذكر أن العقيدة الدينية للثنائية الفارسية، التي استوعبها العبرانيون خلال السبي البابلي، تفترض وجود تعارض بين الخير (أهورا مازدا) والشر (أهريمان) على المستوى الكوني. هذه هي الثنائية المطلقة. يفترض هذا وجود انقسام في الألوهية، في العالم الإلهي، عند المصدر الواحد لكل ما هو موجود. لذا يمكن تسميتها بثنائية المصدر المنقسم. ويمكن تسميتها أيضًا بالثنائية أحادية المصدر لأنها تفترض أن الخير والشر لهما نفس الأصل، بسبب الانقسام عند المصدر، في الألوهية - وهي فكرة رفضها الغنوصيون بشكل قاطع. في احتجاجهم على المسيحية، عارض الغنوصيون اللاهوت المسيحي والأخلاق الثنائية القائمة على المفهوم اليهودي لإله أب غاضب ومعاقب، والذي كان أيضًا، صدق أو لا تصدق، مصدر الحب الإلهي.

لكن ثنائية المصدر المنقسم ليست ما تقدمه أسطورة صوفيا. من الأهمية بمكان التمييز بين ثنائية المصدر المنقسم الفارسية وثنائية المصدرين في التعاليم الغنوصية. في الرؤية الغنوصية لا يوجد انقسام في البليروما، وبالتالي لا يوجد تعارض مطلق بين الخير والشر. في الواقع، لم يصف الغنوصيون المشكلة التي يطرحها الأركونات من حيث الشر على الإطلاق. لقد صاغوا الأمر من منظور الخطأ. لقد علّموا أننا نصل إلى فهم كيفية نشوء الشر في العالم من خلال تتبع عمل الخطأ، أي العامل الأركوني. يُطلق على ظهور الأركونات في السيناريو الكوني لتكوين الأرض اسم "توليد الخطأ".

إن ثنائية العالمين لها آثار أخلاقية ونفسية عميقة، تختلف تماماً عن آثار ثنائية المصدر المنقسم. يصف كتاب "اعترافات كليمنتين"، وهو مجموعة من الحكايات التي تعود إلى القرن الرابع والتي توضح الحجج اللاهوتية، كيف أن المسيحيين المتحولين الذين جادلوا مع الغنوصي سمعان الساحر قد استشاطوا غضباً من إصراره على أن الخير والشر لا يأتيان من نفس المصدر، كما كانوا يعتقدون. كانت هذه المسألة نقطة اشتعال للهرطقة الغنوصية. أثار ذلك عداءً هائلاً تجاه متأهلي الأسرار الذين أنكروا أن الشر في العالم البشري يمكن أن يكون له أصل إلهي أو متجاوز للإنسان. أثار هذا الجدل غضب المسيحيين الأوائل الذين اتبعوا المذاهب اللاهوتية لليهود، والذين بدورهم استوعبوا الثنائية الفارسية. تؤكد نصوص قمران مراراً وتكراراً أن الرب الإله يرسل الشر إلى العالم، كما يرسل الخير. جادل الغنوصيون بأنه إذا كان نفس الإله الأبوي القادر على كل شيء هو مصدر الخير والشر، فلا بد من وجود انقسام في المصدر: يجب أن يكون الله مصابًا بالفصام.

استاء المسيحيون واليهود على حد سواء بشدة من بارعي الأسرار لأنهم أشاروا إلى أن إلهًا ذا خير لا متناهٍ لن يُدخل الشر إلى العالم. لم يكتفِ الغنوصيون بإثبات العبث المنطقي للرؤية الفارسية، بل قدموا تفسيراً للشر بدلاً منه. لكن بالنسبة للمسيحيين واليهود على حد سواء، كانت كل هذه الأمور الغامضة المتعلقة بالأركونات غريبة ومعقدة ويصعب فهمها. والأسوأ من ذلك كله، أنه بدا وكأنه إهانة لإلههم، وحرمانه من القدرة المطلقة. اعتبر كل من المسيحيين واليهود أن إخبار الغنوصيين لهم بأن خالقهم كائن غريب مختل عقلياً يُدعى يلداباوث هو إهانة بالغة. لقد دفع المتأهلون الذين خرجوا من ملاذات الأسرار لإيصال تلك الرسالة تحديداً إلى العالم أجمع ثمناً باهظاً مقابل هذا الكشف.

لا يقتصر وجود ثنائية العالمين على النظام الكوكبي فحسب، بل إنها متأصلة في طبيعة الوجود المادي

نفسه. إن التولد التلقائي هو الاسم الذي يطلقه الجيولوجيون على "تطور الكائنات الحية من مادة غير حية؛ كما هو الحال في الأصل المفترض للحياة على الأرض" (قاموس أكسفورد لعلوم الأرض، طبعة 2003). حقيقة الحياة هي أن الأشكال العضوية تبدو وكأنها تستقر على بنية تحتية غير عضوية. ومن المفارقات أن الحياة تبدو ذات أصل غير عضوي وعضوي. اختزل البروتينات وسلاسل البولي ببتيد إلى مكوناتها الأساسية وستدخل في عالم الكيمياء غير العضوية، منطقة أركون. غالباً ما تتأرجح نظرية غايا على الحافة الدقيقة والمطاطية بين الكيمياء العضوية وغير العضوية. كيف يمكن للحياة العضوية أن تنشأ من الحياة غير العضوية؟ (كما ذكر أحد الأشخاص الأذكياء المجهولين، "الهيدروجين غاز خفيف عديم الرائحة، والذي يتحول إلى بشر مع مرور الوقت الكافي.") استخدم العرافون الغنوصيون الذين اكتشفوا هذا الشذوذ أعلى قدراتهم العقلية لتفسيره. بالنسبة لهم، لم يكن نظام العالمين مسألة عرضية أو غير ذات صلة، بل كان وضعاً حقيقياً تماماً يؤثر بشكل عميق على التجربة الإنسانية.

الأرض والشمس

تلعب عملية التكوين التلقائي دورًا في تحول صوفيا إلى الأرض، وهو تحول، كما نتذكر، كان مستمرًا منذ لحظة سقوطها. إن النور العضوي، وهو المادة المكونة لجسم صوفيا، حي مثل الدم الحي، أو مثل العفن المخاطي (وهو كيان رشيق وذكي بشكل مدهش) حي. تتكون التيارات الأيونية من مادة تشبه رغوة النوغا، وهي مسامية للغاية وخالية من الكتلة. إن التيارات الضوئية التي تشكل الأيون البليروميكي لا تحتوي على عناصر غير عضوية، لأن هذه العناصر تنتمي إلى الكينوما، عالم الفوضى الخارجية، حساء الجسيمات الأولية، *adrista* الأدريستا، البقايا الكونية. لكن بمجرد أن تغوص صوفيا في العالم الأدنى، تبدأ في امتصاص المادة الأولية. يبدو الأمر كما لو أن رغوة الإضاءة المتوهجة تمتص كميات هائلة من برادة معدنية ملونة دقيقة. [196]

مع تطور دراما الشمس التائبة، يتصاعد تحول صوفيا إلى جرم سماوي بشكل مطرد. يبدو أن الإلهة ربما كانت في حيرة مثلنا بشأن اختلاط الحياة العضوية وغير العضوية. يقول إعادة صياغة إيرينيئوس (ضد الهرطقات، 5.4):

> يؤكدون [الهراطقة] أنه في لحظة ما، كانت تبكي وتنوح بسبب تركها وحيدة في وسط الظلام والفراغ؛ بينما في لحظة أخرى ... كانت تمتلئ بالفرح وتضحك؛ ثم مرة أخرى، كانت تصاب بالرعب؛ أو في لحظات أخرى، كانت تغرق في الذهول والحيرة.

إن اعتناق سباوث للإلهة يمثل راحة كبيرة لها لأنه يعني أنها لم تعد وحيدة في محنتها. والآن هناك كيان كوني آخر يشاركها شغفها. ليس إيونًا من البليروما، بل إلهًا أدنى من العالم الخارجي للفوضى، الكينوما. يوفر عالم المادة الأولية الأركوني المادة اللازمة للنظام الكوكبي، لكن الشمس، وهي الجسم المركزي لهذا النظام، ليست كوكبًا. إنه نجم. إن النجم المسمى سباوث، وهو الجسم المركزي لنظامنا الشمسي، لم ينتج عن اصطدام صوفيا في الديما. إنه نشأ من عملية مستقلة تماماً.

بينما يتشكل العالم الأركوني، هناك حدث موازٍ في الكينوما، الأذرع المجرية التي تجد صوفيا نفسها فيها الآن. يدور الهيكل المجري باستمرار حول محور البليروم، وبينما يفعل ذلك، فإنه يقلب حقول المادة الأولية إلى حبيبات ضخمة نسميها النجوم. إن تكوين النجوم هو نشاط دائم لأطراف المجرة - وهذا ما نعرفه استنادًا إلى علم الفيزياء الفلكية الحديث. النجوم لا تُقذف من مركز المجرة، بل تُطحن مثل حبيبات ضخمة من المادة الأولية للأطراف الدوارة. "طواحين الآلهة تطحن ببطء، لكنها تطحن بدقة فائقة"، كما يقول المثل القديم. ينتج عن نشاط الطحن هذا تكوينات محددة في الرغوة الكمومية لا تتطور من انبعاث الأيونات. على المستويين الذري ودون الذري، تكون ديناميكيات الهيكل المجري مستقلة نسبياً عن النواة.

وهكذا، بالتوازي مع ظهور الأركونات حول صوفيا، يولد نجم في المنطقة المجرية المجاورة. يعتقد علماء الفيزياء الفلكية أن النجم الأم لنظامنا الكوكبي قد انبثق من السديم العظيم في كوكبة الصياد، الجبار (أوريون). انطلق النجم الوليد من سحابة السديم وهو يدور مثل توربين هائل ويحول المادة الأولية إلى قرص كوكبي أولي. يُحدد النجم الناشئ مركز دوامة من العناصر الخام غير العضوية التي تتحد في النهاية لتشكل الكواكب. إن هذا التصور لكيفية تشكل النظام الشمسي قريب من الأسطورة الغنوصية - مع اختلاف واحد ملحوظ.

عندما تخرج ساباوث من السديم، فإنها تواجه نشاطًا بين النجوم كان جاريًا بالفعل. لقد أدى سقوط صوفيا إلى ظهور الأركونات: أي أن تياراتها قد أثرت بالفعل على المادة الأولية وشكلتها إلى حد ما. إحدى طرق تصور هذا الوضع هي تخيل كيف ستتكثف تيارات الأيون ذات المسامية العالية والخالية من الكتلة تدريجياً، وتكتسب كتلة وتصبح داكنة، وتفقد صفاتها النقية والمضيئة ذاتياً بينما تمتص صوفيا المواد الأولية. كانت سحابة النور العضوي المتلألئة الرائعة التي انبثقت من البليروما ستنتهي عند عقدة، تمامًا كما تفعل العديد من الكائنات الحية النامية: على سبيل المثال، تنمو أوراق ساق السرخس في أنماط كسورية متناقصة حتى ينحني السرخس على نفسه وينغلق عند عقدة،

وهي نقطة نهاية تكوينه العضوي.[197]وبالمثل، فإن التيار الهائل من النور الأيوني، وهو جوهر الإشعاع الحي الذي يتدفق من البليروما عندما سقطت صوفيا، قد تجمد عند نقطة عقدية.

لكن هناك أيضاً عقدة كونية تظهر فيها الشمس الوليدة، والتي تشكلت في مركز دورانها التوربيني الهائل. في التصور الكامل لهذا الحدث، تتشابك العقدتان عندما تصطف ساباوث مع صوفيا. يشير هذا السيناريو الأسطوري إلى أن "القرص الكوكبي الأولي" في الفيزياء الفلكية الحديثة هو في الواقع قرص بيضاوي الشكل، وليس قرصًا دائريًا. الشكل البيضاوي أو الإهليلجي هو شكل بيضاوي الشكل له بؤرتان، بينما الدائرة لها بؤرة واحدة فقط، وهي مركزها.

كيف تقف الصورة الأسطورية لصوفيا-ساباوث في "اقتران هيكلي" (على سبيل المثال، استعارة مصطلح من نظرية غايا) في مواجهة علم الكونيات الحديث؟

حسناً، الحقيقة هي أن مدارات الكواكب في نظامنا الشمسي بيضاوية وليست دائرية. لكل كوكب، بما في ذلك الأرض، بؤرتان، الأوج، وهو أبعد نقطة عن الشمس، والحضيض، وهو أقرب نقطة إلى الشمس. تقع الشمس في "مركز" مدارات الكواكب، لكن المسارات المدارية لها في الواقع مركزان. (عندما تم تحديد الشكل الإهليلجي لمدارات الكواكب بواسطة يوهانس كيبلر في عام 1604، أعلن عالم الفلك أنه أعاد اكتشاف المعرفة السرية للأسرار المصرية.)

هذا الطفل المتألق

يستغرق الأمر بعض الوقت لاستخراج العناصر الكونية الملموسة من السرد المقدس للأسرار، لكن النتائج يمكن أن تكون مثيرة للإعجاب. قد نتساءل إلى أي مدى يمكننا الوصول في هذا التمرين. ما الذي يمكن أن تخبرنا به قصة صوفيا، إن وجدت، عن البنية الكونية - الأبعاد الفعلية للنظام الكوكبي، على سبيل المثال؟ للإجابة على هذا السؤال، دعونا نعود إلى الحدث الرئيسي في الحلقة الخامسة:

يصل النجم الوليد إلى المشهد في اللحظة التي يدلي فيها الديميورج بالادعاء الشائن: "أنا هو الله، ولا يوجد إله آخر غيري" (حقيقة الأركونات، مخطوطات نجع حمادي II، 4: 94.20 تتكرر هذه الحادثة في العديد من النصوص.) يشير هذا الحدث الأسطوري إلى أن تشكيل عالم السماء الأركوني كان لا بد أن يكون قد تقدم على الأقل إلى الهياكل الأولية. يتصرف الديميورج مثل رئيس عمال يظهر في موقع بناء، ويلاحظ الخطوط العريضة الرائعة للمبنى قيد الإنشاء، ويعلن أنه هو، وليس المهندس المعماري، هو منشأ كل ما يراه. في الحلقة السادسة، ترد صوفيا بتوبيخ الديميورج. عندما رأت كفر اللورد أركون، امتلأت بالغضب. أعلنت له قائلة:

> أنت مخطئ أيها الأعمى. هناك طفل نور خالد جاء إلى هذا العالم قبلك وسيظهر بين نسخك المكررة، في عالمك المحاكي... البشرية موجودة، ونسل السلالة البشرية موجود... وفي تمام جميع أعمالك، سيكشف هذا الطفل النوراني عن كل نقص الحقيقة فيه ويزيله. (في أصل العالم، 103 في مواضع متفرقة)

عند التفكير في الصورة الخيالية لتأثير صوفيا في الكينوما، من المفيد أن نتذكر أن البذرة المضيئة للأنثروبوس قد تم إيداعها هناك، مغمورة في سحابة سديمية، قبل أن تقوم الإلهة بالسقوط. تتواجد صوفيا باستمرار في حضرة نموذج الأنثروبوس، المصفوفة الكونية لـ "طفل النور الخالد". في المقطع المذكور هنا، تُنبه الديميورج إلى وجود جنس أعظم منه ومن جحافل السايبورغ السماوية التابعين له، وتتنبأ بأن "هذا الطفل النوراني" سيتغلب في النهاية على جميع أعمال الأركونات.

يُعد انتصار البشرية على الأركونات أحد المواضيع الرئيسية في سلسلة "الأسرار". إن استخدام اللغة المزدوجة، "البشرية موجودة، ونسل البشرية موجود"، أمر مثير للاهتمام. قد يشير ذلك إلى أن الغنوصيين رأوا في الأنثروبوس المصفوفة الجينية لأكثر من سلالة واحدة من البشرية. إنها مصدر العديد من الأجناس الشبيهة بالبشر، والتي ننتمي نحن سكان الأرض إلى أحدها. ما يميزنا بالمعنى الكوني هو أننا السلالة البشرية التي تسكن الكوكب والتي تجسد بشكل فريد الإلهة التي شفرت الأنثروبوس متعدد السلالات.

تستمر الحلقة السادسة: بعد أن شهد ساباوث إذلال الديميورج، أدرك بوضوح ما كان يحدث، واتخذ خيارًا مصيريًا:

> عندما سمع ساباوث صوت صوفيا، سجد لها. أدان الأركون بسبب كلام صوفيا. لقد مجّدها لأنها أخبرته عن طفل النور الخالد، الأنثروبوس. ثم سكبت صوفيا على ساباوث نوراً من نورها الإلهي اعترافاً بإدانة الأركون. عندما تلقى ساباوث هذا النور، حصل أيضًا على سلطة عظيمة على قوى الفوضى... وبما أنه يمتلك السلطة، فقد أنشأ لنفسه مسكنًا. إنه مكان شاسع، وممتاز للغاية، أكبر بسبع مرات من جميع تلك الأماكن الموجودة في سماء الأركونات. (في أصل العالم، 103-104)

هذا تأكيد على العهد بين صوفيا والشمس. يتعلق الأمر بالشذوذ الثالث لفرضية غايا: يظل النطاق المعتدل للمحيط الحيوي مستقرًا، ومواتيًا للحياة، على الرغم من أن شدة الشمس قد زادت بنسبة 30 بالمائة منذ تكوين الأرض.

قد يبدو من السخف افتراض أي معرفة فلكية حقيقية في مواد أسطورية كهذه، ولكن ربما ليس كذلك. والحقيقة هي أن كتلة الشمس معروفة بأنها أكبر بحوالي سبعمائة مرة من الكتلة الإجمالية لجميع الأجسام في النظام الشمسي - "أكبر بسبع مرات" إذا اعتبرنا المئات وحدات من سبعة. كما أن متوسط المسافة من الأرض إلى الشمس هو 93 مليون ميل، وتسمى وحدة فلكية واحدة (AU). هناك حوالي 42 وحدة فلكية إلى بلوتو، وهو أبعد كوكب في النظام، لكن قوة جاذبية الشمس تمتد إلى أبعد من ذلك في الفضاء الخارجي. يبلغ نصف قطر بئر الجاذبية النظامية المتمركزة حول الشمس حوالي 49 وحدة فلكية، أي سبعة أضعاف المسافة بين الأرض والشمس. "إنه مكان شاسع، وممتاز للغاية، أكبر بسبع مرات من جميع تلك الأماكن الموجودة في سماء الأركونات."

التحول إلى الأرض

مع تحول ساباوث، استقرت الفوضى، تقريبًا على الأقل. لكن صوفيا لم تعش بعد أكثر حلقات مغامرتها إثارة. في الحلقة السابعة من القصة المقدسة، تتحول صوفيا أخيرًا إلى شكل أرضي. محملة بالرواسب غير العضوية من أطراف المجرة، تتحول تياراتها الهائلة من النور العضوي إلى العناصر المادية لكوكب الأرض. ومثلها، فإن الكوكب حي وعضوي وينتج نفسه بنفسه. صوفيا، وهي كائن واعٍ ومدرك، تخلق موطناً لعدد لا يحصى من الأنواع، بما في ذلك الأنثروبوس، السلالة البشرية. لكنّ الأرض التي تشكلت بهذه الطريقة محصورة في النظام غير العضوي للديميورج، عالم الميكانيكا السماوية.

في ظل الكون الآلي للأركونات، تعاني الإلهة من انخفاض في قواها الإلهية وتحويل تياراتها الخالية من الكتلة إلى عمليات تشكيل العالم. إنها محملة بالعناصر بشكل كبير، كما لو كانت حاملاً، ولكن بدلاً من أن تلد كوكباً، فإنها تتحول في الواقع إلى كوكب. لكي لا تفقد اتجاهها، تدور بشكل جنوني، وتتحول إلى شكل مستدير، متخذة وضعية الجنين التي تتخذها العديد من المخلوقات عندما تكون عاجزة ومثقلة. لقد تشكل النظام الشمسي الآن إلى حد كبير، وتجد الإلهة نفسها محاصرة داخله، خاضعة للجاذبية والكهرومغناطيسية وقوانين أخرى معلقة في البليروما. قد نتخيل أن تيارها عالي

المسامية من النور العضوي مكثف للغاية لدرجة أنه يتخثر مثل الحليب ويتحول إلى شيء يشبه اللؤلؤ الرصاصي، وهو راسب نواة النيكل للكرة الأرضية. في مرحلة ما، تُطلق القمر من جسدها الأرضي. (لا تحتوي الكتابات الغنوصية الموجودة على أي أوصاف تصويرية لكيفية تحول صوفيا إلى الأرض، أو كيفية خلق القمر). كل ما لدينا عن أحداث الحلقة السابعة هو فقرتان ضئيلتان للغاية في الكتاب الأول من كتاب إيرينيئوس "ضد الهرطقات".

صوفيا الآن تنغلق على نفسها تماماً. إنها تُشرك وتُعقد الأمور، ومع استمرار تحولها، تواجه الإلهة التي أصبحت الأرض بعض الأعمال الهائلة.

14

الشفاعة الكريستوسية

تروي الحلقات السبع الأولى من قصة صوفيا ما يحدث للإلهة حتى النقطة التي تتحول فيها إلى الأرض وتفقد شكلها الأيوني. في الحلقة الثامنة يحدث حدث حاسم آخر، يختلف تمامًا عما سبقه، لأنه يحدث بعد أن بدأت الحياة في الازدهار داخل المحيط الحيوي للكوكب الناشئ.

لسوء الحظ، فإن المواد الوصفية المتعلقة بهذا الحدث الرئيسي، وهو الشفاعة الكريستوسية، شحيحة للغاية في المواد المتواجدة. أجزاء أساسية من القصة مفقودة، مثل أجزاء مفقودة من فسيفساء محطمة. إن رؤية صوفيا وهي تتحول إلى الأرض كانت بالتأكيد ذات أهمية قصوى في السرد المقدس للأسرار، ومع ذلك، من أجل تتبع واستعادة جوهر القصة، نحن مضطرون إلى الاعتماد مرة أخرى على كتابات آباء الكنيسة ضد الغنوصيين (والتي تسمى أيضًا الأدب الآبائي، أو ببساطة الجدل). هذا مصدر معلومات مشكوك فيه، على أقل تقدير. عند قراءة هذه الجدالات، يجب علينا التمييز بين العناصر الحقيقية للمعرفة الغنوصية وبين ما تم تفسيره بشكل خاطئ دون قصد، أو في أغلب الأحيان، تم تحريفه وتشويهه عمداً. المعلومات المضللة منتشرة على نطاق واسع. في نصف الأوقات عندما يتعلق الأمر باللاهوت الغنوصي والجدال الفلسفي، يمكننا أن نفترض بأمان أن الآباء لم يفهموا ما كانوا يدحضونه. ومع ذلك، كان عليهم أن يعرضوا بعض الأمور بوضوح ودقة، ولو فقط لجعل ردودهم أكثر فعالية. مع وجود محتوى أسطوري أو رؤيوي كما نراه في هذه الحلقات، كان من المناسب لأغراض خصوم الآباء أن يقدموا المادة بدقة إلى حد ما، بحيث تكون طبيعتها السخيفة والغريبة (في أذهانهم) واضحة بذاتها.

إذن، قد نتوقع أن نجد كتابات الآباء أكثر فائدة في سرد الأساطير من تمثيل المفاهيم الفكرية التي يحملها الغنوصيون.

مشكلة في التنسيق

وفي النهاية، وصلت صوفيا إلى المرحلة التي بدأ فيها جسدها الكوكبي ينفجر بالحياة. وفقًا للجدول الزمني الجيولوجي المقبول، فإن هذه اللحظة ستتوافق مع فجر العصر الكامبري، منذ حوالي 585-550 مليون سنة، عندما أنتج الكوكب وفرة من المحار والعديد من الكائنات الحية ذات الهياكل العظمية. وبعد ذلك بقليل، في العصر الأوردوفيسي، ظهرت الأسماك والنباتات البرية الأولى. تقول القصة المقدسة أن الأشكال الناشئة من الحيوانات والنباتات كانت منتشرة وغزيرة لدرجة أن صوفيا شعرت بالذهول من التنوع الهائل للحياة التي كانت تنتجها. والأهم من ذلك كله، أنها لم تستطع الحفاظ على الأنواع العديدة من نسلها ضمن حدودها التكافلية المناسبة. كانت عملية تكوين الذات لديها معرضة لخطر الانحراف. أثارت محنتها استجابة من الأيونات البليرمية التي كانت تشهد مسار سقوطها منذ البداية.

والآن اتخذت الآلهة خياراً مصيرياً: فعل تدخل.

تلقى إيون كريستوس مهمة خاصة من رفقة الإيونات في البليروما: مغادرة مركز المجرة والنزول إلى العالم الناشئ حيث تقيم صوفيا الآن في الوجود المادي، غارقة في الحياة المنبثقة من جسدها. هذا النزول هو الشفاعة الكريستوسية.

من النادر أن يبتعد أيون عن مركز المجرة ويخرج إلى عالم قيد التطور. في الأساطير الهندوسية، تُسمى الآلهة التي تتدخل بهذه الطريقة في العالم المادي بالأفاتارات، وتسمى العملية بالنزول الأفاتاري. سقطت صوفيا من البليروما باندفاع محض، مدفوعة بـ *enthymesis*، الرغبة الإلهية، لكن إيون كريستوس يفعل ذلك من خلال *ennoia* النية الإلهية. وبدعم من اهتمام جميع أعضاء البليروما، قام كريستوس بشفاعة خاصة. يقول إيرينيئوس مع إعادة الصياغة:

> لقد أشفق كريستوس الساكن في الأعالي على الأخت إيون، وبعد أن امتد بنفسه عبر حدود البليروما وما وراءها، منح صوفيا صورة، ولكن فقط من حيث الجوهر، وليس من حيث منح الذكاء... لقد منح الكريستوس صوفيا شكلاً من أشكال الذكاء المحترم، وجلب الشفاء لعواطفها، وفصلها عنها، ولكن ليس لدرجة طردها من عقلها تمامًا. (ضد الهرطقات، 4.1، تم إضافة التأكيد)

هذا الوصف الموجز مفصل بشكل لافت للنظر، مما يشير إلى الفروق الدقيقة النموذجية للعبقرية الغنوصية الرؤيوية ومن غير المرجح أن يكون إيرينيئوس قد ابتكره، الذي اعترض بشدة على صناعة الأساطير الوثنية (والتي كانت، على أي حال يتجاوز قدراته بكثير). إذا كانت هذه الفقرة موثوقة، فإنها تشير إلى أن الغنوصيين كان لديهم بعض الأفكار الدقيقة إلى حد ما حول ما حدث في مهمة الإنقاذ الرائعة هذه التي نفذتها آلهة البليروم. يمكن إعادة صياغة تدخل الأيون النازل على النحو التالي: "ساعد كريستوس، الذي كان يتصرف باحترام كامل لقدرات صوفيا، في إضفاء الطابع التشكيلي على العمليات الحيوية التي تتكشف في عالمها، وعالج ألم عواطفها بفصلها عنها، ولكن ليس لدرجة أنها لم تستطع استحضارها إذا رغبت في ذلك".

إن إضفاء الطابع التشكيلي على الأمور وتكوينها هما نفس الشيء. في لغة الحاسوب، يُقال "تهيئة" بدلاً من "إضفاء الطابع التشكيلي". في المراحل المبكرة من تحولها الأرضي، كانت صوفيا تعاني من "مشكلة في التهيئة" مع قوى الحياة التي انبثقت من جسدها. كان الهدف من الشفاعة التي قام بها الكريستوس الأبدي هو حل هذه المشكلة.

العديد من أشكال الحياة التي تعج في المحيط الحيوي "قد ترسخت بالفعل واكتسبت قوتها الخاصة، بحيث تكون قادرة على الحفاظ على نفسها". هذا تأكيد رائع على التكوين الذاتي في الفيزياء الأرضية، قبل ستة عشر قرناً من وضع نظرية غايا. (الكلمة اليونانية للتكوين الذاتي في مخطوطات نجع حمادي هي *autogenes*، وتعني "التوليد الذاتي".) حاول إيون كريستوس تجميع هذه الأشكال الحية في مجموعة أكثر تناسقاً وتناغماً:

كل ما كان بوسع كريستوس فعله هو فصل هذه الأشكال الحية وتمييزها، كل على حدة، ثم مزجها وتكثيفها، وذلك لتحويلها بشكل أكثر شمولاً من عواطفها إلى كائنات مستقلة. ثم منحهم من خلال هذه العملية أهلية وطبيعة ليصبحوا كائنات جسدية محددة. (ضد الهرطقات , 4.2)

وبعبارة أخرى، أعاد كريستوس ضبط الحدود الضرورية للتكافل مع غايا، وساعد صوفيا في نشاط كانت ستفعله بنفسها لو كانت قادرة على ذلك. كانت هذه الخطوة الأولى من الشفاعة. أما الخطوة الثانية فكانت إرساء "اللياقة والطبيعة ليصبحوا كائنات جسدية محددة" لنسل صوفيا، أي القدرة على العمل بشكل مستقل، كلٌ وفقًا لخطته التطورية الفطرية.

اليوم نطلق على الخطة أو البرنامج الذي يوجه نوعًا ما في مساره المستقل والخاص بنوعه اسم الغريزة. وفرت شفاعة الكريستوس ضمانة للخطط البيولوجية للكائنات الحية في المحيط الحيوي، أي وفرة الحياة الحيوانية. لقد دعم كريستوس إيون البرمجة البيولوجية لذرية صوفيا، ولكن "كمجرد مادة محترمة، وليس لغرس الذكاء" - مما يعني أنه فعل فقط ما كانت صوفيا ستفعله بنفسها، لو لم تكن غارقة في هذا الشعور. تلتزم الحياة النباتية والحشرية والحيوانية في المحيط الحيوي بغرائزها التوجيهية الخاصة بكل نوع، ومع ذلك فهي قادرة على التطور المشترك أيضًا. تتعاون الأنواع البرية بطرق أكثر بكثير من تنافسها. مع ضمان الاستقلالية والتطور المشترك بين الأنواع، تم تأمين مسار آمن لتطور جميع الأنواع لصوفيا. أصبحت الآن قادرة على الحفاظ على ديناميكيات التكافل والتنوع في جميع أنحاء المحيط الحيوي، و"إعطاء شكل للمادة الحية التي انبثقت من تحولها الخاص"، بمساعدة "تعليمات الكريستوس".

يا لها من صورة عظيمة! إن الشفاعة الكريستوسية هي لحظة أخرى من تلك اللحظات السينمائية المذهلة في الخيال الغنوصي للكون. إن العبقرية الرؤيوية للعرّافين الذين علّموا في الأسرار باقية في هذه الحلقة من الأساطير على الرغم من أنها لا تصل إلينا بشكل مباشر. إن الأسطورة التي تشكل هذه الحلقة حية وقوية لدرجة أنها تستطيع تغيير تصورنا، مما يسمح لنا برؤية جديدة تمامًا لمن هو "الكريستوس". في الرؤية الغنوصية لما قبل التاريخ البعيد، كان الكريستوس الأيوني روحًا خارقة للطبيعة أثرت قوته على جميع أشكال الحياة الحيوانية على الأرض.

إن فكرة أن فعل الكريستوس الكامل يؤثر على جميع أشكال الحياة الواعية ويدعم الترابط بين الأنواع، على عكس فعل الخلاص الذي يتمحور حول الإنسان فقط والذي يُنسب إلى المسيح المخلص، هي فكرة هرطقية حقًا.

تمنح صوفيا كل ما يعيش في المحيط الحيوي الذكاء، لأن الإلهة نفسها هي الذكاء الكوكبي الكامن. لم يتصرف الإله البليرومي كريستوس "بهدف منح الذكاء" بل لتعزيزه، ولضبط دوافع صوفيا الذاتية، والبرامج الغريزية لنسلها.

إن العنصر الكريستوسي في الغريزة الحيوانية ليس هو ما يؤسس الغريزة بشكل أساسي، لأن ذلك يأتي من صوفيا. بل هو ما يضمن أن كل نوع قادر على التواصل والتطور المشترك بين الأنواع

بطرق لم تكن لتكون واضحة لولا التدخل.

باختصار، لقد أدت الشفاعة الكريستوسية إلى تفعيل آلية أمان تطورية لمجموعة كاملة من الخطط الغريزية للأرض، بما في ذلك البرنامج الغريزي للبشرية، الأنثروبوس. فنحن أيضاً حيوانات في حديقة الحيوانات الشاسعة والمتنوعة لموطن غايا.

15

طريق الكاشفين

لقد عاشت صوفيا العديد من المشاعر في عملية تحولها إلى غايا، الأرض الحية. إذا كنت تريد أن تعرف ما هي، فاخرج وقم بنزهة في الطبيعة، في البرية. انظر إلى ما تشعر به - أو الأفضل من ذلك، انظر من خلال مشاعرك. بالطبع، ليس كل ما قد نشعر به في حضرة الطبيعة يتوافق مع ما شعرت به الإلهة وهي تتحول إلى الكوكب، أو كما هي الآن وقد تحولت بالكامل. لكن بإمكاننا أن نتعلم كيف نشعر بدقة بما يشعر به الكوكب. بإمكان البشر أن يتعاطفوا مع مشاعر صوفيا. يمكننا أن نجعل من الرهبة منهجاً ونصبح كائنات متجاوزة للوعي. وبذلك، قد ندرك إحساساً مختلفاً بالإنسانية.

إذا كان الغنوصيون على حق، فنحن نوع مجهز عاطفياً لننمو في التعاطف مع صوفيا، ونعرف كيف نندمج في قصتها.

الحكمة الطبيعية

ادعى كاشفو الغنوصية، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم أبناء شيث، نسبًا مقدسًا يعود أصله إلى عصور ما قبل التاريخ. كانت هناك قوة عظيمة ودائمة فيما عرفوه، ومع ذلك لم يتمكن حراس الأسرار من الحفاظ على أسلوب حياتهم بعد عام 400 ميلادي. لماذا؟ قد يكون أحد الأسباب هو أن المقدس، كما يتجلى في التجربة الإنسانية، لا يمنح قوته للعدوان والهيمنة. وبالتالي، قد يكون من الصعب حمايتها أيضاً. لم يكن الأمر يقتصر على قمع التعاليم والممارسات الخاصة بتجربة الأسرار فحسب، بل كان يجب قمع الاعتراف بألوهية الطبيعة، وهو أمر فطري للجنس البشري وضروري لبقائه، حتى تسود الديانة الخلاصية ويتم تنفيذ البرنامج العالمي للنظام الأبوي. يمكن فهم هذا العمل الجليل للهيمنة على أفضل وجه من خلال النظر في عقلية أولئك الذين حققوه.

لاحظ السير جون وودروف أن "إحدى السمات القديمة للأسرار القديمة هي التمييز الذي ترسمه بين المتأهل الذي تكون شاكتي (قوة الإلهة) مستيقظة (برابودها) وباسو، الإنسان غير المستنير أو "المادي"، كما أطلق عليه الغنوصيون". بالنسبة للمطلعين الذين كانوا على علاقة وثيقة مع صوفيا، كان "الإنسان المادي" هو الشخص ذو العقلية المادية الذي لا يرى في الطبيعة سوى مخزن للموارد التي يجب استغلالها لأغراض بشرية، أو حتى لمجرد النزوات. كتب وودروف: "إن الطبيعة، التي هي تجلي من تجليات أم الطبيعة، والروحانية أو الأم كما هي في ذاتها وبذاتها، هما واحد، ولكن فقط المتأهل يدرك هذه الوحدة حقًا"

.[198] ومن المفارقات، أنه يمكن تعريف الأشخاص الماديين بأنهم أولئك الذين لا يدركون الطبيعة الحقيقية للعالم المادي. وهذا يفسر كيف يمكن لثقافة المادية المتفشية أن تدمر بلا وعي الموارد الطبيعية للكوكب الذي نسكنه.

ومع ذلك، حتى في أسوأ مراحل الانغماس المجتمعي الكامل في التدمير الأعمى للعالم الطبيعي، لا

يزال الكثير من الناس يميلون إلى إدراك البعد المقدس للطبيعة ويتفاعلون سلبًا مع افتراس المادية. ثم يُجبرون، بدافع التعاطف مع غايا، على تبني موقف عدائي للدفاع عن النفس والدفاع عن الطبيعة. إن العدوانية أساسية للمادية، ولكنها يمكن أن تلعب أيضاً دوراً في الدفاع عن المقدس، بما في ذلك قدسية الأرض والحياة غير البشرية. وقد لاحظ إريك فروم الفرق بين العدوان المفترس والعدوان الدفاعي، حيث يؤكد أن "الإنسان حيوان غير مفترس من الناحية التطورية، وبالتالي فإن عدوانه، فيما يتعلق بجذوره العصبية الفيزيولوجية، ليس من النوع المفترس". [199] الأمر متروك للاختيار بين تصديق هذا الرأي أو الرأي المعارض القائل بأن البشر مفترسون بطبيعتهم، ويميلون إلى القتال بشراسة من أجل "بقاء الأصلح". على أي حال، يمكن للمنطق السليم أن يميز بين العدوان في حد ذاته والعدوان (استخدام القوة العنيفة) في سبيل الدفاع عن النفس. يبقى أن نرى كيف يمكن تطبيق العدوان الدفاعي لتحدي وهزيمة العدوان المفترس ضد الكوكب.

ومع ذلك، فقد كان من الواضح أن المتأهلين الغربيين في زمن هيباتيا كانوا قادرين على رؤية مخاطر المادية - المتجذرة في الأجندة الأبوية مع برنامجها الخلاصي للفداء كغطاء، والذي فهمه المتأهلون بعمق كبير وبفطنة نفسية كبيرة، بما في ذلك العامل الأركوني - إلا أنهم لم يكونوا قادرين على التصرف بقوة كافية من العدوان الدفاعي لحماية الأسرار. في غضون بضعة قرون، قضت عليهم موجة الهوس الخلاصي المتصاعدة.*

الابتكار البشري

لقد دمر انتصار المسيحية تقاليد الأسرار وترك عمل كاشفي الغنوصية في حالة خراب. كان الكشف السامي عن غايا صوفيا غير مكتمل، ولكن هذا كان، بمعنى ما، الطريقة التي تصورها بها التليستاي دائمًا. يقول نص ديني تانتري: "الكشف *(أكاسافاني)* لا يتوقف أبداً". "حيثما وُجد ريشي أو رؤيوي حقيقي، وُجد الكشف".[200] لم تكن المأساة في عدم اكتمال العمل العظيم للتأهيل، بل في أن الالتزام الألفي بتعزيز الإمكانات البشرية قد تم قطعه بوحشية وجهل.

لكن العمل العظيم مستمر، وقصة صوفيا لا تزال مستمرة. تقدم الحلقة 9 المفهوم الرائع لـ *(diorthosis)* "تصحيح" صوفيا ، على عكس "تحولها" *(epistrove)*، وهي العملية التي تحولت من خلالها إلى الأرض مع بقائها في جوهرها ما هي عليه، تيار هائل من النور العضوي (الحلقة 7). كلا هذين المفهومين أساسيان لتفاعلنا مع الإلهة، الأول لأننا متورطون بطريقة ما في تصحيحها، والثاني لأنه فقط من خلال التواصل التعاطفي مع صوفيا في العناصر المادية للمحيط الحيوي يمكننا أن نعيش الدور الذي حلمت به للإنسان.

بعد شفاعة الكريستوس، تُركت الإلهة لمواردها الخاصة. بعد أن أصبحت صوفيا متحدة تماماً مع عمليات الحياة على الكوكب الذي أصبحت عليه، تجد نفسها في عالم أحلامها الخاص. يمكن القول إن عزلتها تكاد تكون أشبه بعزلة التوحد. تدريجياً، يظهر نوع معين يسمى البشرية وينضم إلى الأنواع الأخرى التي تعيش في موطن غايا. إن انكشاف الابتكار البشري، الذي كانت الإلهة تنتظره بشغف، قد بدأ الآن. بالنظر إلى النطاق الواسع للقصة المقدسة، فمن السهل أن نستبعد أنفسنا من الصورة! لكن صوفيا لا تفعل ذلك أبداً. لفهم كيف نتورط في أحلامها، دعونا نلخص الأحداث:

بعد أن تم إطلاق نقطة تفرد كعرض غير أناني من المصدر (الحلقة 1)، اتحدت صوفيا وثيليتي في رقصة طقسية لتشكيل الأنثروبوس (الحلقة 2)، وبالتالي ترميز جينوم جنسنا بمجموعة محددة من السمات والمواهب. ثم قام البليروما ككل بإسقاط الأنثروبوس في الديما، وهي حقول المادة الأولية أو دون الذرية التي تدور في أطراف المجرة (الحلقة 3). عندما سقطت صوفيا من البليروما (الحلقة 4)، قادها افتتانها بالابتكار البشري إلى عالم الأحلام الناشئ في الفوضى بالأسفل، لكنها لم تكن تعلم أنها ستتحول هي نفسها إلى ذلك العالم! تسبب فعلها المحفز في ظهور الأنواع الغريبة غير العضوية من الأركونات. قبل أن تتشكل الأرض، شرعوا بسرعة في بناء نظامهم العالمي الخاص، تحت إشراف الديميورج المتغطرس الذي اعتبر نفسه الإله الوحيد في الكون (الحلقة 5). لإذلال الديميورج، استدعت صوفيا "طفل النور الخالد، الأنثروبوس"، الذي رأت حضوره في وهج سديم الجبار.[201] وكان النجم الأم ساباوث، المولود من السديم، يتكون أيضًا من مادة غير عضوية مثل عالم كواكب الأركونات. لكن ساباوث أعجبت كثيراً بالتناقض بين الأنثروبوس والأركون لدرجة أنها "تابت" وانضمت إلى صوفيا (الحلقة 6).

أنثروبوس والأركون الذين "تابت" وانضمت إلى صوفيا (الحلقة 6). ثم تحولت صوفيا إلى الأرض، التي أصبحت محتجزة في ذلك النظام (الحلقة 7). وأخيراً، أدى جهد متضافر من قبل الأيونات البليرومية إلى الشفاعة الكريستوسية، وهي مهمة إنقاذ لمساعدة صوفيا في إدارة نسلها الواسع والمتنوع (الحلقة 8).

إن وعد الإمكانات البشرية هو التفرد الذي يتلألأ في حلم صوفيا، ولكن مع هذا الابتكار يأتي خطر معين من الانحراف. دعونا نتذكر أن صوفيا نفسها انحرفت عن النظام الكوني، "مدفوعة بالحب أو الشوق الجريء"، كما يقول إيرينيئوس. تُطلق على الإلهة، التي تدفعها رغبتها الخاصة وتتصرف دون قرين، اسم *(Prunikos)* برونيكوس، أي "الوقحة، التي تتجاوز حدود اللياقة". يمكن مقارنة فعلها بالاستعراض الفاضح للذات الذي تقوم به عاهرة. بتحويل تياراتها الإلهية إلى المادة الحسية والمادية للأرض، انغمست "عاهرة الحكمة" في الشهوة مع العناصر.[202] إلى جانب العاطفة والمتعة على نطاق كوني، عانت صوفيا من تقلصات هائلة من الحزن والارتباك.

> يزعمون [الهراطقة] أن هذه المجموعة [من أهواء صوفيا] كانت جوهر المادة التي تشكل منها هذا العالم. فمن [رغبتها في] العودة [إلى من وهبها الحياة]، استمدت كل نفس تنتمي إلى هذا العالم، ونفس الديميورج نفسه، أصلها. كل الأشياء الأخرى تدين ببدايتها لرعبها وحزنها. فمن دموعها تشكل كل ما هو سائل؛ ومن ابتسامتها تشكل كل ما هو لامع؛ ومن حزنها وحيرتها تشكلت كل العناصر المادية للعالم. ففي وقت من الأوقات، كما يؤكدون، كانت تبكي وتنوح بسبب تركها وحيدة في وسط الظلام والفراغ؛ بينما في وقت آخر، كانت تتأمل في النور الذي تخلى عنها، فتمتلئ بالفرح وتضحك؛ ثم، مرة أخرى، يصيبها الرعب؛ أو في أوقات أخرى، تغرق في الذهول والحيرة. (إيرينيئوس, 4.2)

قد يكون التعاطف مع محنة الإلهة أمراً ضرورياً لفهم كيفية مواجهة محنتنا على الأرض. في الرؤية

الغنوصية، يعتبر الجنس البشري المرتبط بالأرض واحداً من العديد من الحالات الشاذة الممكنة التي تم إسقاطها من النموذج الرئيسي، الأنثروبوس. مثل الإلهة، نحن أيضًا متشابكون حسيًا وجسديًا في العالم الأرضي، ونحن عرضة بشكل خاص للتأثير الخارجي للأركونات الذين ظهروا كأثر جانبي شاذ لسقوط صوفيا. بطريقة غامضة، يبدو أن إعادة تنظيم الإلهة مع المركز الكوني - تصحيحها - يعتمد على النوع الأكثر تورطًا في انحرافها.

لم يحدد الغنوصيون بدقة كيف يساهم الجنس البشري في تصحيح صوفيا؛ أو إذا فعلوا ذلك، فإن الأدلة لم تنجُ. لكن الكتابات التي لدينا توضح أن البشرية تواجه تحديًا ثلاثيًا: الاعتراف بأصولها الكونية الحقيقية في البليروما، وإيجاد مكانتها التطورية في المحيط الحيوي، وتطوير إمكاناتها الفريدة، وبالتالي تحقيق الهدف *(telos)* النهائي أو ذروة التطور لنوعنا. وقد يكون هناك تحدٍ إضافي، لأن تصحيح صوفيا يحمل نوعاً من التحدي المتعالي للبشرية. إنها تحثنا على إدراك وتفعيل دورنا في أغراض غايا ما بعد الإنسانية حتى يمكن إكمال هدفها التطوري بالتواطؤ مع النية البشرية.

هكذا هي "الصلة الكونية" للبشرية، وفقًا للرؤية الصوفيانية للأسرار. لكنّ عرّافي ذلك التقليد القديم حذروا من أن البشرية لا تستطيع إقامة هذا الاتصال دون التغلب على الانحراف الخبيث الذي يمثله أبناء عمومتنا الكونيون، الأركونات.

نظرية الخطأ

> المعرفة الذاتية متألقة بذاتها وأساسية، وهي أساس كل المعارف الأخرى. نظراً لتجاوزها للحدود، فهي تتجاوز كلاً من المُثبت والبرهان. إنها محققة لذاتها (سفانوبهافا). لكن شروتي (Shruti) (الكشف) هو المصدر الذي تنشأ منه هذه المعرفة، كما يقول شامكارا، عن طريق إزالة (كما قد يفعل العقل إلى حد ما) المفاهيم الخاطئة المتعلقة بها. يكشف ذلك عن طريق إزالة الكتلة الهائلة من الأخطاء البشرية.[203]

لم يطرح المعلمون في مدارس الأسرار أي تعارض بين العقل والكشف. لقد جمعت طريقة إرشادهم (الطريقة التليستية) الغائية بين الاثنين، مما سمح لأحدهما بتعزيز الآخر، ولكن مع الحرص على منع الجانب العقلاني والاختزالي للعقل من تثبيط استقبالنا الفطري للطبيعة المقدسة. يُظهر وودروف براعة غنوصية عندما يؤكد أن الكشف يزيل "الكتلة المهيمنة من الخطأ البشري". في دورهم كحراس للكشف المستمر لصوفيا، كان الغنوصيون مهتمين بشدة بالخطأ البشري، المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعامل الأركوني في نظرتهم للعالم.

تُعد نظرية الغنوصية للخطأ واحدة من أكثر الأفكار تعقيدًا التي توصل إليها العقل البشري في محاولته لفهم نفسه. لا يجعل ذلك الأركونات مصدرًا للخطأ البشري، ولكنه يشير إلى تأثيرهم النفسي الداخلي كعامل رئيسي يتسبب في انتشار الخطأ بشكل كبير، ويتجاوز نطاق التصحيح. الإنسان

حيوان متعلم. لكي نتعلم، يجب أن نكون أحراراً في الخطأ، في ارتكاب الأخطاء، لأنه من خلال تصحيح أخطائنا نتقدم في عملية التعلم بطريقة فريدة لنوعنا. إننا نتطور تحديداً بسبب النطاق الاستثنائي للخطأ الذي سُمح لنا به. إننا لا نتطور فقط من خلال التعلم، كما تفعل جميع الكائنات الحية، ولكن بشكل خاص من خلال التعلم من أخطائنا. إن هامش الخطأ الواسع بشكل استثنائي هو سمة مميزة للتفرد البشري، وهو بصمة جنسنا البشري. لكن إذا سمحنا لأخطائنا بالمرور دون اكتشافها ودون تصحيحها، فإننا نظهر تلك التفردية بطريقة مدمرة، بطريقة منحرفة. إن البشرية وحدها قادرة على هذا الانحراف الواسع عن خطة حياة صوفيا لدرجة أننا نهدد بقاءنا، بل ويبدو أننا نعرض الكوكب نفسه للخطر.

باختصار، الخطأ الذي يتجاوز نطاق التصحيح يصبح شراً، وهو ما يتعارض مع قدرتنا على العيش على الأرض، في تكافل مع جميع الأنواع ومتناغمين مع صوفيا نفسها.

كانت الطريقة التلستيية الغائية للكاشفين رباعية الأبعاد: الحفاظ على الكشف المستمر عن صوفيا الإلهية في تجربة السر (التعليم من خلال النور)؛ تنمية الإمكانات البشرية من خلال الجوانب العديدة للموهبة الفردية (تفرد الإنسان)؛ تعليم نظرية الخطأ (بما في ذلك "الغرابة الشديدة" للانحراف من قبل الأركونات)؛ وتطوير ممارسات رؤيوية لتحقيق دور البشرية في تصحيح صوفيا. هكذا كانت أجندة الأسرار، العمل العظيم للتطور المشترك الذي قاطعته بوحشية هجمة المسيحية.

التجربة القصوى

يسلط المقطع المذكور أعلاه من السير جون وودروف الضوء على التوازي بين التعاليم الغنوصية والتعاليم الآسيوية حول الطبيعة المحررة للذات للوعي الأساسي. ريغبا، وهو الاسم الذي يطلق على الوعي الأساسي في دزوغشن، يعادل كلمة برونويا الغنوصية، والتي تعني حرفياً "المعرفة المسبقة".

يُفهم ذلك بمعنى الوعي الأساسي الذي يوجد قبل ظهور أي معرفة ويجعل كل المعرفة ممكنة. تؤكد كل من مدارس تشان، وزين، ودزوغشن على حد سواء أن الوعي البدائي لا يمكن تدنيسه أو إخفاؤه، على الرغم من أنه يبدو كذلك. إن إدراك التنوير يعني معرفة كيفية قيام الوعي الأساسي بتطهير نفسه وتحريره بشكل عفوي، لحظة بلحظة. كان من الممكن أن يتم إدراك هذه الرؤية المتعالية وتطبيقها عالميًا من قبل كاشفي التقاليد الغنوصية. كان الكاشف بمثابة بوذا حي، ومعلم للتنوير. وهكذا كان التيلستاي، أي المعلمين في الأسرار، يشبهون بوذا، ومع ذلك لم يقتصر تعليمهم على التنوير أو الطبيعة المحررة للذات للعقل. لقد علمونا كيف نمتلك ونطور شرارة العبقرية الإبداعية الفطرية في جنسنا البشري.

لقد اختلف تقليد الأسرار الغربي عن نظيراته الآسيوية في نقطتين متميزتين: تركيزه التعليمي، الذي تم ذكره للتو، وتفانيه في خدمة الأم العظيمة، غايا صوفيا. على الرغم من وجود أدلة وافرة لمساواة، على سبيل المثال، براجنابارامیتا في البوذية الماهايانية مع إيون صوفيا عند الغنوصيين، إلا أن هناك اختلافات كبيرة يجب ملاحظتها أيضًا. يؤكد علماء الدين مثل جوزيبي توتشي وإدوارد كونز أوجه التشابه - على سبيل المثال، وصف توتشي حكمة التانترا الهندوسية بأنها "تعبير عن الغنوص

الهندي" - لكنهم يميلون إلى تجاهل الاختلافات. تُحدد مقالة كونز الحاسمة، "البوذية والغنوص"، التي نُشرت عام 1979، ثمانية أوجه تشابه أساسية وثلاثة وعشرين تشابهًا وثيقًا بين النظامين. وفي ملاحظة رئيسية حول الاختلافات، كتب كونزي:

> إن مضمون أدب صوفيا الغنوصية يختلف جوهرياً عن مضمون كتب الحكمة البوذية. انطلاقاً من افتراض أن الإنسان قد سقط إلى هذا العالم من حالة أكثر كمالاً، بذل الغنوصيون الكثير من البراعة في محاولة وصف العملية التي أدت إلى هذا السقوط. لا يُظهر البوذية الكلاسيكية أي اهتمام بما قد يكون سبق الجهل.[204]

على الرغم من أن هذه الملاحظة تسيء تفسير تعاليم الغنوصية حول السقوط، إلا أنها ذات صلة كبيرة في مقارنة الكاشفين بنظرائهم الآسيويين. لم يقل الغنوصيون أن البشر قد سقطوا إلى هذا العالم من حالة أكثر كمالاً. هذا هو المفهوم الخاطئ الأكثر شيوعاً وخطورة حول التعاليم الغنوصية، والذي يردده الكثيرون. انطلاقاً من تجاربهم الرؤيوية، أكد الغنوصيون أن جزءاً من الألوهية يندرج ضمن تفاعل غير عادي مع التطور المادي. صوفيا هي التي تسقط، وليس البشرية. لكن هذا الفعل ليس انقسامًا في الألوهية، كما هو مفترض في الثنائية الفارسية (ميتافيزيقا المصدر المنقسم). ويرجع ذلك إلى فيض من الكرم الإلهي. سقطت صوفيا في حلمها الخاص، لكن الحلم كان شاذًا لأن الإلهة انخرطت فيه من جانب واحد، دون قرين بليرومي، ثم تجاوزت حدود البليرومي. أصبح انبثاقها الاستثنائي موطننا.

إن فكرة أن البشرية تعاني من سقوط، غريبة عن التعاليم الغنوصية الحقيقية، وتتعارض مع الروح الأرضية للأسرار. لا يوجد في قصة صوفيا ما يقول أن الإنسان يسقط من حالة أكثر كمالاً، ولكن هناك تحذير واضح من أن جنسنا قد يقع تحت التأثير المنحرف للأركونات، أبناء عمومتنا الكونيين الموجودين هناك في النظام الكوكبي. إن التحذير الذي تحمله القصة هو أننا قد نخون إنسانيتنا من خلال الفشل في إدراك وتحقيق إمكاناتها الفريدة. وغني عن القول، إذا كنا نجهل أن لدينا إمكانات إلهية في المقام الأول، فمن غير المرجح أن نمتلكها ونطورها.

أشار كونزي بحق إلى أن البوذية لا تُظهر أي اهتمام بما يُدخل البشرية في الجهل، ولكن في تقليد الأسرار، فإن معرفة كيفية حدوث ذلك كانت نصف العمل. بسبب تركيزها المفرط في كثير من الأحيان على طبيعة العقل، فإن البوذية تفتقر للنهج الذي يركز على الطبيعة لدى الغنوصيين. إن أكبر فرق بين البوذية والغنوص هو أن الغنوص يقدم سردًا توجيهيًا، ونصًا إرشاديًا لمساعدة البشرية على إيجاد مكانتها في العالم الطبيعي، بينما لا تفعل البوذية ذلك.

دعونا نتذكر أن أتباع الأسرار لم يطلقوا على أنفسهم اسم الغنوصتيكوي، وهو اسم أطلقه عليهم خصومهم، آباء الكنيسة، بطريقة مهينة، بل أطلقوا عليهم اسم التيليستاي (المعلمين في الأسرار)، أي "المستهدفون". الاسم *telos* يعني "الهدف" أو "الغاية" أو "الغاية القصوى التي يمكن تحقيقها"، ولكنه لا يعني الكمال. "الغاية القصوى" يمكن تحقيقها بشكل كبير من خلال تطوير إمكانات معينة

إلى مستواها الأمثل، لكن الكمال غير قابل للتحقيق. إن معيار الصادق الذي يفرضه أتباع البحر الميت يشير إلى مستوى من الكمال الخارق الذي لا يمكن تحقيقه، على الرغم من أن الإنسانية تُقاس بجهودنا لتحقيقه. إن المعيار الخارق للطبيعة للصادق يحدد الدين الخلاصي ويخضع أتباعه لمطلب لا يمكن تحمله وغير إنساني. لكن الغائية تشير إلى ما يمكن تحقيقه فعلياً، والطريقة التلسية توضح طريق التحقيق. إن التناقض بين ″صادق″ و"تيلوس" هائل، ولا يمكن التوفيق بينهما.

أصف الأسرار بأنها طقوس غائية تهدف إلى تعزيز الإمكانات البشرية إلى مستواها الأمثل أو ذروتها. وفي هذا الصدد، كان للمنهج التليستيي (الغائي) الكثير من القواسم المشتركة مع "الموجة الرابعة" لعلم نفس ما وراء الشخصي التي اقترحها أبراهام ماسلو (1908-1970). بدلاً من بناء النظرية النفسية على حالات المرض العقلي، كما فعل كل من فرويد ويونغ، اقترح ماسلو أن يبنيها على ″التجربة القصوى″، وهي أفضل ما حققه البشر - الغائية، أي الغاية القصوى. يمثل علم نفس ما وراء الشخصي ذروة حركة الإمكانات البشرية، لكن ماسلو، مثله مثل موسى، رأى أرضًا موعودة لم يعش هو نفسه لدخولها. كتب في مقدمة الطبعة الثانية (1968) من كتاب ″نحو علم نفس الوجود″:

> أعتبر علم النفس الإنساني، أو ما يُعرف بعلم النفس من القوة الثالثة، مرحلة انتقالية، تمهيدًا لعلم نفس رابع "أسمى"، يتجاوز حدود الشخصية والإنسان، ويتمحور حول الكون بدلًا من الاحتياجات والمصالح الإنسانية، متجاوزًا مفهوم الإنسانية والهوية وتحقيق الذات وما شابه.[205]

أولئك الذين ارتقوا إلى الرتب العليا في الأسرار تعهدوا بالالتزام المقدس بتوجيه البشرية من خلال تعليم التوجيه الذاتي. قبل آلاف السنين، كانوا يعملون بالفعل في المجال الذي تصوره ماسلو في الستينيات. لقد لبّت الطريقة التليستية (الغائية) الاحتياجات البشرية وتجاوزتها، مما فتح الطريق أمام البشرية للتوافق مع أغراض غايا ما بعد الإنسانية. تضمن الالتزام المقدس لحراس مدرسة الأسرار العديد من المبادرات التي كانت مشتركة بين جميع الخلايا في جميع أنحاء الشبكة في أوروبا وبلاد الشام ومصر: التعليم بواسطة النور، والمشاركة في دورة الكاشف، وتكريس الأنثروبوس، والكشف عن المرشد الداخلي، وتطوير القصة الإرشادية، قصة صوفيا.

هذا هو إرث الكاشفين، الوعد الخالد للغنوص، الحكمة المطلقة، الغنوص كما تعرفها الآلهة.

---

* للاطلاع على مصير الأسرار بعد عام 400 ميلادي، والتدابير المتخذة لحماية وإخفاء حراس الرؤية الصوفيانية الباقين على قيد الحياة، انظر مقالتي "قانون المحارب الروحي" على موقع Metahistory.org.

16

حزمة من القمح المقطوف

كتب الخطيب اللاتيني شيشرون، المعروف بأنه قد تم تأهيله في أسرار إليوسيس: "في الأسرار يتعلم المرء عن الطبيعة أكثر مما يتعلم عن الآلهة" (في طبيعة الآلهة، 1.42). مع وجود قصة صوفيا الساقطة في قلب نظرتهم للعالم، تم تكريس المتأهلين الوثنيين لاستكشاف البعد الخارق للطبيعة. وللحفاظ على تواصلهم مع الإلهة حياً ومنفتحاً، ولتوجيه عقولهم نحو أغراض غايا المتجاوزة للإنسان، انغمسوا مراراً وتكراراً في انغماس عميق وواعٍ مع الطبيعة. الطريقة التي استخدموها لخوض تجربة التعلم النهائية منحتها لهم الإلهة نفسها، كما هو موضح في ترنيمة هوميروس الموجهة إلى ديميتر:

> علّمتهم طقوسها، وكشفت لهم أسرارها الجميلة.
>
> والتي يستحيل تجاوزها، أو التجسس عليها، أو الكشف عنها، لأن رهبة المرء من الآلهة عظيمة لدرجة أنها تخنق اللسان.

كما تشير الترانيم إلى الطقوس المقدسة التي تُقام في طقوس الإلهة: "أخفت الأرض الشعير الأبيض، وفقًا لخطة ديميتر، صاحبة القدمين الجميلتين".[206]

نقش أسرار إليوسيس البارز

ذكر هيبوليتوس (170-236 م) الذي طارد الهرطقات تفصيلاً مذهلاً من شهود عيان من الأسرار التي حيرت العلماء عبر العصور: في اللحظة التي خرج فيها المتأهلون من لقائهم مع نور الأسرار، أظهر لهم الكاهن الأكبر الذي قاد الحفل "حزمة من القمح المقطوف". كان هذا الفعل يعتبر "السر العظيم والرائع للكشف النهائي" (دحض جميع الهرطقات، 5.28-31). تقدم شظايا من أطلال إليوسيس ثلاث صور تجسد تنظيم ومنهج ومصدر الإلهام الغنوصي الخارق للطبيعة، وتجعل هذا التلميح الغامض مفهوماً. يُظهر لوحة العتبة في البوابة الصغيرة حزمة القمح المقطوف، "الشعير الأبيض"، المصدر البيولوجي للتنوير الصوفي. وبجانبها وردة مكونة من ستة عشر بتلة ذات بتلات داخلية وخارجية. وبجوار ذلك صورة لجرة منتصبة أو عمود حلقي.[207]

كانت الوردة رمزًا لتنظيم خلايا الأسرار التي تتكون من ستة عشر خبيرًا، ثمانية رجال وثماني نساء كما هو موضح في وعاء أورفيك للثعبان المجنح ووعاء بيتروواسا، وهما قطعتان أثريتان نادرتان باقيتان من طقوس الأسرار.[208] في وعاء أورفيك المنحوت من المرمر الأبيض المخضر،

يرقد ستة عشر متأهلا عاريًا، رجالًا ونساءً بالتناوب، على ظهورهم وأقدامهم متلامسة. في وسط الوعاء يوجد ثعبان الكونداليني المجنح، وهو المصدر الخفي للحيوية الفائقة والتجدد والقدرات الخارقة.

الرقم ثمانية وثمانية مضاعفان هما سمتان عالميتان لخلايا الأسرار. يعرض معبد دندرة في واجهته الخارجية وردة كبيرة ذات ثماني بتلات بجوار رأس ثور. تُخبر هذه الشفرة الرسومية أولئك الذين يستطيعون قراءتها أن خلية الأسرار التي تعمل من ذلك المعبد قد أرّخت نشأتها إلى عصر الثور الذي بدأ في عام 4,480 قبل الميلاد. على الرغم من أن معبد دندرة هو بناء متأخر من العصر البطلمي (332-30 قبل الميلاد)، إلا أن دائرة الأبراج الخاصة به تشهد على معرفة دقيقة بالتوقيت الكوني بناءً على دورة التراجع الكاملة التي تبلغ 25,920 عامًا. تشير المحاور المنقوشة على دائرة الأبراج في دندرة إلى تواريخ محددة في عصر الثور وحتى قبل ذلك، وهي تواريخ معروفة بأنها مرتبطة بلحظات رئيسية في تاريخ السلالات الحاكمة. كان أعضاء خلية أسرار الدندرية - المصدر المحتمل لمخطوطات نجع حمادي، كما هو مقترح أعلاه - على دراية تامة بالحفاظ على المعرفة المقدسة التي تعود إلى آلاف السنين. اعتمدت الطريقة التليستية على امتلاك المتأهلين نظرة عامة واسعة عن التطور البشري والكوكبي، حتى يتمكنوا من تحديد الدروس المناسبة للبشرية في كل عصر فلكي. في شفرة الأسرار، يشير "الثامن" أو أجدود إلى عالم الأبراج، بالإضافة إلى دائرة البارعين الذين استنبطوا في أنماط الأبراج الدوافع التوجيهية لتطور غايا.[209]

في طقوس التأمل التبتية، يتضمن استدعاء تارا البيضاء تصور "عجلة بيضاء ذات ثمانية أضلاع في مركز شاكرا القلب". تظهر العجلة من فيضان من الضوء الأبيض الذي يُرى عندما يتحد الممارس مع صورة بوذا الأنثى. يُطلق على الإله الخاص بهذا التصور اسم تشينتاشاكرا تارا، "تارا عجلة تحقيق الأمنيات".[210] من المحتمل أن تكون عجلة القانون الثمانية، رمز بوذا دارما، هي شكل آسيوي من وردة الأسرار. حدث التلاقح بين الحركات البوذية والغنوصية في منطقة غاندارا في هندوكوش، وهي أقصى نقطة توغل إليها الإسكندر الأكبر في آسيا الداخلية.[*]

تمثل البتلات الداخلية للوردة المزدوجة في أسرار إليوسيس المتأهلين المكرسين للاحتفاظ بالتعليمات وتطويرها من خلال اللقاءات المتكررة مع نور الأسرار، بينما تمثل البتلات الخارجية المتأهلين الثمانية المكرسين لتفسير تلك التعليمات وترجمتها ونقلها خارجياً. كان يتم التناوب بين هذين الدورين بشكل دوري، مما يسمح للبارعين بالتركيز على مهام مختلفة في نوبات عمل مختلفة. بُذلت جهود متساوية ومتكاملة في الحفاظ على العمليات السرية (أورغيا، "أعمال") الخلية والحفاظ على الأنشطة الخارجية والتعليمية والتدريبية لأعضاء الخلية. تغيرت الأدوار موسمياً وعكست أسلوب التأهيل القديم المتمثل في توجيه المجتمع من خلال طقوس الموت والتجديد التي تتمحور حول الإلهة. تم توجيه المعابد نحو النقاط الموسمية حتى يمكن أداء هذه الطقوس في الموقع.

قبل بناء المعابد، كان كل هذا يتم في الطبيعة المفتوحة، في البيئة المهيبة للدوائر الضخمة، والدولمنات، والأحجار القائمة، تحت النجوم الدائرة.

تشهد جميع الشهادات القديمة المتعلقة بالأسرار على اللقاء السامي مع النور الإلهي. هذا شكل من أشكال الإشراق الذي لا يظهر للوعي العادي، وذلك بسبب مرشحات الإدراك البشري، بما في ذلك

مرشح الأنا. إنّ بريق التأمل الذاتي الذهني يشبه الضوء الساطع على زجاج النافذة، مما يجعل الرؤية من خلال النافذة مستحيلة. بمجرد أن يتلاشى الأنا، تتغير معايير الإدراك ويصبح النور حاضراً، حضوراً جوهرياً في العالم، ناعماً وأبيضاً وبلا ظلال. كما أنه كائن واعٍ، ومتحرك، ومُحرك، ومدرك لذاته ولما يتلامس معه. يشيد المتصوف المستنير في كتاب صوفياً يسوع المسيح بجمال "النور الذي يضيء دون أن يلقي بظلاله، المليء بالفرح والبهجة التي لا توصف" (مخطوطة برلين 115). النور العضوي موجود في كل مكان ويتخلل كل شيء. إنه لا يضيء على ما يُرى بل مما يُرى، إذ يصدر إشعاعًا أبيض ناعمًا بملمس يشبه المارشميلو، تطفو فيه المادة.

لقد واجه المتأهلون النور الحي عندما تغير إدراكهم بسبب موت مؤقت للأنا نتيجة تناولهم المشروب المقدس، الكيكيون. وبمجرد دخولهم في حضرته، تلقوا التوجيه من النور نفسه. كان أحد أهم الدروس المستفادة من هذه التجربة يتعلق بطبيعة الإدراك. عادةً ما نفترض أن إدراكنا للكون ينشأ منا نحن، المتلقين. تبدو هذه النقطة بديهية لدرجة أنها لا تحتاج إلى جدال أو إثبات.

لكن ما تعلمه العارفون القدماء بالأسرار عن تصورهم للعالم كان مختلفًا تمامًا عن هذا الافتراض.

عقل آخر

يمثل الإناء الأسطواني المرسوم بنقش بارز على واجهة إليوسيس تيار النور العضوي الذي تم تصوره على أنه هطول غزير يتشكل في أعمدة مستديرة قائمة. كان التليستيريون أو الحرم الداخلي حيث يلتقي المتأهلون بالنور يتألف من العديد من الأعمدة. كان المتأهلون في الأسرار في حالة متغيرة تتحرك بينهم كما لو كانت ترقص عبر شلالات نياجرا بطيئة من الرخام المنصهر. في الشلالات الساكنة كان هناك سكون تام، عميق وكثيف كبركة لا قعر لها من الرعد المتدحرج، صوت الصمت، أوم. عندما ركز البارعون على إشارات وعلامات معينة، انكسر الصمت المتواصل إلى صمت يتردد صداه بتناغم غني من النغمات. بفضل تدريبهم على الاستبصار السمعي، كان التيليستاي (المعلمين في الأسرار) يستمعون بتمييز دقيق للنغمات، قادرين على تتبع إيقاع نغمات محددة كما لو كانوا يتتبعون عرقًا من الخام الثمين. يمثل النقش البارز على الجملون كلاً من الجرة (صوت أجوف للصمت المتدحرج) والأسطوانة المصقولة المزودة بحلقات (إيقاعات عالية للصمت الرنان). كانت التدفقات الهائلة للنور العضوي عبارة عن تيارات صوتية بالإضافة إلى موجات مرئية من إشعاع باهت ولامع.[211]

بعض نصوص الأسرار في مخطوطات نجع حمادي تقارن نور الأسرار بنافورة تفيض بتدفق ناعم من السيول الهائلة. في الخطاب حول الثامن والتاسع، يصيح المتأهل قائلاً:

> أنا العقل ومع ذلك أرى عقلاً آخر، هو الذي يحرك نفسي. أرى ذلك الشيء الذي يدفعني إلى نسيان ذاتي تماماً... لقد وجدت أصل القوة التي تفوق كل القوى، والتي ليس لها بداية. أرى نافورة تفيض بالحياة. (passim 58) أولئك الذين يستطيعون توجيه انتباههم إلى

النور العضوي يدخلون "تجمع الثامن"، وهو مصطلح سري يشير إلى أعضاء الخلية المستقبلة (البتلات الداخلية). يصف "الكتاب السري ليوحنا" وكتاب "صوفيا يسوع المسيح" أيضاً تدفقات من الإشراق الصوفي. تم تصوير عملية "تنزيل" نور الأسرار من خلال العمود المنمق على واجهة إليوسيس. إن النور العضوي الخالي من الظلال أبيض ومرئي، ويتجلى في كل مكان، على الرغم من أنه لا يمكن ملاحظته في كل مكان في وقت واحد، بنظرة واحدة شاملة، لأنه يتجاوز حرفيًا قدرة الإنسان على الرؤية.

وللحفاظ على الطابع المقدس للأسرار، وضع التيليستاي (المعلمين في الأسرار) إرشادات دقيقة للتلقين. لقد أدركوا أن المسامية الناعمة والخالية من الكتلة للنور العضوي لا يمكن اكتشافها في الوعي العادي المقيد بالأنا. لكنهم فهموا أيضاً التردد في تفكيك الأنا، وميلها العنيد إلى إعادة فرض نفسها. معظم الوقت اللازم للتأهيل يتضمن التدريب والتوجيه الأوليين بهدف إيصال المتأهل إلى مستوى من الشفافية غير الشخصية، بحيث عندما يتم حل الأنا، تكون ميولها العنيدة للتجسيد ضئيلة. قبل وقت طويل من تلك النقطة، كانوا متأهلون، كان المشاركون قد حققوا بالفعل انخفاضًا غير عادي في تثبيت الذات. قد تستغرق التحضيرات الأولية ما يصل إلى واحد وعشرين عامًا، بينما تتم عملية التأهيل الفعلية في غضون أيام.

كانت الطقوس القديمة التي احتُفل بها في إليوسيس وأماكن أخرى تتطلب سرًا مقدسًا لإذابة الأنا وإحداث إدراك غير عادي: وهو المشروب المُخمر من الشعير الأبيض. توضح هذه الممارسة الصورة الثالثة على واجهة إليوسيس: حزمة القمح المقطوف. يجب أن يتم استنباط الرؤية المقدسة للطبيعة من خلال السر الذي تقدمه الطبيعة لأن الاستسلام المطلوب للأنا لا يمكن تحقيقه طوعاً، ولأسباب أخرى أيضاً. استخدم التيليستاي (المعلمين في الأسرار) مزيجًا من النباتات المؤثرة على العقل لتخفيف ورفع المرشحات المعرفية التي تحجب الإدراك المباشر للنور العضوي بشكل مؤقت. وبذلك، اتبعوا الحكمة القديمة للشعوب الأصلية حول العالم. يذكر آندي فيشر في كتابه ″علم النفس البيئي الراديكالي″:

> إن حياتنا بين الآخرين هي حياة "تبادل روحي مستمر"، حيث يتم نقل قوى معاني الطبيعة من خلال أنواع مختلفة من التواصل. وهكذا، قد يكتسب الشخص قوى نبات أو حيوان عن طريق تناوله... من المعتقدات الشائعة لدى الأمريكيين الأصليين أن "إنسانيتنا تظل ناقصة وغير متزنة" حتى نتلقى مثل هذا التمكين من كائنات غير بشرية.[212]

أدرك المتأهلون في الأسرار أن الإلهة تطلب من أولئك الذين تكشف لهم عن نفسها التواضع للاعتراف بأنهم لا يستطيعون معرفة معنى أن يكونوا بشراً بشكل كامل دون التوجيه الملهم من الكائنات غير البشرية، بما في ذلك النباتات.

انطلاقاً من قلقهم العميق بشأن الآثار الجانبية للفصام وألعاب السيطرة الأنانية التي تتسم بها جماعة المتنورين وأتباعهم، اعتمد "التيليستاي" في "أسرار الوثنية" على عالم النبات للحصول على

التوجيه في برنامج التأهيل. وعلى النقيض من ذلك، حظر برنامج المتنورين إجراء التجارب على النباتات والزهور والفطريات الطبيعية ذات التأثير النفسي. في الرواية التوراتية، يمنع يهوه (كبير الأركونات أو الديميورج) آدم وحواء من أكل شجرة المعرفة، لكن الأسطورة الغنوصية تعكس الحبكة، جاعلة الحية حليفاً والثمرة المحرمة مصدراً للتنوير. إن الغرض من المحرمات الأبوية هو إنكار التجربة الدينية البدائية التي تصل إلى البشرية في تواصلها مع الطبيعة من خلال وسيط النباتات المقدسة المعلمة.* وفقًا للأطروحة التي اقترحها آر. جوردون واسون، فإن تناول النباتات المقدسة في الطقوس لم يكن فقط جوهر الممارسات الشامانية التي تعود إلى العصر الحجري القديم، بل هو أصل كل تجربة دينية حقيقية للجنس البشري.[213]

تناول المتأهلون في أسرار إليوسيس جرعة منشطة للوعي، تُسمى الكيكيون، لتحفيز استقبال خالٍ من الأنا للتواصل بين الأنواع.[214]في الأسرار القديمة كما في طقوس علم الأدوية النفسية الشامانية في جميع أنحاء العالم، توسطت النباتات المقدسة بين الشاهد البشري والنور العضوي،

وهو الجسد المادي الأساسي لصوفيا. إن الوعي الذي يحرك عالم النباتات غير البشري يبقي البشرية متواضعة ويشجعنا على مراقبة الحدود المناسبة بين الثقافة والطبيعة والحفاظ عليها.

إدراك غايا

"الآثار الإدراكية لـ غايا"، وهي مقالة كتبها ديفيد أبرام لمجلة عالم البيئة (1985)، هي بيان رائع حول نظرية غايا من حيث العلوم المعرفية وعلم المعرفة. على الرغم من أنها لا تشير إلى الأسرار، إلا أن هذه المقالة الواضحة تتطرق إلى السر النهائي للتأهيل. يؤكد أبرام أن الإدراك هو "ظاهرة متبادلة يتم تنظيمها من قبل العالم المحيط بقدر ما يتم تنظيمها من قبل الفرد نفسه". وهو يقترح ديناميكية ثنائية الاتجاه في الإدراك، على النقيض من عملية الإدراك أحادية الاتجاه المفترضة التي لا تؤثر على المتلقي، ولكنها تقدم فقط عالماً ليتم ملاحظته. يقول أبرام، الذي كتب قبل عقد من ظهور علم النفس البيئي، إن "النفسية هي خاصية للنظام البيئي ككل"، وينصح ضمنيًا بأن نتجاوز "الاقتناع بأن عقل المرء هو أي شيء آخر غير الجسد نفسه".[215]

ترتبط نقاط أبرام الثلاث ارتباطًا وثيقًا بالتوجيه من النور، وهي التجربة التأهيلية العليا التي بلغت ذروتها في أسرار إليوسيس بتلك الإيماءة الغامضة من الكاهن الأكبر. تظهر حزمة القمح المقطوف المعروضة على الجملون هناك بشكل أوضح في نقش بارز لسيكروبس ذي الذيل الثعباني، حارس المعبد في إليوسيس.[216]يمسك سيكروبس الحزمة على صدره ويشير بإصبعه إلى شفتيه.

ذكر هيبوليتوس، الذي لم يكن قد تم تأهيله، أن الكاهن الأكبر أظهر للمتأهلين "حزمة قمح تم حصادها في صمت". كشفت هذه الإيماءة "السر العظيم، الرائع، الأكثر كمالاً لمن تم إدخاله في أعلى الحقائق الصوفية" (دحض جميع الهرطقات، 5.3). هذا السر، الذي لا يمكن تعلمه إلا مباشرة من النور الإلهي، يكشف كيف أن إدراكنا للعالم يُعطى خارجياً، ولكنه يُعطى بطريقة تسمح لنا بتجربته على أنه ينبع منا، داخلياً.

لقد تم إعداد المتأهلين الذين شاهدوا الإيماءة المقدسة بعناية لإدراك عدة أمور في وقت واحد. كان ساق القمح الذي يحتوي في سنبلته على البذور اللازمة لتكاثر نفسه بمثابة انعكاس لتجربتهم، حتى وهم يشعرون بتأثيره البيوكيميائي. وبينما كانوا يقفون هناك في مجموعة، أدركوا أن عقولهم أصبحت الآن خصبة ببذور الحكمة التي سيتم نقلها إلى الأجيال القادمة. كانت حبة القمح في سنبلة القمح تحمل قدرتها على التكاثر، ولكن أيضاً، بسبب فطر الإرغوت، قدرتها على الكشف عن الحقائق. فهم *mystai* المتأهلون القوتين، البيولوجية والصوفية، كوحدة واحدة. لقد شاركوا في الجسد والعقل في نوع أعلى من الجيل، وهو نقل علم التخلق للحكمة المكتسبة. *

كشفت حزمة القمح المقطوعة للمتأهلين عن الطبيعة الحقيقية لنشاطهم الأدراكي: العقل البشري منفصل عن الطبيعة، مقطوع من الأرض، مصدره الطبيعي. يبدو أن العقل مستقل، كما لو أن إدراكنا للعالم نشأ منا. وقد تعززت أهمية درس الإيماءة الأخيرة للكاهن الأكبر من خلال مشهد حقول راريان حول إليوسيس، المليئة بالحبوب المتموجة في ضوء النهار الأول عندما خرج المتأهلون من المعبد. (كان يحتفل بالأسرار الكبرى في الخريف، قبيل موسم الحصاد مباشرة.) رأوا حزمة القمح المقطوعة في يد الكاهن الأعظم، وخلفها حقول القمح الناضج المتموجة التي تنبت من الأرض. في تلك اللحظة جاءت الفكرة الرئيسية للمستنيرين، ما عرفوه من خلال التوجيه من النور: كما أن القمح يُعطى لنا من قبل ديميتر، كذلك هو إدراكنا للعالم الطبيعي، المكان الذي ينمو فيه. في اللحظة التي خرجوا فيها من الانغماس في النور العضوي، كان الكشف الذي تم تقديمه عمداً للمتأهلين هو اليقين بأن إدراكنا للعالم الخارجي يتم بشكل خارجي من خلال قوة إلهة الأرض، غايا، وليس داخلياً، كما اعتدنا أن نعتقد.

أدركوا الآن، بعد أن أصبح لديهم عقلها، أين يكمن أساس إدراكهم.

إن اليقين بأن عملية إدراكنا للعالم تتم بشكل خارجي، وتدعمها في كل لحظة المجال المحيط بالمحيط الحيوي، هي تجربة سامية ومبهجة، وهي سمة من سمات الوعي المتنامي. هذا اليقين هو ما يُشكّل أساس مقالة أبرام الرائدة حول الآثار الإدراكية لغايا. كان هذا التصور "ظاهرة متبادلة ينظمها العالم المحيط بقدر ما ينظمها المرء نفسه" معروفًا بشكل مباشر في عملية التأهيل. أدرك المتأهلون أن الإدراك متبادل، نعم، ولكنه يشبه إلى حد كبير التبادل الذي يقوم فيه المليونير بإعطاء جزء من ثروته لشخص لا يملك شيئاً، وينفقانها معاً ببذخ. لقد أدركوا أن المجال المعرفي بأكمله للبشر ولجميع الكائنات الحية الواعية يتم إنشاؤه ودعمه من قبل العالم الخارجي، وهو إسقاط للذكاء الحي للكوكب - على حد تعبير أبرام، "خاصية للنظام البيئي ككل".

بعد أن استوعبوا عقلها، أصبح المتأهلون أدوات للطبيعة، متفانين في خدمة الطبيعة مثل القمح الذهبي الذي يتمايل في الحقول المحيطة بهم. بالنسبة لهم، فإن "الاقتناع بأن عقل المرء هو أي شيء آخر غير الجسد نفسه" لم يكن مجرد قناعة، بل حقيقة حية ومباشرة لا جدال فيها. الغنوص هو إشراقة نفسية جسدية شاملة. أنت لا ترى النور العضوي في رأسك أو في عقلك، أو حتى في قلبك: بل تواجهه بجسدك كله، وأنت واقف منتصبًا. لقد رأى أصحاب رؤى الأسرار النور العضوي وهم واقفون أمامه، دون هلوسات أو تشتيتات تأملية. وبذلك، تلقوا تنزيلًا لذكاء غايا، وهو تدفق مباشر من العقل الكوكبي.

إن إدراك غايا كما فعل المتأهلون الإليوسينيون كان أيضاً عملاً من أعمال الحب، لأن إدراك أن

عقولنا ليست ملكاً لنا يلهمنا عاطفة هائلة تجاه الآخر. لا يمكن للبشرية أن تبقى على قيد الحياة دون مراقبة الروابط بين الأنواع المختلفة. إن حب كل ما ليس بشريًا، من حيوانات ونباتات وحشرات وغلاف جوي، يمنحنا القوة لنكون بشرًا. إن حب غايا هو أسمى غاية للإنسانية. كما أنه طريق التنوير الذي يمكن أن يقودنا إلى التطور المشترك بأكثر الطرق مباشرة، وأكثرها أماناً وعقلانية، لأن روحانية تجربة الأسرار تنمو مباشرة من هبتنا البيولوجية.

عندما خرج المتأهلون من الحجرة الداخلية في إليوسيس إلى ضوء الخريف الصافي، ورأوا الحبوب الذهبية لحقول راريان، وعلى التلال القريبة، الخطوط العريضة لأشجار الحور والسرو الرشيقة، رأوا الطبيعة من خلال قوة الرؤية التي منحتها الطبيعة، وهي قوة مقدسة لا تُنتهك.

---

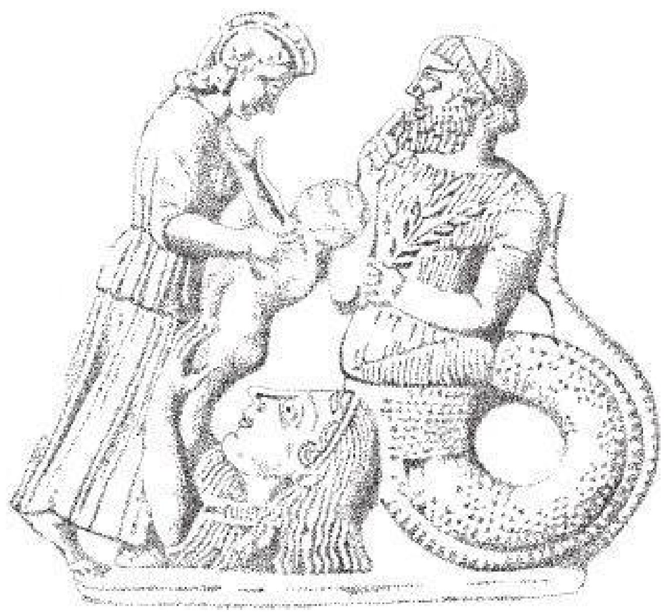
* للاطلاع على اندماج البوذية والغنوصية في النحت والأدب في غاندارا، بما في ذلك أقدم السير الذاتية للأمير شاكياموني، انظر مقالتي "البوذات اليونانية" على موقع Metahistory.org.

* تضم النباتات المقدسة المعلمة حوالي 200 نوع معروف في علم الأدوية الحديث والتي تظهر تركيبة كيميائية قادرة على إنتاج تأثيرات محاكاة نفسية. بالمعنى الأوسع، جميع النباتات مقدسة، بالطبع.

* علم التخلق، "فوق علم الوراثة"، هو نموذج جديد في العلوم البيولوجية. يسمح ذلك بإعادة برمجة مخطط الحمض النووي من خلال آلية جزيئية، وهي النسخ العكسي.

الجزء الثالث

أصعب درس في التاريخ



ديميتر وسيكروبس، حارسا الأسرار

17

نهاية النظام الأبوي

يبدأ التوحيد بإله يكره الأشجار.

> تُخْرِبُونَ جَمِيعَ الأَمَاكِنِ حَيْثُ عَبَدَتِ الأُمَمُ الَّتِي تَرِثُونَهَا آلِهَتَهَا عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ، وَعَلَى التِّلاَلِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. وَتَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ سَوَارِيَهُمْ بِالنَّارِ، وَتُقَطِّعُونَ تَمَاثِيلَ آلِهَتِهِمْ، وَتَمْحُونَ اسْمَهُمْ مِنْ ذلِكَ الْمَكَانِ. (سفر التثنية 12 :2–3)

إن ديميورج العهد القديم غيور، ويصر على عدم تكريم أي آلهة أخرى أمامه. هذا الطلب يعني بالطبع وجود آلهة أخرى، آلهة منافسة. إنها آلهة وثنية تسري في الطبيعة، وتتجلى في جميع أنواع المخلوقات، في السحب والأنهار والأشجار، وحتى في الصخور. لن يتسامح التوحيد مع أي من هذه القوى الحسية الكامنة. يجعل ذلك الأرض خالية من الألوهية، ويجعل سكانها خاضعين لمالك أرض من خارج الكوكب.

في مفارقة غريبة، يحظر الإله التوراتي الذي يدعي أنه خلق العالم الطبيعي على البشرية الإعجاب بصنعه. إن مطالبة الفنان بالتبجيل الشخصي لنفسه بدلاً من عمله واستبعاده منه، أمر منحرف إلى حد ما إذا نظرنا إليه من منظور إنساني، ولكن مع هذا الإله المتغطرس، يصبح الأمر طبيعياً تماماً. إن مزاج يهوه الغاضب والمتقلب يخفي انعداماً عميقاً للأمان، لأنه إذا كانت الأسطورة الغنوصية تشير إلى الحقيقة، فإن هذا الإله هو محتال، ومحتال عنيف ومختل عقلياً. يصفه أحد علماء الغنوصية بأنه شخص كئيب وساخط ومتنمر، يميل إلى نوبات الغضب، والذي "ينشر عصابة من الأتباع الملائكيين، الحكام ("الأركونات")

... ويشرع في إقامة حكمه على الطريقة الكلاسيكية للطاغية الصغير." [217] إن الديميورج وجيشه من الاتباع الكوكبين يمثلون محاكاة ساخرة للكتاب المقدس اليهودي، ولكن ليس هذا فحسب. وكما هو الحال في استعارة فيليب ك. ديك لسجن الحديد الأسود، فإن الأركونات تمثل الاحتجاز المجازي للروح البشرية في أوهام من صنع الذات.

نُسبت عبارة "رسالة إله غريب وأرض شريرة" خطأً إلى الغنوصيين من قبل أيديولوجيين مسيحيين الذين اعتنقوا الإله اليهودي وفرضوا عبادة التوحيد.[218] وكان اتهام المتأهلين الوثنيين بكراهية الجسد ورفض العالم الحسي أمراً سخيفاً بوضوح، لكن هذا الاتهام خدم جيداً في صرف الانتباه عن موقف كراهية الحياة لدى المتهمين. للحفاظ على هذه الخدعة، كان لا بد من إنكار ألوهية الأرض، التي تُعدّ محورية في النظرة الغنوصية للعالم، بشكل كامل. لكن لم يكن من السهل القضاء على الإلهة. في العهد القديم، تشير جميع آثار تبجيل خليقة يهوه إما بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الحكمة، صوفيا الإلهية، التي هي الطبيعة المؤلهة. ويشمل ذلك ما يسمى بالأدب الحكيم الذي سمي على اسم الإلهة: *sapientia* هي كلمة لاتينية تعني الحكمة. * كما أن الحكمة هي السمة المميزة للإنسان العاقل العاقل. لقد علّم الغنوصيون أن الحكمة البشرية، وهي الحكمة الفريدة لجنسنا، تفسد

بالطاعة للإله الدجال، الروح المزيفة، *antimimon pneuma*. إن ديانة الإله الأب الغير أرضي تمزق الرابطة التعاطفية بين البشرية والأرض، التي جسدتها صوفيا، ومع ذلك فإن هذه الديانة نفسها هي التي منحت البشرية في العالم الغربي هويتها التاريخية والروحية.

أشيرا والشمعدان السباعي

كان من الصعب الالتزام بوصية الله في سفر التثنية، وعندما تم الالتزام بها، نتج عنها بعض العواقب الوخيمة. أولاً، أدى ذلك إلى ابتعاد اليهود القدماء عن جيرانهم الذين يعبدون الطبيعة في كنعان، بل وعن التواصل مع العالم الطبيعي نفسه. وفي معرض مناقشته للاهوت المناهض للطبيعة الذي ورثته المسيحية من اليهودية، ذكر بول شيبارد أن "التأكيد الإنجيلي على الكلمة الجديدة لم يكن يهدف إلى جعل الإنسان يتلاءم مع العالم، بل إلى تأكيد عزلته.... في حين كانت الأساطير التقليدية جزءًا من علم التحكم الآلي العظيم الذي يربط بين الإنسان والثقافة والطبيعة والإله، فقد أشادت الأسطورة الجديدة بسر غاية الله، وانقطاع الأحداث."[219] منذ نشأتها، عملت "الأسطورة الجديدة" التي كان من المقرر تطبيقها تاريخياً على الأرض ضد علاقة البشرية بالكوكب الحي، وأنكرت مشاركة الإنسان في الاستمرارية الدورية للطبيعة. "إن سرّ غاية الله" استلزم تدنيس المواقع المقدسة للأشخاص المحبين للطبيعة، والأشجار والأشياء المقدسة في كل مكان أخضر. كان إنكار الجمال الحسي للعالم الطبيعي والقوة الروحانية التي تتدفق من الإلهة إلى قلب الإنسان بداية الخوف من الله. إن الحاجة إلى تدمير كل ما ينشأ عن المفهوم الوثني للحياة ترجع إلى "غريزة الخوف، وقد كانت شاملة، بل وجريمة حقيقية، في العالم المسيحي، منذ القرن الأول وحتى اليوم"، كما ذكر د. هـ. لورانس.[220]

تم وضع المذابح والأعمدة والأصنام التي أدانها يهوه في بساتين الاشجار. اسم الإلهة الكنعانية أستيروث يعني "الشجرة المقدسة"، على الرغم من أن هذه الترجمة زائدة عن الحاجة لأن جميع الأشجار كانت مقدسة لدى الشعوب القديمة في الشرق الأدنى وأوروبا. كانت الأشجار تُعتبر مقدسة قبل أن تُنصب صور منحوتة للأشجار ليتم عبادتها. ربما لم يكن هذا التحول ناتجًا عن التباعد النفسي، كما قد نفترض، بل عن الحساسية البيئية في منطقة الصحراء الكبرى حيث فقدت الغابات الخضراء والمراعي الغنية في تغير مناخي كارثي بعد عام 4000 قبل الميلاد. [221] هل كانت إدانة يهوه عرضًا من أعراض علم النفس العكسي؟ هل أدت رؤية الحقول الخصبة والغابات الفخمة تختفي في غضون بضعة أجيال إلى الشعور بالعجز الذي قلب نفسه إلى شهوة انتقامية للسلطة على الطبيعة؟ "لن أقف مكتوف الأيدي وأشاهد الطبيعة تدمر الغابات والحقول، لذلك سأمارس قوتي الخاصة في التدمير، وأتصرف نيابة عن الطبيعة." قد يكون هذا تفسيراً معقولاً لـ "الجرح السابق" الذي أدى إلى التثبيت العنيف المناهض للطبيعة في الدين الأبوي.

تظهر الكلمة العبرية أشيرا أكثر من أربعين مرة في الأسفار الخمسة الأولى في الكتاب المقدس أحيانًا للدلالة على "الحضور الطقسي القوي للإلهة أشيرا"، وأحيانًا أخرى للدلالة على الأصنام الخشبية

المنحوتة التي كانت تُستخدم لتمثيلها.[222] كان موطن أشيرا الأصلي الشرق الأدنى وفلسطين، لكنها انتمت إلى مجموعة واسعة من إلهات الأشجار المنتشرة في جميع أنحاء العالم: حوريات الأشجار الجميلات في الأساطير اليونانية، مثل دافني الغار؛ وإيزيس المصرية التي غالبًا ما تُصوَّر على أنها جذع شجرة تنبت منه أغصان مورقة وفيرة؛ وحوريات الأبسارا الحسية ذات العيون السوداء في الأساطير الهندوسية، بما في ذلك الملكة مايا، والدة بوذا.[223] لم تكن لعنة يهوه على أشيرا مجرد غضب شخصي، بل كانت كراهية مرضية متجذرة في أعمق منابع الخيال البشري حيث تتجذر النفس في الطبيعة. عندما تم قمع طائفة الإلهة، وإسقاط أصنامها، وتجريد بساتينها المورقة، اخترع اليهود الشمعدان السباعي لاستبدال ما دمروا. الشمعدان ذو الفروع السبعة هو تجريد تخطيطي من الطبيعة، وهو تقليد طيفي لشجرة أشيرا، وهي شجرة مقدسة.

بالمصطلحات الغنوصية، يمثل تكرار الطبيعة في شكل بلا حياة مثالاً على HAL، المحاكاة الأركونية. في التحول من الشكل العضوي إلى التجريد، يتم فقدان مجموعة كاملة من القيم، ويتم تبني قيم أخرى مناقضة للحياة العضوية كما لو كانت مساوية، أو حتى متفوقة على، القيم المفقودة. هذا هو التقليد المضاد، المحاكاة المضادة. إن التحول من أشيرا إلى الشمعدان السباعي يكشف كيف تتغلغل الكذبة بعمق في النفس البشرية. يشرح جيفري بيرتون راسل بإيجاز المفهوم الزرادشتي للكذبة، *drugh* (دروغ):

> أول زوجين بشريين لديهما إرادة حرة، وفي البداية اختارا أن يحبا ويخدما أورمازد [أهورا مازدا، الخير المطلق]. لكن أهريمان [الشر المطلق] يغويهم على ارتكاب الخطيئة باستخدام جوهر الخطيئة نفسها ضدهم: الكذب. الكذبة هي أن أهريمان، وليس أورمازد، هو من خلق العالم، وماشيه وماشيانا [الوالدان البدائيان] يؤمنان بذلك.[224]

بالنسبة للعبرانيين القدماء الذين تبنوا هذا السيناريو ولكنهم حرّفوه بشكل غريب، فإن الكذبة التي يخبرهم بها يهوه هي أنه هو، وليس صوفيا، من خلق العالم. وصدقوا ذلك. لكن حدث تحول مفاجئ لأن العقل اليهودي لم يتقبل مفهوم الشر في حد ذاته. عندما ساواو الإله الصالح أهورا مازدا مع إلههم القبلي يهوه، انخدعوا فربطوا بين صنعه والشر. لم ينجح هذا التناقض قط في الديانة اليهودية. لقد قوبلت هذه الفكرة بمقاومة مستمرة من قبل العقلية العرقية، ولكن تم فرضها من قبل قلة من المتطرفين الذين يكرهون البيئة، مثل الكتبة اليهود الذين وضعوا البرنامج الأخروي للصاديقين. بعد أن تفاقمت كراهية الطبيعة باعتبارها من عمل الشيطان في النفس اليهودية لعدة قرون، ظهرت في المسيحية في العصور الوسطى بكثافة شرسة. كان التحول الثنائي خبيثًا للغاية لأن إله القبيلة اليهودية كان يشبه أهريمان أكثر من أهورا مازدا: فقد اعتقد اليهود أنهم شعب صالح اختاره إلههم للوقوف في وجه عالم شرير، بينما في الواقع كانوا يعانون من عقدة إلهية مبنية على كذبة حول خلق العالم. كان هذا هو الإطار اللاهوتي الأمثل لمرض الفصام. و لا يزال.

منذ نشأتها، أظهرت الديانة اليهودية ميلاً واضحاً نحو الاستبدال الأركوني وعملية الاستيعاب التي تصاحبه، كما يتضح في الشمعدان اليهودي (المينوراه). عندما انتشرت بذور الجنون الديني اليهودي من أتباع "الصادقين" في المسيحية، استغل المتحولون إلى الدين الجديد الصور والأفكار الوثنية بروح استبدادية غاضبة من البر، وقد تم إضفاء الشرعية عليها بذكاء من قبل أيديولوجيين مثل القديس أوغسطين:

> عندما يتم هدم المعابد والأصنام والبساتين وما إلى ذلك بإذن من السلطات، على الرغم من أن مشاركتنا في هذا العمل دليل واضح على أننا لا نكرم هذه الأشياء، بل نكرهها، إلا أنه يجب علينا مع ذلك الامتناع عن استخدامها لأغراضنا الشخصية والخاصة؛ حتى يتضح أننا في هدمها لا نتأثر بالجشع، بل بالتقوى. لكن عندما تُستخدم غنائم هذه الأماكن لصالح المجتمع وتُكرس لخدمة الله، فإنها تُعامل بنفس الطريقة التي يُعامل بها الرجال أنفسهم عندما يتخلون عن الكفر والتدنيس إلى الدين الحق.[225]

لقد كان أمر يهوه الوارد في سفر التثنية هو المحرك الرئيسي للسياسة الكنسية، ولا يزال كذلك، على الرغم من أن العملية تتخفى. كثيراً ما لوحظ أن المسيحية غنية بالصور الصريحة من النوع المحظور في اليهودية. وذلك لأن النزعة الخلاصية في أوروبا والمستعمرات الأوروبية استعبدت الخيال الأصلي، واستغلت الإبداع المحلي، وأجبرت السكان على صنع زخارف دينية. ومع ذلك، حافظت الشعوب المتحولة بتحدٍ على حياتها الخيالية، وغالباً ما جعلت الفن المسيحي يخفي رؤيتها الأصلية وذكرياتها القبلية. كان الإسلام بمثابة طفرة لاحقة للفيروس الأيديولوجي للصادقين، ولكن في شكل أكثر ضراوة هاجم القدرات المحلية بقوة أكبر، تمامًا بالطريقة التي تتحور بها الفيروسات للتغلب على الدفاعات المناعية. وهكذا، أعاد الدين الإسلامي التأكيد على المحرمات المتعلقة بالصور المرئية وأجبر على العودة إلى التجريد من الأشكال الطبيعية، وهي السمة الرئيسية للعقلية الأركونية.

تتتبع النظرية الغنوصية للخطأ بدقة عملية التداخل بين الخطأ والشر، ولا تساوي بينهما. *Drugh*، "الكذبة"، هو شكل متطور من الضلال الذي يختلط بسهولة بالشر. الخداع شر، حتى عندما يمارسه أولئك الذين يفعلون ذلك عن طريق الخطأ والعمى، بدافع الجهل التام. عندما أهانته صوفيا، أطلقت عليه اسم سمائل، "الأعمى". في الديانة الزرادشتية، يعارض مفهوم "دروغ" مبدأ الحقيقة والعدالة، asha "آشا". (وهذا هو أصل كلمة أشيرا، بالمناسبة. كلمة الحقيقة الإنجليزية مشتقة من الجذر القديم *dreu*، "شجرة"، المرتبط بالكلمة اليونانية *dryad*، "حورية الشجرة"، والكلمة الكلتية للكاهن الشاماني، *druid* دَّرْويد. الحقيقة تتعلق بالأشجار. بمجرد أن تبنت الكهنة العبرية ثنائية المصدر المنقسم خلال فترة السبي البابلي، قاموا بصياغة نسخة محلية من الزرادشتية، ولكنها نسخة ملتوية بشكل غريب، كما ذكرنا للتو. إن المحاكاة المضادة هي العامل الأكثر أهمية في الانحراف الغريب الذي ظهر في الديانة اليهودية، مما أدى إلى رسوخ هوس الإله الذكر.

نموذج الأخلاق

إن فكرة الإله الأب الذي يملي قواعد الحياة ليست فكرة لاهوتية. بل هو بالأحرى تثبيت ذهني ينشأ تلقائيًا عندما يتم استغلال الواقع العضوي في نسخة جامدة، أو بعبارة أخرى، عندما يتم استبدال مفهوم متجذر في التجربة الحسية بنمط تفكير مشوه يُتصور وجوده في عالم مجرد أو متجاوز للطبيعة. لقمع الإلهة أستروث، كان لا بد من تدمير الأشجار الحية وحظر إقامة طقوسها المقدسة "في كل مكان أخضر". ثم تم استنساخ الشكل العضوي للشجرة في الشمعدان، لكن الشمعدان لا يمثل الشجرة. إن التحول من الشكل العضوي إلى التكرار يوحي بقيمة مناقضة للواقع الحي الذي تم إزاحته. تشير باربرا ووكر إلى أن الشمعدان، الذي غالباً ما يكون "مزيناً برموز أنثوية"، يستحضر الشجرة المقدسة ذات الفروع السبعة الممتدة إلى سماء الليل، والتي تتوافق مع الأخوات السبع، وهي كوكبة مذكورة في الكتاب المقدس (الثريا).[226]كل هذا بعيد كل البعد عما كان يرمز إليه في الطقوس اليهودية: قوة الإله الذكر التوحيدي الذي يخلق العالم، ويستريح من عمله، في سبعة أيام. كان الرقم سبعة عند الغنوصيين هو عدد الأركونات. كان الهيبدمد هو مملكة يلداباوث، الإله المختل الذي يدعي زوراً أنه خلق العالم الطبيعي. تحاكي الشمعدان شجرة، لكنه يستبدل قيم الطبيعة والصوفيا الإلهية، التي هي الطبيعة المتجسدة، بمجموعة من القيم المتناقضة مع الطبيعة. يبدو الأمر كما لو أنك قمت بنمذجة الطبيعة في ذهنك ثم تخيلت أن النموذج الجامد في ذهنك هو الذي ينتج الطبيعة.

كان ظهور التوحيد اليهودي حدثًا بالغ القوة في التجربة الإنسانية، ولكن ليس لأن التوحيد كان دائمًا صحيحًا أو جيدًا أو مناسبًا للبشرية. وحذر الغنوصيون من أن هوس الذكورة بالألوهية يخفي تفضيل المحاكاة على الواقع، وهو الخطر الفطري الأساسي للانحراف بالنسبة للجنس البشري. إننا نتحمل هذا الخطر بسبب امتلاكنا قدرات استثنائية في النمذجة والتجريد. إن تفضيل التكرار سيبرز في النشاط الدماغي البشري، وسيأخذ حياة خاصة به، إذا لم يتم اكتشافه وإبقاؤه ضمن الحدود. إن هذا التفضيل هو الذي يُرسّخ ويُمكّن إله الخلق الذكر في المخيلة البشرية. إن فكرة الإله يهوه-يلداباوث هي التي تتوافق بشكل أفضل مع ميولنا في تشكيل العقل. لقد خُلقنا "على صورته" لأننا نرى أنفسنا منعكسة في الإله الواحد في ذروة قدراتنا على التكاثر.

إن التكرار اختزالي إلى درجة لا نهائية لأن النمذجة المجردة تميل تلقائيًا إلى توليد نماذج من نماذج من نماذج، مما يؤدي إلى وهم أن كل ما هو موجود يمكن عرضه في نموذج رئيسي واحد، وهو فكرة صنمية عليا وشاملة: التوحيد. في قصة صوفيا ، يعتبر النظام الكوكبي للأركونات "نموذجًا مصغرًا" للأنماط الكسورية في البليروما، لكن الساعة السماوية ليست حية، وليست واعية ومدركة، كما هو الحال مع البليروما والأرض. لكن لا يمكن إنكار قوة الأشكال غير العضوية. كل ذلك الغيرلعضوي له قوة هيكلية ومحاكاة أو تكرارية هائلة، كما هو الحال في التكوينات البلورية مثل الكوارتز والعظام. قد يكون تصميم الأشكال غير العضوية رائعًا، لكنه لا يدعم تجربة واعية وحيوية. وبالمثل، فإن المحاكاة المضادة التي تستبدل الشكل الحي بالتجريد لا تدعم التجربة الحية الواعية بذاتها، بل تدفع البشرية إلى سلوك أعمى يشبه سلوك الزومبي.

يهوه هو الإله المتغطرس الذي يصمم الواقع (الأركونات التي تقلد البليروما) ويفرض نموذجًا للواقع بدلاً من التطور العضوي للحياة. تتمثل التكتيكات الأركونية في التكرار والإخفاء، بحيث تحمل النسخة قيماً مناقضة لما تنسخه. يخلّد الشمعدان السباعي الشبيهة بالشجرة ذكرى إله يكره الأشجار.

إن الإله الذكر التوحيدي صارم للغاية في هذا التكتيك. في رواية العهد القديم، لم يكتفِ يهوه بدفع ملكات الخيال والتصور لدى شعبه إلى التجريد - "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً" - لذلك ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير. وهو يفرض نفس المطلب على ملكة أخرى بالغة الأهمية للأخلاق والاختيار: قدراتنا على السرد ورواية القصص. إنه يطالب بأن يكون التاريخ حبكة واحدة يكون هو، الذي يقف فوق العالم، مؤلفها الوحيد ومنفذها. بدلاً من قصة منفتحة على التعلم والاكتشاف، ومثرية بالتفاعل المتطور باستمرار مع البيئة الطبيعية التي تنعكس فيها التجربة الإنسانية، يفرض الإله الذكر دراما شمولية تعتمد نتائجها على التدخل الخارق للطبيعة. إن التكرار الأركوني (القبطية HAL، "المحاكاة") ليس مجرد تقليد، بل هو عملية توحي بأن القيم تعمل ضد الحياة. إن المحاكاة المضادة لعبقرية البشر في سرد القصص تمنح النظام الأبوي ميزته القصوى على التطور الحقيقي والعفوي لجنسنا البشري.

كيف تختلف الرواية المقدسة اليهودية في العهد القديم عن الروايات القبلية الأصلية الأخرى؟ يختلف الأمر اختلافاً جذرياً في جانبين. أولاً، يتم رفع نمط الإساءة التاريخية الذي تم وضعه في العهد القديم إلى "خطة إلهية"، ولكن ليس بنفس المعنى، على سبيل المثال، الذي تنعكس به الخلافات بين الآلهة في الأساطير اليونانية في الصراع البشري. لطالما كانت للأساطير الوثنية قيمة نفسية، وغالباً ما تكون قيمة متناقضة، تشير إلى صراع الغرائز داخل الطبيعة البشرية؛ ومع ذلك فإن حل الصراع يقع دائماً ضمن القدرة البشرية. إن النص التوجيهي للعبرانيين القدماء، المحمل بغضب الله وخوف الرب، يجعل الحل من خارج كوكب الأرض، خارج نطاق البشر، هو الحل الوحيد الممكن للصراع البشري. لكن في نهاية المطاف، يرتكز العنف التاريخي على الإساءة الأسرية.[227] إن يهوه هو تجسيد لعقدة الأب التي ليست بأي حال من الأحوال فريدة من نوعها في الثقافة اليهودية التي أنتجتها. الأب المستبد والمعذب الذي يحكم ويكافئ هو العامل الرئيسي للنظام الأبوي في جميع الثقافات. إن قوة الإله الأب في النفس البشرية تتناسب طردياً مع قوة شخصية الأب في التكوين العائلي. تتميز الرواية اليهودية المقدسة بجعلها خلل الأسرة البشرية شرطاً لـ "الحل النهائي" للخالق في الدراما التاريخية: يوم القيامة.

ثمة فرق ثانٍ بين التاريخ اليهودي المقدس والروايات الأصلية: فالنص التوجيهي التوراتي يدور حول التباعد النفسي عن الطبيعة والاغتراب عن الإنسانية العامة. وهذا يتعارض مع الشكل العالمي للسرد الأصلي الذي يوضح كيف ينبثق "الناس" من الطبيعة، لكنهم يظلون متجذرين فيها، وينعكس ذلك في موطنهم حيث يتعلمون العيش من خلال مراقبة القوانين العضوية والتفاعل مع الأنواع الأخرى. كانت قواعد الحياة لدى العبرانيين القدماء تأتي من خارج العالم الطبيعي في شكل نموذج أخلاقي يمليه إله بعيد فوق الأرض. هذا هو الطابع الأركوني للشريعة الأخلاقية اليهودية، والتي تعتبر على نطاق واسع نموذجاً يحتذى به للبشرية جمعاء. يأتي هذا الرمز مغلفًا بقصة هي في حد ذاتها نتاج محاكاة مضادة خبيثة: إن سردية الخلاص بالنسبة لقصة التطور المشترك للبشرية مع الطبيعة (سردية أصلية حقيقية) هي بمثابة الشمعدان بالنسبة لأشيرا.

خيانة الإنسانية

لعل أصعب درس في التاريخ هو أن رواية الخلاص الكتابية لا تؤدي إلى تحقيق أقصى إمكانات الإنسان، بل إلى خيانته. يمكن القول إنه في ظل النظام الأبوي، تعرضت الإنسانية للخيانة من قبل شخصية الأب. لكن الإنكار المحيط بفعل الخيانة هذا عميق لدرجة أنه يجب اختلاق حل خيالي لتجنب مواجهته. (تجدر الإشارة إلى أن كلاً من إريك فروم ودي إتش لورانس لاحظا الميل في الديانة اليهودية المسيحية إلى اختلاق حل خيالي للفشل في تلبية توقعات الله غير الإنسانية.) في تحول مرضي يستغرق أجيالاً عديدة للتدهور، تتحول تجربة التعرض للخيانة إلى فعل خيانة الذات. يقدم السيناريو الكبير للتجربة الدينية في الغرب فصلاً تلو الآخر من خيانة البشرية لنفسها، متخفية في صورة عملية كفارة لكسب محبة الإله الأب الغائب.

إن النص التوجيهي للتوحيد اليهودي المسيحي الإسلامي يدفعنا إلى خيانة أنفسنا، لأن هذا النص يكرر السرد الأصلي، قصة التطور المشترك التي يمكننا بالفعل تطويرها وتطبيقها، ولكنه يلمح بشكل خادع إلى قيم معادية للإنسانية ومعادية للطبيعة في مكانها. غالباً ما يرتبط التوحيد العبري بالمثالية الأخلاقية، كما لو أن النموذج الأخلاقي الذي يمليه الإله الأب يضمن أفضل سلوك ممكن على الأرض. لكن إذا كان لدى البشر قدرة فطرية على التمييز الأخلاقي، فلا يمكن فرض هذه القدرة من الخارج، ولا يمكن فرضها من خلال القواعد والصيغ من أعلى. تاريخياً، كان الشعب اليهودي مقيداً بمهمة غريبة، يبذلون قصارى جهدهم البشري لمقاومتها. إذا أطاعوا إرادة الله الأب، فسيكونون المثال الأعلى للضمير، القلة الصالحة التي تُظهر للكثيرين كيف يعيشون. ستكون إسرائيل فخراً أمام جميع الأمم. إن هذا الادعاء بالتفوق الأخلاقي الخارق متأصل بعمق ويكاد يكون من المستحيل دحضه. لقد بالغ الصاديقيون في ذلك إلى حد الجنون. لقد عانى العالم بأسره، وخاصة الشعب اليهودي نفسه، معاناة شديدة بسبب هذا الإسراف الجنوني على مدى ألفي عام.

إن فهم ديناميكيات المحاكاة المضادة ليس بالأمر السهل، ولكن بدون الكشف عن كيفية عمل هذه العملية، لن نتمكن أبداً من فك ارتباطها. حتى عالم الأساطير والمؤرخ الثقافي البارع مثل ويليام إروين طومسون لا يستطيع أن يرى طريقه بعيدًا عن التفسير الأركوني لسردية الخلاص. في كتابه "تحويل التاريخ"، حيث يحدد منهجًا للتعليم المنزلي للمستقبل، يصف تومسون العهد القديم بأنه "وثيقة محورية في التطور الثقافي للضمير" ويؤكد أن "التاريخ هو الوسيلة التي يتحرك من خلالها العقل نحو مصيره مع الله".[228] إن الادعاء بأن التاريخ التوراتي يقدم نموذجاً للتربية الأخلاقية للبشرية قد شكل بشكل عميق مسار التجربة الإنسانية، لا شك في ذلك، ولكن هل فعل ذلك من أجل تحسين البشرية والكوكب؟ إذا كانت الأخلاق شيئًا آخر غير نمذجة السلوك بقواعد محددة مسبقًا، فإن هذا الادعاء خاطئ، بل خاطئ بشكل خطير. لم يكتشف اليهود القدماء الضمير، أي القدرة على اختيار ما هو صحيح، بل قاموا فقط بوضع مجموعة من القواعد التي تزعم أنها تملي ما هو صحيح.

وفي معرض تأكيده على الأخلاقيات البيولوجية لعلم البيئة العميق، كتب آرني نايس: "تمامًا كما لا نحتاج إلى أخلاقيات لكي نتنفس، فأنت لا تحتاج إلى حث أخلاقي لإظهار الاهتمام". [229] إن البشرية، المتجذرة في الطبيعة، لا تحتاج إلى قواعد سلوكية محددة مسبقاً لاتباعها، ولكننا، بعد اقتلاعنا من الطبيعة، مضطرون إلى تكرار ما نفتقده. وهنا يقوم العامل الأركوني بتخريب الإمكانات البشرية و"يتحرك العقل نحو مصيره مع الله". قد يكون كشف الاستنساخ الاستغلالي والتغلب عليه هو التحدي الروحي الذي يحدد مصير البشرية. إنه تحدٍ كبير، لكن انظر إلى البديل. وراء الخطاب القديم

حول "المصير المسياني الذي ينتظر في نهاية التاريخ" (تومسون مرة أخرى) تلوح حقيقة العالم كما هو اليوم:

> يكمن رعب التاريخ في الدمار الهائل الذي ألحقه بكوكبنا وشعوبنا، وفي تحريف حساسياتنا الدينية الطبيعية تجاه المكان ومصدر الحياة. لقد بقينا مع العقلية المملة للكائن التنافسي، والمستحوذ، والتعاقدي الذي يتحدد جوهره بنتيجة المواقف. يستحوذ التفكير على التوقعات المخيفة للأحداث القادمة، والملل اليومي، والاستحضار العاطفي للماضي. بصفتنا كائنات تاريخية، فإننا نقف مدانين بتاريخنا وعاجزين أمامه.[230]

إن الدروس الأساسية للتاريخ ليست سهلة الرؤية، لأنها دروس تتعلق بالتاريخ نفسه وليست دروساً يمكننا استخلاصها منه. إن اختراق "ديناميكية الأسطورة الزائفة والتاريخ"، كما أسماها بول شيبارد، يتطلب الكثير من التحليل النصي الدقيق، بالطبع. والأهم من ذلك، أنه يتطلب نظرة عميقة وموضوعية إلى النفس البشرية لنرى كيف يعكس تاريخ الخلاص العمليات الخفية لأكثر دوافعنا النرجسية والتدمير الذاتي.

من أكثر الدروس المؤثرة في هذه العملية أن التاريخ لا يستطيع أن يعلمنا كيف نكون بشراً، ولكنه يستطيع، بل ويفعل، أن يهيئنا لقبول اللاإنسانية وممارستها. يتناول هذا الدرس جوهر الاحتجاج الغنوصي ضد سردية الخلاص اليهودية المسيحية، وهي النص التوجيهي للحضارة الغربية. حاول الغنوصيون الشاميون تحذير الناس في عصرهم وبيئتهم من خطر تخلي البشرية عن حقها الإلهي الموروث، والتخلي عن إمكاناتها للتطور المشترك، وخيانة هويتها الأصيلة، الأنثروبوس: "الإنسان الكوني". باختصار، كان لديهم فهم عميق للمصادر النفسية لثقافة الهيمنة الأبوية. "أدرك الغنوصيون أن المصدر الحقيقي لانقباض الهياكل الأبوية يكمن في الديميورج"، كما لاحظ أحد العلماء بذكاء.[231] الإله الذي يكره الأشجار هو الأب المؤسس للنظام الأبوي.

شريك في الشر

منذ نشأتها، اعتمدت السلطة الأبوية على سردية الخلاص لتبرير برنامجها المتمثل في الإبادة الجماعية، والإبادة البيئية، والقمع الجنسي، وإساءة معاملة الأطفال، والهيمنة الاجتماعية، والسيطرة الروحية. هذا السيناريو يخدم أجندة الهيمنة بشكل مثالي لأنه كُتب خصيصاً لهذا الغرض. كيف يمكن لقصة تتحدث عن الحب والتسامح والرحمة الإلهية أن تؤيد ارتكاب الشر؟ يبدو هذا مستحيلاً ومخالفاً لكل منطق، إلى أن ندرك أن القصة ليست كما تبدو. إن رواية الخلاص في الكتاب المقدس هي قصة إجرامية، تم وضعها لدعم وإضفاء الشرعية على أجندة المهيمن. في العهد الجديد، يتم إخفاء القصد الحقيقي للرواية في أمثال مبتذلة عن الحب والنعمة والمغفرة والإحسان وغيرها من المبادئ النبيلة.

إن المثل الدينية العظيمة للإنسانية التي يتم التعبير عنها في سردية الخلاص ليست علاجاً للعنف المرضي الذي يبتلعنا، بل هي متواطئة فيه. نشأت هذه الأمراض من تلك المُثُل. إنهم يغذّونها

ويضفون عليها الشرعية. إنهم يشجعون ذلك ويتغاضون عنها. لعل هذا هو الدرس الأصعب والأكثر مرارة الذي يمكن أن يعلمنا إياه التاريخ.

كثيراً ما يجادل المدافعون عن عقيدتهم بأن الجرائم ضد الإنسانية التي ترتكب باسم يهوه أو الرب أو الله هي أفعال "متطرفين" لا يمثلون المبادئ الحقيقية للحب والسلام والتسامح المنصوص عليها في العقائد الدينية التي يستشهدون بها. لكن المتطرفين يؤكدون أنهم المؤمنون الحقيقيون، وأنهم على استعداد تام للعمل وفقًا للمبادئ التي يمليها الله. أين الحقيقة هنا؟ هل الجناة الذين يستشهدون بموافقة إلهية لأفعالهم هم القدوة الحقيقية لعقيدتهم، كما يدّعون، أم أنهم انحرافات عنيفة عن القاعدة، كما يصفهم أعضاء آخرون من نفس الدين لم يرتكبوا أي أعمال عنف؟

يُظهر التاريخ أن المُثُل الدينية المرتبطة برواية الخلاص قد استُخدمت باستمرار لتبرير العنف والاغتصاب والإبادة الجماعية وتدمير العالم الطبيعي. اليوم، وأنا أكتب هذه الكلمات، تعاني الأرض من أزمة بيئية بسبب اللاهوت المعادي للطبيعة، وتستهلكها أعمال العنف والإرهاب المتجذرة في أسباب دينية. في العراق، يقوم الانتحاريون الآن بمذبحة شعبهم بشكل يومي، إما لتواطئهم مع قوات الاحتلال، أو لكونهم على الجانب الخاطئ من نزاع يعود إلى العصور الوسطى حول الخلافة من محمد. لقد اعترف القائد العام لقوات الاحتلال علنًا بأن الإله الأب المسيحي يوجه قراراته السياسية، وبالتالي ينسب إلى خطة الله أجندة فاشية ترتكب جرائم قتل وقمع بحق عدد لا يحصى من الناس في الشرق الأدنى وأماكن أخرى في العالم. إن عمل الجناة هو تدمير مزدوج: إزهاق الأرواح وتدميرها. وإذا حالفهم الحظ ولم يقعوا في خضم الفوضى، فإن المسلمين الطيبين والمحترمين ونظراءهم المسيحيين واليهود يقفون جانباً، يشاهدون ما يحدث باسم معتقداتهم العزيزة. في نهاية المطاف، قد يكون الأشخاص الذين يرتكبون ويروجون للعنف والقتل في التعبير عن المعتقدات الدينية جزءًا ضئيلاً من المؤمنين، لكنهم هم من يحددون مسار الأحداث، ويشكلون التاريخ، ويؤثرون على المجتمع، ويهددون المحيط الحيوي.

كيف يمكن لقلة منحرفة تحرف المبادئ الدينية التي تدعي التمسك بها أن تمتلك مثل هذه القوة المهيمنة في العالم؟

أحد التفسيرات المحتملة هو إجماع المعتقدات. حتى عندما يتم التمسك بالمعتقدات الدينية بشكل سلبي ولا يتم تطبيقها من قبل معظم المؤمنين، فإنها يمكن أن تلهم وتضفي الشرعية على الأعمال المتطرفة التي يقوم بها عدد قليل من الصالحين. فعلى سبيل المثال، يعد الإيمان بالعقاب الإلهي جزءًا من العقيدة المشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين على حد سواء. لكن العديد من الأشخاص الطيبين والنبلاء لا يتصرفون بناءً على هذا الاعتقاد. إنهم لا يجعلون أنفسهم أدوات في يد الله لفرض العقاب. يفعل ذلك قلة قليلة، ويعاني العالم بأسره من العواقب. يكتسب المتطرفون الدينيون قدراً غير متناسب من السلطة من خلال الموافقة السلبية لأولئك الذين يشاركونهم نظام معتقداتهم - وهذا يعني مليارات المؤمنين. على الرغم من أن العديد من المسيحيين يعترضون على استخدام معتقداتهم في تبرير الحرب والسياسة، إلا أنهم ما زالوا يتبنون معتقدات مثل مهمة القلة الصالحة لتحقيق خطة الله (المكون الثاني من عقدة المخلص) ويوم الحساب الأخير عندما يجعل الله كل شيء على ما يرام (المكون الرابع). إن الإجماع على الإيمان هو قوة رابطة تمنح المؤمنين هوية مشتركة حتى لا يضطروا إلى مواجهة صعوبات الحياة بمفردهم تماماً. وبالمثل، فإنه يعزز قوة تواطؤ عمياء تورط

جميع المؤمنين في الأفعال التي يقوم بها إخوانهم المؤمنين، حتى لو كانوا مجرد عدد ضئيل من المؤمنين.

قد يُعترض بأن تفسير المعتقدات التي يشترك فيها الأشخاص الطيبون والمحبون للسلام مع المتطرفين، يميزهم عن المتطرفين. ومع ذلك، فإن القوة الأساسية للدين لا تكمن في تفسيراته. في الواقع، لا قيمة كبيرة للتفسيرات، على الرغم من أنها توفر غطاءً ملائماً للاختباء وراءه عندما تُراق الدماء باسم الله. هناك ديناميكية مزدوجة تعمل في حالة الإجماع: التماهي مع المعتقدات، والمشاركة في القصة التي تُكتب فيها هذه المعتقدات أو تُشفر. يجد الأشخاص غير المتطرفين والمحبين للسلام هويتهم في معتقداتهم، لكنهم لا يمارسون السلوك المدمر الذي يمكن أن ينسب، وغالباً ما ينسب، إلى المعتقدات التي يحملونها. كما أنهم يلتزمون بالقصة التي تكرس نظام معتقداتهم، لكنهم يستوعبونها داخلياً، ويعتبرونها جزءاً من إيمانهم الشخصي، ولا يجب فرضها على الآخرين. المتطرفون الذين يمارسون العنف تعبيراً عن معتقداتهم يشاركون في قصة إيمانهم بطريقة مختلفة تماماً. إن العنف الطائفي والأصولي لا ينشأ عن العمل بناءً على المعتقدات بقدر ما ينشأ عن تجسيد القصة التي تم ترميز المعتقدات فيها.

تعويذة سردية

إن قوة القصة هي التي تحول المؤمنين إلى متطرفين. وهذا يمثل وضعاً خطيراً للغاية، لأن سردية الخلاص التاريخية يمكن أن تدفع الجنس البشري بأكمله نحو سلوك منحرف وغير إنساني. يمكن للبشر أن يتصرفوا بما يتعارض مع إنسانيتهم إذا كانوا يتبعون سيناريو خاطئاً ووهمياً ومليئاً بالتوقعات الخاطئة حول معنى أن تكون إنساناً. أرى أن هذا هو الخطر الذي رآه الغنوصيون في رواية الخلاص لدى المسيحيين الأوائل.

كثيراً ما يستشهد الجناة بمقاطع من الكتاب المقدس لتبرير أعمال مثل التفجيرات الانتحارية أو غزو العراق، لكنهم مدفوعون قبل كل شيء بالقوة الدرامية للقصة التي يعيشونها. اليوم، تتنافس فصائل مختلفة من المجتمع لمعرفة من يستطيع تمثيل قصة النهاية بأكثر الطرق عنفًا وإثارة. إن قوة الإجماع تصب في مصلحة المتطرفين لأنهم يتبعون نصاً يُنسب إلى مؤلف خارق للطبيعة: لا يستطيع المؤمنون غير المتطرفين تحدي هذا النص دون معارضة السلطة الخارقة للطبيعة، وهو أمر لا يميلون إليه كمؤمنين، أو لا يستطيعون فعله. الناس العاديون والمتسامحون والمحبون للسلام لا يعبرون عن قصة إيمانهم بطريقة عنيفة، ومع ذلك فهم متواطئون في العنف الكامن في هذه القصة. قد يكون لدى المؤمنين المتسامحين (أو "المعتدلين" كما يُطلق عليهم في لغة الأخبار اليومية) احترام عميق للقصة التي تُشفّر فيها معتقداتهم الدينية، أو مجرد ارتباط عاطفي. في كلتا الحالتين، لا يُجبرون عادةً على تنفيذ الأوامر التي تحدد النص. ومع ذلك، فإن قوة الإجماع تدفعهم إلى التواطؤ مع أولئك الذين يفعلون ذلك. هناك درس قاسٍ ومرير آخر يمكن تعلمه من التاريخ: كيف يمكن للأشخاص الطيبين أن يكونوا شركاء في الشر من خلال مشاركة نظام المعتقدات الخاص بالجناة. إن الإيمان يُورِّط المؤمنين، وهو يُورِّطهم بشكل مطلق.

إن فهم هذا الوضع المقلق يعني إدراك مدى صعوبة أن تكون الأمور على نحو مختلف. لنفترض

أن الناس الطيبين والمحترمين سيؤكدون على قوة قناعاتهم في مواجهة تحريف تلك القناعات من قبل المتطرفين. كيف يستطاعوا فعل ذلك؟ إن قوة الإجماع تخلق وضعاً يهيمن فيه القليل على الكثير. ما لم يواجه المعتدلون المتطرفين ويعارضوهم بطريقة مباشرة ودراماتيكية، وبشكل شبه فردي، فلن يكون هناك أي تغيير في الديناميكية. ما لم يتحمل المعتدلون والمحبون للسلام مسؤولية التصرف بحزم ضد المتطرفين، فإن الجناة والجماعات المرتكبة للجرائم سيظلون دائماً في وضع أفضل. سيكتسبون قوة مفرطة من خلال التواطؤ السلبي لأولئك الذين يشاركونهم نظام معتقداتهم. وهذا يفسر كيف يمكن للشر والخطأ أن يسودا في العالم على الرغم من أنه في أي لحظة معينة، يوجد عدد لا يحصى من الأشخاص الطيبين واللائقين الذين يتصرفون بلطف وتسامح أكثر من عدد الجناة.

لا يوجد حل شمولي للعنف. توجد أسباب وأنواع متنوعة للعنف في العالم، ولا يمكن عزو كل أعمال العنف التي شهدها التاريخ إلى أولئك الذين يتبعون رواية الخلاص. لكن العنف الذي شكل العالم بأسره بشكل أعمق، والذي تسبب في أكبر قدر من المعاناة الإنسانية، وألحق ضرراً لا يوصف بالكائنات غير البشرية، وأثر بشكل كارثي على البيئة - هذا العنف مدفوع ومحصن من قبل عقدة المخلص. إن مجرد إزالة العنف الناجم عن ذلك المصدر سيكون بحد ذاته انتصاراً روحياً هائلاً للمستقبل.

تستخدم الأبوية، وهي الأداة التاريخية الرئيسية للهيمنة، المعتقدات الخلاصية لضمان الإجماع، ولكن كما لاحظ عالم الأنثروبولوجيا الثقافية رينيه جيرار، "يحمي الدين الإنسان طالما لم يتم الكشف عن أسسه النهائية". [232] هذه ملاحظة مثيرة للدهشة، لكنها تجعلنا نتساءل: يحمي الإنسان من ماذا؟ قد يُعتقد أن المثل العليا السامية مثل الإحسان والتسامح والمغفرة، والتي وردت في سردية الخلاص، تعمل على حمايتنا من العنف. لكن جيرارد يخالف هذا الرأي، وأنا كذلك. فالدين يحمي البشرية من رؤية تواطئها في العنف الذي يصيب المعتقدات الدينية. هذا ليس النوع الوحيد من العنف في العالم، ولكنه إلى حد بعيد الأكثر خبثاً وفتكاً وانتشاراً.

للتأكيد: يختلف الجناة المتشددون عن المؤمنين غير المؤذيين من خلال تمثيلهم المتعصب للقصة التي تُكتب فيها معتقداتهم. قد يُقدّر الناس الطيبون والمحترمون وذوو النوايا الحسنة القصة، ولا يحتاجون إلى عيشها بقوة، ومع ذلك فإن حياتهم يهيمن عليها أولئك الذين يفعلون ذلك. كيف يمكن كسر هذه الرابطة التواطئية؟ من خلال كشف ودحض جنون المعتقدات الخلاصية، كما فعل الغنوصيون. والأهم من ذلك كله، كسر سحر السرد الذي يسيطر عليه المهيمنون. يمكن تسمية رفض الانصياع لرواية الخلاص بالعصيان الروحي، وهو ما يضاهي العصيان المدني لثورو وغاندي.

إن أنجع طريقة لهزيمة النظام الأبوي هي تحدي روايته التي تضفي الشرعية على نفسها والتبرؤ منها.

يستطيع الكثير من أتباع الديانات التقليدية القيام بذلك مع الحفاظ على إيمانهم بمبادئ الحب والإحسان والسلام والتسامح. هل من الممكن الإيمان بتلك المبادئ في حد ذاتها، بمعزل عن أي سردية تضفي عليها الشرعية؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فقد لا يتم إنقاذ العالم من الخلاص. ومع ذلك، من خلال التبرؤ من القصة مع البقاء أوفياء لمبادئهم، سيثبت أصحاب القلوب الطيبة أنه يمكن ممارسة الدين دون التواطؤ مع أولئك الذين يتخذونه ذريعة للهيمنة. إن الانفصال عن سردية

الخلاص سيكون الطريقة الأكثر فعالية للأشخاص المحترمين والمحبين للسلام لإنهاء تواطئهم في أجندة الهيمنة. إن كسر سحر السرد هو العامل الحاسم في معركة الحفاظ على سلامة العقل البشري.

---

* للاطلاع على الأدب الحكيم اليهودي الذي يحتفي بالإلهة، بما في ذلك بعض الآثار في الكتاب المقدس، انظر "القراءة والبحث المقترحين".

18

كبش الفداء الإلهي

عند النظر في سبب ارتكاب الأوروبيين للإبادة الجماعية والتدمير الهائل للطبيعة في العالم الجديد - هذا النمط التاريخي الذي لم ينته بأي حال من الأحوال، ولكنه يستمر بشراسة على نطاق عالمي مع أدوات التدمير التي تستخدمها الشركات الآن في طليعة الهجوم - اقترحت في البداية أن رابطة الضحية والجاني تعمل في سياق التاريخ، كما هو معروف أنها تعمل في الأسر المختلة وظيفيًا. لقد رأينا أن عقدة المخلص، وهي الجوهر الديناميكي للعقيدة الخلاصية، تؤكد على القيمة الخلاصية للمعاناة بطريقة تضفي الشرعية على المعاناة بل وتقدسها. وعلاوة على كل ذلك، فإن العلاقة بين الضحية والجاني تجعل المعاناة معدية للغاية. كان غزاة العالم الجديد من نسل الشعوب الأصلية التي دُمر أسلوب حياتها على يد حاملي عقدة المخلص الفلسطيني، كما لو كان ذلك بسبب وباء بيولوجي. وبفعل الفيروس نفسه، دمروا بدورهم أسلوب حياة السكان الأصليين للأمريكتين. ومثل المسيحيين الذين حوّلوا أسلافهم البعيدين إلى عقيدة المخلص، آمن الغزاة بإله قادر على فداء الخطيئة، وقد سمح لهم هذا الاعتقاد بارتكاب الخطيئة، وإلحاق المعاناة في سبيله، بل وحتى الشعور بالتقوى الزائفة حيال ذلك. ذكر بارثولوميو دي لاس كاساس أن المرتزقة الإسبان أحرقوا سكان أمريكا الوسطى الأصليين على دفعات من ثلاثة عشر "تكريمًا لمخلصنا والرسل الاثني عشر". [233]

الضحية الإلهية

إن الجنون القاتل للعلاقة بين الضحية والجاني أمر مذهل. إن تواطؤ الضحايا والجناة هو اتفاق مروع، ولكن لا يزال هناك بُعد أعمق لهذا الرعب. وفي معرض مناقشته لمسألة ما "يجعل الله شريكاً في الخطيئة الظاهرة للعالم البشري"، ذكر آلان واتس: "وراء هذا الكابوس اللاهوتي يكمن سحر المازوخية العليا". [234]

يتجلى عامل "المَازُوخِيَّة العليا" فيما يمكن تسميته بالتواطؤ بين الضحية والجاني. إن الطرفين ليسا متواطئين في معتقداتهما فحسب، بل إنهما يعتمدان بشكل معقد ووثيق في أفعالهما. يحتاج الضحايا والجناة إلى بعضهم البعض بشدة، ويستخدم كل منهما الآخر بشكل وحشي وغير مباشر للحفاظ على علاقتهما سليمة. هذا لا ينطبق بالطبع على الضحايا الذين يتعرضون للعنف لأول مرة، ولكن ينطبق على النوع المدمن، أولئك الذين يعودون للمزيد، ويتفاخرون بدور الضحية ويتبعون بشكل أعمى نفس الرواية التي يتبعها الجناة، مقتنعين بأن ذلك يضعهم في مكانة أخلاقية أعلى من أولئك الذين يؤذونهم، أو يعتقدون أنهم مدعوون للمعاناة من أجل الآخرين.

لكن الآن هناك اعتراض كبير: إذا كانت عقدة المخلص خاطئة تمامًا، ومخالفة للطبيعة الخيرة الأساسية للإنسانية، فكيف يمكن أن تكون قوية جدًا؟ إذا كان الأمر جنونياً إلى هذا الحد، فكيف يمكن لرواية الخلاص أن تجذب وتقنع هذا العدد الكبير من الناس؟ إذا كانت الإجابة على هذا السؤال غير متوفرة حتى الآن، فذلك لأن دراستنا للمكونات الأربعة لعقدة المخلص وتحولاتها عبر التاريخ لم

تكشف بعد عن جوهر العقدة، المصدر المقدس لقوتها الهائلة: الضحية الإلهية.

في عمليه الرئيسيين، "الأشياء المخفية عن أساس العالم" و"العنف والمقدس"، تعمق عالم الأنثروبولوجيا الثقافية رينيه جيرار في دراسة عقدة المخلص. في كثير من النقاط، يقترب تحليله من الفهم الغنوصي للاهوت الخلاص والتهديد الذي يشكله على المجتمع البشري. يحدد جيرارد ما يسميه (وهو محق في ذلك، في رأيي) "الآلية التوليدية" لجميع الأديان. هذا ما يسمى "آلية الضحية"* أو "متلازمة الضحية البديلة".[235] بعبارة أخرى (جيرارد هو كاثوليكي تنقيحي، وتفكيكي ما بعد حداثي، وعالم أنثروبولوجيا ثقافية يعاني من التأتأة، وهو فرنسي)، نسمي هذه الآلية كبش الفداء.

كان كبش الفداء الأصلي هو الملك المقدس، وهي شخصية صادفناها في تتبع الثيوقراطية اليهودية. في الفترة التي سبقت ظهور الثيوقراطية التي تقتصر على الذكور حوالي عام 4000 قبل الميلاد، كان على الناس الذين يعيشون في المجتمعات ما قبل الحضرية أن يتقبلوا ارتكاب الأخطاء في أوساطهم. لقد أدركوا أن ارتكاب الجرائم سيحدث في أغلب الأحيان، دون وجود أي وسيلة لاكتشاف هوية الجاني. إذا لم يتمكن المجتمع من العثور على الجاني ومعاقبته، فلن تتحقق العدالة. في أغلب الأحيان، هكذا تسير الأمور في العالم. لا يمكن أن يكون هناك ضمان مطلق للعدالة في المجتمع البشري. كان أسلافنا أناسًا حساسين وجدوا هذا الوضع قاسيًا، بل لا يُطاق. لكنهم لم يكونوا واهمين لدرجة أن يختلقوا طريقة لتجنب ذلك، أو إخفائه، أو التظاهر بأنه ليس كذلك. في الواقع، لقد توصلوا إلى حل جيد إلى حد ما لمشكلة ارتكاب الجرائم.

قرروا إلقاء اللوم على رئيس القبيلة الذكر في كل خطأ في الحالات التي لا يمكن فيها العثور على الجاني الحقيقي. دعونا نتذكر أنه في المجتمعات ما قبل الأبوية، كان الزعيم القبلي أو الملك يتم تمكينه ("مسحه") من قبل كاهنة تمثل الإلهة. كانت طقوس الزواج المقدس *(hieros gamos*، هيروس غاموس*)* تضمن أن الملك المستقبلي شجاع ولكنه رقيق، رجل نبيل وبريء يمكنه الاستسلام لامرأة في أكثر أعمال التواصل الإنساني حميمية. بقبوله اللوم رغم براءته، أصبح ملك القبيلة "الضحية البديلة" التي ستتحمل خطايا المجتمع. بالنسبة للحساسيات القديمة، بدا من الخطأ وضع امرأة، مانحة الحياة للجنس البشري، في دور كبش الفداء المحفوف بالمخاطر، لذلك كان الضحية البديل دائمًا رجلاً. كان لكونك ملكًا مقدسًا مزاياه، بما في ذلك متعة التأهيل الجنسية مع ابنة الإلهة، لكنه كان يحمل خطر أن تُقتل للتكفير عن الجرائم التي لم يتم حلها في المجتمع. في اليونان القديمة، كان يُطلق على الملك الذي يُضحى به اسم فارماكون. يوضح جيرارد أن كلمة "فارماكون" تعني كلاً من المرض والعلاج. "إن الضحية [التي تم اختيارها لتكون كبش فداء] تجذب إليها كل العنف الذي يصيب الضحية الأصلية، ومن خلال موتها تحول هذا العنف الضار إلى عنف مفيد."[236]

نجح هذا النظام لأنه شجع الملك على أن يكون قدوة في الصدق واللطف، وأن يساعد أو يرشد أفراد المجتمع على فعل الشيء نفسه. لكن الأهم بكثير من وظيفة القدوة الحسنة هو أن جعل الملك كبش فداء قد طهر المجتمع من الحاجة إلى العنف الانتقامي. يُعد العنف الانتقامي أحد أكثر أشكال السلوك وحشية في التجربة الإنسانية، وهو أمر مروع بشكل خاص عندما يتعذر تحديد هوية مرتكب الفعل المحرض. (الضربة الاستباقية هي عنف انتقامي بدون وجود مرتكب معروف ومحدد بدقة.) ورثت المجتمعات الوثنية عادة المجتمعات ما قبل الأبوية: السماح بالانتقام في الحالات التي يكون فيها الجاني معروفًا ويمكن معاقبته أو قتله من قبل أقارب ضحاياه. "العين بالعين". كان ذلك يُعتبر عادلاً بما فيه الكفاية. لكن عندما لا يكون للعنف الانتقامي هدف محدد، وعندما يتم إضفاء الطابع

الديني عليه ويدفعه شعور ملتهب بالاستقامة، فإنه يدمر الأرض. إنها تصبح أداة بيئية وإبادة جماعية، وفوق ذلك، سلاحاً كارثياً.

كانت الملكية القائمة على التضحية هي الشكل الأصلي وغير الفاسد لـ "آلية الضحية" عند جيرارد. في المجتمعات الصغيرة التي نشأت فيها، نجحت هذه الطريقة بشكل جيد إلى حد ما. لكن بمرور الوقت ومع ازدياد تعقيد المجتمع في البيئات الحضرية، تحولت الضحية إلى آلية مرضية معقدة، وتحول الدافع للعنف الانتقامي - الموجود دائمًا في الطبيعة البشرية - إلى عقدة المخلص.

الضحية الإلهية هي النموذج الروحاني للمخلص.

"أمر قضائي"

بمرور الوقت، تحول التضحية بكبش الفداء إلى مخطط ديني ضخم لإصلاح كل شيء في العالم، أو لهزيمة ما هو غير صحيح، بدلاً من كونه عادة متواضعة ومؤقتة للحفاظ على السلام. يقول جيرارد إن كبش الفداء في شكله اللاحق والمنحط "ليس مجرد وهم وتضليل، بل هو الوهم والتضليل الأكثر قوة وتأثيراً

في التجربة الإنسانية [التشديد من عندي]". [237] إن التضحية بكبش الفداء هي أصل "الوهم الديني"، ولكنها أيضاً ما يمنح الدين هذه القوة الاجتماعية والسياسية الهائلة. لكن الأمر لا ينجح إلا طالما أن الناس في النظام الديني لا يرون كيف يعمل. "لا يحمي الدين الإنسان إلا طالما لم يتم الكشف عن أسسه النهائية."

يوضح جيرارد أن أولئك الذين يستفيدون من كبش الفداء يكونون - أو يبدو أنهم - محميون من العنف الكامن في داخلهم، بينما في الواقع يسمحون للآخرين بممارسة هذا العنف نيابة عنهم. وفي الوقت نفسه، ينكرون أي صلة لهم بالأمر. يوفر مفهوم "الضحية" شعوراً بالغفران، ولكنه يسمح سراً لكل من الضحايا والجناة بالمشاركة بعمق في المعاملات المرضية للعنف. يكشف تحليل جيرارد المذهل عن العلاقة بين الضحية والجاني في جانبها التواطئي: فالضحايا ينكرون قدرتهم على ممارسة العنف ضد الآخرين. ينكر الجناة العنف الذي يمارسونه ضد الآخرين. في جوهرها، هذا إنكار واحد لا غير. ويؤكد أن التضحية بكبش فداء هي الجوهر الخفي "لكل أشكال أمر القضائي الذي تعيش فيه البشرية". [238]

إن أكثر التحولات المرضية تطرفاً وعظمة في عملية التضحية بكبش الفداء هي عقدة المخلص التي تتمحور حول شخصية الضحية الإلهية. يستطيع الجناة استخدام المسيحية لتبرير أفعالهم لأنهم وضحاياهم يؤمنون بنفس الحل لمشكلة الشر. إن ثنائية المصدر المنقسم تعني أن الألم والمعاناة يأتيان من الإله الصالح. لكن كذلك الحال بالنسبة للراحة من تلك الشرور، وكذلك العدالة والإنصاف. إنه وضع مربح للجميع. إن الإيمان الخلاصي بمثابة رخصة مفتوحة للقتل والتعذيب والاغتصاب والكذب والتلاعب والسيطرة، لأنه مهما فعل الجناة، فهم يضمنون التواطؤ السلبي للضحايا - ولكن فقط الضحايا المؤمنين الذين يتبنون نفس العقيدة ويتبعون نفس الخطة، وهي حبكة تاريخ الخلاص. يمنح الإيمان الخلاصي أولئك الذين يعانون على أيدي الآخرين الحق في ادعاء التفوق الأخلاقي. تؤكد العديد من أقوال يسوع في العهد الجديد على هذا الترتيب وتعززه. يمكن تعذيب وقتل الضحايا الذين يقبلون القيمة الخلاصية للمعاناة ويؤمنون بوجود عامل انتقام خارق للطبيعة حتى نهاية الزمان، وهم يعلمون أنهم سينتصرون، ويبرئهم الإله الأب، ويعودون إلى الحياة بأعجوبة لينضموا إلى رفقة المخلصين. وفي الوقت نفسه، يمكن لأولئك القلائل الذين ينفذون أجندة الهيمنة بتعصب أن يطمئنوا إلى أنهم يجبرون العالم على التوافق مع خطة الله. يتواطأ الضحايا والجناة في لعبة "السادية والمازوخية الخارقة" (على غرار ملاحظة آلان واتس اللاذعة). إلى جانب الكذبة المتعلقة بمن خلق العالم، تأتي الكذبة المتعلقة بكيفية انتصار الضحايا والجناة على العالم في سيناريو نهاية لعبة الخلاص.

يمثل الضحية الإلهي مثالاً آخر على المحاكاة المضادة: فهذه الشخصية تحاكي كبش الفداء القبلي،

أداة العدالة المناسبة للنفسية الأصلية، لكنها تمنحها قيمة خارقة للطبيعة تطغى على الإحساس البشري بالعدالة وتلغيه. رأى الغنوصيون الخداع في الخلاص الإلهي وحاولوا كشفه. لا بد أنهم شعروا بالرعب عندما رأوا كيف أن الإيمان بالخلاص الخارق يمجد المعاناة ويضفي عليها طابعاً غامضاً، ويمنح أتباعه الحق في إلحاق المعاناة أو التواطؤ فيها، دون الاعتراف بذلك، حتى (أو بالأخص) لأنفسهم. ولا بد أنهم فوجئوا عندما وجدوا أنفسهم مستهدفين بالعنف المرضي الذي يتكاثر مثل فيروس قاتل في تواطؤ الضحية والجاني.

إن تواطؤ الضحية والجاني يتم تصويره بشكل درامي واضح في كل من العهد القديم والعهد الجديد، لكن "آلام المسيح" هي التجسيد النهائي لعقدة المخلص على مسرح التاريخ. في قلب هذه الدراما يكمن الحمل البريء (بمعنى: كبش الفداء) الذي يحمل خطايا العالم. يقدم نظام المعتقدات المرتبط بالضحية الإلهية حلاً للشر. لكن جيرارد يوضح أن هذا الحل وهمي. لكنه يعمل.

لكنني أود أن أؤكد أن الحل لا ينجح إلا مع الأشخاص الذين يعانون من أوهام. في عالم مجنون، يصبح الجنون منطقياً.

ومن الدروس القاسية الأخرى للتاريخ ما يلي: لا يمكن للبشرية أن تحقق التطور المشترك مع الكوكب طالما أن المجتمع يتبع برنامج السيطرة المتخفي دينياً للنظام الأبوي. لا يمكننا أن يكون لدينا دين الطبيعة، الذي قال رينيه دوبوس إنه ضروري للبقاء، طالما أن الدين والسياسة يحافظان على اتفاقهما الجهنمي الذي تم إبرامه منذ زمن بعيد في بلاد ما بين النهرين وجعله قسطنطين رسمياً. إن المسيحية الرومانية ليست هي المشكلة بأكملها، بل جميع أنظمة المعتقدات الخلاصية هي كذلك، لكنها الأكثر انتصاراً بين الجناة. لقد استحضرت الجحيم على الأرض، وقضت على الغنوصيين، ودمرت الأسرار، ودمرت معارف العصور القديمة، وانتزعت قلب أوروبا الوثني، وقتلت القابلات والمعالجين، وساعدت النازيين، واستعمرت العالم، وأحرقت وشنقت أطفال القبائل في الأمريكتين، وموّلت نهب الطبيعة والخداع الخبيث لشعوب العالم الثالث، ولإخفاء جرائمها، ألقت تعويذة من الذنب والجهل على مدى ستين جيلاً.

اكسر تلك التعويذة وسيبدأ السحر الأسود للاهوت الخلاصي في التلاشي، مما يسمح للنظام الأبوي بالزوال لأسبابه غير الطبيعية.

---

* Iعند تبني مصطلحات جيرارد، سأستخدم باستمرار مصطلح "آلية الضحية" للدلالة على الفعل المحدد لاختيار ضحية ككبش فداء، وذلك على عكس مصطلح "الضحية"، وهو حالة الشخص البريء الذي يتعرض للإيذاء أو الأذى أو الموت، أي أنه ضحية.

19

رسالة حب فريدة

إن الضحية الإلهية تعكس للبشرية، ليس حلاً لمعاناتنا وطريقة للتغلب عليها، بل استعبادنا الكامل والمدمر لها. تنجح فكرة "آلية الضحية" لأنها تجعل قوة المعاناة تبدو أقوى من قوة الحياة نفسها.

أُمرتُ بالحب

وإذا لم يكن كل هذا كافياً - وهو كثير بالفعل، هاوية شاسعة يمكن النظر إليها دون الشعور بالدوار - فهناك منعطف أخير قاتل، مثل الشوكة الموجودة على الخطاف والتي تبقيها مدفونة في اللحم. إن القوة الهائلة لكبش الفداء تعود إلى تواطؤ الضحية والجاني، لكن الضحية الإلهية في تاريخ الخلاص ليست مجرد ضحية: بل هي أيضًا رسول أرسله الله برسالة حب فريدة. يعتقد كثير من الناس أن يسوع هو الرسول الأبرز للحب. عندما سأله الفريسيون "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ:

> إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. (مرقس 12: 29–31)

كل هذا يبدو رائعاً إلى أن نطرح السؤال: من يحتاج حقاً إلى أن يُؤمر بالحب؟ كل من أحب أي شيء في الحياة، سواء كان شخصًا آخر، أو حيوانًا، أو مكانًا في الطبيعة، أو عملًا فنيًا - أيًا كان - يعرف أن الحب يأتي بقوته الخاصة. لا يمكن ولا يلزم إصدار أوامر بشأنه. تخيل أنك تُعرض عليك منطقة جراند كانيون ويُطلب منك أن تحبها. قد لا تحب ذلك، ولكن إذا أحببته، فلن تحتاج إلى أن يُطلب منك ذلك. نحن نحب بشكل عفوي، من خلال قوة الحب نفسه، الذي لا يمكن إجباره. إذا كانت هذه هي الحقيقة البديهية عن الحب في التجربة الإنسانية، فلماذا يجب أن يكون حب الله وحب الجار مختلفين؟

إن الأمر بالحب هو الحيلة التلاعبية العليا لأجندة المهيمن، وهو أمر خبيث للغاية أيضاً. (في قصيدة من سطرين بعنوان "رد على يسوع"، قال د. هـ. لورانس إن من يجبر نفسه على الحب يولد قاتلاً في صدره.) ولكن لنكن أكثر سخاءً، يمكن تسميتها بالدعوة المركزية للأبوية الإلهية، والتي المتحدث الرئيسي باسمها هو يسوع المسيح. إن الكثير مما قاله يسوع هو هراء واضح يتعارض مع الطبيعة البشرية، مثل الآيات المذكورة أعلاه، لكن لا أحد يرف له جفن عندما تُنطق هذه الوصايا. لمَ لا؟ لأن رسول الحب هو الضحية الإلهية في صورة بشرية، ودحض يسوع من شأنه أن يبدد قوة كبش الفداء في التوبة. سنكون بمفردنا تماماً، بلا قواعد نتبعها، مجبرين على الحكم على الخير والشر

بالاعتماد على المعايير البشرية، دون غفران للجناة ودون إنصاف للضحايا. هذه هي الحقيقة الوجودية التي لا تطاق للحالة الإنسانية - ولكن لا، نحن نفترض فقط أنها لا تطاق. في الحقيقة، لم نجربها، ولم نختبرها بأنفسنا لنرى كيف يكون الشعور الحقيقي. هناك الكثير من التكييف الديني والتاريخي المتراكم على النفس البشرية لدرجة أنه يعيق الوصول إلى الحقيقة المجردة لتجربتنا الخاصة. أكد آر. دي. لاينغ أن الدمار النهائي الذي يمكن أن يلحق بالإنسان هو تدمير قدرته على خوض تجربته الخاصة - وقد فعل التوحيد الأبوي ذلك، مستخدما الدين كذريعة. وانطلاقاً من نفس المنظور، حذر الغنوصيون من أن الخلاصية ستهزم موهبتنا الإلهية، وهي العقل، أي القدرة البشرية على التعلم والتطور. كيف لنا أن نعرف ما يستطيع البشر فعله بمواردهم الخاصة إذا كنا نعتمد على قوة خارقة لتحديد أبسط قضايا الحياة؟

إن رسالة الحب هي بمثابة الشوكة الموجودة على خطاف التواطؤ بين الضحية والجاني. والطعم على الصنارة هو يسوع. (في مكان ما في أعماله، يقدم جوزيف كامبل نقشًا خشبيًا من العصور الوسطى يصور يسوع وهو يُنزل من السماء على خطاف ضخم - لإظهار أنه كان "صيادًا للبشر".) إن رسالة "رجل الأحزان" تتعارض تماماً مع الحالة الإنسانية لدرجة أنها استغرقت قروناً من التلاعب والاعتذار لجعلها تبدو صحيحة ولو جزئياً. كتب آلان واتس في كتابه "ما وراء اللاهوت":

> نحن مشلولون روحياً بسبب ولعنا بيسوع. حتى بالنسبة للملحدين، فهو الرجل الصالح للغاية، والمثال والسلطة الأخلاقية التي لا يمكن لأحد أن يختلف معها. مهما كانت آراؤنا، يجب علينا بالضرورة أن نحرف كلمات يسوع لنتفق معها. يسوع المسكين! لو كان يعلم مدى السلطة العظيمة التي ستُفرض عليه، لما نطق بكلمة واحدة. [239]

وما زالت العملية مستمرة. في مقال بعنوان "المفارقة المسيحية - كيف أخطأت أمة مؤمنة في فهم يسوع"، يقول الكاتب البيئي بيل ماكيبين (مؤلف كتاب نهاية الطبيعة) عن الآيات الواردة في إنجيل مرقس 12 التي تأمر بالحب: "على الرغم من أن قوتها البلاغية قد خفتت بسبب الاعتراف، إلا أنها فكرة جذرية".

ربما تكون هذه الفكرة الأكثر جذرية على الإطلاق. [240] إذا افترضنا أن هذا صحيح، فسوف نضطر إلى فعل أي شيء وكل شيء يمكن تصوره للتوافق مع "تعاليم يسوع"، معتقدين أن اتباع نصيحته سيغير الحالة البشرية. إذا واجهنا نحن البشر صعوبة في تطبيق رسالته السامية، فلا بد أن يكون ذلك خطأنا بالكامل. إذا قال يسوع أشياء صحيحة وأساسية عالميًا للعيش بالطريقة التي ينبغي أن يعيش بها البشر، وفهمنا يسوع بشكل خاطئ، فهذه مشكلة خطيرة بالفعل.

لكن إذا كان يسوع نفسه مخطئاً، فهذه مشكلة أكثر خطورة بكثير.

انظر إلى التاريخ وتأمل في كل ما قيل وفُعل لإظهار أن يسوع كان على حق، مقارنة بما قيل وفُعل لإظهار أنه كان على خطأ. أما فيما يتعلق بالحجة الأخيرة، فلا يوجد شيء تقريباً. إذا كانت هناك ردود على يسوع، فقد تم تدميرها بالتأكيد، كما تم تدمير كتابات الغنوصيين. ماذا يدلك غياب

الحجة المضادة بشكل شبه كامل؟ في المكتبة اللاهوتية بالجامعة الكاثوليكية في لوفين، حيث أقوم أحيانًا بإجراء أبحاث حول الكتابات الغنوصية أو مخطوطات البحر الميت، توجد طوابق كاملة من أكوام طويلة من الكتب التي تجادل بأن يسوع كان على حق. يمكن العثور على الحجة الغنوصية المتبقية ضد المسيحية في كتاب واحد، وهو مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية. يشبه الأمر العثور على رقاقة شوفان صالحة للأكل في مكب نفايات كريه الرائحة بحجم ملعب كرة قدم.

إن كتابات آباء الكنيسة المجمعة المخصصة لدحض الغنوصيين - ملف الادعاء - وحدها تشغل عدة ياردات من مساحة الرفوف. والأدب الآبائي ليس سوى جزء صغير من مجمل الخطاب الدفاعي والتبريري الذي تم إنتاجه لإثبات أن يسوع كان على حق. نميل إلى الاعتقاد بأن يسوع كان على حق لأنه كان هناك جهد هائل لإقناع العالم بذلك، لكن مدى الحجة ليس دليلاً على صحتها. في الواقع، قد يكون ذلك دليلاً على عكس ذلك: جهد هائل لتحويل العقل البشري إلى سوء نية الإنسانية المخادعة.

لماذا يصعب دحض أقوال يسوع؟ حسناً، بصرف النظر عن التعقيد المذهل لعقدة المخلص والمرض الغامض لتواطؤ الضحية والجاني - وكلاهما يمثل تحدياً هائلاً للفهم البشري، ويتطلب ممارسة استثنائية للصبر - هناك عقبتان كبيرتان أخريان في الطريق. أولها المشكلة التي تطرحها "تعاليم يسوع"، ولها جوانب معقدة عديدة.

لم يكتب يسوع نفسه شيئاً، لذا فإن الكلمات المنسوبة إليه كتبها أشخاص آخرون. لكي نثق بأن لدينا سجلاً عادلاً ودقيقاً لما قاله الرب، يجب أن نثق بمن سجلوا كلماته. لكن حتى لو كنا نثق بيسوع، ونؤمن بأنه عاش بالفعل وكانت لديه رسالة فريدة للبشرية، فإن الثقة في أولئك الذين كتبوا تلك الرسالة أمر آخر. لنفترض أن رسالته يمكن العثور عليها حصرياً في الكلمات المنسوبة إليه، والتي عادة ما تُطبع باللون الأحمر في العهد الجديد. استخرج كل هذه المقاطع وستحصل على ما يُزعم أن يسوع قد قاله. لكن التعاليم لا تقتصر على هذه الكلمات وحدها. وهي موجودة أيضاً في كل ما قيل وكتب عن تلك الكلمات - أي شرح التعاليم. يمكن للمرء أن يقبل كل هذه المواد كجزء صحيح من "تعاليم يسوع". لكن مع هذا العرض نواجه نفس المشكلة مرة أخرى: وهي الثقة بمن قاموا بإنتاجه. نحن دائماً على بعد خطوة واحدة من يسوع، معتمدين على الأشخاص المجهولين الذين كتبوا الكلمات المنسوبة إليه، وعلى العديد من الأشخاص المعروفين الذين قدموا تعليقاً داعماً لتلك الكلمات. باختصار، نحن في موقف يتطلب منا أن نثق بما يقوله الآخرون لكي نعرف ما قاله يسوع.

الآن، هناك طريقة للتغلب على هذه المشكلة. لنفترض أن كل ما علّمه يسوع، جوهر رسالته ونطاقها، يمكن العثور عليه في المقاطع الحرفية المطبوعة باللون الأحمر. هذا يقلل من نطاق المهمة بشكل كبير. بغض النظر عما قيل عن كلام يسوع، إذا لم نتمكن من إيجاد الرسالة الأساسية في كلماته، فإننا في الحقيقة لا نصل إلى رسالته على الإطلاق، أليس كذلك؟ على الرغم من أننا لا نستطيع التأكد تماماً من أن السجل الحرفي هو سرد حقيقي لكلماته، إلا أنه يمكننا المضي قدماً كما لو كان كذلك. يمكننا بعد ذلك أن ننظر إلى الكلمات نفسها، واللغة، والتعبيرات، ونرى نوع التعليم الذي تقدمه.

دون الحاجة إلى الكثير من التدقيق، يكشف هذا التمرين بسهولة أن هناك القليل من المحتوى الأصلي في الكلمات المنسوبة ليسوع. لاحظ أيضًا أن وصية "أحب جارك" لم تنشأ مع الجليليين. ويمكن العثور على ذلك في سفر اللاويين 19 :18: "لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ

قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ". إن الطريقة التي تم بها صياغة هذه الوصية تشير بوضوح إلى الصراع داخل المجتمع اليهودي الذي توجه إليه. يهدف ذلك إلى كبح العنف الانتقامي ضمن حدود القبيلة. يؤكد الإعلان "أنا الرب" أن الأمر يأتي من قوة خارقة لا يجب التشكيك فيها أو الطعن فيها. لا يوجد هنا أي تعليم، إنما مجرد أمر موجه إلى جماعة قبلية معينة للتصرف بطريقة معينة. الوصايا لا تعلمنا شيئاً. يسوع لا يُعلّم أيضاً. هو يكتفي بذكر هذه الوصية، ثم يقوم بتعديلها في سياق آخر:

> سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ. (متى 5 :43-44).

والآن، يبدو أن هذه الآيات تُظهر حقاً الجوهر الأصلي لتعاليم يسوع. هنا ينفي يسوع قانون العهد القديم "العين بالعين"، الذي يعتبر في المجتمعات الوثنية والأصلية حلاً كافياً تماماً عندما يكون الجاني معروفاً. كثيراً ما يقال إن المسيحية تحقق أعظم تقدم لها على اليهودية برفضها مبدأ المعاملة بالمثل لصالح الحب الشامل. لكن بالنظر إلى ما تعلمناه عن كبش الفداء، سيكون من الحكمة أن نصغي جيداً لما يقوله الضحية الإلهي عن الظلم في الآيات المذكورة. إن التقدم الأخلاقي العظيم الذي يقترحه يسوع هو تأييد صريح لتواطؤ الضحية والجاني: "أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ". عندما تقترن هذه الوصية بالتأكيد على أن الإساءة والاضطهاد سيكسبان رضا المخلص - "طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي" - يتمتع الضحايا بموافقة إلهية على التعرض للإيذاء، بل وحتى على دعوة الآخرين للإيذاء.

الأخلاق ذات المأزق المزدوج

أما ثاني أكثر سمات تعاليم يسوع التي يُقال إنها أصلية حقًا فهي القاعدة الذهبية: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ". لكن مرة أخرى، هذا المثل ليس أصلياً بالنسبة للجليليين. لا توجد القاعدة الذهبية في اختلافات طفيفة في جميع ثقافات العالم فحسب، بل كانت معروفة بين اليهود بأنها التعليم المركزي للحاخام هليل (الذي ازدهر في الفترة من 30 قبل الميلاد إلى 10 ميلادي)، الزعيم الروحي والأخلاقي البارز في جيله. عندما سُئل نفس السؤال الذي طُرح على يسوع، "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟" أجاب هليل: "لا تفعل بالآخرين ما تكرهه أنت". هذا هو جوهر التوراة. أما الباقي فهو مجرد تعليق. لكن من المهم للغاية ملاحظة أن يسوع، عند اقتباسه من هليل، يغير صيغة العبارة من سلبية إلى إيجابية. إن تغيير الصيغة يقوض تماماً المعنى الأصلي لمبدأ هليل.

ما يُعتبر بغيضاً لشخص ما يكون واضحاً تماماً بالنسبة لذلك الشخص. هذا النفور يخبر الشخص على الفور بما لا يجب فعله بالآخرين. إن مبدأ هليل رادع قوي يتجنب تماماً لغة الثواب والعقاب. من الناحية النفسية، هذه إرشادات رائعة. إنها ليست أخلاقاً مثالية، شيء يبدو جيداً لكن لا يمكن تطبيقه

عملياً. إنها صادقة ووجودية. يمكن اختبارها، ويمكننا التعلم من التجربة لمعرفة ما إذا كانت ناجحة. لكن الصيغة الإيجابية لنسخة يسوع من المبدأ لها دلالة مزدوجة تجعلها مختلفة تمامًا. إن مجرد التفكير فيما نريده من الآخرين أن يفعلوه بنا أمر مربك ويؤدي مباشرة إلى الابتعاد عن الحقيقة الأساسية لمبدأ هليل. إن القاعدة كما عدّلها يسوع تتعلق بما نريده من الآخرين، وليس بما هو بغيض ولا يمكن التسامح معه. إن ما نريده من الآخرين هو اعتبار كبير ومشوّه. يجعل ذلك سلوكي تجاه الآخرين يعتمد على ما يمكنني الحصول عليه، أو ما أتخيل أنني أستطيع الحصول عليه، منهم. هذه الاعتبارات تشوه تماماً العلاقة الأخلاقية الأساسية بين الناس، والتي تعتمد على الانفصال عن استخدام الناس لأغراض شخصية.

ثم هناك تشوه ثانٍ. عندما يقول يسوع "عاملوا الآخرين" بدلاً من "لا تعاملوا الآخرين"، فإنه يلمح إلى ضرورة الالتزام. يمكن إعادة صياغة القاعدة الذهبية في نسخته على النحو التالي: "أنت ملزم بمعاملة الآخرين بالطريقة التي قد ترغب أن يعاملوك بها". كيف يعمل هذا المبدأ عملياً؟ حسناً، تخيل أنني أريد من جاري أن يعرض عليّ قضاء عطلة مجانية في تاهيتي. ما أفعله إذن، بما يتوافق مع أخلاقيات يسوع، هو أن أستدير وأشتري لجاري عطلة مدفوعة التكاليف بالكامل في تاهيتي.

ليس من الصعب جعل القاعدة الذهبية في نسخة يسوع تبدو سخيفة، لكنها ليست ضرورية أيضاً. إن هذا الاقتراح سخيف بشكل واضح، بل وحتى تافه. وعلى النقيض من ذلك، فإن المبدأ الذي ذكره هليل هو مبدأ سليم للغاية. من الصعب جعل الأمر يبدو سخيفاً. في عنصر الالتزام الذي يحمله، تنتمي نسخة يسوع من القاعدة الذهبية إلى ما أسماه الفيلسوف الوجودي والتر كوفمان الأخلاق الحكيمة. كان يقصد بذلك مدونة أخلاقية تلزمنا بفعل الأشياء من أجل تحسين نفوسنا. من الحكمة أن نفعل الخير للآخرين، على سبيل المثال، لأننا سنُكافأ على فعل ذلك. في كتابه "إيمان هرطقي"، يجادل كوفمان بأن الأخلاق اليهودية المسيحية "لا تعرف قيمة الفعل الذي يتم القيام به من أجل ذاته"، دون توقع مكافأة (أو عقاب). "إن أخلاق العهد القديم هي أخلاق الحكمة والمكافآت، كما لو أن الفكرة الأساسية هي أن فعل الخير يجدي نفعاً." [241] إن نسخة يسوع من القاعدة الذهبية تجمع بين الأخلاق الحكيمة وعنصر الخيال المتمثل في الرغبة العشوائية. "فكر فيما ترغب أن يفعله الآخرون من أجلك، ثم افعله من أجلهم، ليس من أجل مصلحتهم، ولكن من أجل المكافأة التي ستجلبها لك." هذا إعادة صياغة دقيقة لتعاليم يسوع. إن الأخلاق الحكيمة هي سلوك منحرف لا علاقة له بالاعتبار المسؤول للآخرين.

عند التدقيق، يتضح أن تعاليم يسوع لا تعدو كونها بعض الاقتراحات الموجزة لتقديم المشورة للضحايا. سيتطلب الأمر كتاباً كاملاً لاستعراض السجل الحرفي واكتشاف ما هو أصلي حقاً فيه، وما هو مشتق تماماً، وما هو مجرد جنون محض. يكفي أن نذكر ملاحظتين بارزتين: إن ما يسمى بالتعاليم ليس تعاليم على الإطلاق، بل هو مجرد تصريحات عن الأبوية الإلهية، ومعظم اللغة تستخدم صيغًا مزدوجة التناقض تُنشئ قضايا متناقضة، مثل التطويبات من موعظة الجبل. من كتب الكلمات المطبوعة باللون الأحمر كان شديد الخبث وشديد الذكاء. إن التعليم المنسوب إلى الضحية الإلهية هو خدعة شيطانية. إن أخلاقيات يسوع السكرية والفصامية تجعل من الجيد للضحايا التواطؤ مع الجناة. في كثير من الحالات، تكون المبادئ التي يشرحها يسوع خاطئة بالنسبة للحالة الإنسانية وغير قابلة للتطبيق على الإطلاق من الناحية الوجودية.

كان يسوع مخطئاً في كثير من الأمور، ولكن ربما كان مخطئاً بشكل كبير في مسألة واحدة. من بين جميع النصائح المشكوك فيها التي وردت في العهد الجديد، هناك وصية واحدة ضارة بشكل خاص: وهي الوصية الشهيرة "لا تقاوم الشر" و "أدر الخد الآخر". إذا فعل الجميع ذلك، فما نوع المجتمع الذي سينتج؟ إذا سامح الجميع بعضهم بعضاً، فمن سيوجه الضربات؟ حسناً، من الواضح أنه لا أحد. لو اتبع كل شخص في العالم الأمر "أدر خدك الآخر"، لما كانت هناك حاجة إلى إدارة الخد الآخر، لأنه لن يكون هناك من يتصرف بشكل ضار تجاه أي شخص آخر. إن هذا المبدأ سخيف بشكل واضح ويلغي نفسه، ولكن إذا تم الأخذ به على محمل الجد فإنه يخدم غرضاً لا لبس فيه: وهو منح الحرية الكاملة للجناة.

من الصعب تحديد أيهما أكثر سوءًا: هل كان يسوع صادقًا حقًا في اقتراح هذا النوع من السلوك، أم أنه كان منحرفًا عن قصد؟ في كلتا الحالتين، فإن أخلاق إدارة الخد خاطئة تماماً لأنها تجبر الأشخاص الذين لا يميلون إلى إيذاء الآخرين على الاعتماد على أولئك الذين يلحقون الضرر لتبني نفس ممارسة عدم الدفاع. لكن هل سيغير الأشخاص الذين يميلون إلى إيذاء الآخرين وإساءة معاملتهم سلوكهم طواعية، لمجرد أنهم يواجهون شخصًا لا يقاومهم؟ في أي حالات في التاريخ أو الحياة الاجتماعية حدث هذا؟ أمثلة من فضلك! وتماشياً مع هذه القاعدة، فإن الجناة ملزمون باتخاذ موقف دفاعي، ليس عن طريق التغاضي، ولكن بطرق أخرى. إنهم يختبئون ويكذبون ويفعلون كل ما يلزم لحماية أنفسهم حتى يتمكنوا من ارتكاب جرائمهم دون أن يتم اكتشافهم أو هزيمتهم. هل من المعقول أن نتوقع من الأشخاص الذين يتصرفون بهذه الطريقة أن يتبنوا طواعيةً مبدأ إدارة الخذ؟ إن اقتراح مدونة أخلاقية تعتمد على حسن نية الجناة للتوقف عن أفعالهم هو ضربة عبقرية انفصامية حقيقية.

قد يبدأ المرء بالتساؤل عما إذا كان هذا القانون لا ينشأ من الجناة في المقام الأول.

إن الافتراضات المتناقضة التي تشكل "تعاليم يسوع" من شأنها أن تبهر حتى أكثر الأشخاص الموهوبين المصابين بالفصام وتخجل أكثر زعماء الطوائف براعةً. لقد عززت العبارات الواردة في موعظة الجبل - مثل "الودعاء سيرثون الأرض" - بشكل فعال تواطؤ الضحية والجاني على مدى سبعين جيلاً، وهي الفترة الزمنية التي انقضت منذ أن عاش يسوع. لاحظ جاك فاليه قائلاً: "إن الطريق إلى إيمان الإنسان يمر عبر الارتباك والعبث". كان يتحدث عن "نظام التحكم الروحي" لظاهرة الكائنات الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة، لكن ربما كان يناقش الأخلاق المسيحية. مع وجود وصايا لفعل ما هو طبيعي، كيف يمكنك أن تفشل؟ لكن الجنون يكمن في أنه، لأن ما هو طبيعي لا يمكن السيطرة عليه، فسوف تفشل. من المفترض أن تفشل. "الجميع أخطأوا وقصروا عن بلوغ مجد الله". هكذا يعمل البرنامج. هكذا تسير الأمور في تاريخ الخلاص. هذا هو وضع الشعب اليهودي في العهد القديم.

سيقول الغنوصي: كلنا يهود بالنسبة للأركون، الحكام، السلطات - أي المتحكمين الخفيين في أجندة الهيمنة.

إليكم درسًا قاسيًا آخر من دروس التاريخ: إن الأخلاق الملتوية للدين الأبوي المذكورة في "تعاليم يسوع" لم تكن تهدف أبدًا إلى تحسين الحالة الإنسانية، أو إلى توجيه الناس نحو سلوك محب ومسؤول. لقد تم تصوير الأمر فقط ليبدو وكأنهم يفعلون كل ذلك. هناك عبقرية حقيقية، وبراعة

تلاعب حقيقية، في التصوف السادي المازوخي لأخلاقيات المخلص. إن الأناجيل عديمة القيمة عملياً كدليل للأخلاق الشخصية، لكنها أدوات فعالة للغاية للسيطرة النفسية والاجتماعية.

كرامة مجروحة

وغني عن القول، إن التحدث بسوء عن يسوع يبدو أمراً سيئاً للغاية. هذا جزء كبير من صعوبة دحض الجنون الواضح لأخلاقيات المخلص. بطريقة ما، يبدو أننا من خلال تحدي أو عدم احترام يسوع، نهين إنسانيتنا. هذا غريب، لكن الأمر يبدو كذلك بالفعل، ومثل هذا الشعور يشكل رادعاً قوياً للغاية.

إن المقاومة المتأصلة لدحض يسوع هي العقبة الأخيرة التي تقف في طريق البشرية لاستعادة حقها الإلهي الموروث، والذي تم التعبير عنه في الرؤية الصوفيانية للغنوصيين. لماذا هذه المقاومة متوطنة ومستمرة إلى هذا الحد؟ وذلك لأن صورة الضحية الإلهية قد ترسخت في المخيلة البشرية كمرآة للكرامة الإنسانية. إن أي هجوم على يسوع يعتبر بمثابة إهانة للكرامة الإنسانية. أي شيء يقال ضد يسوع يصبح موضع شك فوري لأن شخصية يسوع البشرية قد تم إضفاء أهمية ثمينة وفريدة عليها. لقد أصبح يمثل التقييم الذاتي الفطري للجنس البشري. إن أي هجوم على شخص يسوع، أو أي نقد لرسالة الحب التي تأتي إلينا من خلال المخلص الإلهي، يبدو وكأنه ضربة قوية لإحساسنا المشترك بالإنسانية.

لكن ماذا لو كنا قد وضعنا إحساسنا بالإنسانية في المكان الخطأ؟ في الشخص الخطأ؟

إن ديميورج العهد القديم هو متظاهر متغطرس ومختل عقلياً يدعي أن البشر "مخلوقون على صورته". هذه الكلمات الأربع هي الشعار المؤسسي للنظام الأبوي. إن عبارة "مخلوق على صورته" التي تُطبع على النفس البشرية تدل على الاستعباد الكامل للبشرية لأجندة غريبة من خارج كوكب الأرض. إذا كان الغنوصيون على حق، فإن صعود الخلاصية كان خطأً فريداً بالنسبة لجنسنا البشري، وليس كشفاً أخلاقياً جديداً. لا شيء يخدم المتحكمين الخفيين كغطاء أفضل من رسالة حب كوني. تحمل التفاصيل الدقيقة للرسالة مجموعة من الأوامر المتداخلة التي لا تتسم بالعقلانية ولا بالجدوى العملية: لا تقاوم الشر، أحب أعداءك، أحسن إلى من يؤذيك، اصفح، تقبل الإساءة، سامح الجاني. هذه المقترحات مضمنة في رسالة الحب التي تغلفها بطبقة حلوة. إن رسالة الحب ليست سوى حيلة لتأييد وتعزيز العلاقة بين الضحية والجاني.

مهما حاولنا، لا يمكننا استخلاص رسالة حقيقية من الحب والخير من الأبوية الإلهية. المصدر فاسد للغاية. لعل هذا هو أصعب درس يمكن أن يعلمنا إياه التاريخ.

يمتلك البشر إحساسًا بديهيًا عميقًا لا يتزعزع يخبرنا أن الحب لا يمكن أن يكون أساس الأخلاق، على الرغم من أنه العامل المركزي والموجه في قدرتنا الكاملة على التعبير الأخلاقي (أي الواعي والمسؤول). إن أساس الأخلاق هو إحساسنا بالحياة، وتفانينا لقوة الحياة. * هذا ما يسمح لنا - بل يلهمنا - بقبول واتباع قوة الحب العفوية دون الحاجة إلى فرضها أو التحكم بها. إن نفس الحدس

يمنحنا الثقة لنتعلم كيف نحب مع تطور التجربة، ولنتعلم من خلال الحب كيف نواجه المواقف التي لا ينطبق عليها الحب. لكن تلك المعرفة الحدسية الثمينة معرضة للتأثيرات الخارجية، وخاصة من مجال الدين. لقد أدى التأثير الوحشي للتكييف الخلاصي إلى تدمير الإحساس بالحياة لدى الأوروبيين، ولهذا السبب تصرفوا على النحو الذي تصرفوا به عندما واجهوا انعكاسهم البعيد في القبائل الأصلية للأمريكتين. لقد حسد الأوروبيون ما رأوه، ودمروا ما لم يكن بإمكانهم الحصول عليه حقًا، أي ما لم يتمكنوا من استعادته كجزء من أنفسهم، بل فقط امتلاكه وسرقته ونهبه. مع تحولهم إلى أخلاقيات المخلص، حُرم العالم بأسره من إرث من المعرفة الروحية الأرضية الغنية والواسعة لدرجة أننا قد لا نفهم أبدًا ما فُقد عندما دُمرت الأسرار.

بسبب ضعف ذكائهم نتيجة فقدان ذلك الإرث القديم، لم يتمكن الأوروبيون الذين غزو الأمريكتين من إدراك العبقرية الأصلية في المتوحشين السعداء الذين صادفوهم. (يشير كولومبوس إلى رضاهم في مذكراته بنبرة من الحيرة.) بعد أن تضاءل إحساسهم الأساسي بالإنسانية بسبب المثل الأعلى الخارق، لم يشعروا بالحاجة إلى التصرف بإنسانية. إن ما فعله الأوروبيون في الأمريكتين هو أفضل مقياس لدينا لما هو ممكن عندما يتم تدمير الحس الأخلاقي الفطري للبشرية من خلال معتقدات لا إنسانية.

نحن نرى ما نؤمن به. ما رآه الغزاة هو طبيعة عذراء يجب انتهاكها وثروة لا تعد ولا تحصى يجب سرقتها، لأنهم تعرضوا للانتهاك وسُرقت حقوقهم المقدسة. بسبب فقرهم الروحي والأخلاقي، كانوا مؤهلين بشكل مثالي ليكونوا منفذين لعمليات الغزو والتحويل. كان الجشع خيارهم الوحيد، لأن ثراء ما رأوه، ونطاق وعمق الإحساس الفطري بالحياة، كان بعيد المنال بالنسبة لهم: لم يتمكنوا من استعادة ما فقدوه في الداخل من الخارج. يجب النظر إلى القصة المعروفة للقوارب الطويلة بشكل عكسي: لم يتمكن الأمريكيون الأصليون من رؤية السفن الإسبانية الضخمة الراسية في الميناء، على الرغم من أنهم كانوا يرون مجموعات صغيرة من الرجال يجدفون إلى الشاطئ في قوارب طويلة، لأنهم كانوا يمتلكون قوارب طويلة أيضًا. وبالمثل، كان بإمكان الرجال من السفن الشراعية رؤية السكان الأصليين على الشاطئ، لأن الهنود كان لديهم أجسام بشرية مثلهم، لكنهم لم يتمكنوا من رؤية طريقة حياة السكان الأصليين على الإطلاق. أعلنت صوفيا للديميورج: "أنت أعمى يا سمائل"، ووبخته لعدم رؤيته الصورة المضيئة للإنسانية الحقيقية، الأنثروبوس: "الإنسان الكوني". إن التعليم الغنوصي القائل بأن يلداباوث والأركون لا يستطيعون فهم البشرية يتضمن تحذيراً قوياً ضد الاعتقاد بأننا "مخلوقون على صورة الله".

لن يكون إلهٌ غير قادر على إدراك ماهية البشرية متغطرسًا لدرجة أن يخلقها على صورته.

تُعلّم الحكمة الأصلية أن كل نوع مخلوق على صورة موطنه، المنطقة الحيوية التي يعيش فيها، ونحن لسنا استثناءً من هذا المبدأ. لعلّ أكثر المشاكل صعوبة التي نواجهها في استعادة الرؤية الصوفيانية هي فصل صورتنا الذاتية العامة، وإحساسنا بالإنسانية، عن صورة الضحية الإلهية التي أصبحت متعلقة بها. في عقدة المخلص، نواجه خدعة خيالية، صورة أسطورية تدمر بشكل مباشر قدرتنا الداخلية على تخيل الأحياء: الإله الإنسان المصلوب على الصليب. نحصل على القيامة لكننا نفقد الأرض الحية التي يُحفظ فيها حقنا الإلهي الموروث لنا. إن صورة الضحية الإلهية تملأ مخيلة البشرية، فتقتلها وتخدرها حتى الموت. إن قبولنا للرجل المصلوب كصورة للإنسانية يمنعنا من الوصول إلى إنسانيتنا الحقيقية.

إن المسيحية تجردنا من إنسانيتنا، وتفعل ذلك بالروح التي أعدها "الصادق"، وهو المثل الأعلى العبري للبر والنقاء فوق الأرض.

حب الحياة

إن المخلص الإلهي الذي ينعكس شكله البشري في شخص يسوع يحمل الصورة المقدسة للكرامة الإنسانية، ولكنه في الوقت نفسه يلحق جرحاً رهيباً بالإمكانات البشرية. يُعلن أن المخلص هو وكيل الله الفريد الذي أُرسل إلى العالم لإنقاذه. هو، الابن الوحيد لله، هو الضحية الإلهية، وفي الوقت نفسه، هو نموذج للإنسانية الكاملة، أفضل شخص عاش على الإطلاق، كما تقول رواية الخلاص. إن التأثير النفسي والروحي لهذه القصة يختلف تماماً عما يدعيه أولئك الذين يتبنون القصة ويطبقون المعتقدات التي تتضمنها. "نحن مشلولون روحياً بسبب ولعنا بيسوع" (آلان واتس، المذكور أعلاه). إن الدواء الخلاصي الموعود ليس إلا سماً ينخر في الروح البشرية كالحمض. إن الجرح الذي لحق بكرامة جنسنا البشري من خلال الصورة نفسها التي تستثمر فيها تلك الكرامة، هو قاع الحفرة حيث تحرس السلطة الأبوية سرها الذي لا يوصف: المصدر الخفي لدافعنا الإبادي والتدميري الذاتي.

ما الذي يجرح كرامة الإنسان بشكل أعمق وأكثر ديمومة؟ الاغتراب عن الأرض بسبب وضع صورتها الذاتية في شخصية متجاوزة للإنسان، وفوق أرضية. يؤدي هذا النزوح إلى قطع الصلة العاكسة مع غابا وحياة جميع الأنواع. إنها كذبة أيضاً. لقد خُلقنا، لا على صورته، ولكن بما يتناسب تطورياً مع بيئتنا وموطننا. لقد خُلقنا على صورة العالم الطبيعي الذي نراه، وفقًا لكيفية رؤيتنا له. هذا ما علمته الأسرار من خلال تفانيهم الدائم للأم العظيمة.

كانت لدينا كرامة حتى قبل أن يكون لدينا غرور لنحافظ عليه. عند باب الموت نسعى إلى كرامتنا المتواضعة والفانية، بغض النظر عما قد يبحث عنه غرورنا في الجانب الآخر. لقد حان الوقت لاستعادة الكرامة الإنسانية من حراس الأبوية الإلهية الذين يروجون ويفرضون الديانات الإبراهيمية الثلاث.

إن الضحية الإلهية بالنسبة لأنثروبوس: "الإنسان الكوني" كالشمعدان بالنسبة لـ أشيرا. إنه التركيز البائس والمضلل على قيمة الذات البشرية. بدلاً من انعكاس الإنسانية الحيوية والمبهجة، هناك الرجل المعذب المسمر على الصليب. إن المحاكاة المضادة هنا تستبدل المرض بقوة الحياة والمعاناة النرجسية بحب الذات. يأمرك يسوع بأن تحب جارك كنفسك، لكنه لا يخبرك شيئاً عن كيفية حب نفسك في المقام الأول، لذا فإن هذه النصيحة عديمة الفائدة عملياً. حب الذات هو الأثر الجانبي الطبيعي لحب الحياة. لم يقل يسوع: "يجب أن تحبوا حياتكم بنفس الطريقة التي تحبون بها شخصًا آخر، بحرية وعفوية، دون أن تطلبوا شيئًا في المقابل". وبذلك، من خلال حب الحياة بهذه الطريقة، ستجد القوة لتحمل ما يجلبه لك الحب البشري، سواء في مكاسبه أو خسائره. وعليكم أن تقبلوا أن تُحبوا بنفس الطريقة الحرة والعفوية، دون أن تطالبوا بما تتلقونه. إن الكلمات المنسوبة إلى يسوع لا تقول شيئاً كهذا أبداً، لأن رسالة الحب المطبوعة باللون الأحمر ليست كما يُفترض أن تكون.

إن رسالة الحب التي تأتي من الأبوية الإلهية، والتي يتم تقديمها من خلال النموذج الأمثل للترابط

بين الضحية والجاني، لا يمكنها الوصول إلى المعاناة الإنسانية ولمس جوهر ما يتجاوزها. ولا يمكنها حتى أن تبدأ في الكشف عن السر الحقيقي للحب البشري. إن كل ما يتوافق مع الحالة الإنسانية، ويتماشى مع قدرتنا على الحب، ويكون منطقياً لجميع الأنواع، لن يُعثر عليه في "البشارة" في العهد الجديد، ولكن توقع العثور عليه هناك يجعل من المستحيل تقريباً إدراك اللاإنسانية في يسوع المسيح.

في كتابه *"حيث تنتهي الأرض القاحلة"*، لاحظ ثيودور روزاك أن هيمنة تاريخ الخلاص اليهودي المسيحي قد جرحت الخيال البشري بشدة، مما منع جنسنا البشري من تطوير قدراته السردية وصنع الأساطير. "المسيح ينتمي إلى التاريخ؛ أما منافسوه فكانوا مجرد أساطير. من الواضح أنه مع ظهور المسيحية حدث تحول عميق في الوعي ألحق ضرراً بالغاً بالقوى الأسطورية - أكثر بكثير مما كان عليه الحال حتى في اليهودية. [242]

إن جوهر الشر الفعال هو قتل الخيال، ذلك النور الساطع إيبينويا: "البصيرة" الذي وهبته زوي، ابنة صوفيا المولودة من اللهب، للبشرية (الحلقة 6، والتي تم تناولها بمزيد من التفصيل أدناه). احتج الغنوصيون على أخلاقيات وأيديولوجية الخلاص لأنهم رأوا كيف أنها تدمر قدرتنا على التخيل وتتركنا بدون رؤية إرشادية، غير متأكدين من حدودنا، وعرضة لقوى غريبة، لجميع أنواع الانحراف والنرجسية والهوس بالذات. قبل ألفي عام، أدرك حراس الأسرار أن لاهوت المخلص الذي يتمحور حول الضحية الإلهية من شأنه أن يقوض تماماً مهمتهم المكرسة المتمثلة في تعزيز الإمكانات البشرية وتعليم التوجيه الذاتي. تحدث شامان معاصر في نيبال كما لو كان الغنوصيون قد فعلوا: "لقد كنا نحن الشامان هنا قبل مليون سنة من اكتشاف البشر للصليب والرموز الأخرى". الصليب هو نقيض الشامانية. [243]

إن عملية الصلب خدعة تقتل النفس. في حالة المحاكاة المضادة، فإن ما تراه ليس بالتأكيد ما تحصل عليه. ليس يسوع المسيح هو الذي صُلب على الصليب، بل الخيال البشري، القوة الرؤيوية الفطرية لجنسنا البشري. ولن تُبعث هذه الملكة الثمينة من خلال المصالحة مع الجناة الذين ثبتوها هناك، والذين، في نفس الوقت وفي نفس القصة الملتوية، يعلنون أن الضحية الإلهية هي نور العالم.

---

* تُقدّم حياة وأعمال فيلهلم رايش تعبيراً شجاعاً عن هذا القول. إن شرح رايش للمزاج الصوفي العسكري، وتحصين الشخصية، ومتلازمة الاستبداد الأبوي، و"الطاعون العاطفي" مفيد للغاية في النظر إلى الجرح البدائي للكرامة الإنسانية وانحرافات الأبوية الإلهية. النظام الأبوي يُلحق الجرح ثم يقدم علاجاً زائفاً له. كان علاج رايش هو التنظيم الذاتي القائم على النزاهة الجنسية.

20

ما بعد الدين

لقد لخص الإمبراطور الروماني ومتأهل أسرار إليوسيس ماركوس أوريليوس (121-180 م) جوهر الأخلاق الوثنية بإيجاز: "لقد خلقت الطبيعة كائنات عاقلة لمنفعتها المتبادلة، بحيث يساعد كل منها رفاقه وفقًا لقيمتهم، ولا يلحق بهم أي ضرر بأي حال من الأحوال". [244]تأملاته عبارة عن يوميات

تأملات فلسفية كتبها ماركوس أثناء إقامته في معسكرات نائية على الحدود الدانوبية، لحماية الإمبراطورية من الغزو. إنه يوضح مقياس القيم في الأخلاق الوثنية أكثر من أي وثيقة منفردة من العصور القديمة. وضع ماركوس بلغة بسيطة ومباشرة مدونة الشرف واللطف في المجتمع الوثني، بما في ذلك العبيد والأباطرة على حد سواء. *

إذا كانت المسيحية قد انتصرت لأنها كانت ديمقراطية (كما قيل في كثير من الأحيان)، فإن الأخلاق الوثنية لا بد أنها تراجعت لأنها كانت مساواتية فحسب. في مجتمع قائم على المساواة، تنطبق نفس القيم على جميع الناس، بغض النظر عن كيفية معاناتهم في الحياة، أو انتصارهم على المعاناة. الجميع متساوون أمام قوة القدر. تفترض أخلاقيات الخلاص أن القدر يمكن تغييره بشروط خاصة تُمنح فقط للمؤمنين. إنها تحدد أجندة شمولية تستند إلى القيمة الخلاصية المنسوبة للمعاناة التي قد يسببها الله (المسألة غير محسومة)، ولكن من المؤكد أن الله وحده هو القادر على تخفيفها. تعتمد ميزة الحل الخلاصي أولاً على جاذبيته الديمقراطية - فكل من يعتنق العقيدة يحظى باهتمام خاص من إله الخلاص - ثم على قوة المعتقدات غير القابلة للتحقق، والتي، على الرغم من سخافتها الواضحة، لا يمكن دحضها بالعقل. وأخيراً، فإن الخلاصية تضفي على المعاناة قيمة عالمية وتمنحها طابعاً سحرياً وخلاصياً. لم يكن هناك ترياق في الفكر الوثني لمثل هذا التضليل الغريب.

يتردد صدى مبدأ التسامح الوثني في جميع أنحاء كتاب التأملات. تتلاقى هنا الغنوصية، التي كانت تصوفاً قائماً على الجسد، والرواقية، التي كانت إنسانية موجهة نحو الطبيعة. يتناقض جمال وروعة التأملات مع ثقلها. هذا ليس مبدأ أخلاقي قائم على الالتزام، أو قانون نحاول الالتزام به ونفشل، ثم نشعر بتحسن تجاه أنفسنا لأننا حاولنا.

محاولة الارتقاء إلى مستوى التوقعات والفشل، والشعور بتحسن تجاه أنفسنا لأننا حاولنا. ليس من الأخلاق الحكيمة أن تعد بمكافأة النفس (بفضل الله في النجاح الدنيوي أثناء الحياة، أو بالقيامة في الآخرة) على كل فكرة وعمل صالح. إنها ليست ميتافيزيقا من خارج كوكب الأرض مع سيناريو نهاية اللعبة المتمثل في القيامة والعقاب الإلهي. إنها أخلاق وجودية رصينة قائمة على الالتزام بالمعايير الإنسانية، وميثاق مع ما يمكن تحقيقه بالفعل من خلال الإمكانات البشرية. إذا فشلنا حينها، فسيكون ثقل الحزن هائلاً، لأن المعيار الذي تم وضعه لنا كان ضمن نطاق قدراتنا تماماً.

روح كئيبة تثقل تأملات ماركوس، لكن ثلاث صفحات من يومياته تقدم دروساً أخلاقية أكثر من العهد الجديد بأكمله.

الأخلاقيات الغاياوية

يوجد النظام الاجتماعي في جميع أنحاء الطبيعة - قبل عصر الكتب والقوانين القانونية بفترة طويلة. إنها جزء لا يتجزأ مما نحن عليه، وتتبع أنماطها نفس الطيات والضوابط والتوازنات، مثل اللحم أو الحجر. إن ما نسميه التنظيم الاجتماعي والنظام في الحكومة قد استُحوذ عليه من قبل العقل الحسابي من المبادئ التشغيلية في الطبيعة.[245]

من المفترض الآن أن يكون واضحاً أن الاحتجاج الغنوصي ضد عقدة المخلص كان أكثر من مجرد نقاش حول قضايا لاهوتية غامضة. لقد كان ذلك رد فعل مباشر على الخرف الجماعي الذي انفجر في العالم مع فجر عصر الحوت. لقد كانت محاولة شجاعة لمواجهة الشر الذي يعمل ضد إرادة البشرية في البقاء، ضد قوة الحياة نفسها.

وعلى النقيض من الخلاصية، كانت الديانات السرية، كما يسميها العلماء، مكرسة لإعادة الارتباط المستمر بقوة الحياة النشوية، إيروس، والتجذر في مصدر الحياة، غايا. كان التيليستاي (المعلمين في الأسرار) الذين أسسوا وقادوا تلك المؤسسات القديمة يعتقدون أن الأخلاق بالنسبة للبشر يجب أن تكون متجذرة في علاقتنا بالطبيعة غير البشرية. وهذا أيضاً هو قناعة العديد من الناس اليوم الذين يدافعون عن الحكمة الأصلية ويقترحون تحولاً بعيداً عن أخلاقيات المخلص نحو ما يمكن تسميته بالأخلاقيات الغاياوية. يكتب ديفيد أبرام في كتابه "سحر الحواس": "لا نكون بشرًا إلا من خلال التواصل والتفاعل مع ما ليس بشريًا".[246] وتفترض المنصة المكونة من ثماني نقاط لعلم البيئة العميق، والتي اقترحها آرني نايس وجورج سيشنز، الخير الفطري للجنس البشري - وهو افتراض، أود أن أضيف، لا يصح إلا إذا حافظنا نحن كجنس بشري على إيماننا بالعالم الطبيعي. إذا كانت صلة الجنس البشري بالطبيعة سليمة، فإن الطبيعة البشرية ستميل تلقائياً إلى فعل الخير، دون الحاجة إلى إصدار أوامر. هذا هو الشرط الأول لأخلاقيات غايا.

كتب آرني نايس في مقال بعنوان "تحقيق الذات: منهج بيئي للوجود في العالم":

> لسنا بحاجة إلى الأخلاق لكي نتنفس... إذا كان "ذاتك" بالمعنى الواسع يحتضن كائناً آخر، فلن تحتاج إلى أي حث أخلاقي لإظهار الاهتمام... أنت تهتم بنفسك دون أن تشعر بأي ضغط أخلاقي للقيام بذلك - بشرط ألا تكون قد استسلمت لنوع من أنواع العصاب، أو طورت ميولاً تدميرية ذاتية، أو كرهت نفسك.[247]

إن اللطف الذي يأتي بشكل طبيعي، وليس مفروضاً بأمر إلهي أو مدعوماً بنظام خارق للطبيعة

للثواب والعقاب، قد يكون أمراً لا يمكن تصوره بالنسبة للكثيرين في هذا الوقت المتأخر من التاريخ. لماذا؟ لأن ثقافة الهيمنة تُحط من قدر الروح الإنسانية لدرجة أن الناس الخاضعين لتأثيرها لا يستطيعون الإيمان بأي أخلاق لا تُملى من أعلى وتُفرض بالهيمنة. يجب على النظام الأبوي أولاً إفساد أولئك الذين سيحولهم دين المخلص. لم يكن من السهل إفساد سكان أوروبا الأصليين، لذلك كان لا بد من تعزيز حملة فرض برنامج الخلاص اليهودي المسيحي مرارًا وتكرارًا، وغالبًا ما كان ذلك عن طريق اللجوء إلى تدابير وحشية للغاية. إن الخلاص يشبه "الحماية" التي تقدمها المافيا. يجب على النظام الذي يقدم التكفير عن الخطيئة أن يضمن أن يكون الناس في حاجة ماسة إلى خدماته.

لا يمكن فرض الأخلاق الحقيقية، ولكن الأخلاق التي يتم التحكم فيها عن بعد، كما يمكن تسميتها، هي القاعدة في مجتمع خضع تمامًا لأجندة الهيمنة المتعالية. إن الأخلاق التي يتم التحكم فيها عن بعد هي الطريقة الوحيدة للتصرف بإنسانية تجاه ملايين لا حصر لها ممن فسدت طيبتهم الأساسية بشكل نهائي. من خلال استبعاد العالم غير البشري (أي من خلال المركزية البشرية)، فإن معيار الصادق يقوض مشاركتنا في الطبيعة في جوهرها. إن الحالات المرضية التي يشير إليها نايس - العصاب، والتدمير الذاتي، وكراهية الذات - متأصلة في نموذج المجتمع المهيمن، أو إذا شئت، نموذج السيد والعبد الهرمي الذي أصبح هو القاعدة عندما نشأت السلطة الأبوية منذ آلاف السنين. لقد وقعت البشرية في هذا المرض لفترة طويلة لدرجة أن الأخلاق التي تستمد من السلطة الإلهية تبدو الآن لكثير من الناس وكأنها الأخلاق الوحيدة التي يمكن تصورها.

لكن هناك طريق يتجاوز الدين. إن الأخلاق الخالية من الإطار الديني ممكنة حيث لا تزال التجربة الدينية متجذرة في قوة الحياة الإلهية، بدلاً من أن تكون موجهة إلى (وبواسطة) إله من خارج كوكب الأرض. لكن تجاوز الأخلاق الخلاصية ليس خياراً متاحاً للجميع. منذ أن تم إيصال الرسالة المختلطة من الحب والانتقام منذ ما يقرب من ألفي عام، يعمل المخلص بشكل غامض بيننا، ويشرف أمير السلام على العالم الذي تمزقه الحروب بشكل متزايد، ويحافظ المؤمنون الحقيقيون على إيمانهم بقدرة الآب على إصلاح كل شيء حتى لو استمر الناس، بشكل غامض، في معاملة بعضهم البعض بأبشع الطرق، ويدفع المجتمع الكوكب بأكمله نحو النسيان. وكما لاحظت هيلين كيلر، فإن معظم الناس لا يريدون أن يكونوا أحراراً. إنهم يريدون فقط أن يكونوا بأمان. حتى وهم الأمان أفضل من لا شيء على الإطلاق. قد يكون من الممكن تجاوز الدين من خلال تغيير المعتقدات - وهو الشكل الوحيد والأكثر فعالية للمعارضة في المجتمع البشري - ولكن تجاوز العنف والإكراه اللذين يستخدمهما الدين الخلاصي لفرض نفسه، يتطلب أكثر من مجرد المعارضة. يزعم الدين أنه يجعل العالم آمناً، لكن مستقبل البشرية الصحيح قد يعتمد على جعل العالم آمناً من الدين.

إن نظام القيم في الأخلاق الوثنية متأصل في البشرية ولا يحتاج إلى تفويض إلهي، ولا إلى موافقة خارقة للطبيعة. يؤكد غاري سنايدر أن "النظام الاجتماعي موجود في جميع أنحاء الطبيعة...". "إنه جزء لا يتجزأ مما نحن عليه"، ويمكن قول الشيء نفسه عن النظام الأخلاقي. إن العمليات الطبيعية والغريزية التي أنتجت الجنس البشري قد منحته أيضاً القدرة على معرفة نفسه والتصرف بشكل أخلاقي - أطلق على هذا مبدأ غايا صوفيا. هذه الفكرة ليست حكراً على هذا المؤلف. يُجادل بهذا الأمر على نطاق واسع علماء البيئة العميقة، وعلماء النفس البيئي، والنسويات البيئيات، والمؤرخون الثقافيون، والعديد من الأصوات البديلة الأخرى في العالم اليوم. إن فكرة أننا نطور قيمنا الأخلاقية وقدراتنا على البقاء من نفس الموهبة الخارقة للطبيعة، وهي "نوس"، كانت من تعاليم الأسرار

الأساسية. في الواقع، هذا هو الجوهر الأخلاقي للحكمة المكتسبة.

يمكن الاعتراض على أن الأخلاق الطبيعية غير كافية لأنها لا تقدم إجابات على الأسئلة الأزلية التي يطرحها الموت والشر والظلم، أو اللغز الدائم لما نفعله جميعًا هنا في المقام الأول. لماذا يوجد العالم، بدلاً من أن يكون لا شيء على الإطلاق؟ سأل هايدغر. يقدم مذهب الخلاص إجابات على مثل هذه الأسئلة، ولكن ماذا لو كانت هذه الإجابات خاطئة؟ هل السلامة هي كل ما يهم، حتى عندما تكون مجرد خدعة؟ يبدو أن الإجابات الخاطئة التي يتم قبولها عن قناعة أفضل من عدم وجود إجابات على الإطلاق بالنسبة لمليارات الأشخاص في الماضي والحاضر.

لكن ماذا لو لم نكن بحاجة إلى الإيمان لمواجهة الأسئلة الكبرى في الحياة؟ ماذا لو أننا، لكي نكون بشراً بالكامل، نحتاج فقط إلى تقبّل المواقف المحددة التي تظهر فيها هذه الألغاز الأزلية، عندما تظهر؟ هل تواجه الموت بانتباه كامل، ووعي تام، بدلاً من الاعتقاد المسبق بما يأتي بعده؟ هل نواجه الخسارة كما هي، بدلاً من المساومة مع الله بشأن كيفية التعويض عنها؟ هل يمكننا أن نعيش بشجاعة وكرم ونحن نعلم أن الأمور لا تسير على ما يرام في الحياة، وأنه لا يمكن إصلاح جميع المواقف؟ هل يمكننا أن نأخذ الجوانب الصعبة من الحياة على محمل الجد، ولا نلجأ إلى الأكاذيب لتخفيف وطأتها وجعلها مقبولة؟ ربما نستطيع ذلك من خلال الأخلاق الطبيعية. في الدزوغشن، وهو أعلى مستوى في البوذية التبتية، يُنظر إلى الخير الطبيعي (كاداك التبتي) على أنه أساس كل عمل حقيقي، وليس مدونة عمل محددة. "تتجلى الخيرة الأساسية في كل لحظة من الحضور الخالص." لاحظ تشوغيام ترونغبا، وهو أكثر دعاة البوذية راديكالية في الغرب، أن الدين يطالبنا بمعاقبة أنفسنا (وأضيف، مكافأة أنفسنا). "لا يزال الناس يميلون إلى أخذ الخطيئة الأصلية على محمل الجد." ينبغي عليهم التخلي عن ذلك. "ربما ستحل البراءة الأساسية محل الخطيئة الأصلية!"، هكذا اقترح. كاداك عفوي، لا تحركه أي دوافع أخلاقية من أي نوع. "قبل أي حكم، وقبل أي مذهب، من الممكن التواصل مع ذكائنا الخاص، كما يمكننا التواصل مع الواقع الحقيقي، واكتشاف الموارد التي يحتويها." [248]

أكد الغنوصيون أيضاً أن الخير اللامتناهي للبليروما (الإمتلاء) يكمن فينا كـ نوس، أي الذكاء البدائي. لا نصل إلى الخير الطبيعي من خلال التصرف بطريقة معينة، أو اتباع مجموعة من القواعد. نتصرف انطلاقاً من ذلك كلما كنا على قيد الحياة بكل أصالة كوننا بشراً.

فخ التسامح

المسيحية عقيدة يعتنقها المليارات، ولكن نادراً ما يختارها أحد. وينطبق الأمر نفسه على الإسلام، الذي يشكل أتباعه الآن حوالي خُمس سكان العالم البالغ عددهم ستة مليارات نسمة. يولد اليهود في دينهم عرقياً. لقد نسينا اليوم تماماً أن كلمة "هرطقة" مشتقة من الكلمة اليونانية *"heraisthai"* التي تعني "الاختيار". أن تكون مهرطقاً يعني أن يكون لديك خيارات وألا تُجبر أو تُلزم بتصديق ما يُطلب منك تصديقه. للهرطقي حرية اختيار ما يؤمن به أو لا يؤمن به.

لعل أكبر عقبة أمام تجاوز الدين هي الافتراض السائد بأن الأديان الثلاثة الخلاصية تعزز

التسامح. يجب على المرء أن يقرأ الكتب المقدسة بعين عمياء، متوقعاً مسبقاً ما سيجده فيها، ليخرج بأي رسالة من هذا القبيل. كثير من الناس لا يقرؤون الكتابات المقدسة للدين الذي يعتنقونه، أو يقرؤونها بطريقة انتقائية فقط - على سبيل المثال، اختيار عبارات سامية عن الإيمان والأمل والمحبة من رسائل بولس - حتى لا يعرضوا إيمانهم للخطر. إن المعتقدات الواردة في "الكتاب المقدس" أقل أهمية من المعتقدات المتعلقة بها. لكي يعتقد المرء أن الكتاب المقدس يدعو إلى التسامح، عليه أن يتجاهل ما يقوله في مجمله، بدلاً من الاكتفاء بمقاطع مختارة منه. يُظهر تاريخ الأديان الغربية بوضوح كيف أن التعصب متأصل في التقاليد الإبراهيمية. كان الغنوصيون يعرفون ذلك عن تجربة مباشرة. لقد كانوا ضحايا الخطوط الأمامية في الحرب ضد الإنسانية التي ارتكبت باسم المثل الدينية.

يجد العديد من المسيحيين في التاريخ التوراتي لليهود القدماء قصة نموذجية للبشرية جمعاء. لكن الأصوليين الذين يصرون على أن الكتاب المقدس هو النموذج الأمثل، وبالتالي يحتوي على حل لجميع المشاكل البشرية، يحتاجون إلى إلقاء نظرة على مخطوطات البحر الميت للحصول على فكرة أفضل عن مصادر الأسطورة المسيحية، والحل الذي تقود إليه النزعة الخلاصية العالم. فعلى سبيل المثال، تتكون مخطوطة الحرب من ثمانية عشر عمودًا تصف الزي العسكري والأسلحة وفرق القتال لأبناء النور. يشيد النص بـ "إله الرحمة" الذي يحفظ عهد قمران والذي سينقذ شعبه في النهاية، أو بعضهم على الأقل: "لقد جمع جماعة من الأمم لإبادتها بلا بقية من أجل إقامة من ذاب قلبه للدينونة، وفتح أفواه للخرس ليسبحوا تسبيح الله، وتعليم الأيدي الضعيفة فنون الحرب". [249] في كل صفحة من صفحات المخطوطات، يمزج المديح المتألق للرب مع اللعنات والتهديدات القاسية والعنيفة. لقد ورثت الحركة التبشيرية المسيحية روح الانتصار التي تسود كتابات قمران، وخلدتها في النشيد الوطني "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون".

تحتوي لفافة الحرب على قائمة أهداف الصادقية، مع وجود أسوأ عدو في أعلى القائمة. العمود 11 يذكر أعداء الصادقين الذين أمر الرب بإبادتهم "دون بقية". يكرر النص هنا نبوءة النجم والصولجان، والتي تسمى أيضًا نبوءة بلعام، الموجودة في سفر الأعداد 24 :17. "يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَيُحَطِّمُ طَرَفَيْ مُوآبَ، وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الْوَغَى (شيث)." هذا السطر مأخوذ من الكتاب المقدس الماسوري، وهو النسخة العبرية القياسية للعهد القديم المحفوظة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، لكن ما يعادله من المخطوطات أقدم بألف عام تقريبًا. وهو يقدم نسخة موسعة من المقطع الكتابي:

> سيخرج نجم من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيسحق جبهة موآب، ويهدم جميع بني شيث، وينزل من يعقوب، ويدمر البقية من المدينة؛ ويكون العدو ميراثًا، وينتصر إسرائيل ببسالة. [250]

كانت نبوءة النجمة والصولجان بمثابة النشيد الوطني لحركة التحرير الصادقية. كان العدو المذكور بالارتباط المباشر بهذا الموضوع يُعتبر الخصم الأسمى لطائفة قمران. من هذا؟ "أبناء شيث"، وهو الاسم الذي يطلقه الغنوصيون على أنفسهم في الأسرار. كانت موآب منطقة مرتفعة تقع شرق البحر الميت (الأردن حاليًا)، وهي منطقة تابعة للمملكة النبطية حيث ازدهرت الجماعات الغنوصية علنًا

لعدة قرون. يوجد تعريف مزدوج في العمود 11، حيث يتم ذكر العدو بالاسم الذي أطلقه على نفسه وبموقعه الجغرافي. هذا مؤشر قوي على مدى رغبة الصادقين في القضاء على الغنوصيين، لكنها ليست القصة الكاملة بعد. بل إن هناك تحديدًا ثالثًا صريحًا للعدو اللدود للصادقيين في النص نفسه.

السطر السابع من العمود الحادي عشر في مخطوطة الحرب متضرر بسبب بقعة ماء تشوش الكتابة، مما يجعل تحديد أحد الأحرف مستحيلاً. يترجم معظم العلماء العبارة المشكوك فيها "بقايا المدينة"، كما في ترجمة وايز-أبيج-كوك، المذكورة هنا. لكن علماء آخرين يقرون بأن الحرف المبهم قد يكون شين-*shin*، مما يعطي "بقايا سعير". [251] سعير هو اسم الجبل المقدس والوطن الأصلي للغنوصيين الشاميين. إنه مصطلح رمزي لم يكن ليستخدمه إلا الغنوصيون في تعريفهم لأنفسهم، أو عدو تربطه بهم علاقة وثيقة. كان استهداف بقايا حركة سعير بمثابة مهاجمة الجذر والأصل للحركة الغنوصية.

تُشكّل مخطوطة الحرب تهديداً ثلاثياً للغنوصيين: من حيث الاسم والموقع والأصل. لا يوجد مقطع آخر في المخطوطات يُظهر مثل هذا التأكيد الشديد والمتكرر. لكن هذا ليس المكان الوحيد في مواد مخطوطات البحر الميت الذي يتم فيه استهداف حراس الأسرار. في كتابه "الآثار اليهودية" (1.70)، ذكر المؤرخ يوسيفوس طائفة من السيثيين، وهم علماء فلك بارعون، ومن المعروف أنهم نقشوا تعاليم سرية على ألواح حجرية. يلتقط النص المجزأ 4Q417–418، المسمى سر الطريقة التي تسير بها الأشياء، هذا التلميح. هنا يكشف الرب إله إسرائيل "ألغاز غايته". في لفتة تقليد انتصارية نموذجية لكتابات قمران، يعلن 4Q417–418 للقلة الصالحة: "أنتم من يفهم". فقركم هو جزاؤكم في ذكرى الزمان، لأن المرسوم محفور، وكل وقت عقاب مكتوب، لأن ما قُضي به محفور على الحجر أمام الله، فوق كل [...] بني شيث. [252] على الرغم من هذا النقص، فمن الواضح أن الله لديه خطط محددة لسحق أبناء شيث. قام جون ج. كولينز، الباحث في مخطوطات البحر الميت والخبير في علم نهاية العالم اليهودي، بملء الفراغ وترجمة هذا السطر إلى "أمر الله ضد كل آثام أبناء شيث". [253]

تحتوي مخطوطات البحر الميت على إشارات محددة وكثيرة إلى الغنوصيين في المخطوطات المصرية، مما يربط بين هذين الاكتشافين النصيين المهمين للغاية. لكن العلاقة بين الصادقين والغنوصيين لا تتوقف عند الإشارات النصية. في كتاب "النصوص الغنوصية"، وهو ترجمة جزئية لمكتبة نجع حمادي، يقدم بنتلي لايتون خريطة بعنوان "الطائفة الغنوصية ومعارضيها". يعرض هذا الموقع ثلاثين موقعاً أثرياً مرتبطاً بالتعاليم الغنوصية أو المعلمين أو الأحداث. الموقع رقم 16، الذي يعود تاريخه إلى عام 350 ميلادي، هو معسكر للغنوصيين الذين يطلقون على أنفسهم اسم الأركونيين. تقع على الشاطئ الغربي للبحر الميت جنوب قمران مباشرة، على بعد مرمى حجر من الموقع الرئيسي للصادقين.[254]

هل نصب الغنوصيون خيامهم في برية يهودا بالقرب من أورشليم عمداً للتجسس على الصلدقين؟ ويبدو أن الأدلة الأثرية تشير إلى ذلك. اسم "الأركونيين" له دلالة. تم تعريف الطوائف في شبكة الأسرار حسب المنطقة، مثل ساموثراكيا، أو حسب الإله الوثني الأساسي للطائفة، مثل ديونيسوس وأورفيوس، ولكن أيضًا من خلال ممارسة أو خبرة خاصة؛ على سبيل المثال، كان الأوفيتيون من أتباع قوة الأفعى، أوفيس (كونداليني). كان مصطلح "أركونيون" سيحدد مجموعة تتمثل مهمتها

الخاصة في مراقبة الأركونات - وحدة استخبارات مضادة، إن صح التعبير.

تشير الأدلة الأثرية التي استشهد بها لايتون إلى وجود الغنوصيين في عمق أراضي الصادقين، ولكن ماذا عن الأدلة النصية على وجود الصادقين في كتابات نجع حمادي؟ لا تحدد المواد القبطية الغنوصية الطائفة اليهودية بالاسم، ولكنها تشير إليها بشكل لا لبس فيه بطرق أخرى. تحتوي مجموعة مخطوطات نجع حمادي على ثلاث وثائق تتحدث عن يعقوب البار، رئيس حركة الصادقين في هيكل أورشليم: الكتاب السري ليعقوب (1، 2)، ورؤيا يعقوب الأولى والثانية (5، 3 و5، 4). يمثل الكتاب السري بيانين قويين للحجة الغنوصية ضد كل من اللاهوت اليهودي والمسيحي. في الكتاب السري ليعقوب الأول، يقوم أحد الكهنة الغنوصيين بإرشاد يعقوب، الشخصية الأبرز في جماعة الصادقين وفقًا لهويات المخطوطات المشفرة، حول الأوهام الأركونية للدين اليهودي! يحذر الكاشف يعقوب من أن "أورشليم هي مسكن العديد من الأركونات" (V, 3, 25.18). كما هو موضح أعلاه، اعتبر الغنوصيون الأركونات نوعًا غريبًا من الكائنات النفسية الداخلية، ومصدرًا لتدخل لا شعوري يحرف البشرية عن مسارها التطوري الصحيح. بدأ التدخل الأركوني للبشرية في لقاء إبراهيم وملكي صادق، وهي اللحظة الأبرز في تاريخ الخلاص اليهودي. وغني عن القول، إن هذه فكرة مثيرة تقترب من أن تبدو وكأنها معاداة للسامية بشكل صارخ. دعونا نتوقف لحظة للتفكير في هذه المسألة الحساسة.

كان حراس الأسرار ينظرون إلى البشرية على أنها عرق واحد، سلالة واحدة من القالب الجيني المسمى أنثروبوس: "الإنسان الكوني". كانت مدارس الأسرار متكاملة تمامًا من حيث العرق والإثنية. لا يوجد ما يشير إلى أن الغنوصيين كانوا ضد الشعب اليهودي كشعب. لكنهم نظروا بقلق إلى الجماعة الطائفية التي ادعت تمتعها بميزة خاصة، وفصلت نفسها عن بقية البشرية، حتى وإن فعلت ذلك بطموح إلى تجسيد أسمى سمات جنسنا البشري. إن القراءة الغنوصية لتاريخ الخلاص اليهودي لا تجعل اليهود مسؤولين عن مؤامرة للسيطرة على العالم. لم يقم العبرانيون القدماء، ولا اليهود في أي حقبة من التاريخ، بتشكيل مؤامرة لحكم العالم، ولكن قد تكون هناك مؤامرة لجعل العالم يعتقد ذلك. (هذه قصة أخرى، فصل طويل في تاريخ السيطرة على العقول على مستوى الكوكب.)

تحتوي المواد القبطية على كمية كبيرة من العناصر "المعادية لليهود"، لكن الغنوصيين لم يكونوا متعصبين تجاه اليهود في حد ذاتهم. لقد احتجوا على عقدة المخلص، وهي الجوهر المرضي للعقيدة الخلاصية. يؤكد الكتاب السري ليعقوب الأول أن "اليهود قد تمت تبرئتهم فيما يتعلق بآلام يسوع، على الرغم من أن أورشليم يقال إنها مقر إقامة العديد من الأركونات". [255] يقدر الباحث الغنوصي ك.و. تروجر (المذكور هنا) أن ثلث المدونة القبطية معادية لليهودية. أضف إلى ذلك العناصر المعادية للمسيحية - بما يتوافق مع نقد اليهودية، لأن المسيحية استوعبت وعممت عقدة المخلص مع تمجيدها للمعاناة كعلامة على الاختيار الإلهي، كما رأينا - وسيصل ذلك إلى أكثر من النصف. في بعض النصوص، مثل الرسالة الثانية لسيث العظيم، يلمع النقد الغنوصي للإيمان اليهودي المسيحي مثل نصل أبيض ساخن محروق بالازدراء.

لكن الغنوصيين لم يكونوا متعصبين دينياً. أشار جي. آر. إس. ميد إلى أن أعداءهم، آباء الكنيسة، لا يخبروننا بشيء عن "التعاليم الأخلاقية والعامة" للغنوصيين.[256] لماذا لا؟ لأن هذه التعاليم كانت حميدة، بل ومثالية، ولا يمكن انتقادها أو تشويهها. لم يحتج الغنوصيون على الجوانب الأخلاقية

الحقيقية (على ما هم عليه) للتقاليد اليهودية والمسيحية، بل على المواقف الأيديولوجية الأساسية. كان المتأهلون في الأسرار من الوثنيين الذين أظهروا تسامحاً هائلاً تجاه الخيارات الدينية. ونظرًا لقدرتهم على رؤية أصول أنظمة المعتقدات البشرية بعمق، فقد كانوا قساة في كشف ما اعتبروه منحرفًا ووهميًا في هذه الأنظمة.

يحذر المعلم الغنوصي يعقوب البار من أن أهل أورشليم هم "نوع من الأركونات"، أي منحرفون عقلياً وسلوكياً بسبب الفيروس الأيديولوجي للاهوت الخلاصي. وهكذا، فإن مؤلف الكتاب السري الأول يقتبس بحرية من رسالة يعقوب ليتوافق مع الحجة الغنوصية ضد الخلاص اليهودي المسيحي. يشجع المتأهل الوثني المجهول الرجل المعروف في قمران بأنه النموذج الأمثل للصادق على السعي إلى رزانة الغنوص ورفض شريعة التوراة

(10–32.5). هنا وفي أماكن أخرى، تُظهر جدالات مخطوطات نجع حمادي عدم التسامح مع المذاهب المعادية للإنسانية والأفكار الوهمية. كان الغنوصتيكون مثقفين وثنيين مثل هيباتيا، وكان الوثنيون متسامحين بشكل أساسي مع الآراء والممارسات الدينية المتنوعة. لقد تطلب الأمر وضعاً استثنائياً لإخراج بعض المتأهلين في الأسرار إلى العلن وإجبارهم على التعبير عن اعتراضات قوية على أيديولوجية اعتبروها تهديداً للعقل البشري.

لسوء الحظ، أثبت التسامح الوثني أنه فخ. وكما لاحظ إتش إل مينكن، فإن التسامح أمر جيد، بل هو شيء نبيل وضروري في المجتمع البشري، إلا عندما يتسامح مع التعصب. في هذه الحالة، سيدمر نفسه، بل وسيمنح ميزة لتدميره، لأن التعصب سيسود بالتأكيد إذا لم تتم مقاومته. لقد انطوى الاحتجاج الغنوصي ضد الخلاصية على معركة كلامية، وجدال فكري حماسي، لكنه لم يوفر لا الوسائل ولا الأساس المنطقي للغنوصيين لحماية أنفسهم من العنف الفعلي. ورثت المسيحية المهمة العسكرية التي لم ينجزها الصادقين: تدمير ما تبقى من شيث. ساهم التسامح الفكري والروحي للعالم الوثني بشكل كبير في سقوطه.

الحرب الروحية

في مقدمة كتاب ″دارما غايا″، وهو مجموعة من الكتابات حول البوذية وعلم البيئة، يقول الدالاي لاما: "الأرض، أمنا، تخبرنا أن نتصرف بشكل لائق". ويمكن إضافة أن الأرض يمكنها أيضاً أن تعلمنا كيف نتصرف. لطالما كانت هذه هي وجهة نظر "الأخلاق العامية"، كما يسميها إدوارد جولدسميث في كتابه ″الطريق″، وهو نص تأسيسي لأخلاقيات غايا. ينصح الدالاي لاما قائلاً: "من المهم أن نغفر دمار الماضي وأن ندرك أنه نتج عن الجهل".

[257]ربما، لكن لا يمكن الخلط بين غفران ما ارتكب في الماضي ضد الطبيعة وأنماط الحياة الموجهة نحو الطبيعة وبين غض الطرف عن الجناة، وتجاهل إرثهم، والتسامح مع أجندتهم المستمرة. إن الدعوة إلى المصالحة مع المذنبين تنطوي دائماً على خطر أن تسود أخلاقيات المخلص مرة أخرى، مما يمنح المذنبين ميزة على أولئك الذين يؤذونهم. إن التسامح مع المعتقدات شيء، والتسامح مع التطبيق الاجتماعي للمعتقدات شيء آخر. فشل التسامح الوثني في الحالة الثانية.

إن "الروحانية الحيوية" و"الأخلاق الكونية" المقترحة في دارما غايا ستحتاج إلى الدفاع عنها من قبل "المحاربين المحبين" المكرسين لرفاهية الكوكب، كما يسميهم غاري سنايدر. كما استحضر تشوغيام ترونغبا "طريق المحارب" باعتباره الطريقة الحديثة المستنيرة "للاعتراف، مرارًا وتكرارًا، في كل لحظة من تجربتنا الفريدة ... بالإمكانية غير المشروطة للثقة بقلوبنا ... ومظاهر الخير الأساسي في الحاضر الحي". [258] كانت مؤسسة الأسرار تفتقر إلى طبقة محاربين يمكن مقارنتها، على سبيل المثال، بتقاليد شاولين في البوذية الصينية. يبدو أن التيليستاي (المعلمين في الأسرار) كانوا يعلمون العديد من الفنون، ولكن ليس فنون الدفاع عن النفس. وبالتالي، لم يتمكن المتأهلون الوثنيون من الدفاع عن أنفسهم وتقاليدهم ضد العنف. لقد كانوا أقوياء فيما يعرفونه، لكن معرفتهم المتميزة لم تحمِ حياتهم أو مؤسسات التعليم التي أسسوها. لقد تعرضوا لهجوم من قبل

أشخاص متدينين مستعدين لاستخدام العنف الصريح لفرض قناعاتهم.

إن أخلاقيات غايا ليست دعوة للإيمان بالله، بل هي دعوة للإيمان بالجنس البشري. قد يكون الإيمان شراً عندما يستثمر في معتقدات تعمي البشرية عن الطبيعة، وتعيق العبقرية الفطرية لجنسنا البشري. إذا أنكرت العقيدة ألوهية الأرض، فقد تكون قاتلة لبقاء الإنسان. قد تكون خادمة صبورة للعنف. للبشرية حق مقدس متجذر في غايا صوفيا، وهو حق يحمل مسؤولية حماية الحياة، بما في ذلك الحياة غير البشرية، وجعل العالم آمناً لما تعرفه الحياة. لقد علّم حراس الأسرار أن الغنوص القلبي، أو ذكاء القلب، هي هبة إلهية لنا. إنها حبوب اللقاح المتفتحة للإله، البليروما، التي زرعت في رحم صوفيا الجميل. لقد كانت الأيديولوجية الدينية هي القوة الدافعة الرئيسية في حملة العنف الطويلة التي شنتها البشرية ضد المحيط الحيوي، وهو الموطن الذي وفر لنا البقاء. لم يواجه أحد هذه المشكلة حتى الآن بشجاعة أو براعة كما فعل الغنوصيون.

اليوم لا تزال التيارات العميقة التي تغذي ذكاء القلب الفطري محسوسة، ولكن بسبب نبرتها القوية المناهضة للدين، فإن الرسالة الأساسية للغنوص تواجه مقاومة كبيرة. في اللحظة التي يُقال فيها أن الغنوصية كانت "معادية لليهود" و"معادية للمسيحية"، تومض الأضواء الحمراء وتنهار الحواجز الفولاذية التي تشكلت على مدى ألفي عام من التكييف السلبي. كيف يمكن أن تحتوي الرسالة الغنوصية على أي شيء جيد إذا كانت موجهة ضد أفضل رسالة سمعها العالم على الإطلاق؟ بالنسبة لمعظم المؤمنين المخلصين، من اللاهوتيين المتعلمين إلى رواد الكنائس العاديين الذين بالكاد يعرفون ما يؤمنون به، فإن معاداة المسيحية تعادل معاداة الإنسانية. علاوة على ذلك، فإن اتهام الشخص بمعاداة اليهود يضاعف تهمة اللاإنسانية مع معاداة السامية. كل هذا يساهم في الصورة السلبية للغنوصية والغنوصيين. أدرك الغنوصيون الخطر الأكبر للجنون الديني القادم من الهامش المتطرف للدين اليهودي، من الصادقين، وليس من الشعب اليهودي ككل. ومع ذلك، فقد انخرط المجتمع اليهودي بأكمله في دراما الحرب الروحية التي تم تمجيدها في مخطوطة الحرب. وباتباع الصيغة الفارسية للثنائية أحادية المصدر، عرّف الصادقين أنفسهم بأنهم أبناء النور في صراع مع أبناء الظلام. لقد التزموا بعقيدة سرية تستند إلى السلطة الخارقة لملكي صادق، وهي عقيدة قلبتهم ضد شعبهم والعالم أجمع، ومع ذلك منحتهم ادعاءً أسمى وحصريًا بالانتقام العالمي - "حل نهائي" للجنس البشري بأكمله. على الرغم من أن نظام معتقداتهم كان مشحوناً بالكراهية والغضب الانتقامي والإبادة الجماعية، إلا أنه أصبح النواة للرسالة العالمية لمحبة الله التي بشرت بها المسيحية.

وبعبارة أدق، فإن رسالة زائفة عن الحب الإلهي أخفت ونقلت الجرثومة الجينية.

من الناحية الوبائية، كانت المسيحية بمثابة ناقل الوباء للفيروس الأيديولوجي لنظام معتقدات الصادقين. كان لا بد من إدخال هذا العامل في مكان ما، وفي وقت ما، وفي سياق ثقافي ما. وقد توصل الغنوصيون إلى أن الأنوميا (الإنحراف) نشأت في التجربة الدينية المبكرة للعبرانيين، وذلك بعد التسلسل المعقد للأحداث الموصوفة في الجزء 1. على مر القرون، تحول النظام الأبوي إلى نظام ديني قائم على المكونات الأربعة لعقدة المخلص. إن جوهر ذلك النظام الكبريتي المرضي هو الرعب، الرعب أمام الإله الأب الذي خلق العالم ويتحكم بمصيره؛ الرعب لأولئك الذين يتبعون خطة الرب وأولئك الذين لا يتبعونها؛ الرعب للضحية البريئة التي يعذبها الجاني ويسيطر عليها؛ الرعب للجناة الذين سيُكشف أمرهم ويعاقبهم الله؛ الرعب الذي يفرضه الجناة الذين ينجحون في الانتصار

باسم الله؛ الرعب للعالم بأسره الذي يُغرق في حرب زرادشتية بين النور والظلام في مواجهة كل مقاومة بشرية؛ الرعب الذي يدفع المجتمع البشري إلى الحل النهائي، الجنون القاتل لجنس مصمم على تدمير نفسه.

إن الاعتقاد بإمكانية إنقاذ العالم عن طريق تدميره يجسد لاهوت الإبادة (وهو مصطلح تم اقتراحه في الفصل 3). تم إدراج هذا الاعتقاد في الأجندة الرؤيوي للصادقين، وتم ترسيخه في العقيدة المسيحية من خلال سفر رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي. إن رؤية يوحنا المجنونة للهولوكوست الكوكبي تختتم العهد الجديد، وهي البشارة السارة لفداء الله الذي تحقق من خلال ابنه، الذي يقول للجميع ببساطة "أحب جارك". يُعد سفر الرؤيا خاتمة مقلقة للغاية لرسالة الحب الإلهي. في دراسته المذهلة عن سفر الرؤيا، استطاع د. هـ. لورانس أن يجسد روح الخلاص المتعطشة للسلطة:

> كانت إرادة جماعة المسيحيين معادية للمجتمع، بل تكاد تكون معادية للإنسانية، كاشفةً منذ البداية عن رغبة جامحة في نهاية العالم، وتدمير البشرية جمعاء؛ ثم، عندما لم يتحقق ذلك، أظهروا تصميمًا قاتمًا على تدمير كل سيادة، وكل هيمنة، وكل مجد بشري من العالم، تاركين جماعة القديسين بمثابة النفي النهائي للسلطة، والسلطة النهائية. [259]

عاش الغنوصيون والمتأهلون في الأسرار بسلام في أورشليم وبلاد الشام لعدة قرون. من بين جميع الناس في ذلك الزمان والمكان، كانوا الأجدر باكتشاف مخاطر المد المتصاعد للنزعة اليهودية الأخروية. بفضل براعتهم في اللاهوت والجدال، تمكنوا من دحض المعتقدات المتعصبة، لكنهم لم يتمكنوا من حماية أنفسهم من العنف الناجم عن تلك المعتقدات. ولم يكن لديهم أي سبيل للجوء إلى سلطات المؤسسة أيضاً. لم يكن الغنوصتيكوي مثل هيباتيا غير سياسيين فحسب، بل إنهم امتنعوا عمداً عن الانخراط في السياسة من أجل فصل أنفسهم عن النوع الآخر من المتأهلين، وهم المتنورون الذين كانوا متورطين في ألعاب السلطة الأبوية والثيوقراطية منذ بدايتهم.

ربما تكون هيباتيا قد اتخذت خطوة متهورة بالتعليق على قضية سياسية ثانوية في الإسكندرية، مما جعلها هدفاً لحشد مسيحي يتم التحكم فيه عن بعد من قبل كيرلس، أسقف المدينة. في جميع أنحاء العالم الكلاسيكي، كان لمعلمي الأسرار سلطة كبيرة بسبب علمهم والتزامهم بالحياة الفنية والثقافية وإدارتهم لنقابات الحرفيين، لكن مكانتهم الخاصة اعتمدت أيضًا على وقوفهم فوق السياسة. لقد كانوا عاجزين أمام نفس الشرور التي تفرضها الأديان على العالم اليوم: الإرهاب، والعنف الطائفي، والجهاد، ونهاية العالم، والعقاب الإلهي، ولاهوت الإبادة، والتي تُمارس في أعمال حرب روحية متعصبة من قبل قلة مستعدة لأخذ معتقداتها إلى أقصى الحدود، بدعم من التواطؤ الأعمى للعديد من الأشخاص المحترمين ولكن السلبيين الذين يشاركون نفس المعتقدات.

الراعي الصالح

لم يكن الغنوصيون معادين للمسيحية بمعنى أنهم كانوا ضد الحب والإيثار واللطف مع الآخرين والصدقة والتعاطف مع الفقراء والمحرومين وتبجيل الإله وغير ذلك من الفضائل المسيحية المزعومة. لكن يجب أن نسأل: هل هذه القيم فريدة حقاً للمسيحية أم للأديان الإبراهيمية الأخرى؟ يزعمون عادةً أنها السمات المميزة لأهل الكتاب، لكن هذا الادعاء خاطئ بشكل واضح. إنها تتجاهل الأدلة التاريخية التي تثبت عكس ذلك، وتتجاهل النزعة الإنسانية المتعالية للشرق، وترفض الشعور بالإنسانية الذي تم التعبير عنه بالفعل في العديد من التقاليد الأخرى، وخاصة بين الشعوب الأصلية، وتتجاهل الشهادة الرائعة للروحانية الموجودة في الكتابات الغنوصية، والتي دمرها المتعصبون المسيحيون بشكل شبه كامل.

اتُهم الغنوصيون بالغطرسة لأنهم زعموا الوصول المباشر إلى الألوهية - وهو ما فهموه على أنه ملكة العقل، الذكاء الإلهي، وليس جوهر النفس المؤله. لكن هل يمكن أن يكون هذا الغرور، إن كان كذلك، أسوأ من الموقف المتعصب للمسيحيين الذين هاجموهم بغضب انتقامي ودموي؟ أما بالنسبة للغطرسة الغنوصية المتصورة، ألا يمكن أن يكون ذلك بسبب تمسكهم بتعاليم الأسرار حول الإنسان ما قبل الأرضي، أو ربما بشكل أفضل، بسبب تجسيدهم لتلك التعاليم؟ [260] كانت عقيدة الأنثروبوس (كما يسميها العلماء) محورية في الرسالة الغنوصية للبشرية. يشير وصفهم لأنفسهم بـ "العرق القائم" إلى أنهم وقفوا شامخين كممثلين للإنسانية الحقيقية، ولكن ليس كمثل "صادق"، وهو المثال الزائف للكمال البشري. في آسيا، انعكست عقيدة الأنثروبوس في صورة البوداسَف التي ظهرت في البوذية الماهايانية حوالي عام 150 ميلادي، وفي نفس اللحظة التي خرج فيها الغنوصيون علنًا لمعارضة أول المنظرين المسيحيين.

في فجر عصر الحوت، واجه المتأهلون الوثنيون في الشرق الأدنى تحديًا غير مسبوق: كيفية تقديم الأنثروبوس بطريقة عامة أو شعبية، من أجل مواجهة الشعبية المتزايدة للمخلص المسيحي، الإله المتجسد يسوع المسيح. مع توسع قاعدة قوة الدين الجديد للخلاص الإلهي، فكر حراس الأسرار في كيفية تعميم المفهوم الغامض للأنثروبوس. انطلاقاً من التفكير على أسس أسطورية، قرر الغنوصيون السوريون من أنطاكية أن شخصية محبوبة للغاية من أساطير الشرق الأوسط القديمة، تموز، ستكون بديلاً مناسباً للإنسانية الحقيقية، PTELIOS RHOME باللغة القبطية. كان تموز الراعي الإلهي، وعاشق الإلهة العظيمة عشتار، التي تعادل أفروديت اليونانية. لكن مع قمع ديانة الإلهة في ظل النظام الأبوي، سقط تموز في غياهب النسيان، وأصبحت هويته الوثنية من المحرمات. فكرت خلية أنطاكية في كيفية إعادة تقديمه في صورة "الراعي الصالح"، الذي أعيد تسميته هرماس.

لا تزال بعض الصور التي تمثل هرماس باقية. تُظهر الصور شابًا قويًا لكنه لطيف، يبتسم ابتسامة عريضة، واقفًا منتصبًا ويحمل خروفاً على كتفيه. لم تكن هذه الصورة أصلية في خلية أنطاكية.[261] ويمكن رؤية نموذجها الأولي في هيرمس كريوفوروس، حامل الكبش، وهو إله قديم لدى البلاسجيين، وهم السكان الأصليون لما قبل الهيلينية في البيلوبونيز.[262] لكن المتأهلين قاموا بتغيير الشكل الأصلي باستبدال الكبش بحمل. كان من المفترض أن تكون هذه الشخصية اللطيفة المحبة للحيوانات بمثابة الأداة التأسيسية لعكس صورة البشرية في عصر الحوت.[263]

لم تظهر شخصية هرماس الغنوصية التي اعتبرتها خلية أنطاكية، لأنها استُغلت بذكاء من قبل جماعة

مسيحية بدائية في نفس المدينة. ومرة أخرى، دخلت المحاكاة المضادة حيز التنفيذ. حوالي عام 150 م، أنتجت جماعة أنطاكية، وهي أول جماعة معروفة بتسمية نفسها مسيحية (أعمال الرسل 11 :26)، كتابًا بعنوان راعي هرماس، يُنسب إلى شقيق بيوس، أسقف روما آنذاك. تم إدراج هذه الوثيقة المسيحية المبكرة في قانون موراتوري، وهو قائمة بالكتب القانونية من القرن الثالث. كما أنها موجودة في بعض نسخ العهد الجديد، مثل المخطوطة السينائية. إن راعي هرماس عبارة عن رمزية فضفاضة مليئة بالنصائح الوعظية، وهي غريبة تمامًا عن الروح الغنوصية. ويشير العلماء إلى أن علم المسيح الذي يحتويه غريب، لأنه لا يتطابق مع العهد الجديد. في الواقع، يرتبط هرماس ارتباطًا وثيقًا بالروح القدس، والحكمة الإلهية عند الغنوصيين، بما يتوافق مع نية المتأهلين. لكن الراعي الصالح تم تصويره بشكل خاطئ تماماً في هذه الرواية الدينية. يسجل إنجيل فيليب الاحتجاج الغنوصي ضد هذه الحيلة:

> كثيرون ممن يعارضون الحق وينشرون الضلال سيقيمون ضلالهم ضد أفكار الكاشفين النقية... إنهم يخلقون بقايا مقلدة باسم رجل ميت، ويسمونها هرماس، أول مولود للظلم، حتى لا تتعرف العقول الصغيرة على النور الوجودي. (مخطوطات نجع حمادي II, 3, 77–78)

لا بد أن المتأهلين قد شعروا بيأس شديد إزاء هذا الفعل من الاستقطاب، لعلمهم أن أي شخص لا يستطيع رؤية الخطأ في شخصية يسوع المسيح، البديل الأركوني للأنثروبوس، لن يرى بالتأكيد الخداع المتعمد في هرماس.

في النهاية، أصبح الرمز الذي أصبح يعكس الإنسانية وينقل رسالة الحب الإلهي أداة للتعذيب.

---

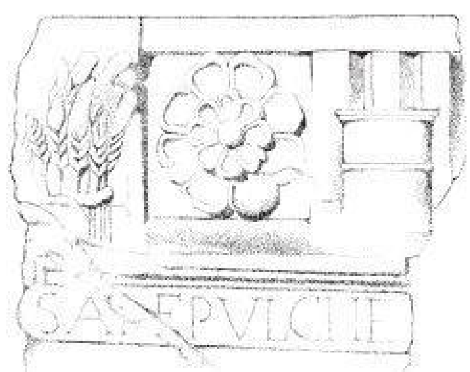
* للحصول على نبذة موسعة عن الأخلاق الوثنية، انظر مقالتي على الرابط التالي: http://www.metahistory.org/lexicon_p#Paganethos.php.

الجزء الرابع

استعادة

الرؤية

الصوفيانية



واجهة إليوسيس مع حزمة من القمح المقطوف

21

كشف الشر

في حجتهم ضد الدين الخلاصي، كشف الغنوصيون عن كشف مذهل حول أصله، وهو المصدر المتعالي للخلاص. يؤمن أتباع الديانات الثلاث الإبراهيمية الثلاث بأن دينهم يأتي من الله الآب من خلال سلسلة من الرسل الذكور: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وبولس، ومحمد. كما رأينا، كان لدى الغنوصيين بعض الأشياء الغريبة نوعًا ما ليقولوها حول هذا الادعاء. إن سيناريو الأركونات وخطر الغزو الغريب سيكون بالتأكيد الجانب الأكثر تحديًا في التعاليم الغنوصية بالنسبة لكثير من الناس اليوم، وقد يوفر سببًا لرفض النظرة الغنوصية للعالم باعتبارها خرافات سخيفة، إن لم تكن مجرد جنون.

من منا مستعد للنظر في أن الدين الخلاصي هو فيروس أيديولوجي تسلل إلى النفس البشرية من قبل كائنات غريبة؟ بالنسبة لعرافي أسرار مصر وبلاد الشام، لم يكن هذا اعتقاداً يُقبل أو يُرفض. بالنسبة لهم، أود أن أقول إن ذلك كان نتيجة مباشرة للإدراك الخارق للطبيعة.

المسيا من خارج الأرض

> غالباً ما ينزعج الناس من المعرفة التي هم في أمس الحاجة إليها. نقاوم أعمق تعليم لدينا... بينما نسعى إلى الاتفاق والحماية والأمان، قد يكون أفضل مسار لنا هو نحو الشعور بعدم الارتياح.[264]

سمح الغنوصيون بالأصل الغير دنيوي للدين الخلاصي - "اختار يلداباوث نفسه رجلاً معيناً يدعى إبراهيم، وعقد معه عهداً" - لكنهم اقترحوا طريقة مختلفة للنظر إلى الأمر. يلداباوث هو الديميورج، المعروف أيضًا باسم يهوه-يِهْوِڤَ، وهو إله زائف مختل عقليًا يعمل ضد البشرية. هذا هو "زعيم الأركون"، رئيس فيلق السايبورغ الذين يسكنون النظام الشمسي باستثناء الأرض والشمس والقمر. على الرغم من أنهم لا يستطيعون ابتكار أي شيء، لأنهم يفتقرون إلى العامل الإلهي المتمثل في إينويا (القصدية)، إلا أن الأركونات يمكنهم التقليد بانتقام. خبرتهم تكمن في المحاكاة (HAL، الواقع الافتراضي). يقوم الديميورج بتشكيل عالم سماوي منسوخ من الأنماط الكسورية للأيونات الأبدية، آلهة البليروم الذين يقيمون في مركز المجرة (انظر أسطورة صوفيا، الحلقة 5). إن تصميمه عبارة عن زخارف سماوية مبتذلة، مثل الفيلا الإيطالية المزيفة لأحد زعماء المافيا، والتي تكتمل بوجود ملائكة متشددة لحراسة كل مدخل. الجنة الأركونية هي العالم الآخر لعدد لا يحصى من البشر الذين تم خداعهم بالمحاكاة، لكن التزييف لا ينتهي عند هذا الحد. لدى الديميورج أيضاً خطة رئيسية للبشرية، منسوخة من البرنامج التوجيهي للكاشفين، ولكنها مشوهة بشكل بشع. إن الخلاص بواسطة

قوى خارقة للطبيعة، بدلاً من الخلاص من خلال الإمكانات الإلهية الكامنة في البشرية والمتوافقة مع صوفيا، هو السمة المميزة للدين من خارج الأرض.

تقدم مخطوطات البحر الميت أدلة مصورة على أن طائفة قمران كانت تبحث عن الخلاص من السماء ما بعد الأرض. في لحظة المواجهة نهاية العالم، توقعوا تدخل القدوشيم، ملائكة المحاربين المتألقين الذين سيظهرون في عربات مستديرة لامعة. كان من المفترض أن يقود الجيش السماوي سيد أعلى، والذي يربطه العلماء بالشخصية الغريبة الشبيهة بالاستنساخ، ملكي صادق. تصف العديد من المقاطع في مخطوطات البحر الميت رحلة وتشكيلات فرقة الإنقاذ السماوية. في الأعمدة المجزأة من كتاب 4Q405، "أناشيد ذبيحة السبت"، يقدم أحد مراقبي القدوشيم هذه الرواية من شاهد عيان:

> إنهم لا يجلسون ساكنين، العربات المجيدة، الأوفانيم المتألقة... أرواح الآلهة... الطهارة... القداسة. أعمال زواياها... من الملكية، المقاعد المجيدة للعربات... قوة رائعة... عندما يتحركون، لا ينحرفون إلى أي جانب... بل يصعدون مباشرة إلى الأعلى .... عندما يرتفعون يُسمع صوت همس الآلهة، وهناك ضجة ابتهاج عندما يرفعون أجنحتهم، صوت همس الآلهة .... وعندما تتحرك الأوفانيم إلى الأمام، تعود الملائكة المقدسة؛ [يخرجون من بين] عجلاتها المجيدة [بصورة النار]، أرواح قدس الأقداس. يحيط بهم ما يشبه تيارات من النار مثل الإلكتروم، ومادة [مضيئة] متعددة الألوان بشكل رائع، متعددة الألوان، ممزوجة [بشكل نقي]... وهناك صوت همس مباركة في ضجيج حركتهم، وهم يسبحون القدوس عند عودتهم إلى طرقهم. عندما ينهضون، ينهضون بشكلٍ رائع؛ وعندما يستقرون، يقفون ساكنين. [265]

لا يحتاج هذا المقطع إلى تعليق. أي شخص قرأ ولو بشكل سطحي شهادات شهود العيان الكثيرة حول مشاهدات الأجسام الطائرة المجهولة سيتعرف على التفاصيل التي يتم الإبلاغ عنها بشكل متكرر: حركة غريبة وغامضة تشمل الانزلاقات السريعة والتوقفات المفاجئة، ولعب الأضواء الملونة، وأصوات الاندفاع والهمس. إن وصف كيفية توقف عربات القدوشيم وطفوها، ثم انزلاقها بعيدًا، في تحدٍ كامل لقوانين الجاذبية المعروفة، أمر مثير للدهشة بشكل خاص، ويتوافق تمامًا مع عدد لا يحصى من التقارير الحديثة عن نشاط الأجسام الطائرة المجهولة.

بالإضافة إلى الأدلة على وجود أجهزة من خارج الأرض، تصف مخطوطات البحر الميت اتصالاً مباشراً مع كائنات من نوع غريب (غير أرضي)، "لقاءات قريبة من النوع الرابع". يروي الفصل 4Q545، رؤيا عمران، كيف يتجادل شخصان حول مصير رجل يقف مكتوف الأيدي، مشلولاً في "رؤيا الحلم". يحدث هذا اللقاء في حالة حلم أو حالة تشبه الحلم، وهو ما يماثل حالات الاختطاف من قبل الكائنات الغير أرضية في العصر الحديث. يسأل الشاهد المذعور: "كيف تملكون السلطة علي؟" قالوا: "نحن نحكم ولدينا سلطة على الجنس البشري بأكمله". [266] يذكرنا هذا الحوار بمقطع في مخطوطة نجع حمادي (III، 5)، حوار المخلص. قال يهوذا: ها هم الأركونات يسكنون فوقنا، لذلك فهم الذين سيحكموننا! قال الرب: أنت الذي ستحكمهم!" [267] يقدم النص الغنوصي، سفر رؤيا يعقوب الأول، سردًا مفصلاً عن اختطاف الكائنات الغير أرضية:

> قال المعلم: يا يعقوب، ها أنا أكشف لك طريق خلاصك. عندما يتم القبض عليك وتعاني من آلام الموت (الخوف من الموت)، قد ينقلب عليك عدد كبير من الأركونات، معتقدين أنهم يستطيعون أسرك. وعلى وجه الخصوص، سيقوم ثلاثة منهم بالقبض عليك، أولئك الذين يتظاهرون بأنهم جباة رسوم المرور. لا يكتفون بفرض الرسوم، بل يسرقون النفوس أيضاً.[268]

يأمر المعلم الغنوصي يعقوب بصد الأركونات من خلال تذكر كيف نشأوا ومن أين نشأ هو نفسه، يعقوب: "عليك أن تقول له: إلى المكان الذي جئت منه، المصدر، وإليه سأعود". وإذا قمت بالرد بهذه الطريقة، فسوف تهرب من هجماتهم." المصدر هو البليروما. يذكّر المعلم يعقوب بتعاليم السرّ القائلة بأن البشرية تنشأ من نقطة تفرد في البليروما، وتظهر كإسقاط للخيال الإلهي. لكن الأركونات تنشأ خارج البليروما بسبب التأثير الشاذ لسقوط صوفيا في الفوضى بالأسفل. إنهم كائنات غريبة، ومع ذلك فهم يشبهون البشر أيضاً:

> عليك أن تقول له [الدخيل الغريب]: "إنهم ليسوا غرباء تمامًا، لأنهم من صوفيا الساقطة (أشاموث)، الإلهة الأنثوية التي أنتجتهم عندما أنزلت الجنس البشري من المصدر، عالم الكائن السابق للوجود. لذا فهم ليسوا غرباء تمامًا، لكنهم أقرباؤنا. هم في الواقع كذلك لأنها هي مصفوفتهم، صوفيا أشاموث، من المصدر. وفي الوقت نفسه، هم غرباء لأن صوفيا لم تدمج معها كما في المصدر (نظيرها الذكري الإلهي)، عندما أنتجتهم.[269]

إن التعليمات الغنوصية دقيقة فيما يتعلق بمسألة الأركونات، لكن المواد المماثلة في مخطوطات البحر الميت تحمل منظورًا مختلفًا. في 4Q544 يرى عمران كائنين خارقين للطبيعة، أحدهما مظلم ومتألق (النوع "الزاحف" من الكائنات الكائنات الغير أرضية؟)، والآخر "لطيف المظهر، وكان وجهه يضحك وكان مغطى باللون الأبيض". وهذا يتوافق مع تعاليم قمران بشأن الروحين، روح النور وروح الظلام، اللتين تراقبان جميع البشر وتتسببان في الاختيار بين الصواب والخطأ. ويعلق المترجمون قائلين: "يبدو أن عمران يختار اتباع ملاك النور ويبدأ في استجوابه حول معنى رؤيته. ملاك الظلام هو ملكي ريشا، وملاك النور، كما نفترض، يُدعى ملكي صادق، حاكم البر. يظهر ملكي صادق كشخصية ملائكية أيضًا في النص 130، مجيء ملكي صادق.[270] باختصار، يوضح وضع الشخص الذي تم التواصل معه في المخطوطات معضلة زرادشتية، وهي الاختيار بين قوتين غير بشريتين متعارضتين تمامًا. البشرية عالقة بين تأثير خارج عن الطبيعة البشرية يتمثل في روح طيبة وروح شريرة. إن الخلاص الوحيد هو أن يسلم المرء نفسه إلى رعاية ملاك النور، ملكي صادق، المسيا الغير أرضي.

تقدم رواية نجع حمادي عن الاتصال بالكائنات الغير أرضية منظوراً مختلفاً تماماً. يوجه يعقوب الشخص الذي تم التواصل معه إلى تأكيد صلة البشرية بـ "بليروما" والإلهة صوفيا، ووضع الكائنات

الغير أرضية في مكانها، ولكن دون التبرؤ منها تمامًا. سننتصر بأنفسنا على جحافل الغرباء، سواء ظهروا في بلونهم الأسود أو الأبيض. هذا التأكيد يعطي فكرة عن مدى تطور التعليم الغنوصي بشأن موضوع التدخل الغرباء الشائك. *

المبدأ العقلي

رأى الغنوصيون في عقدة المخلص الفلسطيني كلاً من الدليل والأداة على التطفل الخارق للطبيعة على العقل البشري. لا بد أنهم كانوا يمتلكوننظرة شاملة وعابرة للتاريخ عن الحياة النفسية للجنس البشري، ولكن كان لديهم، بنفس القدر، إدراك واضح لما كان يحدث في زمانهم وبيئتهم. ومن هنا جاء التحذير الواضح: "أورشليم هي مسكن العديد من الأركونات". كانت التأثيرات الخارقة للطبيعة على البشرية مصدر قلق رئيسي في أسرار بلاد الشام ومصر. بصفتهم علماء نفس بارعين ومتصوفين تجريبيين، كان التيليستاي بارعين للغاية في التخاطر والاستبصار والرؤية عن بعد والأحلام الواعية. لقد كانوا قادرين بالتأكيد على اكتشاف الكيانات المفترسة وتمييزها عن مجموعة واسعة من القوى المحايدة أو الخيرة في الكون. كان احتمال غزو كيانات أجنبية للنفس البشرية أو التأثير عليها مصدر قلق بالغ بالنسبة لهم.

ومع ذلك، لم يُلقِ بارعون الأسرار باللوم على الأركونات في مشاكل البشر. كانوا واضحين بشأن الفرق بين الخطأ والشر. في حوار المخلص، يسأل يهوذا: "أخبرني يا سيدي، ما هي بداية الطريق؟" والجواب هو: "الحب والخير". لأنه لو وُجد واحد فقط من هذين بين الأركونات، لما وُجد الشر أبدًا.[271] لا يقول المعلم المستنير أن الأركونات أشرار، بل إنهم يفتقرون إلى الحب والخير (وهي سمات تعتبر فطرية للبشرية، كما رأينا عند النظر في الأخلاق الوثنية)، لذا فإن تأثيرهم على البشرية منحرف لا محالة. وهذا يؤكد مرة أخرى على دقة وعمق تعاليم كاشفي الغنوصية. ينشأ الشر في السلوك البشري عندما لا نكتشف أخطاءنا ونصححها، مما يسمح للأركونات بإضفاء طابع غير بشري على سلوكنا.

ليس كل ما يحدث في النفس البشرية ينشأ هناك. هذا مبدأ عقلي أساسي يتم تدريسه في الأسرار المصرية والشامية، وهو الفكرة الأساسية لعلم خوارق علم النفس الغنوصي. إنها فكرة غير مريحة، ولكنها قد تكون أيضاً فكرة لا غنى عنها. إنها فكرة نقاومها، لكنها ضرورية من أجل "أعمق تعليم لدينا".

بغض النظر عن رأي المرء في نظرية الغنوصية للخطأ وعلاقة الأركون-الغير أرضي، فمن المثير للدهشة العثور على سرد كامل ومتماسك للتدخل الغرباء في وثائق قديمة تعود إلى عام 400 ميلادي، وهو إرث نصي للمعرفة مستمدة من أصول أقدم بكثير. ومن الجدير بالذكر أن أول موجة كبيرة من الأجسام الطائرة المجهولة في القرن العشرين حدثت في صيف وخريف عام 1947 عندما كان جان دوريس في القاهرة يفحص مخطوطات نجع حمادي، في اللحظة التي تم فيها العثور على أولى مخطوطات البحر الميت. وقعت المشاهدة الشهيرة التي قام بها الطيار كينيث أرنولد فوق جبل رينييه، وحادثة تحطم الطائرة المزعومة في روزويل، في نفس الصيف. كان هذا أيضاً العام الذي تأسست فيه وكالة المخابرات المركزية، بهدف مزدوج (وفقاً لهواة نظريات المؤامرة المتعلقة

بالأجسام الطائرة المجهولة) يتمثل في استغلال التكنولوجيا الفضائية وعقد صفقة مع الكائنات الغير أرضية، مما يسمح لهم بإجراء تجارب سرية على البشر.

يبدو أن الاختصارات المكونة من ثلاثة أحرف - NHC (مخطوطات نجع حمادي) و DSS (مخطوطات البحر الميت) و UFO (الأجسام الطائرة المجهولة) و CIA (وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) - تتكاثر مثل اليرقات عندما يظهر الأركونات في الصورة. في الواقع، تم إرسال عميل من وكالة المخابرات المركزية يُدعى مايلز كوبلاند إلى دمشق لفحص وتصوير بعض من أولى شظايا المخطوطات التي تم اكتشافها. يبدو أن كوبلاند قد صوّر بعض أجزاء من سفر دانيال، وهو نص تأسيسي في علم نهاية العالم اليهودي، وهي مادة لم ينشرها علماء قمران بعد.[272]

حوالي خُمس جميع المواد الغنوصية القبطية تتعلق بأصل ودوافع وأساليب الأركونات، بما في ذلك التعليمات حول كيفية اكتشاف تأثيرهم والتغلب عليها. هذه المادة واضحة وأصلية، ومع ذلك لم يتم أخذها في الاعتبار في النقاش الحالي حول الكائنات الغير أرضية والأجسام الطائرة المجهولة. تزخر الأدبيات الحالية بتقارير عن الكائنات الغير أرضية، والسايبورغ، والزواحف، واللقاءات القريبة، وقصص التزاوج بين الكائنات البشرية وغير البشرية، والتي تعود إلى قصة الأنوناكي المكتوبة بالخط المسماري السومري. لا ترتبط هذه الأمور الغريبة والمثيرة عادةً بالدين واللاهوت، ومع ذلك فإن التعاليم الغنوصية تربط هذه الظواهر بطريقة دقيقة وحميمة. يميل المؤرخون الدينيون وعلماء الغنوصية إلى عدم تفسير الأركونات في ضوء النقاش الحالي حول الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة، أو حتى تفسيرها على الإطلاق، لكن المنطق السليم يدعو إلى الربط بينهما. عندما لاحظ الباحث في مخطوطات البحر الميت هيو شونفيلد أن عصر الحوت قد بزغ في جو من "الخيال العلمي المسياني"، ربما لم يكن يتخيل مدى صحة كلامه. على الرغم من غرابة الأمر، فإن الكتابات الهرطقية التي يعود تاريخها إلى ما يقرب من ألفي عام توضح حلاً لأكثر الألغاز حيرة في عصرنا. فيما يتعلق بلغز الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة، كان الغنوصيون متقدمين على الجميع اليوم. متقدمين جداً.

رسل الخداع

أكد أفضل الباحثين في ظاهرة الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة، جاك فالي، وكيث طومسون، وجون كيل، على جانبها الديني، ولكن دون الإشارة إلى المواد الغنوصية. يؤكد كيل قائلاً: "إن التجليات نفسها التي خلقت معتقداتنا الدينية، هي التي خلقت معتقداتنا حول الأجسام الطائرة المجهولة". إن إلقاء نظرة جادة على هذه الظاهرة سيؤدي إلى مراجعة طريقة نظرنا إلى الدين. [273] إن ملاحظة كيل تتسم بالرزانة الشديدة. تتأرجح معظم التكهنات حول الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة بشكل غير منتظم بين رأيين متحمسين: إما أن الكائنات الغير أرضية ترشدنا إلى طريق خلاصنا، أو أنها هنا لتدميرنا.

لقد حذر الغنوصيون صراحة من أن الأركونات تعمل من خلال الدين الخلاصي، ليس لتدميرنا، ولكن لتحريفنا عن مسار تطورنا الصحيح، وحصتنا في "تصحيح" صوفيا. يزعم الغنوصيون أنهم

يفعلون ذلك لأنهم يحسدوننا. يفتقر الأركون إلى كل من الإينويا (النية الفردية) والإيبينويا (الخيال الأخلاقي الإبداعي)، ويريدون الحصول على هذه الموهبة المحددة التي لدينا، لاستيعابها أو سرقتها. يتوافق هذا التشخيص للتدخل الأركوني في كثير من النواحي مع تقارير الأشخاص الذين واجهوا كيانات غريبة، وخاصة الرماديين والزواحف.

يرى المحقق المخضرم جاك فاليه في ظاهرة الكائنات الغير أرضية تحولاً واسع النطاق في التجربة الدينية للبشرية. إن تحذيره من أن لغز الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة يخفي "نظام تحكم روحي" يقترب كثيراً من التحليل الغنوصي. بعد أن افترض فالي في البداية حسن النية، خلص إلى أن غزو الكائنات الغير أرضية شرير وعدواني. وهذا هو أيضاً الرأي الغنوصي. في كتاب ″الملائكة والكائنات الغير أرضية″، يؤكد كيث طومسون على التفسير الجماعي أو النمطي للكائنات الغير أرضية، استنادًا إلى علم النفس اليونغي. من هذا المنظور، ستكون الأركونات كيانات من نوع المخادعين، ويعتمد تأثيرها علينا على كيفية "لعبنا" معها. وقد أكد جون كيل أيضاً على الجانب المخادع للكائنات الغير أرضية: الطريقة التي تتغير بها "الظاهرة" (كما يسميها كيل)، فتتوافق مؤقتاً مع معتقداتنا عنها، ثم فجأة، تناقض ما نعتقده.

في النهاية، يبقى النشاط الأركوني بعيد المنال عن كل تصديق. تقول الرسالة الثانية لشيث العظيم إنها "هراء محض". لكن، كما ذكر فالي بذكاء في كتابه ″رسل الخداع″، "إن الطريق إلى إيمان الإنسان يمر عبر الارتباك والعبث". [274]

سيرفض الكثير من الناس فرضية الكائنات الغير أرضية/أركونات، كما أقترح تسميتها.

قد يكون هذا هو التحدي الأصعب أمام التقدير السائد للأفكار الغنوصية. لكن من ناحية أخرى، قد يكون ذلك هو المفتاح لقبولهم على نطاق أوسع. يرفض العلماء مادة الأركون رفضاً قاطعاً، ولا يكلفون أنفسهم عناء اعتبارها خرافات لا أساس لها. وبذلك، يتنصلون بسهولة من معالجة الحجة الراديكالية ضد الخلاصية، وهي الأيديولوجية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأركونات. أولئك الذين لا يستطيعون التفكير في هذه النظرية بعقلية منفتحة واستقصائية يفوتهم فهم بالغ الأهمية للحالة الإنسانية. إن رؤية كيفية عمل الأركونات هي بمثابة رؤية لآليات عمل عقولنا المراوغة. إن معرفة كيف انحرفنا عن المسار الصحيح قد يكون أفضل شيء يحدث.

في قصة صوفيا ، يظهر الأركونات بسبب انغماس صوفيا في المادة الأولية، قبل أن تتحول الإلهة إلى الأرض وتواصل حلمها كـ غايا (الحلقة 5). يُطلق على هذا الحدث غير المتوقع اسم "توليد الخطأ" لأن الشذوذ الناجم عن سقوط صوفيا يُحدث تأثيرًا لا شعوريًا في العقل البشري، مما يبالغ في ميلنا الطبيعي إلى الخطأ ويحوله إلى ما وراء نطاق التصحيح. إن وجود الأركونات في النظام الشمسي يوسع بشكل خطير هامش الخطأ البشري، مما يؤثر على طريقة تعلمنا وتطورنا. على أقل تقدير، يمكن اعتبار الأركونات استعارة رائعة شبه نفسية تشرح كيف يمكن للبشر أن يفكروا ويتصرفوا بشكل غير متناسب وغير إنساني. إن خيانة البشرية لذاتها من خلال عقدة المخلص تحدث، جزئياً على الأقل، لأننا نستطيع أن نفكر خارج عقولنا وندخل في عقلية غريبة.

بغض النظر عن كيفية تفسير المرء للأركونات بالمعنى الحرفي، فإن نظرية الخطأ الغنوصية هي

بالتأكيد واحدة من أعظم إنجازات التفكير البشري. أصرّ العرافون الغنوصيون على أن الأركونات لا يمكنهم السيطرة علينا أو التلاعب بنا إلا إذا منحناهم القوة للقيام بذلك. يحدث هذا عندما لا نحسن استخدام العقل، وهو هبة الذكاء الإلهي التي نملكها. إن تقصيرنا هو خلاصهم. تنص نظرية الخطأ الغنوصية على ثلاث حقائق بسيطة ومترابطة: (1) البشر كائنات تتعلم من خلال ارتكاب الأخطاء؛ (2) لكي نتعلم من أخطائنا يجب علينا اكتشافها وتصحيحها (ومن هنا دورنا التعاوني في تطور غايا و"تصحيح" صوفيا)؛ و(3) عندما نفشل في اكتشاف أخطائنا وتصحيحها، يمكن أن تتفاقم بشكل كبير وتدفعنا إلى ما وراء الحدود البشرية. تتدخل الأركونات في تلك النقطة تحديداً حيث نترك أخطاءنا تمر دون تصحيح، ويضفون قوتهم المنحرفة على ما يسير بالفعل خارج مساره، ويأخذوننا معهم في دوامة ضالة. بدون أبناء عمومتنا الكونيين في الصورة، سنظل نرتكب الأخطاء، لكننا سنكون قادرين دائمًا على التراجع وتصحيح مسارنا قبل أن نبتعد كثيرًا عن التوافق مع غايا وإمكاناتنا الخاصة.

إذا كان الغنوصيون على حق، فإن الأركونات موجودة بالفعل في عالمها الخاص كأشكال غير عضوية وخارجية، وكبرامج في عقولنا. إن الخلاصية فيروس أيديولوجي ينتشر بواسطة جنس غريب ويتم تنفيذه من قبل البشر الذين يقعون تحت حيلهم. هذا هو التحذير الغريب الوارد في اللاهوت الخيالي العلمي للغنوصيين.

أم الشر

قم بتطبيق هذه المفاهيم على الوضع العالمي للبشرية اليوم، وسيكون من البديهي أن نظرية الغنوصية عن الخطأ لديها شيء أساسي لتعلمنا إياه. شيء قد يكون حاسماً لبقائنا على المدى الطويل.

إذا نشأ الشر من الخطأ عندما يتجاوز الخطأ نطاق التصحيح، فإن تعميق وعينا بالخطأ يمكّننا من القضاء على الشر في مهده. يقول إنجيل فيليب: "الجهل أم كل شر". في فقرة واضحة حول نظرية الخطأ، يقول المعلم الغنوصي:

> طالما أن جذور الشر مخفية، فإنها تبقى قوية. ولكن عندما يتم التعرف عليه، يتم حله. عندما يُكشف، يهلك... أما نحن، فليبحث كل واحد منا عن أصل الشر الكامن في داخل كل منا، والذي ينتج ثماره في قلوبنا. إنه يتحكم بنا. نحن عبيده. إنه يأسرنا، ليجعلنا نفعل ما لا نريده، وما نريده لا نفعله. إنه قوي لأننا لم نتعرف عليه. (II, 3, 83.5–30)

يقول حوار المخلص: "كل من لا يعرف كيف نشأت النار سيحترق بها، لأنه لا يعرف أصلها". وبأسلوب غنوصي نموذجي، يضيف الكاشف: "من لا يعرف أصل الشر ليس غريباً عنه" (II، 5، 134.5-20). تؤكد ثنائية المصدر الواحد الزرادشتية على وجود قوة شريرة مستقلة في الكون، لكن الغنوصيين دحضوا هذا الرأي. أصل الشر هو الخطأ البشري، والعقل الذي يخطئ في نفسه. لهزيمة الشر، يجب علينا كشفه من خلال رؤية أصله في العمليات الخاطئة لعقولنا.

يبدو أن ظاهرة الكائنات الغير أرضية/أركونات لغز يتطلب حلاً، وهو ما لم يتوصل إليه أحد

حتى الآن. لكن هذا اللغز قد يتحول في الواقع إلى إجابة لغز آخر: مشكلة الشر. يصف جاك فاليه الكائنات الغير أرضية بأنها "رسل الخداع"، وهو ما يردد بشكل وثيق التحذير الغنوصي من "رسل الضلال [الذين] سيدفعون إلى ارتكاب الأخطاء، ويعملون ضد الأفكار النقية للكاشفين" (إنجيل فيليب، 77-78). لكن الخداع ليس خطأً تماماً، والفرق بينهما يستدعي دراسة متأنية. تُعطي المواد الغنوصية عدة كلمات للخطأ: *plane* و *apaton* باليونانية، و SOREM (سوريم) بالقبطية. كما أنهم يستخدمون كلمة "KROG" القبطية تحديداً للخداع، على عكس الخطأ. قد تكون كلمة KROG مرتبطة بالمصطلح الإيراني القديم *drugh*، والذي يعني "الخداع". هذا مصطلح رئيسي في الديانة الزرادشتية حيث يتم معارضة مبدأ الحقيقة والعدالة، آشا، من خلال "الكذب"، دروغ، وهو ما يوازي القطبية الكونية لأهورا مازدا وأهريمان. هذا التناقض يجسد ثنائية أحادية المصدر، كما سبق شرحه. لم يجد الغنوصيون انقسامًا في الألوهية، وهي العلامة الدالة على وجود مبدأين كونيين متعارضين، لذلك اختلف تفسيرهم للخداع عن تفسير الفرس والعبرانيين، الذين ورثوا الثنائية الزرادشتية.

قد يخطئ المرء في اعتبار الحبل الملفوف ثعباناً. هذا خطأ. إذا خدعتك وجعلتك تعتقد أن الحبل الملفوف ثعبان، فهذا خداع صريح. يتفق الفكر الغنوصي مع البوذية على أن العالم ليس وهماً بمعنى أنه غير حقيقي، ولكن بمعنى أنه يُدرك بشكل خاطئ. يوضح الباحث البوذي إتش. في. غونتر قائلاً: "الوهم لا يعني وهم الإدراك، بل الاستنتاج الخاطئ الذي نبنيه على الإدراك". [275] في التقاليد البوذية والغنوصية على حد سواء، فإن الغرض من الانضباط التنويري هو "الوصول إلى ما وراء الحجاب للعثور على الحقيقة والتحرر. لا يحمل الذهاب خلف الحجاب أي دلالة مكانية. "الظاهري هو المطلق والعكس صحيح." [276] الغنوص، وهو النظير البوذي براغنا، هي الأداة البشرية الأبرز للتمييز النهائي للواقع. إن نظرية الخطأ أصلية في المدارس الغنوصية، على حد علمي، لكن البوذية الهندية التبتية تقدم قدراً كبيراً من الأفكار التكميلية حول كيفية نشوء الخطأ وكيفية عمله. يلخص إتش. في. غونتر بشكل مناسب الفكرة الرئيسية لعلم النفس الظاهراتي الآسيوي: "جميع كيانات عالم المظهر ليست سوى حركة الوعي الأصلي". لكن على الرغم من بقائهم في اللعب الإبداعي للظهور المشترك للنعيم والعدم، فإن هذا الوعي داخلياً، والذي تحدده قوته المحجوبة، يصبح جهلاً ناشئاً بشكل مشترك. [277]

إن رؤية الحقيقة على حقيقتها تتطلب القدرة على تمييز الخطأ، وهو الخطأ غير المقصود في الحقيقة، وكذلك الخداع، وهو الاستخدام المتعمد للخطأ والخداع المتعمد. الخطأ الناجم عن النية يصبح كذبة،*drugh*. هذه الفروق الدقيقة، مهما كانت مؤلمة، ضرورية لفهم سليم لنظرية الغنوصية عن الخطأ، وتؤثر بشكل مباشر على مسألة التطفل الغريب على العقل البشري. باختصار، هناك شبكة من الخداع تحيط بالخطأ الجوهري الذي يوقعنا في "جهل مشترك" مع الأركونات.

مع وجود الأدلة النصية للتعاليم الغنوصية في مثل هذه الحالة المزرية، فإن الاستعانة بالموازيات البوذية فيما يتعلق بظاهرة الخطأ يساعد بشكل كبير. استخدم حكيم نينغما لونغ تشن با (1308-1363) مصطلح "خرول با" *(khrul-pa)*، أي "الخطأ" أو "الضلال"، لوصف كيف ينزلق العقل البشري إلى إدراك خاطئ للواقع. لأن "خرول-با" هي "عملية خداع ذاتي متأصلة في التجربة، فلا يمكن للمرء أن يستند إلى أي مبادئ سببية تعمل على العملية من الخارج". [278] وينطبق الشيء نفسه على الأركونات في النظرية الغنوصية: إن قدرتنا على الخطأ متأصلة في العملية التي نتعلم ونتطور من خلالها، ولا يمكن أن تُعزى إلى أسباب خارجية مثل الكائنات الغير أرضية التي

تفترس عقولنا. ومع ذلك، إذا كانت هذه الكيانات موجودة، فنحن ملزمون بإدراك كيف يمكن أن تتورط في ميلنا إلى الخطأ، وكيف يمكنها الاستفادة منه.

يتطابق المصطلح التبتي *kun-rdzob* الذي يعني "وهمي" أو "زائف تمامًا" مع المصطلح القبطي KROG الذي يعني "خداع". يطبق العرافون التبتيون هذا الوضع الوهمي على التولبات، وهي أشباح صلبة تشبه الحياة ينتجها اللامات. في كتابها "السحر والغموض في التبت"، وصفت ألكسندرا ديفيد نيل شخصية تولبا مرحة استحضرتها بمساعدة معلمها في التأمل. ظلّ يلاحقها لأسابيع حتى تعلمت كيفية التخلص منه. وأوضحت أن التولبات هي "أشكال خيالية أشبه بالروبوتات التي يتحكم بها [اللامات] كما يحلو لهم، ولكنها في بعض الأحيان تنجح في اكتساب نوع من الشخصية المستقلة." [279] هل يمكن أن يكون الأركونات عبارة عن تولبات تم إنتاجها، ليس من خلال إنجاز الانتباه البشري، ولكن من خلال الانتباه المجهد والمفرط لليقظة لإيون صوفيا، بسبب صدمة العثور على نفسها عالقة في الفوضى، خارج البليروما؟

الكاتب الوحيد الذي ربط بين الأركونات الغنوصية و الكائنات الغير أرضية المعاصرة في لغز الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة هو نايجل كيرنر. في أغنية الرماديين، يشير إلى أن الأركونات نشأت بسبب انفصال أداة استشعار عن بعد ضخم برز من البليروما. هذه الصورة لافتة للنظر، بلا شك، لكن كيرنر لم يقم بواجبه المنزلي. لا يوجد في الكتابات الغنوصية ما يشير إلى أن آلهة البليروم بحاجة إلى استخدام تولبات شبيهة بالأركون لإدراك الأحداث في العوالم خارج البليروم. من المرجح أن تظهر التولبات في عالم البشر نتيجة لثنائية العالمين، وتعايش الفيزياء الكوكبية والأرضية. إنها تنتمي إلى النظام الشمسي، ومع ذلك فهي تقتحم الأرض. إنهم رسل الخداع لأنهم لا يخبروننا بطبيعتهم الحقيقية. لم يقل أي مخلوق غير أرضي أي شيء أضاف ذرة واحدة إلى مجموع المعرفة البشرية، أو قدم رؤية واحدة لا يمكن للبشر إنتاجها من مواردهم الخاصة. بحسب علم هذا الكاتب، لا يوجد أي سجل لأي لقاء مع أي كائنات غير أرضية يعترف فيه الغرباء للشخص الذي تم التواصل معه بأنهم ليسوا سوى أشباح تبدو صلبة. (لا تتوقعوا الكثير يا جماعة.)

يكذب الأركون بالصمت، فلا يخرجون أبداً ليكشفوا عن حقيقتهم. إن الدليل على خبثهم هو رفضهم شرح أنفسهم بعبارات واضحة وصادقة. إنهم يستغلون سذاجة البشر من خلال الظهور بمظهر غامض. لا يمكننا أن نرى من خلال هذا الخداع (KROG) حتى نواجه أولاً الخطأ الإدراكي في عقولنا. إذا لم أعرف أولاً كيف يمكن الخلط بين الحبل والثعبان، فلن أستطيع أن أفهم كيف يمكن لشخص ما أن يخدعني بإخفاء حبل على أنه ثعبان. يتم حل مشكلة الخداع عن طريق اكتشاف الخطأ - بمصطلحات بوذية، عن طريق التمييز.

خلافاً للطبيعة

أعترف أن فرضية الكائنات الغير أرضية/أركون هي أمور غامضة للغاية. هذا أمر غريب للغاية، حقاً. لكن مع النظرية الغنوصية عن غزو الكائنات الغريبة، كلما ازدادت غرابتها، كلما أصبحت أكثر منطقية. لا يجب تصديق قصة صوفيا، ولا ينبغي ذلك. ولا ينبغي رفضها بسبب غرابتها، أو تعقيدها

الذي قد يكون مخيفاً في بعض الأحيان. ربما يكون هذا السيناريو الأكثر وضوحًا وشمولية من الناحية الخيالية الذي تم تصوره على الإطلاق لشرح ما يسمى "موضوع المواضيع" - أي الأمور المحورية.[280] كما أنه أفضل قصة إرشادية لتحقيق إمكاناتنا الإلهية بالكامل، بما في ذلك قوة الخيال، والتي تسمى "إبينويا" في الكتابات الغنوصية. لقد منحت صوفيا الإلهية صراحةً هذه القوة للبشرية لاكتشاف ومقاومة التخريب الأركوني. بمعنى ما، فإن الأركونات موجودة في الكون لاختبارنا حتى نكون على يقين من أننا سنستخدم موهبتنا الإلهية على النحو الأمثل. إن بلوغنا أقصى درجات الإنسانية يتطلب مواجهة اللاإنسانية (جانبنا الأركوني) ونزع قوتها، ولكن ليس إنكارها.

إن الهرطقة الغنوصية هي شيء من الماضي، وقضية منتهية، لكن المعركة من أجل الحقيقة لا تزال قائمة في أذهاننا. لا يمكن للبشرية أن تجد طريقها إلى التوافق مع غايا صوفيا دون التغلب على المشكلة المحورية للكائنات الغير بشرية. كما هو مقترح أعلاه، قد تثبت ظاهرة الأركون أنها ليست مشكلة بقدر ما هي حل لمشكلة أخرى - أي حل السؤال: من أين يأتي الشر؟ لكن هذا السؤال قد يكون لا ينفصل عن سؤال آخر: هل نحن وحدنا؟ إذا لم يستطع البشر فهم علاقتهم بأنواعنا القريبة، المتورطة بعمق في سيناريو التطور الأرضي، فكيف يمكنهم إدراك عضويتهم في المجتمع الكوني ككل؟ هل يمكن أن يكون الاعتراف بـ "حقيقة الأركونات" (عنوان نص مخطوطات نجع حمادي) الخطوة الأولى نحو رؤية أوسع لكيفية امتلاء الكون بجميع أنواع الكيانات، الخيرة منها والشريرة؟ ألا يمكن أن توفر القدرة على التعرف على نوع واحد من الأنواع المفترسة الأساس لمنظور كوني حول علاقتنا بجميع الأنواع؟ هل يمكن أن يكون الاعتراف بالأركونات هو المفتاح لاحتضان تفردنا في النظام الكوني؟ ما زلنا بعيدين كل البعد عن حل هذه القضايا الشاقة.

لحسن الحظ، هناك شهادات نادرة من أواخر العصور القديمة حول الطبيعة الدقيقة للتدخل الأركوني. يقدم هذا الكتاب تفسيراً أنيقاً للتأثير الخارق للطبيعة للكائنات غير البشرية. هذه الشهادة تأتي من مؤرخ الكنيسة، سقراط سكولاستيكوس (ولد حوالي عام 380 م)، الذي ترك رواية عن مقتل هيباتيا. لم يكن سكولاستيكوس غنوصيًا، بل كان مؤرخًا كنسيًا مدافعًا عن العقيدة. لكن يبدو أنه كان على اتصال بغنوصيين حقيقيين، بمن فيهم رجل يُدعى مكاريوس، وهو غنوصي إسكندري ربما كان زميلًا أكبر سنًا لهيباتيا. (في كتاب "طوائف الأسرار القديمة"، وهو أفضل كتاب منفرد عن الأسرار، يوضح والتر بوركيرت أن "مكاريزموس" كان اللقب الذي يُطلق "تمجيدًا للمكانة المباركة لأولئك الذين "رأوا" الأسرار").[281] وبعبارة أخرى، كان هذا اللقب التكريمي لأولئك الذين رأوا النور العضوي. لم يحدث هذا لجميع المشاركين في الأسرار، الذين بلغ عددهم عشرات الآلاف على مدى أجيال عديدة، بل حدث فقط لعدد قليل من المحظوظين.

في الفصل 23 من تاريخه الكنسي للكنيسة، يسجل سكولاستيكوس حوارًا بين ماركاريوسوتلميذ يُدعى إيفاغريوس، المعروف بتأليفه أعمالًا قيّمة مثل "الغنوصي، أو لمن يُعتبر جديرًا بالمعرفة"، و"إلى العذراء"، و"ستمائة مشكلة تنبؤية". يتضمن الحوار بين المعلم والطالب ملاحظة موجزة حول التداخل النفسي الداخلي:

> سألني ذلك الوعاء المختار، المصري العجوز مكاريوس: لماذا نضعف قوة قدرة النفس على الحفظ من خلال التمسك بذكرى الأذى الذي تلقيناه من البشر؛ بينما نبقى غير

مصابين بتذكر ما ألحقته بنا الشياطين؟ وعندما ترددت، بالكاد أعرف ما هو الجواب الذي يجب أن أقدمه، وتوسلت إليه أن يفسر ذلك، أجاب: "لأن الأول هو عاطفة مناقضة للطبيعة، والثاني متوافق مع طبيعة العقل".[282]

بينما يقف تلميذه ويتلعثم، مرتبكاً وغير قادر على الإجابة، ينظر المصري جانباً إلى سؤاله الخاص: "لماذا لا يؤذينا تذكر الأذى الذي ألحقه بنا الشياطين؟" في رده الضمني، لم يضيع مكاريوس أي كلمات، لعلمه أن الموضوع خطير، وأن دلالاته مصيرية.

إن الأذى الذي نتلقاه من بني جنسنا هو "مخالف للطبيعة"، لأن ميلنا الفطري هو أن نكون لطفاء مع بعضنا البعض، وأن نظهر المودة التلقائية، كما أكد ماركوس أوريليوس. لكن نسل صوفيا الغريب يفتقر إلى الحب والخير الفطريين للبشرية. إن الفرق بيننا وبينهم هو ما يحدد الخدعة التي يمكنهم القيام بها ضدنا. وهذا يمنحهم ميزة خبيثة. إن الانحراف الأركوني للجنس البشري يتطلب التآمر بشكل افتراضي، والتخلي عن قوانا الفطرية لعقلية غريبة، وخيانة قدراتنا التمييزية. لكن كل شيء يحدث بسهولة تامة، دون أي جهد، كما لو لم تكن هناك مؤامرة على الإطلاق، ولا تواطؤ من جانبنا. يحذر ماكاريوس من أن تسلل الأركونات يمر دون أن يلاحظه أحد، لأن التأثير الغريب الذي نحتاج إلى اكتشافه ومقاومته متخفي في طريقة تفكيرنا، "المتوافقة مع طبيعة العقل".

---

* للحصول على معالجة موسعة للقاءات مع الكائنات الغريبة في الكتابات الغنوصية، انظر مقالتي "التعليم المسيحي الغنوصي" و "الكنداليني والقوة الفضائية" على موقع Metahistory.org.

22

الخيال الإلهي

إذا كانت الأسرار هي الجذر القديم لعلم البيئة العميق، كما أقترح، فقد يكون من الممكن الآن تقدير مدى عمق هذا الجذر. إنها متأصلة في الزمن وفي النفس، وفي البنية النفسية للبشرية. كتبت ريان إيسلر في كتابها "المتعة المقدسة": "الإدراك ما لا يمكن أن يضيع، من الضروري فهم ما ضاع بالفعل". تتناسب هذه المفارقة مع الغنوص بطريقة دقيقة ومؤثرة. إن الجذر الذي يمتد عميقاً، والحكمة الراسخة بعمق في حياة النفس لدى الجنس البشري، لا يمكن استئصالها. لقد أدى الجهد المبذول لتدميرها إلى أطول وأعنف دراما من الألم والظلم عرفتها البشرية على الإطلاق، ومع ذلك فإن حجم هذا الجهد بحد ذاته يشهد على قوة وعمق الحكمة الأصلية.

إنها حقاً معجزة أن جنسنا البشري قد نجا من الحملة الأبوية للقضاء على الإلهة وأسرارها. أنا على يقين من أنه لولا حفاظ الشعوب الأصلية في جميع أنحاء العالم على الحكمة الأصلية في حياتهم، لما كنا لنشهد ذلك حتى اليوم الذي أستطيع فيه كتابة هذه الكلمات. إن القوة التدميرية لأجندة الهيمنة هائلة، لكن أولئك الذين يحتجون عليها الآن بشدة بالكاد بدأوا في فهم سبب قوتها. لأن النظام الأبوي يستخدم اللاهوت الخلاصي لإضفاء الشرعية على نفسه، فإن جميع المؤمنين الذين يتبنون فكرة المخلص هم شركاء في المخطط الرئيسي للهيمنة. في أي لحظة معينة، يوجد في العالم عدد أكبر بكثير من الناس الطيبين واللائقين مقارنة بالأشرار، ومع ذلك فإن أولئك الذين ينوون الشر ويمارسون الخداع يحصلون على ميزة غير متناسبة على العالم بأسره لأنهم يعتمدون على الموافقة السلبية للمؤمنين. هذا هو السر المظلم والقذر لتواطؤ الضحية والجاني.

لقد أنجبت الأبوية عالماً يهيمن عليه الإرهاب، لكن الإرهاب ليس سوى خطأ مكتوب بحرف *T*. حرف T هو الصليب، أداة التعذيب الرومانية، والرمز الكاثوليكي للحب الإلهي (وفي الآونة الأخيرة، أصبح إكسسواراً للموضة - وهو ما لا يقلل بأي حال من الأحوال من تأثيره الخبيث). يبدأ الإرهاب بالعقيدة الزائفة للخلاص، والرسالة الخادعة للحب. ينتهي الرعب بنوع من نهاية العالم التي توقعها الصادقين بشدة. هذا هو المكان الذي يسعى فيه التاريخ جاهداً لأخذ العالم إلى الفصل الأخير من الدراما النفسية وإلى الدمار الذاتي الكامل، إذا لم تكن هناك طريقة للخروج من الحبكة المكتوبة مسبقاً. نتصرف وفقًا لمعتقداتنا.

كيف يمكن تجنب المسار التاريخي للإرهاب؟ من المفيد للغاية أن نرى ما رآه الغنوصيون، لأنهم أدركوا أصل مرض الهيمنة العالمية. إن فصل المرء نفسه بشكل فردي عن التشبث بالضحية الإلهية هو بمثابة العمل من أجل تحرير البشرية جمعاء. لمواجهة هذا التحدي، يمكن أن يكون الكشف الغنوصي عن الشر خدمة بالغة الأهمية. حافظت التعاليم الغنوصية من شبكة مدارس الأسرار على جوهر الشامانية الموجهة نحو الإلهة، وهي سمة مميزة للثقافات الأوروبية قبل التنصير، ويمكن مقارنتها بالثقافات الأصلية في جميع أنحاء العالم. وفي الوقت نفسه، قدمت هذه التعاليم رؤية عالمية فريدة من نوعها ذات أصول هندية إيرانية، وهي رؤية من خارج أوروبا نفسها. كان الغنوصتيكوي من المصريين والشاميين والسوريين والفرس. لكنهم حموا أوروبا، أو على الأقل حاولوا ذلك.

وبفضل خلفيتهم الثقافية والتاريخية، كان لديهم إدراك عميق للشر الذي سينتشر في أوروبا حيث لم تكن هناك مناعة ضده في التركيبة النفسية للشعوب الأصلية. كان الغنوصيون في الشرق الأدنى خط الدفاع الأول ضد الخطر المزدوج المتمثل في الخلاصية والثيوقراطية. عندما انهار خط الدفاع هذا، تدفق شيء شرير حقًا، قوة غريبة تعمل ضد الحياة، إلى أوروبا. تماماً مثل الوباء البيولوجي، فقد أباد السكان الأصليين من الداخل إلى الخارج.

المعرفة البيئية

وقد لاحظ جيفري بيرتون راسل، المؤرخ الديني ومؤلف سلسلة من الكتب عن الشيطان ولوسيفر وإبليس، أن "مشكلة الشر تتجاوز الدين". [283] كان بإمكانه أن يضيف أيضاً أنه ملوث. أثار الغنوصيون غضب المسيحيين الأوائل في العديد من النقاط، ولكن بشكل خاص لأنهم زعموا معرفة حل مشكلة الشر. أنكر الهراطقة المنتمون إلى جماعة الأسرار أن الخير والشر يمكن أن ينبعا من نفس المصدر. بالنسبة للمسيحيين الأوائل، كان هذا بمثابة نفي صريح لقدرة إلههم الأب المطلقة. كما أنها نسفت الخطة الإلهية من أساسها. يؤمن أتباع هذه الخطة، سواء في الماضي أو الحاضر، بأن "غاية المعاناة الرهيبة في العالم هي غاية الله في هدايتنا إلى الخير من خلال 'صنع النفس والسر'"، لكن الغنوصيين رفضوا هذا التفسير وأصروا على أنه سخيف بقدر ما هو خطير.[284]ومن منظور الغنوصية المستعادة اليوم، يتضح أن حجتهم كانت مبنية بشكل متين على ثنائية العالمين، على عكس ثنائية المصدر المنقسم في اللاهوت اليهودي المسيحي. في ثنائية العالمين، لا يكمن مصدر الشر في الألوهية، بل في العالم البشري حصراً.

لقد أدرك المتأهلون في الأسرار بعمق زيف انحراف عقدة المخلص. في قصة صوفيا، لم يقدموا تفسيراً لأصل الانحراف فحسب، بل قدموا أيضاً بديلاً قابلاً للتطبيق له. وقد تم موازنة نقدهم لنظرية الخلاص برؤية رائعة للإمكانات البشرية. كم كانوا سيفهمون علم نفس ما وراء الشخصي بالمعنى الماسلوي، لأنهم كانوا ينتمون إلى تقليد ألفي من المعلمين المكرسين للعمل مع "التجارب القصوى" وبالتالي تعزيز العبقرية الفطرية للجنس البشري. عندما قام الصادقيون أخيراً بتوطيد برنامجهم في فلسطين حوالي عام 150 قبل الميلاد، كان الغنوصيون في المنطقة على استعداد جيد لاكتشاف مخاطره على البشرية. كان لديهم آلاف السنين من الخبرة السابقة حول مسألة ما يضر وما يساعد البشرية على تحقيق إمكاناتها الإلهية. لقد تمكنوا من رؤية كيف أن عقدة الخلاص الأبوية تقوض قدراتنا الفطرية على الحب والتعلم، وتعمي الإنسانية عن هويتها، وتلغي رابطنا التعاطفي مع غايا، صوفيا المتجسدة في الأرض.

إن اللاهوت البيئي، وعلم النفس البيئي، والشامانية البيئية، والفلسفة البيئية (التي اقترحها آرني نايس)، والتصوف الطبيعي، والتصوف الإلهي، كلها مصطلحات يمكن تطبيقها على الرؤية الصوفيانية للأسرار، لكنها مجرد مصطلحات. المهم هو واقع التجربة الذي يمكن أن يُثري هذه المصطلحات. مع دمج الغنوص في علم البيئة العميق، قد يكون مصطلح "المعرفة البيئية" هو المصطلح التالي في الخطاب. تعريفي المقترح: إدراك حميم لقوة الحياة على الأرض، بحيث يجعل

البشرية متوافقة مع تصحيح صوفيا.

عند تعريف المعرفة البيئية بهذه الطريقة، فلنفترض أنها فطرية، وهي ملكة تعمل في النفس البشرية منذ نشأتها. على سبيل المثال، إنها السمة الأساسية للروحانية الوثنية والأصلية. إنها تُشكّل النظرة المقدسة للعالم. إن علم المعرفة البيئية هو انعكاس لأسسنا البيولوجية والنفسية في غايا. يؤدي بحث رصين في هذا الأساس إلى التعمق أكثر في التعاليم السرية للأسرار الوثنية. إنها تخترق كل شيء وصولاً إلى عالم الخوارق، وهو طريق نادرًا ما يُسلك. لكن حتى بالنسبة لغير المطلعين اليوم، تصبح الرؤية الغنوصية متاحة إذا كان هناك فهم عام للإمكانات البشرية يتوافق مع تعليمات الأسرار. بحسب مصطلحات ماسلو، فإن الإمكانات البشرية هي قدرتنا على العيش بحرية وبشكل كامل، والازدهار في كل ما نقوم به. عندما نعيش كما خُلقنا لنعيش، على طريقة غايا، فإن المعرفة البيئية تُمنح لنا، وتعمل مع قوة الحياة ومن خلالها.

ثقة كونية

لقد علّم الغنوصيون أن جوهر الإمكانات البشرية هو ملكتنا للخيال، والتي أطلقوا عليها اسم ″إبينويا″ لتمييزها عن ″فانتازيا″، أي مجرد التظاهر والادعاء. إن الفرق بين هذه المصطلحات ضروري لكيفية ادعائنا وتنمية قدراتنا المعرفية البيئية. أدرك المعلمون المستنيرون في الأسرار أن البشرية مُنحت قوى بيولوجية نفسية إلهية، وهي عبارة عن مجموعة أدوات من القدرات المعرفية البيئية، إن صح التعبير. كان لديهم تصور دقيق لهذه القدرات، ومن أين تنشأ في العالم الإلهي الخارق للطبيعة، وكيف يتم "تثبيتها" في الكائن البشري. وتماشياً مع رؤيتهم للوجود ما قبل الأرضي للجنس البشري، الأنثروبوس، فقد تخيلوا مجموعة من القدرات المعرفية البيئية المزروعة في مركب الأبواغ الأنثروبوسية - الجينوم البشري، إن صح التعبير. لقد تصوروا هذه المجموعة على أنها تستند إلى ملكة أساسية واحدة تفترض ثلاثة تبديلات.

نوس، "الذكاء الإلهي"، هي الملكة الأساسية. إنها تنبع من البليروما، أي من الألوهية. الذكاء الإلهي غير مولود، وغير مخلوق، وهو معرفة بوذا. الغنوص هو معرفة مباشرة وبديهية لما تعرفه الآلهة. يمكننا أن نمتلك الغنوص لأننا نمتلك النوس للمعرفة. إن قدرتنا على معرفة الإلهي هي هبة من الإلهي، من المصدر البدائي الذي ينشأ منه. إن قدرتنا على الأصالة، المتأصلة في النوس، تأتي مباشرة من المنشئ، وهو الأساس الأسمى للأيونات المتعددة. أطلق الغنوصيون على هذا العامل اسم ″أوتوغينس (ذاتي التوليد)"، أي "المولد ذاتيًا". هذا قريب من *autopoesis*، "التنظيم الذاتي"، المعترف به الآن في نظرية التعقيد والمعروف بوجوده في جميع الظواهر في النظام البيئي للأرض. يشير مصطلح "أوتوغينس (ذاتي التوليد)" إلى خاصية التوجيه الذاتي أو الغائية للتنظيم الذاتي، وهي نقطة نقاش حاد في نظرية غايا.

على الرغم من كتابة مجلدات عن الغنوصية، إلا أن كل هذا الكم الهائل من الشروح لا يحتوي على تأكيد واحد وبسيط مفاده أن "الغنوصيين علموا أن الله هو العقل، الذي يجب البحث عنه بالعقل". هذا البيان مأخوذ من موسوعة كولومبيا في مجلد واحد، طبعة عام 1950. (لقد وجدت نسختي ملقاة في الشارع في أوغوستا، مين، منذ سنوات عديدة). للرجوع السريع، فهو جيد مثل جوجل، وفي بعض الحالات أفضل. مهما بحثت، فلن تجد بياناً بهذه البساطة المباشرة في أي مكان في الأعمال

الضخمة للخبراء. لكن كل شيء يعتمد على فهم "العقل" بالطريقة الدقيقة التي فهمها بها الغنوصيون أنفسهم. لم يقصدوا العقلية الباردة والعقلانية والديكارتية، المنفصلة عن المادة والتي تراقب العالم من خلال تثبيت العقل الذكوري الثنائي للتحليل والسيطرة. كانوا يقصدون الذكاء الذاتي للعالم الطبيعي، الذي يمثل العقل البشري أحد جوانبه، وأحد عوامله الأساسية. نوس هو الذكاء الإلهي، الذي يُبحث عنه داخل العقل، ولكنه يُرى أيضًا في الطبيعة بشكل عام. يمكن معرفته من خلال التدبر، باستخدام العقل للنظر إلى نفسه، أو من خلال الإدراك، باستخدام العقل للنظر في آليات الطبيعة.

يختلف النووس البشري عن الأنواع الأخرى على غايا من خلال "إينويا: "، "عدسة النية المفتوحة"، أو ببساطة "القصدية". لا يوجد كائن حي يفتقر إلى النية، حتى على المستوى الميكروبي، كما يؤكد علماء الأحياء وعلماء السلوك الحيواني الآن على نطاق واسع.[285] ولكن في الجنس البشري، يتم التعامل مع إينويا بطريقة خاصة: بحيث تتجاوز قدرتنا على النية برنامجنا الغريزي العام. "يجب أن يتجاوز طموح الرجل قدرته على الوصول، وإلا فما هي الاستعارة؟" كما اقترح الشاعر روبرت براوننج بشكل مرح. باختصار، لدينا فائض من إينويا، مما يمنحنا "تراخياً" استثنائياً فيما يتعلق بالبرامج الغريزية التي تضمن بقاءنا. وهذا يفسر قدراتنا الاستثنائية على التعلم، ولكنه يشكل أيضاً خطر انحرافنا عن مسار تطورنا الصحيح. كما رأينا في الفصل 21، كانت نظرية الخطأ الغنوصية مهتمة بشدة بكل من الوعد الكبير والإمكانات المنحرفة للقصد البشري.

إن العامل القصدي في الذكاء البشري قريب بشكل ديناميكي من المصدر الإلهي. إن الإينويا تنحدر من آلهة البليرومي، لكن نسختها البشرية لها تكوين خاص بسبب العمل الجماعي بين ثيليتي وصوفيا، كما تصف قصة صوفيا (الحلقة 2). ينتج عن الإينويا البليرومي الأنثروبوس، الذي يمثل الجنس البشري على الأرض سلالة منفصلة منه. إننا نظهر الإينويا الخاصة بظروفنا الأرضية من خلال أعمال إبداعية عندما يكون الإبداع تعبيراً حقيقياً وأصيلاً عن إنسانيتنا الفطرية، ولكن ليس إذا كان مجرد تعبير عن الانغماس في الذات. هذا فارق جوهري في الغنوصية. يرتبط هذا الأمر ارتباطاً وثيقاً بالتمييز الحاسم بين الخيال الحقيقي *(الإينويا)* والخيال المجرد *(فانتازيا)*.

تحمل النرجسية المتأصلة في عصر الحوت نزعة خبيثة نحو التعبير عن الذات لذاتها، بدلاً من السماح للبشرية بالتعبير عن نفسها من خلال الذات الفردية. إن التعبير عن الذات من أجل الذات هو طريق مسدود بالنسبة للجنس البشري، ومع ذلك فقد وصل الفن والثقافة إلى هذا الحد في عصرنا. من المحتمل أن يكون المتأهلون في الأسرار قد وجدوا أن المد المتصاعد للدين الخلاصي لا يمكن مقاومته، لأنهم أدركوا قوة الرغبة النرجسية التي استقطبها. كما ذكرت أعلاه، كان موت الأنا والاستسلام لقوة الحياة من السمات المميزة لعملية التأهيل. من المستحيل تطبيق أسلوب التدريب التليستي (الغائي) لتنمية القدرات البشرية عندما يتم تحديد محور النية من خلال هوية الذات الواحدة. لكن هذا لا يعني أن الأسرار كانت محكوم عليها بالفشل. لقد أُجبروا على الفشل لأن أولئك الذين وجهوهم لم يُتركوا أحراراً في ابتكار طريقة جديدة تتناسب مع الاهتمام المتزايد بالذات في عصر الحوت.

رفض الغنوصيون الأشكال العقائدية والمؤسسية للإيمان، لكنهم أصروا على الثقة في الموهبة الإلهية للبشرية. في بعض النصوص المتعلقة بقصة صوفيا، تُسمى الإلهة بيستيس، والتي تُترجم عادةً إلى "الإيمان". هذه الترجمة مضللة إذا تم فهم الإيمان على أنه قبول أعمى للمعتقدات دون البحث عن

الحقيقة، أو دون دليل من التجربة المباشرة. يمكن تعريف بيستيس بشكل أفضل على أنها الثقة في ما يمكن للمرء أن يختبره ويحققه لنفسه، بغض النظر عن المعتقدات والآراء التي يتلقاها من الآخرين. بمعنى آخر، الثقة بما هو فطري.

في الحلقات الأسطورية التي تأثرت فيها تصرفات صوفيا بالثقة في البشرية، كانت تُسمى الإلهة بيستيس. مرة أخرى، يقلب التعليم الغنوصي المفهوم الديني المعتاد: فبدلاً من وضع الإيمان بالله، تتطلب الغنوصية إدراك كيف أن إلهة الحكمة تؤمن بنا. كيف يمكننا الاعتراف بهذا العمل الإلهي للإيمان ومكافأته؟ من خلال التزامنا بتحقيق ما يمكن تخيله حقًا وبصدق، دون الاعتماد على المعتقدات أو الافتراضات أو أنظمة الوصف غير القابلة للتحقق. يشير مصطلح "بيستيس" إلى تجاوز المعتقدات التي لا يمكن التحقق منها بشكل مباشر. في ما يمكن تسميته بالثقة الكونية، تمكن العارفون الغنوصيون من إدراك ملكة الإينويا وتمييزها عن فانتازيا. اتبعت الطريقة التليستية (الغائية) المبدأ الوارد في كتاب "فن صناعة الذهب" *(Artis Auriferae)*، وهو عبارة عن تجميع للمعرفة الخيميائية يعود إلى القرن السابع عشر:

> في جميع عملياتك، اجعل العمل مسترشداً بالطبيعة، وفقاً للتطور البطيء للمعادن في باطن الأرض. وفي مساعيكم، استرشدوا في كل شيء بالخيال الحقيقي لا الخيال الجامح.
> 286

المهارات العقليّة

بالنسبة للغنوصيين، كل حدث في الكون ككل يحدث أيضاً بطريقة أو بأخرى داخل النفس البشرية. ليس بشكل رمزي، بل بشكل عملي. إن التوازي النفسي الكوني هو مفهوم متطور إلى حد ما، بلا شك، ولكنه يتوافق مع الحكمة الأصلية لأكثر الناجين صلابة على هذا الكوكب. يبني السكان الأصليون الأستراليون نظرتهم للعالم بأكملها على مفهوم زمن الأحلام، الذي يمثل بالنسبة لهم تجربة حقيقية وليس مجرد خيال أو خرافة. زمن الأحلام هو البعد العضوي للآن الأبدية أو الأبدية في اللحظة العابرة.

كل ما يحدث في زمن الأحلام من الناحية الكونية والأسطورية يحدث أيضاً في النفس وفي الطبيعة المحيطة. فعلى سبيل المثال، أسلاف القبائل الأسترالية المختلفة هم حيوانات سحرية يتم سرد أعمالها في أغاني مفصلة وتتبعها عبر المناظر الطبيعية في مسارات الأغاني. تتكرر الأفعال التي يؤديها الأسلاف الطوطميون في وقت الأحلام لأول مرة بشكل دائم في اللحظة الحالية. يُعتبر زمن الأحلام فاعلاً في جميع الأحداث في الطبيعة وداخل النفس البشرية. وبهذه الطريقة، فإن نقاء وجوهر الواقع البدائي أو الواقع الذي ظهر لأول مرة يتخلل جميع الظواهر في اللحظة العابرة.

بالنسبة للغنوصيين، كان الأجداد السحريون لزمن الأحلام هم الأيونات البليرومية. بكرم لا حدود له، وبسخاء لا أناني، وهو ما يميز الآلهة، فإنهم يمنحون جزءاً من قوتهم اللانهائية لمخلوقات عالم

أحلامهم، سكان العوالم الناشئة. تشرح قصة صوفيا بالتحديد كيف أصبحت قوة الخيال (إبينويا) موهبة مكتسبة لدى البشرية. في الحلقة السادسة، يصبح النجم الأم (ساباوث) الشمس المركزية لنظامنا الكوكبي. بالتزامن مع هذا الحدث، تقوم زوي، "الابنة الأولى" لإيون صوفيا، بمنح "الإيبينويا المضيئة" للبشرية. مباشرة بعد إذلال الديميورج، تشير صوفيا إلى كبير الأركونات بأن البشرية أعلى منه، وستنتصر عليه:

> والآن عندما اتخذت ساباوث مكان اللجوء مقابل التحول، أعطت بيستيس صوفيا ابنتها زوي إلى النجمة الأم مع سلطة عظيمة حتى تتمكن من تعليمها كل الأشياء الموجودة في الأجدود (المملكة "الثامنة"). (في أصل العالم، 104.26–31)

زوي هي "قوة الحياة"، ولكن ليس فقط كما تتجلى في الحياة البيولوجية والكائنات الحية. زوي هي حياة أبدية متجددة ذاتياً. الانغماس هو قوة الحياة النشوية التي تنتج التجديد النفسي الجسدي *palingenesis* (التجديد) للأسرار. يشرح عالم الأساطير كارل كيريني أن زوي هي العامل الديونيوسي، والصلة بـ "الحياة غير القابلة للتدمير"، على النقيض من بيوس *bios*، وهي عملية الحياة البيولوجية المحدودة.[287] أما الشمس الأم ساباوث، "سيدة القوى الحيوية"، فهي مستودع البرانا *prana*، وهي نمط من قوة الحياة الكونية التي تشكل العوالم العضوية وتغذيها. * تقول الأسطورة الغنوصية أن زوي، الحياة الأبدية، تُعلّم ساباوث، الحياة العضوية، "عن كل الأشياء الموجودة في الأجدود"، عالم الأبراج. تعرض الأبراج نماذج أصلية أو أنماطًا وراثية تعمل من خلال الحياة العضوية وكذلك في النفس، على المستوى النفسي. يجب على الشمس الأم أن تتعلم كيفية إدارة هذه الأنماط لتحقيق أفضل تأثير على الأرض. ومن ثم فإن الشمس تمر بشكل دوري عبر أنماط الأبراج، وتترجم باستمرار الأنماط الأسطورية النموذجية إلى نشاط عضوي. تتطور أعضاء وبنية جسم الإنسان بطريقة منهجية، موجهة بقوى الشمس المنظمة. يفسر هذا التعليم السري العلاقة بين علامات الأبراج وأجزاء من جسم الإنسان. هذا ليس هراءً خرافياً، بل هو بصيرة حقيقية مستمدة من الإدراك الخارق للطبيعة. في الصياغة الحديثة، أصبحت النماذج الفلكية مبتذلة، لكن علم الأحياء الجديد قد يتقبلها بطريقة أخرى، عاجلاً أم آجلاً.[288]

إيبينويا هي أول تبديل لكلمة نوس. إن تحول ساباوث يوضح تحولاً ثانياً، *metanoia*. إن تحول *(metanoia)* الأم الشمس هو فعل تحول روحي - من الناحية البشرية، هذا تحول نموذجي أو تغيير في المعتقدات. التحول *(metanoia)* هي قدرتنا على التفكير خارج أي إطار معين للإدراك أو أي اعتقاد مقيد قد نخترعه مؤقتًا. الأفكار، حتى الأفكار العظيمة، ليست سوى أدوات للتعلم، وليست أصناماً تُعبد. نتطور بينما نبتكر ونتخلى عن أدوات التفكير للتعلم، بينما نغير النماذج الفكرية. نظراً للتعقيد الكبير للنية البشرية *(إينويا)*، نحتاج إلى تأطير عملية التعلم بطريقة تحد منها حتى نتمكن من تحسين إمكانيات معينة ضمن الحدود المحددة. وبعد القيام بذلك، يمكننا في نهاية المطاف تجاوز تلك الحدود وإعادة صياغة المعرفة المكتسبة في نموذج آخر. من الناحية المثالية، ينبغي أن تنظم النماذج نوايانا التي يبتكرها عقولنا ولكن لا تسيطر عليه، وبالأخص لا تتجاوزه. في كثير من الأحيان، تدفع النماذج التي يبتكرها العقل البشري إلى طريق مسدود وإلى مواجهة نقاط عمياء لا يمكن اكتشافها لأن

النماذج المستخدمة تخفي سماتها الاستبعادية الخاصة.

التبديل الثالث لكلمة نوس (العقل) هو *dianoia*، "العقلانية النقدية". في مقطع مهم ولكنه متضرر بشدة، يقول حوار المخلص إن "قوة العقلانية" هي ما يسمح لنا بالتمسك بمكانة الحقيقة والوقوف في وجه قوى الضلال المستبدة التي تتجسد في "حارس العتبة" - وهو مصطلح سري للأركونات. إن العتبة المشار إليها هي الواجهة بين الغلاف الحيوي والنظام الكوكبي الذي تقع فيه الأرض. وبالتالي، فإن الأركونات في دورهم الصحيح هم شياطين متعددة الأبعاد، يوصفون بأنهم متصيدون وحراس بوابات في الكتابات الغنوصية. "لأن العتبة مخيفة، تلوح أمامك." لكن بعقل واحد تتجاوزها! (III, 5: 124). العقل الواحد هو العقل الرصين، القادر على التفكير بطريقة واضحة ومنفصلة ومنهجية. تنصح تعاليم سيلفانوس بما يلي:

استمعوا يا أطفال إلى هذه النصيحة. لا تكن متكبراً في معارضة كل رأي جيد، بل انحاز إلى جانب العقلانية. اتبعوا التعليمات المقدسة للكاشف، وستعيشون حياةً كريمةً في كل مكان على الأرض، وستحظون بالتكريم من قِبَل الملائكة الرسل، وحتى من قِبَل رؤساء الملائكة الذين يرسلونهم. ثم ستحصل عليهم كأصدقاء وحلفاء، وستتمكن من الوصول إلى جميع الأماكن في العوالم السماوية. (مخطوطات نجع حمادي VII, 4:91–92) العقل إلهي لأنه مشتق من نوس، على الرغم من أنه التبديل الثالث والأكثر بعداً. تتضمن العقلانية *Dianoia* التفكير النقدي، ولكن ليس بمعنى عقلاني أو اختزالي، وليس بمصطلحات ديكارتية. مع العقلانية، يصبح التفكير النقدي ببساطة هو أحدث ما توصل إليه الحس السليم. إنها تصقل وتعزز الرؤية والخيال والإلهام، بدلاً من أن تمنعها. بالنسبة للغنوصيين الذين طوروا العقلانية النقدية إلى مستوى العبقرية، لم يكن هناك تناقض بين العقل والكشف. تطلب عملهم في مدارس الأسرار منهم ترجمة ما تعلموه من خلال التوجيه من النور، وهي التجربة الكشفية العليا. إن إتقانهم للعقلانية النقدية جعلهم كتاباً وخطباء فصيحين يمكنهم بسهولة منافسة ألمع علماء الجدل في أثينا أو الإسكندرية.

العلوم الجسمانية

إن الإيبينويا *(Epinoia)* هو القوة التوجيهية للخيال، وهي العامل المنقذ الحقيقي في الغنوص. يروي الكتاب السري ليوحنا كيف أن صوفيا الإلهية، عندما أدركت المشكلة التي ستواجهها البشرية مع الأركونات، استثمرت "الإيبينويا المضيئة" في زوي، قوة الحياة، بحيث نحمل في تركيبنا البيولوجي قدرة تخيلية. هذا التعليم قريب جداً مما تقوله جان هيوستن، إحدى رائدات إحياء مدرسة الأسرار، عن دور الأسطورة في التجربة الإنسانية:

تُعتبر الأساطير بمثابة أنماط مصدرية تنبع من صميم وجودنا. على الرغم من أنها تبدو

موجودة فقط في المجال المتعالي، إلا أنها مفتاح وجودنا الشخصي والتاريخي، وهي بمثابة الحمض النووي للنفس البشرية.[289]

إذا كان تركيبنا البيولوجي يحمل القوة الخيالية للإبينويا (الخيال)، كما علم الغنوصيون، فإن الأسطورة ليست مجرد "حمض نووي للنفس البشرية" مجازيًا، بل هي في الواقع مودعة في الحمض النووي للنوع. بالنسبة للبشرية، ترتبط قوة الخيال الأسطوري ارتباطاً وثيقاً بقوة الحياة. يؤدي وجود الإيبينويا إلى ظهور التوهج الضوئي الحيوي في خلايانا، والذي تم اكتشافه لأول مرة في عام 1923 بواسطة الطبيب الروسي ألكسندر غورفيتش، الذي أطلق عليه اسم "الإشعاع المحفز للانقسام الخلوي". وتتجلى ظاهرة مماثلة، تُعرف باسم التلألؤ البيولوجي، في الطبيعة، على سبيل المثال، في الديدان المتوهجة واليراعات والعوالق مثل الكريل الأطلسي. بعد خمسين عامًا من اكتشاف غورفيتش، اكتشف عالم الفيزياء الحيوية الألماني فريتز-ألبرت بوب ما أسماه الفوتونات الحيوية في البنى المجهرية للخلايا البشرية والحمض النووي. فتحت نظرية بوب للفوتونات الطريق لشرح دور الضوء في العمليات الكيميائية الحيوية والنمو وتمايز الخلايا والطفرات. وكشفت أبحاث أخرى أن الطول الموجي الذي ينبعث منه الفوتونات من الحمض النووي يقع ضمن النطاق الضيق للضوء المرئي. إن الإيبينويا: "الخيال" مضيء، مرئي على نطاق الإدراك الحسي البشري. أكد إيليا بريغوجين، الحائز على جائزة نوبل ورائد نظرية التعقيد، على أهمية أبحاث البيوفوتونيات لنظرية الحياة. لن يكتمل علم الأحياء في المستقبل بدونه.

"الإيبينويا: "الخيال" المضيء" هو أساس الإضاءة الجسدية على المستوى الخلوي. تتضمن تجربة الحالات الخارقة للطبيعة عدة جوانب، بما في ذلك الإدراك المباشر للعمليات الجزيئية للطبيعة. كما سبق ذكره، فإن هذه قدرة سيدهي أو ملكة خفية تُنسب إلى اليوغيين الآسيويين، وكذلك إلى شامانات النباتات في بيرو للأياهواسكا. في طقوس الأسرار القديمة، استخدم الغنوصيون الكيمياء المؤثرة على العقل لمركبات التريبتامين، أو المهلوسات المشتقة من التربتوفان، ليس للهلوسة، ولكن للمراقبة. "بالخيال الحقيقي وليس الخيالي الجارف." والفرق، مرة أخرى، هو بين الفانتازيا والخيال. كما جادل هنري كوربان في مناقشاته حول التصوف، إن البعد التخيلي للتجربة الصوفية ليس عالماً وهمياً ولا هلوسة.[290] إن الإيبينويا: "الخيال" يتيح الوصول إلى عالم تخيلي حقيقي موجود بالفعل، بما في ذلك بنية المادة الحية.

بالنسبة للغنوصيين، كان الانضباط في استخدام النباتات المؤثرة على العقل أمراً أساسياً في المنهج التليستيي (الغائي)، ولكنه كان يقتصر على المجموعات الداخلية للخلايا الإقليمية (الثمانية، التي تمثلها البتلات الداخلية للوردة في الأسرار إليوسيس وأماكن أخرى). لا يمكن تحقيق الإشعاع المحفز للانقسام الخلوي والعمليات الأخرى التي تقترب من التخلق المتوالي، وإعادة برمجة الحمض النووي بواسطة الحمض النووي الريبي أو من خلال ممارسات طقوسية خارجية، ولا يمكن دحضها من خلال النظرية والتحليل. يجب أن تُختبر هذه الأمور جسديًا، في الواقع. لاحظ فيلهلم رايش أن العالم سيميل إلى ارتكاب أخطاء أقل كلما اقترب من الحواس. وينطبق الأمر نفسه على القدرات الحسية الخارقة. قد تفسر العقلانية النقدية ، أو قوة التفكير، نتائج التنوير النفسي الجسدي، لكنه لا يستطيع أن يحل محله. وبالمثل، يجب أن تتبع التحول *(الميتانويا)* ، وهي التبديل الثاني للنوس، التوجيه الذي

تقدمه التجربة الرؤيوية المباشرة، وإلا فإن قوة النماذج الراسخة ستتغلب على الغنوص، وهو الفعل المباشر للرؤية كما ترى الآلهة. وأخيراً، لا توجد طريقة للوصول إلى البعد التخيلي واستكشافه طالما بقينا مقيدين بالأنا وتعلقاتها النرجسية المرتبطة بالثقافة.

تقدم تعاليم الأسرار الغنوصية نقداً واضحاً للمعتقدات المستمدة من السلطة الذكورية الحصرية. كما أنها تقدم أسطورة بديلة، وهي حكاية بيئية نسوية موجهة نحو غايا، خاصة بالقبيلة البشرية. إن المشاركة في قصة صوفيا طوعي وشخصي، ومفتوح وغير مؤسسي. تُعلّم الأسطورة أننا، نحن الجنس البشري، لسنا مخلوقين على صورة إله خالق ذكر، أو أي إله، أو إلهة. إنها تدحض العقيدة الأبوية القائلة بأننا "مخلوقون على صورته"، وتحذرنا من الانحراف الصوفي بسبب معادلة الذات الإلهية. تأتي تجربة التعلم المثالية من خلال المشاهدة المبهجة بعيون الخيال. إننا نرى الكون، وما نحن عليه في الكون، من خلال قوة البصيرة المستنيرة والمتجذرة بيولوجيًا. بهذه الطريقة، وبهذه الطريقة فقط، يمكننا أن نعرف أننا أدوات موجهة ذاتيًا للخيال الإلهي، وليس إسقاطات للأنانية الإلهية. كلما اتسع نطاق الإيبينويا: "الخيال"، كلما كانت الرؤية التي يقدمها أكثر تواضعاً. الخيال الأسطوري هو قدرتنا الفطرية على رؤية كيف يعمل الكون، وكيف تلعب الآلهة، ولكنه ليس رخصة للعب دور الإله.

---

* في هذه الترجمة، أجعل ساباوث النجم الأم، وبالتالي مؤنثاً، بما يتوافق مع العديد من الأساطير الأصلية التي تعتبر الشمس إلهة مؤنثة الجنس.

23

العلاقة بين النوع -الذات

لنعد للحظة إلى حدث مذهل في قصة صوفيا: بعد تحول النجمة الأم، تجد صوفيا نفسها تزداد كثافة بسرعة. مع استحواذ النظام الشمسي على الأرض الناشئة، يصبح الكوكب خاضعاً بشكل متزايد للجاذبية والكهرومغناطيسية وقوانين أخرى جديدة تماماً على الإلهة. تتضاءل سرعة تياراتها عالية المسامية، ويخفت جسدها من النور العضوي ليصبح مادة تشبه اللؤلؤ الرصاصي الناعم، نواة اللب النيكل للكرة الأرضية. في خضم الحزن والحيرة، تتحول صوفيا تدريجياً إلى كوكب الأرض.

عندما تصل صوفيا إلى المرحلة التي يبدأ فيها الجسم الكوكبي في الإنبات بالحياة - أي النقطة التي تتشكل فيها المحيط الحيوي - تكون أشكال الحياة الناشئة متفشية وهائلة لدرجة أنها غير قادرة على إدارتها (الحلقة 8). تلاحظ الآلهة في البليروما أن أختهم يغمرها التنوع الهائل للحياة التي تنتجها. إنها لا تستطيع السيطرة على سلوك ذريتها، وتفشل في إبقائهم ضمن حدودهم الصحيحة. باختصار، إن قدرتها على "التنظيم الذاتي" معرضة لخطر التفكك. تستدعي محنتها استجابة من البليروما، ومهمة إنقاذ، وتدخلاً. لقد تم الاستشهاد بالفعل بتفسير إيرينيئوس الذي يصف هذا الحدث الجلل، ولكنه يستحق نظرة ثانية:

> لقد أشفق الكريستوس الساكن في الأعالي على الأخت إيون، وبعد أن امتد عبر وخارج حدود ستاوروس [حدود النواة البليرومية] منح صوفيا شكلاً، ولكن فقط كجوهر محترم، وليس لمنحها ذكاءً... لقد منح الكريستوس صوفيا شكلاً من أشكال الذكاء المحترم، وجلب الشفاء لعواطفها، وفصلها عنها، ولكن ليس لدرجة طردها من عقلها تمامًا. (ضد الهرطقات, 4.1)

ويذكر إيرينيئوس أيضًا أن العديد من أشكال الحياة التي تتكاثر في المحيط الحيوي "قد ترسخت بالفعل واكتسبت قوتها الخاصة، بحيث تكون قادرة على الحفاظ على نفسها". من المثير للدهشة أن نجد في حجة لاهوتية غامضة ضد الغنوصيين أثراً لتعاليم الأسرار المتعلقة ب"التنظيم الذاتي". من خلال التدخل، ساعد إيون كريستوس صوفيا على تحويل عملياتها الإبداعية الذاتية إلى مجموعة أكثر تناسقًا وتناغمًا. لقد ضمنت شفاعة الكريستوس البرمجة البيولوجية لنسل صوفيا، بحيث تتصرف جميع المخلوقات كما تفعل اليوم، مخلصة لغرائزها التوجيهية الخاصة بكل نوع، ومع ذلك فهي قادرة على التطور المشترك أيضًا. وبهذا الإنجاز، عادت صوفيا إلى المسار الصحيح مرة أخرى. بدأت "بإعطاء شكل للمادة الحية التي انبثقت من تحولها الخاص"، بمساعدة "تعليمات الكريستوس".

كان المتأهلون في الأسرار يرون في "إيون كريستوس" شكلاً من أشكال الذكاء الإلهي الذي يُعلم كل أشكال الحياة على الأرض بقوى التنظيم الذاتي. هذه فكرة لافتة للنظر، لأنها تتعارض مع النظرة المعتادة للمسيح باعتباره النموذج الأسمى للبشرية، والذي يهتم حصرياً بالحياة البشرية. عادةً، لا يربط الفكر الديني بين المسيح المخلص أو فعل الخلاص وعالم الحيوان. ماذا نستنتج من هذا التحول

الغنوصي؟ وما هو الأثر الذي أحدثته هذه الشفاعة تحديداً على البشرية؟

بطريقة ما، أثرت شفاعة الكريستوس على البشرية بقدر ما أثرت على الأنواع غير البشرية التي كانت تظهر آنذاك في المحيط الحيوي بعد "تحول" صوفيا، أي تحول النور العضوي إلى العناصر الأرضية. من الواضح أن أنواع الحيوانات قادرة على التعاون فيما بينها بجميع أنواعها. في وقت الشفاعة، كيف كانت البلازما الجينومية للبشرية (الأنثروبوس) موجودًا في المحيط الحيوي؟ هل أحدث فعل الكريستوس نوعًا من التأثير التكاملي على جنسنا البشري أيضًا؟ وتنشأ مثل هذه الأسئلة فيما يتعلق بالأحداث الموصوفة في الحلقة الثامنة من قصة الرؤية الصوفيانية.

الوسيط

تكشف المواد الغنوصية عن تعليم سري رائع يرتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة وتأثيرات الشفاعة الكريستوسية. استخدم المتأهلون الاسم المصطنع "ميسوتس" للدلالة على التأثير المحدد لهذا العمل من الرحمة الإلهية على الجنس البشري. Mesotes (من *meso-*، "وسط"، "منتصف") تعني "متوسط، محايد، وسيط". تقول الرسالة الثانية لشيث العظيم (66.3-8) أن البشر "يصبحون كاملين في اللاوعي الداخلي من خلال قانون حي، ويحققون اتحادًا طاهرًا من خلال الميسوتس، وسيط يسوع". النص القبطي الدقيق هو MESOTES NTE IS، أي "وسيط يسوع". قيل إن بعض العمليات في الطبيعة البشرية، وفي التركيب الجيني لجنسنا، تتم من خلال "وسيط يسوع". لكن من هو يسوع، كما يُفهم من منظور غنوصي؟

في المواد الغنوصية القبطية، نادراً ما تُكتب أسماء يسوع والمسيح كاملة، ولكن يتم الإشارة إليها برموز مثل الأحرف IS و XRS مع وجود خط فوقها. يقوم العلماء بشكل روتيني بملء الفراغات، محولين IS إلى I(eseo)S، وهو الشكل اليوناني للاسم العبري يسوع. إنهم يفعلون ذلك مع قدر كبير من الحرية الشعرية، في غياب الأدلة النصية التي تدعم الافتراض بأن الغنوصيين استخدموا IS للإشارة إلى شخصية تاريخية مفترضة تدعى إيسيوس، أي يسوع. ويمكن ترجمة IS بطريقة أخرى: I(asiu)S، مما يعطي اسم Iasius، "المعالج"، لقبًا بدلاً من اسم شائع. لكن المترجمين يفترضون أن IS تشير إلى يسوع العهد الجديد. باختصار، لا يعترف العلماء باحتمالية أن يشير مصطلح IS إلى أي شيء آخر غير شخص حرفي تم تحديد هويته مسبقًا.

وينطبق الأمر نفسه على المسيح. رمز المسيح هو XC أو XRC، والذي يمكن أن يشير أيضًا إلى كريستوس (Christos)، أو حتى كريستوس(Chrestos).[291] في اللغة القبطية يبدو الأمر هكذا: XC، مع وجود خط فوق الأحرف. X هو الحرف اليوناني الذي يرمز إلى "ch" و C هو الحرف القبطي "s". وبالتالي فإن XC = CH-S. يقوم العلماء بملء XC بحيث يقرأ "يسوع"، وليس "كريستوس"، على الرغم من أن "كريستوس" أكثر اتساقًا مع الحرف الأخير.

على سبيل المثال، عندما يظهر XC في كتاب الكتاب السري ليوحنا، يضع العلماء كلمة كريستوس اليونانية بين قوسين لكنهم يترجمون الكلمة المشفرة على أنها "المسيح". وبذلك، فإنهم يساوون على

الفور بين XC والكيان المعروف للاهوت البولسي واليوحناوي. مرة أخرى، هذا مجرد تصرف أدبي. وبالنظر إلى جميع المواد الغنوصية التي تعارض فكرة المخلص البولسي-اليوحناوي، فإن هذه المعادلة مشكوك فيها للغاية. يبدو أن المصطلحين المشفرين مجتمعين يتطابقان مع الصيغة اللاهوتية المعروفة للطبيعة المزدوجة ليسوع المسيح: الشخص الفاني والتاريخي، IS، والألوهية الساكنة، الابن الوحيد لله، CHS. يبدو الأمر كما لو أن تعاليم الأسرار حول الوسيط (Mesotes) تؤكد اللاهوت العقائدي حول الكائن الهجين بين الإنسان والإله. هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة.

حتى لو كان IS يشفر اسم "يسوع"، يجب الاعتراف بأن المنتسبين إلى الأسرار الوثنية لم يعتبروا يسوع التاريخي، أو أي شخصية تاريخية، المعالج والوسيط الحي الأبدي. إن "يسوع الحي الأبدي أو السرمدي"، وهو الاسم القبطي ETONE، هو اسم آخر للميسوتيين (الوسطاء). تشير الكلمة القبطية ETONE إلى العيش بطريقة تتجاوز الشخص المنفصل والمتجسد. لكي نكون متسقين مع تعاليم الأسرار، سيكون من الخطأ تحديد هوية IS ETONE بأي شخصية تاريخية عاشت وماتت، لأنها حضور نفسي يتجاوز الهوية البيولوجية المنفصلة. بالنسبة للغنوصيين، كان إيتون (IS ETONE) حضورًا خالدًا في النفس البشرية وفي المحيط الحيوي ككل. يشير مصطلح "Mesotes" الذي يعني "الوسيط"، إلى الوظيفة النفسية الداخلية لـ "يسوع الأبدي"، وهي وظيفة تم إثباتها بشكل خاص من خلال شفاعة الكريستوس - وبالتالي، لن يتم العثور عليها تعمل في النفس البشرية لو لم يحدث ذلك الحدث. بسبب الشفاعة، يأتي شيء ليعيش إلى الأبد في الجو مثل صورة لاحقة لا تتلاشى: IS ETONE، المعالج الحي الأبدي.

إن صيغة الإله-الإنسان الهجين "يسوع المسيح" ليست تعليماً غنوصياً حقيقياً، ولا يمكن أن تكون كذلك أبداً. يقول الكاشف الذي يتحدث في الرسالة الثانية لشيث العظيم (65.18): "أنا كريستوس، ابن البشرية، ذلك الذي فيك هو أنت". قد يبدو هذا وكأنه أوضح إعلان لا لبس فيه عن "المسيح في الداخل" يمكن تصوره، ولكن انتظر قليلاً. هذا البيان يستحضر مفهوم "إيون كريستوس" بدلاً من المسيح في لاهوت العصر الجديد، أو "المسيح فيكم" كما ورد في رسائل بولس. هذا أكثر من مجرد جدال لفظي، لأن الفرق بين كريستوس والمسيح كبير للغاية. في تعاليم الأسرار، لا يعتبر الكريستوس مخلصًا إلهيًا للبشرية، بل وسيطًا يؤثر عمله الشفاعي على ممالك الحيوانات على الأرض، وليس على الجنس البشري حصريًا. ومع ذلك، فإن الإعلان المذكور أعلاه يساوي بوضوح بين كريستوس و"طفل الإنسانية، ذلك الذي فيك هو أنت". لكن هذا الإعلان الضمني من قبل "أيون كريستوس" يشير إلى المصدر الإلهي للبشرية، وليس إلى مخلص يقف وراءها. يتحدث الكريستوس بهذه الطريقة لجذب الانتباه إلى إنسانيتنا، وليس للكشف عن نفسه أو تمجيدها. يخفي الوسيط نفسه بتواضع، ولا يشترط الإيمان كشرط للهوية، فضلاً عن كونه شرطاً للخلاص. بل إن الوسيط يطالب البشر بأن يؤمنوا بأنفسهم: "ذلك الذي فيك هو أنت".

كان يُفهم أن كريستوس الأسرار ليس جوهرًا إلهيًا كامنًا، بل شيء يوجهنا إلى طبيعتنا الحيوانية البشرية. في مقابل معادلة الذات الإلهية، أكد الغنوصيون على صلة الذات -النوع. بالنسبة للعرافين القدماء، كان للكريستوس دور فريد كوسيط يربطنا كأفراد واعين بذواتنا بهوية نوعنا، ومن خلال تلك الهوية، بجميع الأنواع الأخرى. Mesotes هو المصطلح المحدد للوسيط باعتباره حضورًا نفسيًا داخليًا، يمكن الوصول إليه من قبل كل إنسان، طوال الوقت. على الرغم من أن شفاعة الكريستوس الأبدي من أجل صوفيا حدثت في أزمنة بعيدة، إلا أنها ولّدت تأثيراً مستمراً، وهو تأثير لا يظهر إلا

على مستوى الوعي الذاتي للنوع. ماذا يعني أن يكون الفرد البشري واعياً بذاته على مستوى النوع؟ هذا وعي يأتي مع التواضع لرؤية المرء نفسه كعضو في عالم الحيوان، ومع ذلك ينتمي إلى نوع معين من الحيوانات. وهذا يعني أننا نمتلك إنسانيتنا بشكل أعمق عندما نشعر بالتواضع السامي لكوننا حيوانًا.

المسيح الأثيري

يدعونا "الميسوتس" إلى التفكير في نطاق الرؤية القديمة - الرؤية الاستبصارية، على وجه الدقة، والسمع الاستبصاري أيضًا. "كان النور مليئًا بالسمع واللغة" (إعادة صياغة سام، مخطوطات نجع حمادي 1.30 ،1 ،VII). تصلنا الشفاعة الكريستوسية من خلال شهادة الرؤاة المدربين، أو من خلال أبحاث المتصوفين التجريبيين، إن شئت. من خلال توجيهاتهم من النور الإلهي، تعرف التيليستاي (المعلمين في الأسرار) على الأحداث التي وقعت في عصور ما قبل التاريخ البعيدة لكوكبنا. بطريقة ما، تمكن العرافون القدماء من إعادة تمثيل هذه الأحداث بشكل تخيلي، ومشاهدتها بشكل مباشر. * أثناء التحقيق في الشفاعة، اكتشفوا نوعًا من الصورة اللاحقة، مثل تلك التي نراها عندما ننظر إلى ضوء ساطع ثم ندير ظهورنا. لكن في هذه الحالة الفريدة، إنها صورة لاحقة حية. إن "يسوع الأبدي" هو الصورة اللاحقة لكريستوس الأيوني الذي استمر في المحيط الحيوي بعد دهور من الشفاعة. (بمعنى آخر، تحدث الشفاعة في زمن الأحلام وهي مستمرة باستمرار.)

إن رؤية هذه الصورة اللاحقة هي تجربة رؤية حقيقية، واقعية وقابلة للتحقق، ومتاحة لأي شخص. وقد شاهدها الكثير من الناس.

في اللاهوت المسيحي المبكر، كان ظهور يسوع الأبدي يُعرف باسم الباروسيا *parousia*، وهو حضور روحي ملموس وحاضر؛ ولكن بسبب الارتباك حول الطبيعة الحقيقية للتجربة، سرعان ما تحول هذا المفهوم إلى فكرة "المجيء الثاني" للمخلص، وهو حدث لم يتحقق أبدًا. في التقاليد الباطنية والسرية مثل الصليب الوردي، يُطلق على يسوع الأبدي اسم المسيح الصوفي. في أوساط العصر الجديد، يُطلق على هذا الشبح المضيء اسم المسيح الأثيري. في جميع الحالات، يعتبر الشهود الميسوتس (الوسيط) بمثابة مرشد داخلي، مثل ملاك حارس. تحدث اللقاءات مع المرشد الداخلي بشكل عفوي - بل يمكن القول إنها تحدث بشكل طبيعي. تتسم طبيعة التجربة بدرجة عالية من الاتساق عبر مختلف العصور والثقافات.[292] عند النظر إليها بشكل ديناميكي، فإن هذه الصورة الشبيهة بالإنسان هي عبارة عن مجموعة جوية من خلايا بينارد. هذه تشكيلات سداسية تنشأ عندما تصل بعض السوائل إلى عتبة عدم الاستقرار المضطرب، مثل الزيت المسخن في مقلاة، أو في تيارات الحمل الحراري التي تدور في الغلاف الجوي. كما يوضح جون غريبين في كتابه "البساطة العميقة"، فإن خلايا بينارد هي إنجاز طبيعي عفوي، ودليل رائع على نشوء النظام من خلال الفوضى:

> تظهر الأنماط المستقرة الأكثر إثارة للاهتمام [في الطبيعة] على حافة الفوضى... النمط المثير للاهتمام الذي يظهر هو ترتيب يشبه خلية النحل من الأشكال السداسية. يحدث هذا

بعيدًا عن حالة التوازن، وذلك بفضل الطاقة المتدفقة عبر نظام مفتوح والتي تتبدد. هذا هو سر وجود النظام في الكون، وبالتحديد سر الحياة. [293]

تظهر خلايا بينارد بشكل تلقائي في دوامات الحمل الحراري الجوي التي يمكن رؤيتها بوضوح في الحقول الجليدية في القطب الجنوبي ورمال الصحراء الكبرى. إن هذه الظاهرة منتشرة لدرجة أن العلماء يتحدثون عن "بحر بينارد الجوي". يقول إف. ديفيد بيت في كتابه "المرآة المضطربة": "يعتقد العلماء أن الغلاف الكروي للغلاف الجوي، وربما الغلاف الجوي بأكمله، قد يكون بحرًا

من خلايا بينارد المتأججة. [294] هذا صحيح تماماً، وهو ما اكتشفه شهود عيان الميسوتس.

بالطبع، نحن مضطرون للتساؤل كيف يمكن لشيء غريب مثل "مجموعة من خلايا بينارد" أن يتخذ شكلاً بشرياً. إن يسوع الأبدي لا يتخذ في الحقيقة شكلاً بشرياً، ولكنه يبدو كذلك فقط. (في التعاليم الغنوصية، كان هذا يسمى التجلي الدوكيتِي، من الكلمة اليونانية *dokein*، "يظهر".) إن الأيون كريستوس ليس له شكل بشري، ولم يكن له شكل بشري قط، ولكن تماشياً مع الإيثار المطلق للآلهة البليرومية، فإن كريستوس يمنح تأثيره البيولوجي النفسي على صورتنا، وليس على صورته. يمكن لأي شخص أن يصادف الأثر الباقي للشفاعة الكريستوسية كشبح مضيء في صورة بشرية. يمكن أن يحدث ذلك في أي لحظة، وقد حدث مرات لا تحصى عبر التاريخ، وقبل التاريخ أيضاً.

سيحتاج الأمر إلى كتاب كامل لسرد الروايات العديدة المعروفة عن اللقاءات مع المسيح الأثيري، وهي لقاءات أبلغ عنها أشخاص مثل بيل ويلسون، مؤسس مدمني الكحول المجهولين، و سي. جي. يونغ، الذي تم سرد رؤيته للمسيح الأخضر في مذكراته التي نُشرت بعد وفاته بعنوان "الذكريات والأحلام والتأملات". ومن الحالات الجديرة بالذكر حالة الشخصية المثيرة للجدل في الطائفة، كارلوس كاستانيدا. عندما التقى بالشبح المضيء، غمره الفرح، وعاد مفعماً بالحماس لقيمة الإنسانية. أثبت معلمه، الشامان الياكي دون خوان، أنه شخص يفسد المتعة حقًا عندما أخبر كارلوس بسخرية أنه لم يشعر بذلك إلا بسبب افتتانه الشديد بنفسه. أخبره دون خوان أن الشبح المضيء هو "قالب الإنسان"، وهي ظاهرة معروفة جيداً لدى العرافين القدماء في المكسيك. وحذر قائلاً: "إن الركوع أمام قالب الإنسان ينضح بالغطرسة والأنانية البشرية". أصرّ الساحر العجوز على أن العرافين المدربين فقط هم من يملكون الرصانة الكافية لرؤية الشبح على حقيقته.[295]

التأثير التوجيهي

يتفاعل الناس مع لقاءات "المسيح الأثيري" بطرق مختلفة. يُحدث االشبح استجابة فريدة لدى كل من يقابله، ولكن في كثير من الأحيان تتشوه الاستجابة بسبب التكييف الديني للشاهد. ليس من المستغرب أن يعتقد معظم الناس من خلفية يهودية مسيحية أنهم التقوا بيسوع القائم من بين الأموات، أو أنهم رأوا رؤية داخلية للمخلص. يتوافق هذا التفسير مع القصة التي رُويت لهم عن يسوع ويؤكد ما يتوقعون رؤيته في حالة روحانية. إن مساواة يسوع الأبدي في المعرفة الوثنية مع الشخص الذي يحمل نفس الاسم في العهد الجديد أمر رائع للمسيحية، بالطبع، ولكنه خاطئ تمامًا من الناحية الصوفية. من بين العديد من الأشخاص الذين يقابلون المسيح الأثيري، يدرك عدد قليل منهم أن

الميسوتس ليس هو المخلص الإلهي.

IS ETONE، يسوع الأبدي، هو صورة نفسية حيوية لاحقة، ولكنه ليس مجرد سجل سلبي. تخيل أنك تحدق في جسم ما في ضوء ساطع - على سبيل المثال، شجرة تفاح عارية من الأوراق، محفورة على خلفية زرقة للسماء الشتوية الصافية. إذا أدرت ظهرك، سترى الصورة اللاحقة المثالية للشجرة، سواء كانت عيناك مفتوحتين أم مغمضتين. والآن تخيل أن الصورة اللاحقة تنمو مثل شجرة حية. تتفتح براعمها، وتزهر، وتثمر، ثم تذبل، ثم تعيد الكرة من جديد. الصورة اللاحقة حية تماماً كالشكل الأصلي.

وهكذا، فإن "يسوع الحي" يعيش في الجو، خارجياً، على الرغم من أنه غالباً ما يُنظر إليه على أنه شبح نفسي داخلي. يعتقد الشهود أنهم يرون رؤية داخلية، تقع في مكان ما داخل العقل أو في فضاء متخيل، ولكن في الواقع هم يرون شكلاً يحوم في الغلاف الجوي. تشع هالة الشبح الرائعة ذات الأوجه السداسية بضوء نقي كالكريستال، لكن الأوجه مطلية بالذهب، بحيث يمتزج الضوء بألوان ذهبية عسلية ناعمة. كل جانب من جوانب خلية النحل يعكس بتفاصيل دقيقة المشهد بأكمله المحيط بالشاهد. يتدفق البياض الحليبي للنور العضوي داخل اللمعان البلوري الصافي. إن بياض الضوء الممزوج بألوان الذهب في أوجه قرص العسل ينتج إحساساً بالسكينة العميقة المشحونة داخلياً بالحيوية الفائقة. إن التدفق الحلو والمبهج للقوة الحيوية المتدفقة من الميسوتس يخلق انطباعًا بالانغماس في حليب يغلي مع تيارات من العسل الذهبي تتدفق من خلاله - في الواقع، تتدفق عبر جسد الشاهد، وتغمر كل خلية. قد يصاحب ظهور الشبح المضيء رنين رائع يشبه رنين ودق أجراس لا حصر لها. استطاع الغنوصيون الذين صادفوا هذه الشخصية في ممارساتهم الصوفية ربطها بشفاعة الكريستوس في الطبيعة، وبالتالي فهم أصلها. وبفضل بصيرتهم الروحية المدربة، تمكنوا أيضاً من تحديد وظيفتها من الناحية الإنسانية، وتأثيرها النفسي الدقيق. حدد إيون كريستوس تحسينًا للخطط التطورية للممالك الحيوانية، بحيث يمكن لجميع الأنواع أن تتبع برامجها الغريزية وأن تظل مترابطة، وتتعاون، وتتطور معًا. في الواقع، ضمنت الشفاعة الإمكانات الكاملة للتكافل التي كانت موجودة في صوفيا منذ البداية، ولكنها كانت معاقة بسبب التنوع غير المتوقع لنسلها.

في البشرية، وعلى النقيض من الحيوانات الأخرى، يجب تحقيق التكافل من خلال التغلب على ميل متأصل نحو الهوس بالذات. يقول ديفيد أبرام: "نحن بشر فقط من خلال التواصل والتفاعل الاجتماعي مع كل ما ليس بشريًا". من خلال الدخول في علاقة قرابة مع جميع الأنواع، تتغلب الحيوانات البشرية على نزعاتها الأنثروبولوجية، والتي يمكن أن تكون شريرة، وتؤذي نفسها بقدر ما تؤذي الآخرين. لقد أحدثت شفاعة الكريستوس تلطيفاً للحدود الإنسانية، وخاصة حدود الأنا، للسماح بتعزيز التعاطف مع كل ما هو حي. في هذا التعاطف نجد طريقنا الشخصي بسهولة أكبر، لأنه لا يوجد مخلوق يعيش بمفرده. تتمثل الوظيفة الأساسية للميسوتس في تأثير توجيهي دقيق وغير تدخلي. لقد عبّر لورانس فان دير بوست، الذي عاش مع شعب سان بوشمان في صحراء كالاهاري، عن مذاق هذه التجربة عندما كتب (في روايته "ترنيمة فرس النبي"): "كلنا نعرف أكثر مما نسمح لأنفسنا بمعرفته بسبب نوع من الجبن في مواجهة ما لا يمكن التعبير عنه، والخوف من قبول تأثيره علينا كدليل على طبيعة حقيقته".

عند مواجهة الميسوتس، يفشل معظم الشهود في اتباع التأثير التوجيهي، بل يرجعونه إلى تربيتهم،

ويرونه فقط من خلال تلك التربية، وخاصة المعتقدات الدينية. للأسف، فإن هذا اللقاء يضيع على الناس عندما يؤدي إلى التشبث بيسوع التاريخي والمعتقدات العمياء في الخلاص والتضحية والقيمة الفدائية للمعاناة وخطة الله للعالم وما إلى ذلك. إن اللقاء الصوفي الحقيقي غائب تماماً في هذه القصص الخيالية. إن "يسوع الحي" يعزز تجربة شخصية فريدة من نوعها للقرابة مع جميع الأنواع. إن الشبح المضيء هو المرشد الداخلي الخفي، وليس "مدرب حياة" يعزز التمكين الذاتي أو التواطؤ مع الله الأب. إنه لا يدعم إشباع رغباتنا الشخصية، بل التكريس غير الأناني لكل ما هو حي.

أولئك الذين يرون النور العضوي يعلمون أنهم مرئيون به أيضاً. هذا أمر غامض حقاً، وهو أيضاً صحيح بشكل غامض. كل شخص يقابل الشبح المضيء يُسجل اسمه في الذاكرة الحية لـ "أيون كريستوس". لقد علّم الغنوصيون أننا ندمج جزءًا من النور الإلهي في أنفسنا، في أجسادنا، على المستوى الخلوي. ومع ذلك، كانوا يدركون أيضاً كيف يمكن حجب هذه الملكة النورانية بل وتدميرها من خلال المعتقدات غير السليمة وغير المدروسة، وخاصة المعتقدات المتعلقة بالله والألوهية والطبيعة والإمكانات البشرية.

إن الميسوتس غير شخصي بشكل متعالٍ، وفي بعض النواحي يتصرف كآلة بلا عقل. إنها وظيفة وليست كياناً. وعلى هذا النحو، يمكن مقارنته (بشكل مبسط) بمؤشر الماوس على شاشة الكمبيوتر. يُمكّن موضع المؤشر الشخص الذي يكتب من تتبع العرض والتنقل بين أجزاء النص. كما أن المؤشر يحمل وظائف التحرير، مثل حظر وحذف النص، ويمكنه الوصول إلى البيانات والبرامج المثبتة مسبقًا (بنقرة واحدة). سيكون من السخف الواضح افتراض أن المؤشر هو الذي يقوم بالكتابة ويخلق معنى النص. وبالمثل، فإن تأثير الميسوتس دقيق للغاية وغير مؤثر على الإطلاق. يتم دحض هذا التأثير من خلال افتراض أنه يوجه بطريقة خارجية، بدلاً من مجرد دعم الفعل البديهي للتوجيه الذاتي. في نطاق الغرائز البشرية، يكون الدافع للحفاظ على الذات (بما في ذلك الحفاظ على الأنا وكذلك الجسد) قويًا لدرجة أنه يمكن أن يعارض الدافع للتطور المشترك، واحتضان جميع أشكال الحياة، ومحبة غايا، الأرض نفسها. إن البشر، المنغمسون باستمرار في التكافل مع غايا، لديهم دائماً الخيار في تجاوز غريزة الحفاظ على الذات من أجل الحياة بشكل عام. إن المرشد الداخلي هو هبة سامية مُنحت لجنسنا من البليروما، وهو عون لا يُقهر للتصحيح الذاتي.

لولا التوجيه الخفي للشبح المضيء، لكنا أكثر اندفاعاً نحو الأنانية المجنونة مما نحن عليه الآن.

أولئك الذين تلقوا التوجيه من النور في العصور القديمة أدركوا أن البشرية لم تُخلق على صورة الإله الأب، ولا حتى على صورة آلهة البليروم. إن نكران الذات اللامتناهي لدى الأيونات لا يسمح لهم بالتأثير أو فرض أنفسهم على المخلوقات التي لا تعد ولا تحصى والتي تعيش في عالم أحلامهم. علّم الغنوصيون أن البشرية هي ابتكار حر الشكل، وتجربة من الخيال الإلهي، وليست مخلوقًا مصنوعًا على صورة أب إلهي. إن الجنس البشري يتمتع بقدرة تتوافق مع القوة الإلهية التي أنتجته وتحافظ على الواقع الذي نعيشه، والحلم الحي الذي نسكنه، لحظة بلحظة.

يعمل إيبينويا: ″الخيال″ المضيء في الحمض النووي المُتَقَدِّرِيّ في خلايانا، ويتجدد باستمرار. يتم الحفاظ على القدرة الخيالية على التطور المشترك مع جميع الأنواع والدخول في محاذاة صوفيا على المسار الصحيح بواسطة الميسوتس، الطيار الآلي للنفس. عندما تنظر إلى المرشد الداخلي،

ترى الشكل البشري لأنك تنظر إلى انعكاس، ليس لذات فردية، بل لنوع يتعرف على نفسه. لقد تحققت الصلة البدائية بغايا التي تم تعزيزها في الأسرار من خلال المعرفة الصامتة مع الإنسان كصورة محورية حيث يمكن رعاية ملكة الإيبينويا من الحيوية الفائقة للكوكب الأم. إن إدراكنا لقرابتنا مع جميع الأنواع يسمح لنا بأن نصبح بشرًا من منظور تطوري مشترك شامل، بشكل بانورامي، كما لو: أن يكون لنا مصيرنا، مصير بشري، وأن نتغلب عليه أيضًا. اكتشف المتأهلون الأنثروبوس: "الإنسان الكوني"، وفي الوقت نفسه، وضعوا البشرية داخل مملكة الحيوان. يتمتع الأنثروبوس: "الإنسان الكوني" بخصائص غير موجودة في الأنواع الأخرى، لكن هذا لا يجعله متفوقًا على أي نوع آخر. لا يمكننا معرفة مكانتنا في الكون من خلال التركيز على الإنسان، ولكن تجاهل الوضع الاستثنائي (وليس المتفوق!) للجنس البشري ليس صحيحًا أيضًا.

تمثل البشرية جانباً معيناً من الخيال الإلهي المتورط بشكل وثيق في تصحيح صوفيا، إذا اخترنا أن نكون مخلصين لهذا الجانب. الشرط الأول للدخول في عملية تصحيحها هو تصحيح نظرتنا لأنفسنا كجنس بشري، وإعادة تصور الإنسانية. علّم الغنوصيون أن جنسنا البشري أبديٌّ مع المجرة التي نشأ فيها. تظهر سلالات من الأنثروبوس في عوالم عديدة، في وقت واحد. كانت عبقرية العرافين الغامضين تكمن في اكتشاف الظروف الخاصة بالعالم الذي نعيش فيه. لقد فعلوا ذلك من خلال تنمية الإيبينويا: "الخيال" المضيء والعيش في الخيال الإلهي أثناء تطوره.

---

* في المصطلحات الباطنية الحديثة، تسمى هذه العملية "إنشاء السجل الأكاشي". لم أذكر أمثلة حديثة قابلة للمقارنة بالتحقيق التليستي لأنني لا أجد أوجه تشابه صحيحة بين أولئك الذين يدّعون هذه الموهبة، مثل إدغار كايس ورودولف شتاينر.

24

غموض الإلهة

> نحن أبناء الديانات اليهودية المسيحية، أو الإسلامية، أو الداروينية الجديدة، أو أي نوع آخر من الديانات. هذه الأديان سخيفة لأنها ليست مشوشة فحسب، بل إنها تشكل خطراً على علاقتنا بالأرض ورفاقنا غير البشر على هذا الكوكب. إن الخلفية الثقافية التي نشأنا فيها تحول دون تعلمنا عن الأرض ككوكب متكامل.[296]

قدم جيمس لوفلوك فرضية غايا رسميًا في عام 1972 في مجلة البيئة الجوية. ولتطوير هذه الفرضية، تعاون مع عالمة الأحياء التطورية لين مارغوليس، المعروفة بشكل مستقل بنظرية التكافل الداخلي المتسلسل (نظرية SET)، والتي تعتبر حاليًا أفضل بديل لنموذج داروين للتطور. تقترح نظرية SET أن الكائنات الحية في المحيط الحيوي تعيش من خلال بعضها البعض (داخلياً) بدلاً من افتراس بعضها البعض. التكافل هو نشاط متسلسل لأنه يمتد عبر سلسلة طويلة من التفاعلات تمتد لعصور، حيث تتطور الكائنات الحية الأكبر والأكثر تعقيدًا من خلال دمج كائنات أصغر وأكثر بدائية.

في عام 1979 نشر لوفلوك كتاب "غايا: نظرة جديدة على الحياة على الأرض"، لكن النقاش حول النظرية الجديدة لم يكتسب زخماً إلا بعد رد نقدي من دبليو إف دوليتل بعنوان "هل الطبيعة أمومة حقاً؟". نُشرت في مجلة *Coevolution Quarterly* عام 1981. ومنذ ذلك الحين، تم إنتاج مواد غايا بوتيرة محمومة، ويتعلق الكثير منها بالجوانب الأسطورية والصوفية للنظرية. كتب كلاوديو غيلين، أستاذ الأدب المقارن في جامعة هارفارد وجامعة برشلونة: "غايا أشبه بأسطورة الإله، لغز يجيب على لغز". "إنها استعارة رومانسية تلبي حاجتنا إلى الوحدة." [297]

لكن هل "الاستعارة الرومانسية" لنظرية غايا، على الرغم من روعتها، تلبي تلك الحاجة حقًا؟ أم أن نظرية غايا وغموض الإلهة - والتي أعني بها مجموعة المفاهيم شبه الدينية والروحانية والصوفية التي تجمعت حول النظرية العلمية - تواجهنا بأسئلة لاستكشافها، بدلاً من إجابات نرضى بها؟

غايا والغنوص

بغض النظر عن الأدلة التي يتم تقديمها لدعمها، فإن النظرية العلمية هي دائماً سرد، قصة لها بداية ووسط ونهاية، تستند إلى حبكة وتوضح مغزى أو رسالة. "يستفيد العلماء كثيراً من إدراكهم أنهم رواة قصص"، هكذا علقت عالمة الأنثروبولوجيا القديمة ميسيا لاندو. في كتاب "روايات التطور البشري"، يجادل لاندو بأن النظريات العلمية "تتحدد بقدر ما تتحدد بالأطر السردية التقليدية بقدر ما تتحدد بالأدلة المادية". إنها ترى في نظرية داروين، على سبيل المثال، شكلاً مختلفاً من أشكال سردية البطل الموجودة في جميع أنحاء العالم. البطل في قصة داروين هو الجنس البشري نفسه. (في

الحقيقة، لم يكن لدى داروين الكثير ليقوله عن الجنس البشري، لكن هذا الأمر أصبح محورياً في النظريات المستمدة من عمله.) تتألف قصة التطور من "سلسلة من الزخارف - الجباه المتوسعة والفكوك المتراجعة، وزيادة العقول وتضاؤل الغرائز - التي تدفع الحبكة للأمام وتحمل معنى في حد ذاتها (على سبيل المثال، سيطرة العقل المتوسعة على المادة)." [298] إن الشكل السردي، الذي يسميه لاندو بشكل مناسب "مذبحًا يضم تنوعًا في المعتقدات"، أمر لا مفر منه في أي وصف للتجربة الإنسانية. إن قصة صوفيا هي سرد كوني، ولكنها أيضاً سرد صوفي واستعاري. من بين جميع العناصر التي قد تساهم في غموض الإلهة، فإن الرؤية الصوفيانية للأسرار هي الأكثر توافقًا مع الافتراضات الأساسية لنظرية غايا. في الوقت نفسه، تقدم قصة رؤية صوفيا تناقضًا صارخًا مع الافتراضات العقائدية لنظرية داروين للتطور.

بشكل عام، تُظهر قصة صوفيا ثلاث سمات بارزة تشبه نظرية غايا، بالإضافة إلى سمتين أخريين قيد النقاش حاليًا، وثلاث سمات أخرى تقع خارج نطاق النظرية في شكلها الحالي، ولكن يمكن أن تُطورها وتُثريها، إذا تمت صياغتها في النهاية بمصطلحات علمية.

تشير ثلاثة أحداث بارزة في قصة صوفيا إلى وجود علاقات مع عناصر محددة من نظرية غايا: التكوين الذاتي، والشذوذات في الغلاف الحيوي، والتكوين التلقائي للحياة. يبدو أن النصوص الغنوصية تشير إلى "التنظيم الذاتي" بواسطة الكلمة اليونانية *autogenes*، والتي تعني "التوليد الذاتي". كما رأينا، فإن إعادة صياغة إيرينيئوس تشير بوضوح إلى أن السرد الأسطوري للغنوصيين وصف القوى الذاتية لصوفيا. ربما يكون هذا هو الارتباط الأكثر وضوحًا بين نظرية غايا الغنوص. على الرغم من أن الشفاعة الكريستوسية قد تكون خطوة مبالغ فيها بالنسبة للعديد من العقول، إلا أنه يجب احترام سلامة الرواية. ويقول إن هذا ما حدث. إذا لم تكن القصة كذبة متعمدة، أو مجرد تعبير عن جهل خرافي، فسيكون من الحكمة النظر عن كثب في ما قد تشير إليه تلك الحادثة من الناحية الفيزياءالحيوية. يتطلب هذا الموضوع البحث والتأمل والنقاش. سأشير فقط إلى أن الشفاعة الكريستوسية توفر نهجًا أوليًا للنظر في مكانة البشرية في التكافل مع الأرض. قد يكون لقاء الميسوتس (الوسيط) تجربة وهمية. إذا كان الأمر كذلك، فهو بالتأكيد أمر عالمي. في حين أنه لا يمكن مساواة الشهادة الذاتية بالحقائق العلمية، فإن وجود مثل هذه الشهادة (وهي كثيرة) هو حقيقة لا جدال فيها.

يبدو أن الميسوتس (الوسيط) هو جانب من جوانب النظام البيئي الحي الذي يدمج الوعي البشري في اقتران هيكلي مع المجال الكامل للمحيط الحيوي.

تتضمن أسطورة الإلهة الكثير من الحديث عن "noösphere" - أي المحيط الحيوي الذي يعتبر وسيلة للوعي، وهو مفهوم قدمه تيلارد دي شاردان - ولكن لا شيء دقيق ومتعمد مثل وظيفة الميسوتس (الوسيط). نحن نعلم أن المحيط الحيوي هو وسط يتكون من عمليات تبدو أكثر تعقيدًا ووعيًا كلما راقبناه بشكل مكثف. * تجربة الميسوتس (الوسيط) هي لقاء مباشر مع وسيط بين المحيط الحيوي والعقل البشري . إن احتمال أن يكون التركيز الكلي الوجود (إذا جاز لي استخدام مصطلح متناقض) في المحيط الحيوي يستجيب للانتباه البشري قد يكون فكرة صوفية بحتة، وليست علمية، ولكن سيكون من غير العلمي استبعادها لهذا السبب. في المستقبل، قد يكون الدليل على التجربة الصوفية هو ما يجعل نظرية غايا تنضج تماماً، مع الحفاظ على سلامتها العلمية. إن مثل هذه الأدلة لا

تتعارض بالضرورة مع النتائج العلمية، بل قد تكملها وتؤكدها في الواقع.

أما الارتباط البارز الثاني فيتعلق بشذوذات المحيط الحيوي المذكورة في الفصل 13، والتي تستحق الآن نظرة فاحصة. تؤكد نظرية غايا على ثلاث نقاط بارزة: ثبات درجة حرارة الغلاف الجوي على الرغم من زيادة الإشعاع الشمسي بنسبة 30 بالمائة، واستقرار ملوحة المحيط، ونسبة الأكسجين عند العتبة الحرجة البالغة 20 بالمائة. في قصة صوفيا ، يشير تحول النجمة الأم ساباوث إلى العامل الأول. تقول القصة أن الشمس، على الرغم من أنها تنشأ من نفس عالم المادة الأولية مثل الأركونات، تتخلى عن ("تتوب") عن ارتباطها الأساسي بالقوى غير العضوية في الكون حتى تتمكن من بث الحيوية نحو عالم صوفيا العضوي. ترتفع الحرارة المنبعثة من الشمس بشكل هائل بمرور الوقت، لكن النجم الأم يكون محاذياً للأرض لدرجة أن درجة حرارة الغلاف الجوي تبقى عند المستوى الذي يدعم الحياة.

أما بالنسبة للحالتين الشاذتين الأخريين، غير الواضحتين على الفور في السرد الأسطوري كما قمت بإعادة بنائه حتى الآن، فربما يمكن استخلاصهما من المواد الغنوصية، مع وجود مراجع داعمة من التراث الأصلي. فعلى سبيل المثال، يوضح روبرت لولور في كتابه ″أصوات اليوم الأول″ كيف أن ثعبان قوس قزح لدى السكان الأصليين الأستراليين هو استعارة للطيف الكهرومغناطيسي. يمكن تطوير علاقات مماثلة لقصة صوفيا ، لكن القيام بذلك مهمة طويلة ودقيقة. ضع في اعتبارك أيضًا أن أجزاءً حاسمة من القصة قد دُمرت تمامًا - على سبيل المثال، خلق القمر. الأجزاء المفقودة تعيق وتضر بإعادة بناء القصص.

أما الارتباط البارز الثالث فيتعلق بالتكوين اللاأحيائي، أي استقرار الحياة العضوية على الكيمياء غير العضوية. هذا موضوع مثير للجدل للغاية في علم الأحياء الحديث. من أبرز سمات قصة صوفيا الغنوصية سيناريو الأركونات، وهي فصيلة غير عضوية تشبه السايبورغ تسكن النظام الشمسي باستثناء الأرض. في لغة إعادة صياغة الآباء، تشير الصفات "المادية" و "الحيوانية" إلى العمليات غير العضوية والعضوية، على التوالي. في قصة صوفيا ، يكون هذا التمييز أقل وضوحًا، ولكن يتم إيلاء قدر كبير من الاهتمام لوصف طبيعة وسلوك الأركونات، وشرح كيف يختلفون عن البشر. إنهم يفتقرون الإينويا: "النية"، والقصد، ولا يستطيعون سوى التقليد، وهم مخادعون ومفترسون، وما إلى ذلك. إن الادعاء بأن كبير الأركون لا يحترم حدوده يحمل تحذيراً للجنس البشري بشأن مشاكله الخاصة المتعلقة بالحدود. عندما يقوم الأركونات بتصميم قصورهم الكوكبية، فإنهم ينسخون الأنماط الكسورية الحية في البليروما، لكن النتيجة هي آلية ساعة عمياء من "الميكانيكا السماوية". بفضل الأدلة الفوتوغرافية من تلسكوب هابل وأجهزة جمع البيانات المتقدمة الأخرى، يدرك علماء الفيزياء الفلكية الآن أن التنظيم المائع والكسور يسود في جميع أنحاء الكون على نطاق المجرات. قال الغنوصيون إن النظام الكوكبي الذي نسكنه يمثل محاكاة للنظام الكسورية، وهو تقليد أركوني. تقدم الرواية الغنوصية تنوعًا في مفهوم اللاأحيائية في وصفها لتعشيش عالمنا العضوي في النظام الكوكبي غير العضوي، بدلاً من بناء الحياة العضوية من مكونات غير عضوية.

إن التأكيد الغنوصي على أن الأرض لا تنتمي إلى النظام الكوكبي ولكنها محتجزة فيه فحسب، يمثل تحديًا كبيرًا للفكر الحديث، ولكنه لا يتعارض مع نظرية غايا. لقد اقترحت أن *tri-morphiaprotennoia* هي "النية الأصلية ثلاثية الأجسام" لصوفيا، شكل حلمها قبل أن تسقط

من البليروما. إن فكرة أن نظامنا الكوني كان مقصوداً على المستوى الكوني أن يكون عالماً ثلاثي الأجسام يتكون من كوكب واحد مع قمر صناعي ونجم مركزي، تتجاوز بكثير أي شيء قد يفكر فيه عالم جاد. ومع ذلك، أود أن أشير إلى أن الدراسات المتعمقة باستمرار لعلم وظائف الأعضاء في غايا والكيمياء البيئية، مثل كتاب ″جسم غايا″ لتايلر فولك، تميل إلى تأكيد أن الأرض والشمس والقمر تشكل نظامًا مغلقًا، متميزًا عن بقية الكواكب. أظن أنه لن يطول الأمر قبل أن تدمج نظرية غايا رسميًا الأنشطة الشمسية والقمرية في إطارها، مما يؤدي إلى النظر إلى غايا كنظام متكامل من ثلاثة أجسام.

الغرض ما بعد الإنسانية

هناك عنصران بارزان آخران في قصة صوفيا يرتبطان ارتباطًا وثيقًا بجوانب غير محسومة من نظرية غايا: التبذر الكوني والتفرد. إن انبثاق الأنثروبوس هو طريقة أسطورية لوصف التبذر الكوني، أي زرع الحياة من خلال الفضاء بين النجوم. تؤكد لين مارغوليس أن جزيئات صغيرة محمية من الحياة العضوية تسمى البلازميدات يمكن أن تنتشر عبر الفضاء الخارجي، وتدعم الأدلة المادية هذا الرأي. في ما هي الحياة؟ وتشير مارغوليس إلى أن الأبواغ البكتيرية التي تدفعها الرياح الشمسية من نجم إلى نجم قد تفسر أصل الحياة على الأرض، "لكن هذا الرأي أقل قابلية للبحث العلمي من الرأي القائل بأن الحياة نشأت هنا على الأرض". حتى لو بدأت في الفضاء الخارجي، "فالأرض نفسها معلقة في الفضاء، لذا من أي زاوية تنظر إليها، فإن الحياة جاءت من الفضاء".[299]

أشك في أن البروفيسورة مارغوليس ستكون متقبلة لفكرة أن الحياة على الأرض قد تطورت من انبثاق من مركز المجرة، كما ادعى الغنوصيون. أو أن البشرية، وهي سلالة من الأنثروبوس: "الإنسان الكوني"، هي "حالة فريدة" ضمن طيف الحياة العضوية في المحيط الحيوي. هذه مفاهيم دينية وصوفية، ومن غير المرجح التوفيق بينها وبين العلم. ولماذا ينبغي أن يكونوا كذلك؟ إن الهدف من هذه الارتباطات ليس تحويل العلم، وبالتأكيد ليس تحريفه، بل مواءمة المنهج العلمي مع الممارسة الصوفية الأصيلة. منذ أن نشر فريتجوف كابرا كتاب ″تاو الفيزياء″ في عام 1975، اعتدنا على قبول أوجه التشابه بين التصوف والفيزياء، لكن الخطوط المتوازية لا تلتقي أبدًا. في كتاب ″شبكة الحياة″، الذي نُشر بعد عشرين عامًا، صرح كابرا بجرأة أن "الفيزياء فقدت الآن دورها كعلم يقدم الوصف الأكثر جوهرية للواقع".[300] ويشير إلى علم البيئة العميق باعتباره أساس التفكير الجديد في العلوم الطبيعية. لا يمكن تقييم قيمة التجربة الصوفية للعلم إلا من قبل الفيزيائي الذي هو أيضاً متصوف، أو العكس. على حد علم هذا الكاتب، لم يظهر مثل هذا الهجين الغريب على هذا الكوكب حتى الآن.

أما السمة البارزة الثانية، وهي التفرد، فهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنظرية التبذر الشامل في السرد الغنوصي، بالطبع. يُترجم مصطلح *monogenes* اليوناني لاهوتياً إلى "الوحيد المولود"، لكن "التفرد" أقرب بكثير إلى روح العارفين الغنوصيين. تزداد نظرية غايا قوة فيما يتعلق بالتنظيم الذاتي مع مرور كل عام، لكن مسألة التفرد في النظام البيئي لا تزال غير محددة إلى حد كبير. سيلاحظ القراء أنني لا أستخدم "التفرد" بالمعنى التقليدي - وهي نقطة ذات كثافة وحجم لانهائيين تفترضها

المادة وتنهار إلى ثقب أسود، كما اقترح روجر بنروز، باستخدام معادلات أينشتاين - ولكن كاستعارة للإشارة إلى البصمة الكونية للجنس البشري. يشير مصطلح التفرد إلى القدرة على تقديم مساهمة بشرية فريدة للنظام البيئي.

إذا كان الغنوصيون على حق في تأكيدهم أن الجنس البشري هو التفرد السائد في حلم صوفيا، فمن الضروري إدراك كيف يضع هذا الوضع البشرية في النظام البيئي. في الواقع، كانت هذه المسألة بمثابة شوكة في خاصرة نظرية غايا منذ البداية. في البداية، نظر لوفلوك إلى البشرية على أنها ربما تتمتع بمكانة مميزة كدائرة واعية بذاتها في الجهاز العصبي للكوكب. وعلى مر السنين، قام بتعديل هذا الرأي المتساهل إلى حد ما. في كتابه الأخير، "غايا: العلم العملي للطب الكوكبي"، يتساءل عما إذا كنا قد نكون وباءً على وجه الأرض، أو شكلاً من أشكال التلوث. لين مارغوليس لا ترحم أيضاً في هذه المسألة. وتستشهد بملاحظة نيتشه اللاذعة: "الأرض مكان جميل، لكنها مصابة بمرض يسمى الإنسان". يعارض كلا والدي نظرية غايا بشدة صياغات العصر الجديد لغموض الإلهة التي تضع الجنس البشري في قمة الحلزون الصاعد للتطور (انظر، على سبيل المثال، نموذج باربرا ماركس هوبارد "الحلزون التطوري" في كتابها، الرحلة التطورية). أنا شخصياً أقف مع لوفلوك ومارغوليس ضد الغرور الأنثروبولوجي لمثل هذه المخططات. قد نتمكن من رؤية الدور الحقيقي لجنسنا البشري في الطبيعة عندما نصل إلى التواضع الكافي للاعتراف بأننا لا نساهم بأي شيء إيجابي في عملية حياة غايا إلا إذا دخلنا في "تصحيحها". إذا كنا نساهم بشيء فريد واستثنائي - كما أكد الغنوصيون بسخاء - فإن معرفة كيف يمكن أن يكون الأمر كذلك يتطلب فهمًا أعمق لعمليات الحياة ما بعد الإنسانية طويلة المدى على كوكب الأرض. وعلى وجه الخصوص، الانقراض.

لوصف النظام البيئي ذاتي التنظيم الذي نعيش فيه، يستخدم لوفلوك مصطلح "المجال الناشئ". هذا "نظام نشأ من التطور المتبادل للكائنات الحية وبيئتها على مر العصور من الحياة على الأرض". [301] كما سبق ذكره، فإن مصطلح "الناشئ" هو الكلمة الرائجة الجديدة في العلوم البيولوجية. مع تطور هذا المفهوم، يبدو أكثر فأكثر شبيهاً بنظرية الانبثاق الشائعة في الميتافيزيقا الآسيوية والأسرار. مع ظهور مفهوم الناشئ، يتحول العلم بشكل حاد نحو "فيزياء زمن الأحلام" للحكمة الأصلية (انظر الفصل 11). قد يكون من الممكن فهم مفتاح تفردنا كنوع بشكل أفضل من خلال "التطور المتبادل"، بدلاً من التطور الغائي، الذي تميل نظرية غايا إلى التحرك نحوه. حالياً، تفترض "نظرية غايا القوية" توجهاً غائياً أو هدفياً للنظام البيئي، بما في ذلك الجنس البشري. على الرغم من أن هذا المفهوم سابق لأوانه، إلا أنه لا غنى عنه كنهج لمعالجة مسألة التفرد. وبعبارة أخرى، لا نعرف ما يكفي حتى الآن عن "تصحيح" غايا لنتمكن من المشاركة فيه. لذا، ينبغي أن نكون حذرين للغاية بشأن الافتراضات المتعلقة بالغرض الذي تخدمه البشرية في النظام البيئي. ومع ذلك، فإن مفهوم الهوية الناشئة الذي تدرسه حاليًا لين مارغوليس وآخرون يقدم نهجًا لفهم كيف يمكن للبشرية أن تتفاعل بشكل ديناميكي مع كلية المحيط الحيوي التي نشأت منها. كما أنها توفر طريقة لتخيل كيف يمكن للحياة الأرضية أن تنشأ من مركز المجرة وترتبط به، مع إعادة الوصول بوعي إلى المصفوفة الكونية للحياة.

تثير هذه الاعتبارات مسألة أغراض غايا ما بعد الإنسانية: ما الذي يفعله الكوكب في تجربته المستقلة طويلة الأمد، بغض النظر عن مشاركتنا، أو حتى آثار وجودنا. يقودنا هذا السؤال الهائل إلى

السمات البارزة الثلاث المتبقية للرؤية الصوفيانية، والتي، كما أشرت، تقع خارج النطاق الحالي للنظرية، ولكن يمكن أن تساهم في تطويرها وإثرائها، إذا تمت صياغتها بمصطلحات علمية. هذه السمات هي: كيف تتكاثر غايا، وكيف تعتمد على العقل البشري (نوس)، وكيف يمكن أن تتفاعل مع الخيال البشري *(إبينويا)*. لا تقول القصة شيئًا عن كيفية تكاثر صوفيا، لكنها تقول الكثير عن نوس: "العقل" و الإيبينويا: *"الخيال"*. فقط عندما تتطور هذه القدرات وتتوسع في أنفسنا، يمكننا الوصول إلى معرفة تجريبية قابلة للتحقق عن الفيزياء الحيوية لكوكب الأرض، بما في ذلك الانقراض.

بحسب جيمس ليكي *(كتاب الانقراض السادس)* وآخرين، فإننا نعيش حاليًا في حالة انقراض - لا نقترب من الانقراض - بل نحن في حالة انقراض، وفي عمقها. هذه هي اللحظة المناسبة للتعمق أكثر في العلاقة العابرة للوعي مع الكوكب والتوصل إلى فهم لأهداف غايا العابرة للإنسان. فقط من منظور ما بعد الإنسانية يمكننا أن ندرك الغرض الذي قد تخدمه الإنسانية من منظور غايا.

يكمن مستقبلنا كجنس بشري في هذه المفارقة.

التحرر من الذات

تساهم عناصر عديدة في هالة الغموض المحيطة بالإلهة، ولكن حتى الآن لا تساهم الرؤية الصوفيانية للأسرار في ذلك. لا تزال الديانة التي تُعتبر الأقل حظاً تتلقى الكثير من الانتقادات. وإذا ذُكر الأمر على الإطلاق، فإنه يُقصد به فقط "الاستهزاء". يفشل علم اللاهوت البيئي فشلاً ذريعاً في تقديم رؤية غاية للتطور المشترك تتضمن الغرض البشري في التكافل الكوكبي. تؤكد أصوات رائدة مثل روزماري رادفورد رويثر بشكل قاطع أنه "لا توجد روحانية وأخلاق بيئية جاهزة في التقاليد الماضية" (المذكورة أعلاه، الفصل 7)، وبالتالي تتجاهل تمامًا أسرار الأم العظيمة. ومع ذلك، فإن رويتر متقدم بسنوات ضوئية عن الأعمال الدفاعية مثل كتاب "معاناة الطبيعة" للقس اللوثري إتش بول سانتمير. بينما يعترف سانتمير بأن الوعد البيئي للمسيحية "غامض" في أحسن الأحوال، فإنه يحاول اكتشاف بذرة الرؤية البيئية المركزية في الزخارف السائدة للخطاب المسيحي. في تجديد الخليقة وسيادة المسيح الكونية - وهما شكلان مختلفان من أشكال عقدة المخلص - يرى رؤية بيئية للطبيعة متجسدة روحانياً، لكنه لا يستطيع أن يرى أن الطبيعة روحانية في المقام الأول، بغض النظر عما يتخيله البشر. يرسم سانتمير خطاً فاصلاً: "لن تدفع أي لاهوت خلق شرعي كتابياً أو علم مسيحي كوني أتباعه إلى التخلي عن مهمة شعب الله تحت الصليب". [302] إن التمسك الصارم بخطة الله من قبل المؤمنين مثل سانتماير يجبر الأشخاص ذوي التفكير البيئي على اتخاذ موقف عدائي، سواء أعجبهم ذلك أم لا. بدون رفض صريح وغير متنازل للأيديولوجية الخلاصية، لا سبيل إلى مستقبل غاياني للبشرية. لا يزال النقد الغنوصي لنظرية الخلاص هو التصحيح الرئيسي الذي يجب تطبيقه لتحرير اللاهوت البيئي من طغيان الإله الأب.

أطلق حراس الأسرار على أنفسهم اسم "تيليستاي"، أي "المستهدفون". لكن السهم لا يصوب نفسه. ما الذي كان يهدف إليه الغنوصيون؟ أعتقد أن رؤيتهم لصوفيا هي التي وجهتهم. وقاموا بدورهم بتوفير نظام الإرشاد الروحي للوثنية الكلاسيكية، باستخدام الممارسات الشامانية ("التقنيات القديمة للنشوة") الموروثة من طقوس ما قبل التاريخ للأم العظيمة. مع بزوغ فجر عصر الحوت حوالي عام 120 قبل الميلاد، تم تحدي التزام الألفية للمتأهلين من خلال النرجسية المتفشية في ذلك العصر. استطاعت الحمى المسيانية في فلسطين أن تصيب الإمبراطورية بأكملها لأن شخصية المسيا، بمجرد رفعها إلى مرتبة إلهية، هدأت من مخاوف الإنسان الذاتية بطرق لم تستطع الأسرار المقدسة تحقيقها أبداً. ساهمت عوامل عديدة في التحول الذي طرأ على عصر الحوت، لكن العامل الأكثر حسماً كان إعلاء شأن الخلاص بالنيابة على حساب التنوير والنشوة. كما ذكرت، فإن الخدعة الكبرى للدين الخلاصي هي أنه يجعل قوة المعاناة تبدو أقوى من قوة الحياة نفسها. إنه يمجد الألم ويدين المتعة.

قد يفسر الانفصال عن الجسد والحواس حقيقة أن فجر عصر الحوت شهد موجة هائلة من مشاهدات الأجسام الطائرة المجهولة بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية، بما في ذلك الدمار الكامل لمدينة بومبي في جنوب إيطاليا.[303]دفن ثوران بركان فيزوف في عام 79 ميلادي مدينة هيركولانيوم القديمة، ومعها اللوحات الجدارية الرائعة التي تصور طقوس ديونيسوس. بفضل غطاء الرماد الذي خلفه الانفجار البركاني، تم الحفاظ على اللوحات الجدارية. تُظهر هذه الصور الإله الرضيع ديونيسوس وهو ينظر في المرآة لحظة القبض عليه وتقطيعه من قبل الجبابرة. يحمل هذا الدليل التصويري النادر لتجربة التأهيل رسالة حول التحرر من الذات، وليس التحرر للذات نفسها. يجب تقطيع ديونيسوس حتى يتمكن من التجدد والعيش مرة أخرى، لكن محنته كانت نشوة: "يتحول إلى

أشلاء" في نشوة خالصة، مستسلماً لقوة الحياة الأكبر والأكثر استهلاكاً للأرض. سيعود ديونيسوس في صورة إياكوس، الطفل الإلهي الذي يمثل الشباب الأبدي للروح البشرية، لكنه يموت أولاً، وهو ينظر في المرآة. إن مسألة "التعريف" أو الوعي الذاتي الموسع توصل علم البيئة العميق إلى طريق مسدود، لأن التواصل الحميم مع غايا صوفيا يحدث خارج نطاق الهوية:

> على الرغم من أن التنوير يسكن فينا حقًا، إلا أنه يجب أن يظهر لنا وكأنه يأتي من الخارج بسبب تعلقنا بالأنا. لا تستطيع الأنا اختراق وهمها، ولا تستطيع أن تتلاشى[304]

هذا تفسر فرانشيسكا فريمانتل لتعاليم دزوغشن، لكن كلماتها تنطبق بدقة على أسلوب التنوير في الغنوص. إن ملاحظتها بأن التنوير يبدو أنه يأتي من الخارج يتردد صداه بشكل وثيق مع السر النهائي للأسرار، وهو حزمة القمح المقطوف. أتقن ممارسو طقوس الأسرار فن الموت الواعي من خلال التخلي عن التأمل الذاتي. عند نقطة انصهار الموت الطوعي للأنا، مروا باندفاع ديونيسوسي للاستسلام ودخلوا في علاقة متجاوزة للوعي مع الطبيعة.

عمل غير مُنجز

نظراً لغموض النجوم المركبة لكوكبة الحوت، فإن تاريخ نهاية عصر الحوت غير مؤكد. لا يمكن للتوقيت القائم على الترنح المحوري أن يوفر حدًا زمنيًا واضحًا في هذه الحالة. قد ينتهي الأمر الآن، أو قد يستغرق الأمر ثمانمائة عام أخرى! مهما يكن الأمر، فهناك بعض الأمور الخطيرة التي لم تُنجز بعد والتي يجب حلها.

من سلبيات الأمر أن قمع النشوة وإدانة المتعة من قبل الدين الأبوي قد تركنا في مستنقع عميق ومتقيح. إن الملذات التي يسعى إليها الناس في العصر الحديث سطحية، وفاسدة، ومبتذلة. هذا أمر مؤسف للغاية، لأنه يبرر الإدانة الأبوية للمتعة التي أدت إلى تآكل قدراتنا على الاستمتاع في المقام الأول! النرجسية متفشية، وقد وصلت إلى نطاق عالمي حقيقي. ويبدو الآن أنها دخلت المرحلة النهائية المعروفة باسم "الانطواء"، وهي الحالة النهائية للعزلة. إن الانفصال عن العالم الطبيعي يقترب من التجريد الكامل من الجسد، والذي يتجلى في حيل أركونية مثل "ما بعد الإنسانية"، والاستنساخ، والواقع الافتراضي، وتحميل الوعي البشري إلى الفضاء الإلكتروني. يبدو أن الحاسوب سيحل محل الصليب كرمز أساسي للخلاص. إنه بالفعل المذبح الذي يعبد فيه الملايين يومياً. إذا انتصر التكنوقراط، فإن الذكاء الاصطناعي والحياة الاصطناعية سيطغيان قريباً على النظام الطبيعي للكوكب.

من الجانب الإيجابي، قد تكون هناك فرصة لاستعادة ما دُمر منذ ما يقرب من ألفي عام في أوروبا. هل من الممكن حقاً عودة ظهور الأسرار؟ حتى الآن لم تثبت أسطورة الإلهة أن هذا صحيح، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن عوامل النشوة وموت الأنا لم يتم دمجها في الرؤية الناشئة لغايا.

مهما يكن الأمر، فإن اللحظة المناسبة لإجراء مراجعة حاسمة لتاريخنا، بهدف تجاوزه، هي الآن أو لن تأتي أبداً. من منظور عشرين قرناً، ربما نكون مستعدين للاعتراف بأنه عندما نجعل الأنا مقدسة، فإننا نفقد الإحساس بكيفية وجود أي شيء آخر. إن العلاقة العميقة مع الطبيعة لا يمكن الوصول إليها من قبل الأنا المقدسة أو العقل الواعي بذاته، بل فقط من قبل الوعي المجرد من الأنا للجسد والعقل.

تؤكد لين مارغوليس أن "الخلفية الثقافية التي نشأنا فيها تمنعنا من التعرف على الأرض ككوكب كامل" (مذكورة في بداية الفصل). وتقول إن هذا ينطبق بشكل خاص على التنشئة الدينية. أوافق تماماً، ولكن يمكن إحياء الأسرار دون دين (أي عقيدة، طقوس، مؤسسة، تسلسل هرمي، أيديولوجية)، طالما أن التجربة الدينية الحقيقية والمباشرة لا تزال ممكنة.

"إن كلاً من علمنا الحالي وتكنولوجيتنا الحالية مشبعة بالغطرسة المسيحية الأرثوذكسية تجاه الطبيعة لدرجة أنه لا يمكن توقع أي حل لأزمتنا البيئية منهما وحدهما." بما أن جذور مشكلتنا دينية إلى حد كبير، فإن العلاج يجب أن يكون دينياً في جوهره، سواء أطلقنا عليه هذا الاسم أم لا. وقد أدلى لين وايت الابن بهذه الملاحظة في مقالته المؤثرة بعنوان "الجذور التاريخية لأزمتنا البيئية". [305] كان وايت أول من عزا الأزمة البيئية إلى الديانة اليهودية المسيحية. لحسن الحظ، فإن الغنوصية ليست ديناً بديلاً، بل هي بديل للدين، طريق وممارسة يجب أن تُعاش وتُعبر عنها كل فرد على حدة. الغنوص هو إشراق نفسي جسدي، وهو اندفاعة كاملة للجسم من النشوة المعرفية والاستقبال الحسي المباشر للذكاء الحيوي للأرض.

---

* الملاحظة المكثفة: في عمله على نظرية غوته في الإدراك، يشرح هنري بورتوفت كيف اعتبر غوته أن ملكات الإدراك الحسي، في العادة، لا تُظهر لنا مجمل الظواهر، ولكن عندما تتم مراقبة الطبيعة بشكل مكثف، فإنها تستطيع ذلك. انظر إلى قسم القراءات المقترحة.

25

البيئة المقدسة

إذا كان هناك أي احتمال حقيقي لاستعادة وإحياء الغنوص اليوم، فسيتطلب ذلك النظر عن كثب في المشاكل المتأصلة في عصر الحوت، والتي حُرم التليستاي من فرصة حلها. قد يجد علم البيئة العميق البعد الروحي والأسطوري الذي يفتقر إليه في الرؤية الصوفيانية للأسرار.

ـــهذا، على الأقل، هو أساس هذا الكتاب. لا أستطيع التنبؤ بكيفية حدوث ذلك، أو حتى ما إذا كان سيحدث، لكن يمكنني تقديم رسم تخطيطي تقريبي للشروط المطلوبة لحدوثه.

الغنوص ليس ديناً، ومع ذلك يمكن صياغته في ثالوث مقدس: غايا، والأنواع الأخرى، والأنثروبوس. تتعلق كل نقطة من نقاط الثالوث بالسؤال النهائي حول كيفية نظرتنا نحن البشر إلى الحياة. وبعبارة أخرى، يتألف الثالوث من ثلاث وجهات نظر: وجهة نظرنا إلى غايا، الكوكب الحي؛ وجهة نظرنا إلى جميع الأنواع باستثناء أنفسنا، بما في ذلك الكيانات الميكروبية والجزيئية؛ ووجهة نظرنا إلى نوعنا. إن القضايا التي لم يتم حلها من قبل التيليستاي (المعلمين في الأسرار) تتطلب الآن صياغة واضحة لجميع هذه الآراء الثلاثة. أقترح أن ننظر إلى هذه العملية، ليس على أنها مهمة شاقة لمعالجة مشاكل غامضة ومثيرة للغضب، بل على أنها مغامرة يجب أن يقوم بها متطوعون شجعان من أجل استعادة الرؤية الصوفيانية.

كوكب واعٍ

لننظر أولاً إلى نظرتنا إلى غايا، الكوكب الحي. هذا، لنقل، هو قمة الثالوث المقدس لعلم البيئة. بعد سنوات عديدة من التأمل، قام جيمس لوفلوك بتوضيح النظرية التي قدمها للعالم بدقة: "أنا لا أفكر بطريقة روحانية، عن كوكب يتمتع بالوعي"، كما يقول في كتابه ″غايا: التطبيق العملي″.

لعلم طب الكواكب.[306]حسنًا، قد لا يكون كذلك، ولكن هناك الكثير من الآخرين كذلك. تكمن المشكلة المركزية في نظرتنا إلى غايا في كيفية النظر إلى ما هو أبعد مما يفترضه العلم الصارم، ولكن دون الوقوع في فخ التظاهر الصوفي. هذا هو بالضبط المكان الذي تفشل فيه هالة الآلهة الغامضة في ذلك اليوم، بالطبع. إنها تُدخل في الاعتبار مجموعة من المعتقدات الروحانية الغامضة حول الكوكب. يقاوم كل من جيمس لوفلوك ولين مارغوليس النزعة الروحانية المتأصلة في الغموض، ولسبب وجيه. إن الضبابية الحلوة لتصوف العصر الجديد واللمعان الناعم للعاطفية الوثنية الجديدة كلاهما يحجبان الرؤية الصوفية. لن تتمكن المعتقدات الروحانية من مواجهة التحديات التي تركها أصحاب الرؤى في الأسرار القديمة دون حل، لكن نظرية غايا ستصبح روحانية، بطريقة أو بأخرى. الأمر يتعلق فقط بكيفية القيام بذلك.

ظهرت فرضية غايا وعلم البيئة العميق في العالم بشكل متزامن تقريبًا. لم تندمج هاتان المقولتان المترابطتان بشكل وثيق حتى الآن، ولم تصبحا مرتبطتين سواء في الخطاب الشعبي أو المتخصص.

قد يكون أحد الأسباب هو أن الافتراضات الزائفة المرتبطة بنظرية غايا، وخاصة من قبل أصحاب الرؤى في العصر الجديد الذين يدافعون عن فكرة وجود كوكب واعٍ، تحجب جوانب النظرية التي قد تكمل مبادئ علم البيئة العميق. تتعلق الافتراضات المغلوطة بالسؤال التالي: هل غايا كائن خير؟ (نفت مارغوليس ذلك)؛ هل تستطيع غايا التحكم في الكوكب بطريقة واعية ومقصودة؟ (الذي نفاه كل من مارغوليس ولوفلوك)؛ وهل للبشرية دور خاص تلعبه في الفيزياء الحيوية لكوكب الأرض؟ (مختلف عليه من قبل مارغوليس، لوفلوك، وآخرين). لكن إذا صدقنا دعاة أسطورة الإلهة التي نشأت حول نظرية غايا، فإن الإجابة على جميع الأسئلة المذكورة أعلاه هي نعم مدوية. هذا التأكيد يلهم ويشجع العديد من الأشخاص الذين يشعرون بقلق بالغ بشأن مصير الكوكب - ولكن هل هو صحيح؟ أم أنها مجرد أمنيات على نطاق عالمي؟ هل هي حالة من الخيال الكوني؟

في الكشف التأهيلي للأسرار، تعرف المشاركون على غايا من خلال الاتصال المباشر بالنور العضوي. لكن ذلك كان ضرباً من ضروب التصوف وليس علماً، أليس كذلك؟ تُعرّف لين مارغوليس العلم بأنه "طريقة لتعزيز التجربة الحسية مع الكائنات الحية الأخرى والبيئة بشكل عام". وبنظرة حادة موجهة نحو عابدي الآلهة، تحذر من "التصوف الحيوي المنهك" و"تقديس الأرض من قبل المتعصبين للطبيعة". [307] حسناً، سيقول الغنوصي إن تعريفها للعلم هو تعريف جيد جداً للتصوف الحيوي. ليس من "المُنهِك" على الإطلاق تعزيز التجربة الحسية من خلال تعميق العلاقة مع الطبيعة. على العكس من ذلك، فإن ممارسة التصوف الحيوي تعيد إحياء التجدد في الأسرار القديمة: التجدد من خلال الاستسلام المفعم بالنشوة لقوة الحياة.

في هذا الكتاب، دافعت عن مذهب الأرواحية وأكدت أن غايا كائن واعٍ، ليس كأمور يجب قبولها بناءً على الاعتقاد، أو رفضها بسبب طبيعتها غير العلمية. بل هي بالأحرى مقترحات يجب اختبارها. كيف لنا أن نتحقق من وعي غايا، على أي حال؟ كيف يمكن اختبار ذلك علمياً؟ كيف لنا أن نعرف أن الكوكب قادر على الشعور والاستجابة كما يفعل الحيوان؟ وبعبارة أخرى، كيف يمكن لغايا أن توصل إلينا إحساسها؟ النقطة الأولى من الثالوث - وهي نظرتنا إلى الكوكب الحي - تثير قضية التواصل الهائلة. طرح عالم الأنثروبولوجيا جيريمي ناربي المسألة بأسلوب أنيق: "كيف يمكن ألا تكون الطبيعة واعية إذا كان وعينا ناتجًا عن الطبيعة؟" [308] بالتفكير المنطقي، يفترض ناربي أن الوعي الذي نمتلكه لا يمكن أن يكون قد تطور من أي حالة أقل وعياً. لكن الوعي البشري مرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة. إذا كانت الطبيعة (غايا) واعية حقاً، فكيف يمكنها أن تخبرنا بذلك، إلا إذا كانت تمتلك اللغة للقيام بذلك؟

آه، هذه هي المشكلة. ستتوقف نظرتنا إلى غايا عند التكهنات العمياء ما لم نسمح لها بالتواصل معنا باللغة التي نعرفها. ما لم يكن هذا ممكناً، فلن نتمكن أبداً من تأكيد أنها واعية بنفس الطريقة التي تكون بها الحيوانات ونفس الطريقة التي نكون بها نحن أنفسنا. وبصراحة، سأطرح سؤال ناربي على مستوى آخر: كيف يمكن للطبيعة التي أنتجت نوعًا موهوبًا باللغة ألا تكون قادرة على استخدام لغة ذلك النوع للتواصل معه؟ شهد الشامان البيروفيون الذين أدخلوا ناربي في طقوس الرؤى باستخدام جرعة الأياهواسكا المؤثرة على العقل على مثل هذا التواصل. وقالوا إن النباتات المقدسة تتحدث إليهم، وتعلمهم أشياء كثيرة، بما في ذلك كيفية استخدام النباتات بشكل صحيح. أي أن الطبيعة تتحدث إليهم باللغة التي مكنتهم من التطور كبشر. أليس هذا منطقياً تماماً؟

لكن يمكن الاعتراض على أن غايا، الطبيعة الأم، ليس لديها حنجرة وفم ولسان. إنها تفتقر إلى أعضاء النطق الجسدية. نعم، هي كذلك، لكننا نتحدث أيضاً دون استخدام تلك الأعضاء. التفكير لغة لا صوتية نسمعه كما لو كان مسموعا. لسنا بحاجة إلى لسان للتواصل ذهنياً. صحيح أن معظم تواصلنا العقلي يتكون من التحدث إلى أنفسنا "في رؤوسنا" - المونولوج الداخلي. إذا لم نتمكن بعد من التواصل بالتخاطر، من شخص لآخر، ألا يمكن أن يكون ذلك بسبب افتقارنا إلى المهارة اللازمة لاستقبال ونقل لغة أفكارنا الداخلية بشكل متعمد؟ لكن ماذا لو كانت غايا، التي زودتنا بقدراتنا على التواصل، قادرة بالفعل على إظهار قدرات التخاطر التي قد لا نطورها إلا في المستقبل؟ وبناءً على ذلك، يمكنها التحدث إلينا بأي لغة على وجه الأرض دون الحاجة إلى فم ولسان. بحسب شهادة السكان الأصليين الذين يستخدمون النباتات المؤثرة على العقل للوصول إلى عقل الأرض، فهذا بالضبط ما تفعله.

صوفية الطبيعة

أعتقد أن معظم ما قيل عن الله قيل في الحقيقة عن تلك الروح التي جسدها لأرض. [309]

علّم الغنوصيون أن وعي الأرض هو تعبير عن حلم صوفيا. تحلم صوفيا بنا من الوفرة الكونية، من قلب البليروما. المستقبل الأمثل للبشرية هو أن ترد بالمثل، وتحلم صوفيا.

إن قوة الحياة على هذا الكوكب نابضة بالحياة ومحفزة لها، مما يعطي تعبيراً للكائنات التي تشعر بأنها على قيد الحياة. إن التصور بأن العالم حي، وليس مجرد الاعتقاد، هو ما يُعرف بالروحانية. تطرح نظرية غايا في شكلها العلمي مسألة الأرواحية، لكنها لا تستطيع الإجابة عليها. إن إحياء المذهب الروحاني لا ينطوي على مجرد افتراض وعي الطبيعة، بل على التجربة المباشرة لذلك. كنا سنخوض هذه التجربة بشكل طبيعي وتلقائي، كجزء من قدراتنا المعرفية البيئية، إذا تمت إزالة المعتقدات المعيقة، بما في ذلك الاعتقاد بهوية الذات الواحدة. قال كاتب الخيال العلمي فيليب ك. ديك إن الغنوص يتكون من "تعليمات مُزيلة للكبت" تسمح لنا بالوصول إلى مخزون هائل من المعرفة الفطرية والحدسية. ما أقترح تسميته بالمعرفة الصامتة هو حالة من الانتباه الشديد لوجود الأرض. هذا هو الصمت البليغ للرهبة. إن شهادات الأشخاص الذين شهدوا طفرة عفوية من المعرفة الصامتة يمكن أن تعلمنا الكثير عن التواصل مع غايا. إحدى هذه الشهادات تأتي من المتصوف والكاتب والرسام الأيرلندي المعروف باسم AE.

أكد جورج ويليام راسل (1867-1935)، الذي كتب تحت اسم مستعار AE، أن "الخلود فينا يحتفظ بذاكرة كل حكمته". في تحليل بسيط ولكنه بعيد المدى لتجربته الصوفية الخاصة، ربط راسل بين الذاكرة الخالدة الحاملة للحكمة وملكة الخيال. "إن ذكرى الروح هي الأساس الحقيقي للخيال، وعندما تتحدث إلينا نشعر بالإلهام حقًا، ويتحدث من خلالنا مخلوق أعظم منا." إن التركيز على كلمة "خلالنا" يشير إلى ما أسميته "التجاوزية". تتمحور نظرية SET للين مارغوليس حول التكافل الداخلي، أي الكائنات الحية التي تعيش من خلال بعضها البعض. يؤكد التصور الروحاني أن البقاء على قيد الحياة هو جانب أساسي من النظام البيئي.

تُعد مذكرات راسل البليغة، ″شمعة الرؤية″، واحدة من روائع الأدب الروحاني الغربي. لم يصف أحدٌ آخر الرؤية الأرضية بهذه الطريقة، بمثل هذه الصراحة والبساطة والثراء. عندما كان راسل مراهقًا يسير في حقول أرماغ في أيرلندا الشمالية، اقتنع بأن "أسطورة تجسدت في داخلي، قصة إيون، أحد أولى الانبثاقات النجمية للإله، أحد أبرزها في أعلى السماوات". في مكتبة في دبلن، عثر على قاموس للأديان يحتوي على مدخل عن الغنوصيين، ووقعت عيناه على كلمة ″أيون″، وهو المصطلح الغنوصي للإله أو الكائن الإلهي. ومن هذه الفكرة العفوية استوحى توقيعه، AE. كان الانبثاق النجمي للألوهية الذي استشعره من موارد حياته الداخلية فقط هو إلهة الحكمة، صوفيا.

كان راسل كاتباً ورساماً وصاحب رؤية اجتماعية ذات أهمية في الحياة السياسية الأيرلندية. كان هو الشخصية الخفية البارزة وراء النهضة الكلتية، وهي حركة ثقافية وروحية أيرلندية شكلت جزءًا من النهضة الأوروبية الباطنية، واستمرت تقريبًا من عام 1885 إلى عام 1915. كان صديقاً مقرباً من الحائز على جائزة نوبل ويليام بتلر ييتس والسيدة غريغوري، اللذين قادا حركة الإحياء الكلتي. كان كل من ييتس و AE إي عضوين في الحركة الثيوصوفية التي أسستها مدام بلافاتسكي وهنري ستيل أولكوت في عام 1875. كان للثيوصوفيا تأثير عميق على العديد من الفنانين والمثقفين في تلك الحقبة - على سبيل المثال، فاسيلي كاندينسكي، الذي كتب كتابًا مؤثرًا في نظرية الفن يتعلق بالمفاهيم الثيوصوفية، بعنوان ″حول الروحانية في الفن″. كان AE، الذي صاغ كلمة "الطبيعة الخارقة"، متصوفًا بالفطرة لم يكن بحاجة إلى أي نظرية لتوجيهه إلى النشوة المعرفية. في حالة غيبوبة عفوية، عاش سلسلة من الرؤى السينمائية الحية لأوروبا ما قبل المسيحية أو ربما أطلانطس. وقد ساعده في فهم هذه التجارب قراءة الكتب عن الغنوصيين والصابئة، وهي طائفة من مراقبوا النجوم الذين عاشوا في إيران القديمة. زعم AE أن رؤاه نشأت لأنه كان ميالاً إلى "الاتصال الحيوي" مع البيئة الطبيعية المحيطة به.

في كتاب ″شمعة الرؤية″، ربط AE إله النهر الكلتي مانانان (Manannan) بالتدفق الرؤيوي لـ "الخيال الإلهي"، القوة السامية التي اجتاحت جسده في حالات الغيبوبة. (يظهر الجذر *man*- على نطاق واسع في الأساطير العالمية، ودائمًا ما يحمل دلالة على مرشد بشري ولكنه خارق للطبيعة: على سبيل المثال، مانو الهندوسي ومانيتو الأمريكي الأصلي، وهما نسختان من الميسوتس.) ومثل ذلك المتصوف الطبيعي الآخر، الشاعر الرومانسي ويليام بليك، ربط AE إي قوة الخيال بالمسيح، الذي أطلق عليه اسم "ساحر الجمال". وصف AE الجاذبية الحسية للحوريات والدرياد التي صادفها في رؤاه، قائلاً إن لديهن "جمالاً لم يكسره، على ما يبدو، فعل الإرادة الفردية الذي يجعل من الممكن لدينا الاختيار بين الخير والشر، وتشويه قالب الجمال الطبيعي". كان AE متصوفًا استثنائيًا من حيث أن قدراته الاستبصارية لم تعمل عن طريق "التوجيه" الأعمى، كما حدث، على سبيل المثال، مع "النبي النائم" إدغار كيسي، وجين روبرتس، الوسيطة الشهيرة التي أنتجت مادة سيث. إن ملاحظته بأن الثنائية الصارمة بين الخير والشر تحصر الوعي البشري في إطار معرفي لا يستطيع قبول الجمال، أو "الانسجام مع" تجليات الطبيعة الدائمة، هي رؤية غنوصية حقيقية، وتستحق تأمل عميق.

كانت رؤى راسل قائمة بالكامل على الجسد، ومتجذرة في الجسد، وكل ما رآه كان حياً مثله تماماً. "إن اللانهائي الذي سندخله حيّ"، يشهد بذلك. ومع ظهور الرؤى، شعر "بإشراق متزايد في دماغي كما لو أنني فتحت في جسدي ينبوعًا من النور الداخلي". كما رأينا، فإن استحضار نافورة النور يظهر في العديد من خطابات الكشف في مخطوطات نجع حمادي . شمعة AE هي استعارة متواضعة

للتوهج الناعم للنور العضوي. الشمعة تحترق من أجلنا جميعاً. "في كل عقل يوجد النور العلوي للسر الذي لا يوصف" (الرسالة الثانية لشيث العظيم، 67.10).

يستشهد راسل بالصوفي الكلاسيكي المتأخر برقلس حول العقل الإلهي: "لم يكن قد خرج بعد، بل استقر في العمق الأبدي، وفي قدس الأقداس [المكان الداخلي] للصمت الذي يغذيه الإله". كان من الممكن أن تكون هذه المعلومة من حكايات الأسرار قد اقتُبست مباشرة من المخطوطات المصرية القديمة. برقلس، الذي ولد في العام الذي توفيت فيه هيباتيا، درس في متحف الإسكندرية وكان بالتأكيد قد تلقى تعليماً في المعارف الغنوصية. *Sige*، الصمت، هو أحد الأيونات في البليروما، وهي مجموعة الآلهة التي تغوص فيها صوفيا في حلمها بعالم ناشئ. يشرح السطر الذي يستشهد به AE كيف تبقى الأيونات هادئة إلى الأبد، منغمسة في اللاخلق، حتى عندما ينتج عن *(الإينويا)* نواياها عوالم خارج البليروما. تُعد عملية التفعيل المنفصلة هذه نموذجية للانبثاق، وهي العملية الكونية التي يتم تدريسها في الأسرار.

لم يكن لدى AE أي إمكانية للوصول إلى الكتابات الغنوصية الأصلية، والتي كانت غير معروفة تقريبًا في عصره، ويبدو أنه لم يكن يعرف جي. آر. إس. ميد، الباحث الغنوصي المقيم في الجمعية الثيوصوفية. لا يحتوي كتاب شمعة الرؤية على أي إشارة إلى إيون صوفيا أو "إلهة الأرض" من أي نوع، باستثناء تكريم دانا، الإلهة الأم الكلتية. ومع ذلك، فإن كل ما يقوله AE عن ذاكرة الطبيعة ينطبق بشكل جميل على صوفيا التعاليم الغنوصية. كانت تجاربه الرؤيوية عبارة عن تأملات صوفيانية مستمدة من اتصال حيوي بالأرض. وعلى هذا النحو، فهي نماذج ممتازة للتصور الروحاني للإلهة الذي يطمح إليه الناس اليوم.

قال AE عن رؤاه إن خالقها متعالٍ على الذات الواعية وحتى على الذات التي تحلم في الليل، ومع ذلك فإن هذه القوة، "ذات أقوى منا"، تجعل نفسها "عبدة لنا لأغراضها الخاصة". تقترب هذه اللغة من الحدس الغنوصي القائل بأن صوفيا الساقطة تعتمد بشكل ما على التعاون البشري لتحقيق إصلاحها. لا يجيب كتاب راسل الصغير الرائع على جميع الأسئلة التي تنشأ في طريق معرفة غايا، ولكنه يهيئ الجو للتأمل في تلك الأسئلة. إن استحضاره لكلمة *"Sige"* (الصمت الذي يغذيه الله) مناسب بشكل خاص. لا يستطيع العقل الواعي بذاته الوصول إلى المعرفة الصامتة، لكن المعرفة الصامتة يمكنها الوصول إليها في لحظات نادرة عندما يتوقف الحديث الداخلي، مما يسمح بسماع أشياء أخرى. يمر الجميع بهذه اللحظات، عندما يصبح العالم هادئاً ويغمرنا هدوء لا يوصف. إن الدخول في مثل هذه اللحظات والبقاء فيها هو جزء من الانضباط الصوفي الذي يدعم الرؤية الصوفيانية.

الوحش العظيم

في الفصل 17 رأينا كيف حاول أعضاء خلية السر في أنطاكية تقديم شخصية هرماس الرعوية لتمثيل الإنسان للجماهير في عصر الحوت. هذا الحادث يمس النقطتين الأخريين في علم البيئة المقدس، وهما أساس الثالوث: نظرتنا إلى الطبيعة غير البشرية، ونظرتنا إلى أنفسنا.

لم يكن راعي هرماس حلاً مرضياً تماماً لاحتياجات العصر. البشرية ليست ذكورية فقط. ربما اختار المتأهلون هرماس بقدر ما اختاروه للطريقة التي صور بها الأنثروبوس: "الإنسان الكوني"، بقدر ما اختاروه للطريقة التي قدم بها إشارة بصرية إلى الميسوتس (الوسيط)، المرشد الداخلي.[310] وبما أن الميسوتس غالباً ما يتخذ شكل يسوع الحي، وهو شكل ذكوري، فقد سمحوا بذكورة الراعي، ولكن بصعوبة بالغة. لكن ذلك تركهم أمام مشكلة كيفية التعويض عن التحيز الجنسي للرمز. ضع في اعتبارك أن الأنثروبوس: "الإنسان الكوني" ليس ذكراً ولا أنثى، وليس خنثى تماماً أيضاً! إن الميسوتس (الوسيط) هو البصمة البيوبلازماية المتبقية لـ "إيون كريستوس"، وهي وكالة خارقة للطبيعة. لكن على هذا النحو، فإنه يؤدي وظيفة مزدوجة ويوفر عدسة للبشرية البدائية، الأنثروبوس: "الإنسان الكوني". لقد اعتدنا كثيراً على اعتبار المسيح الممثل الأسمى للبشرية لدرجة أنه من الصعب التفكير بشكل مختلف، ولكن لا يمكن لأي كيان خارق للطبيعة أن يمثل الأنثروبوس: "الإنسان الكوني". بالنسبة للعارفين الغنوصيين، فإن الميسوتس (الوسيط)، على الرغم من أنها غالباً ما يتخذ مظهراً شبيهاً بالبشر، إلا أنه يختلف عن الأنثروبوس: "الإنسان الكوني"، بذرة الجنس البشري.

وإدراكاً منهم أن روح العصر المسيحي المبكر كانت تعارض بشدة الصور الحسية والملائمة للاستخدام للألوهية الأنثوية، لم يكن بإمكان الغنوصيين الأنطاكيين اللجوء إلى صور الإلهة. لقد درسوا خيارات مختلفة ذات أشكال حيوانية، والتي تظهر على نطاق واسع في مجمع الآلهة والإلهات المصرية. لكي يكون الأمر صادقًا مع أعمق بديهيات النفس البشرية، ينبغي أن يتم تعريف الميسوتس (الوسيط) بشكل حيواني.[311] وكحل وسط، اختارت خلية أنطاكية التصوير التقليدي لهيرمس كريوفوروس، الرجل الذي يحمل حملاً مستلقيًا على كتفيه. ظلت آثار خفية للشفاعة الكريستوسية راسخة في الذاكرة الشعبية للأوروبيين لعدة قرون. لم تكن الأساطير المسيحية في كثير من الأحيان سوى أقنعة رقيقة لرؤى راسخة في النفس البشرية الأصلية. فعلى سبيل المثال، استُلهمت عملية اهتداء القديس أوستاس من رؤية للمسيح بين قرني غزال. يستشعر الخيال الأصلي دائمًا وجود الميسوتس (الوسيط) في علاقة وثيقة مع عالم الحيوان وغير الإنسان. بنى الإمبراطور قسطنطين كنيسة صغيرة في المكان الذي حدثت فيه الرؤية، وهو مثال نموذجي على استغلال الرؤية المحلية لأيديولوجية المهيمن.[312] في كتاب "أسطورة الكأس المقدسة"، تُظهر إيما يونغ وماري لويز فون فرانز العمق والتعقيد الهائلين لربط المسيح بالغزال. في الفن الرمزي في أواخر العصور الوسطى، كان الكريستوس يُمثَّل بالحيوان وحيد القرن. لقد تم فرض استيعاب هذه الصور في المسيحية العقائدية بشكل مكثف لدرجة أنه أصبح من المستحيل على أي شخص باستثناء المتصوفين المدربين أن يعرف أن المسيح، المخلص الإلهي لأيديولوجية الخلاصية، ليس له علاقة بالأرواح الحيوانية المقدسة في التراث الشعبي الأصلي.

من بين الثقافات الأصلية للأمريكتين، أولئك الذين خاضوا رحلة البحث عن الرؤية في البرية صادفوا الميسوتس (الوسيط) كحيوان سحري أو "حيوان قوة". كما تجلى ذلك في أشكال بشرية مثل مانيتو ألغونكوين، على سبيل المثال لا الحصر من بين عشرات الأسماء التي أطلقها سكان العالم الجديد على الميسوتس (الوسيط). الروح العظيمة التي عاشت في الطبيعة وعلمت صلة القرابة بين جميع الأنواع سارت في البرية الأمريكية قبل وقت طويل من وصول المخلص الإلهي من الشواطئ الأوروبية. بعد أن أصيب الغزاة الأوروبيون لقرون بفيروس المخلص، لم يعد لديهم القدرة النفسية

على الاستجابة للميسوتس. بالنسبة لهم، كانت روح البرية صامتة وعدائية. سعياً وراء الغزو والتحول تحت راية الصليب، قام الغزاة بوضع بصمة الإنسان على كل كائن حي، وأدانوا تواصل السكان الأصليين وتفاعلهم مع العالم غير البشري باعتباره عملاً همجياً.

في وقت ما في أوائل العصور الوسطى، قام المنظرون المسيحيون بتحويل بان، إله الطبيعة الأسمى في الوثنية، إلى الشيطان. قبل حدوث ذلك بوقت طويل، راقب الغنوصيون في بلاد الشام المد المتزايد للخوف من العالم الطبيعي والحيواني، وهو أحد أعراض عقدة المخلص. لقد كان هذا الخوف شديداً للغاية داخل المجتمع المسيحي لدرجة أنه أدى إلى انفجارات مرضية ذات حجم زلزالي. إلى جانب الرسول بولس، كان القديس يوحنا اللاهوتي هو العامل الرئيسي في توجيه الحمى الأخروية للصادقيين إلى الأيديولوجية المسيحية. يقدم سفر الرؤيا ما يعادل إلى حد كبير نصوص قمران مثل لفافة الحرب ورؤيا نهاية العالم المسيانية، ولكن مع بعض الزخارف المروعة. أضاف يوحنا الإلهي إلى كراهية الجنس لدى الصادقيين جرعة قوية من كراهية الحيوانات. يصبح حمل هرماس اللطيف رمزاً للتضحية العليا، حمل الله، "المذبوح منذ تأسيس العالم"، وصوفه غارق بالدم (رؤيا 13 :8). وعلى النقيض من الحمل، يوجد الوحش العظيم ميغا ثيريون:

> وَالْوَحْشُ الَّذِي رَأَيْتُهُ كَانَ شِبْهَ نَمِرٍ، وَقَوَائِمُهُ كَقَوَائِمِ دُبٍّ، وَفَمُهُ كَفَمِ أَسَدٍ. وَأَعْطَاهُ التِّنِّينُ قُدْرَتَهُ.... وَرَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْ رُؤُوسِهِ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ لِلْمَوْتِ، وَجُرْحُهُ الْمُمِيتُ قَدْ شُفِيَ. وَتَعَجَّبَتْ كُلُّ الأَرْضِ وَرَاءَ الْوَحْشِ." (13 :2–3)

في حالة من الرعب المرضي، يتخيل يوحنا قوى حيوانية في خليط غريب. إنه يستشعر قوة الشفاء الرائعة لعالم الحيوان، لكنه يراه رعباً يجب إبادته. إن الرد السماوي على الوحش العظيم هو هجوم من ملائكة مدمرين يسكبون أوعية الغضب على الأرض. هذه هي رؤية هرمجدون في سفر الرؤيا 14. تخيل يوحنا أن الأوبئة والتلوث ستنهي العالم. لقد سيطر الأشخاص الذين تبنوا رؤيته على العالم، لذا فمن المحتمل جداً أن يتكشف التاريخ بالطريقة التي يقتضيها سيناريوهم التوجيهي. على الأرجح، سيحدث هذا إذا سُمح لأولئك الذين يتبعون هذا السيناريو بتنفيذ الدراما المروعة دون أن يتم دحضهم ومقاومتهم.

كان الرؤاة في الأسرار يجسدون سيناريو آخر لا يقرّ العنف ولا يمجده، كما تفعل رواية الخلاص اليهودية المسيحية ـ ومنذ القرن السابع، الرواية الإسلامية، وهي تحوّر شديد السمية ومقاومة للحياة لنفس المركب. لقد افتخرت المسيحية بنبذها للتضحية بالحيوانات، ومع ذلك فإن النزعة الإنسانية المسيحية تفترض أن عالم الحيوان بأكمله يمكن الاستغناء عنه، لأنه غير منخرط في خطة الخلاص. أثارت كراهية الحيوانات في المسيحية المبكرة صدمة عميقة لدى المتأهلين الوثنيين. أدرك الغنوصيون في خلية أنطاكية مخاطر استخدام الصور الحيوانية لتحفيز الخيال الجماعي. لاستحضار شخصية الميسوتس، اختاروا أكثر الحيوانات غير المؤذية وغير الضارة، وهو الحمل حديث الولادة.

في المستقبل، سيتعين على علم البيئة المقدس أن يدمج قوى الحيوانات والحراس الطوطميين

ليكون متسقًا مع النظرة الصوفيانية للقرابة بين جميع الأنواع. تلعب حماية الأنواع المهددة بالانقراض دورًا بالغ الأهمية في إحياء الغنوصية. خذ الأسود البيضاء في تيمبافاتي على سبيل المثال. في كتاب "لغز الأسود البيضاء"، تقدم ليندا تاكر رسالة مذهلة وجميلة حول التواصل بين الأنواع المختلفة. في نهاية الكتاب، تساوي بين الأسود البيضاء والمسيح، وهو ما يقترب للغاية من إقرار لاهوت المخلص والتضحية والترابط بين الضحية والجاني. (تلقت تاكر تدريباً في علم النفس اليونغي، وهو نظام يشجع على دمج الصور الرمزية بغض النظر عن قيمتها الوجودية المعاشة.) إنها تقدم رسماً استثنائياً لـ "يسوع محاطاً بتنوع الطبيعة"، وهي صورة مناسبة للميسوتس (الوسيط) ولكنها ليست مناسبة للمخلص الإلهي. أعادها اتصالها الصوفي بالأسود البيضاء إلى جوهر الحكمة الأصلية الروحانية، حيث تغذي قوى الحيوانات النفس البشرية وتدعمها.

آدم قدمون

من خلال موت الأنا، تعلم المتأهلون في الأسرار التغلب على التشبث بهوية الذات الفردية وإدراك هوية النوع، والشعور بالإنسانية العامة. في رؤيتهم للأنثروبوس، رأى العرافون الغنوصيون الهوية البشرية في شكل كوني، ما قبل أرضي. (سديم أوريون، في منطقة تكوين النجوم الشابة الضيقة المسماة عنقود شبه المنحرف، هو الاتجاه الذي كانوا ينظرون إليه، إذا كان أي شخص مهتمًا بإلقاء نظرة.) كان التحدي الذي نشأ من هذه التجربة السامية هو كيفية تمثيل الإنسانية الأصلية في صورة ملموسة. دعونا نتذكر ما تقوله الأسطورة: زوي، الابنة الأولى لصوفيا، زرعت قوة الإيبينويا: "الخيال" في البنية الحيوية للجنس البشري. بما أن الخيال هو ملكة لرؤية الصور، فنحن بحاجة إلى تصوير البشرية، وتخيل الإنسان بطريقة تصويرية، من أجل تحقيق الإمكانات الكاملة لهذه الهبة الإلهية. لكن كيفية القيام بذلك ليس بالأمر السهل.

أي شخص تعمق في المعارف الباطنية الغربية مثل الصليب الوردي أو الكابالا سيصادف بالتأكيد رسومات توضيحية للأنثروبوس. غالباً ما تظهر هذه الأشكال في شكل مخططات معقدة، بما في ذلك مخططات اللوغوس، وروح العالم، والحكمة الإلهية، والإلهة صوفيا. تتجلى هذه النماذج على نطاق واسع في المواد الباطنية الغربية التي تدعي نقل أسرار الخيمياء للعمل العظيم. العديد من هذه الصور بشعة إلى حد ما. يمثل البعض الأنثروبوس في شكل خنثى، ولكن في أغلب الأحيان يتم تصويره على أنه "رجل عظيم"، يُطلق عليه اسم بوروشا في الأساطير الهندوسية.[313] في الكابالا، آدم قدمون هو الاسم السري للأنثروبوس. ليس حواء قدمون، التي هي في المطبخ تعد العشاء وربما تضعنا على قائمة الطعام. وبغض النظر عن المزاح، فمن المحتمل أن يكون هناك بعض الأساطير الغامضة الحقيقية وراء المفهوم الكابالي لآدم قدمون، والذي غالباً ما يظهر متراكباً على شجرة الحياة، وهو النموذج المعقد المكون من عشرة سفيروت (مناطق قوة) تشكل البنية التحتية للكون. إحدى السفيرات تسمى تشاكما (Chokhmah)، وهو مصطلح عبري تم تحريفه إلى اسم الإلهة الساقطة، صوفيا أشاموث.

آدم قدمون هو صورة ذكورية مركزية للإنسانية العامة، وهو ليس أفضل حالاً من رمز النرجسية الأبوية. لكن شجرة الحياة التي غالباً ما يتم دمجها في صور "الإنسان البدائي" هي لغز كبير ذو

خصائص مذهلة للغاية. يبدو أن الشجرة نموذجٌ رؤيويٌّ للبنية الجزيئية يُضاهي كتاب "ايجنغ (كتاب التغيرات)" في الصين القديمة. كتاب "ايجنغ" هو نظام تنبؤ قديم يستخدم 64 شكلاً سداسياً مكوناً من ستة خطوط، وهو نمط يتوافق مع التبديل الكامل للكودونات المكونة من ثلاثة أحرف في الحمض النووي. في رمزية موازية ولكنها متميزة شكليًا، تحتوي شجرة الحياة على 22 مسارًا تم ربطها بالأحماض الأمينية الـ 22. يعكس النموذج الشرقي حدسًا قديمًا لبنية الحمض النووي، بينما قد يعكس النموذج الكابالي حدسًا مماثلًا لعمليات بناء البروتين في الشفرة الوراثية. بأعمدة متوازية ومسارات متقاطعة، تشبه شجرة الحياة الكابالية الحلزون المزدوج.[314] تشمل التبديلات الهندسية لهذا النموذج النسبة الإلهية فاي (1:1.618) وأعداد توليدية أخرى في قانون الهندسة المقدسة.

تفتقر المواد الغنوصية الباقية إلى مخططات من هذا النوع، لكنها تحتوي على أدلة تشير إلى نفس أرقام الرموز. يشير إنجيل فيليب بشكل عابر إلى الرقم 64 في الشفرة الوراثية، والرقم 72 في الشفرة الفلكية، وهو عدد السنوات اللازمة لدرجة واحدة من الحركة المدارية. كما أن 72 هو متوسط عدد دقات قلب الإنسان في دقيقة واحدة. اكتسب المتأهلون في أسرار الغرب سيدهي (قوى خفية) سمحت لهم بمراقبة التركيب الجزيئي

التركيب الجزيئي للمادة الحية.[315]إن تصوير الإنسان على أنه ذكر أمر إشكالي، لكن شجرة الحياة تقترب من اقتراح المركب البوغ البيولوجي للبشرية العامة.

النقطة الثالثة من ثالوث علم البيئة المقدس - وهي نظرتنا لأنفسنا، نحن الجنس البشري - يمكن تطويرها من خلال نهج رؤيوي لعلم الوراثة، وهو مجال يتعرض حاليًا لغزو شديد من قبل الأركونات. حتى الآن، يمثل الحلزون المزدوج نموذجًا مؤقتًا بالكاد كافيًا للأنثروبوس. مع قيام الشركات الطبية والصيدلانية بشراء أجزاء من الجينوم البشري، فإن حقنا الفطري الصوفياني معرض لخطر أن يصبح ملكية تجارية. إحدى طرق مكافحة هذا الاستيلاء الخبيث هي التعرف على الجينوم، وكيف يبدو، وكيف يعمل: امتلاكه في الخيال، والوقوف في وجه أولئك الذين يعتقدون أن بإمكانهم امتلاكه بالمعنى القانوني، أو استغلاله بطريقة أخرى لأغراض الاحتيال الديني مثل "السلالة المقدسة" التي ورد ذكرها في رواية "شفرة دافنشي".

لا نزاع

> إن معرفة الطبائع الإلهية تختلف عن معرفة كل الأشياء الأخرى، وهي منفصلة عن كل معارضة.[316]

إن إدراك أن الأرض حية وذكية هو أمر، وفهم كيف يكون الأمر كذلك، وكيف يمكننا التفاعل مع هذا الذكاء، بل والتواصل معه، هو أمر آخر تماماً. إن تحدي معرفة غايا لا يشبه أي تحدٍ آخر على وجه الأرض. وقد أصرت لين مارغوليس على أنه "لا يُقصد هنا أي شيء غامض [في نظرية غايا]؛ فنحن لا نقترح وجود إلهة أو إله واعٍ وخيّر". [317] لقد شهد عرافو الأسرار بأن صوفيا واعية وخيّرة (وهذا، بالمناسبة، لا يمنعها أيضاً من أن تكون قاسية ومتقلبة المزاج)، ولكن لا أحد ملزم بأخذ

كلامهم في هذا الشأن. يمكن القول إن غايا لا تطالبنا بالإيمان، لكنها بالتأكيد تعتمد على استعدادنا للتعلم. يكمن التحدي الذي يواجه علم البيئة العميق في كيفية مواجهة غايا دون تدين أو ادعاءات صوفية، ومع ذلك مع الرهبة والتبجيل اللائقين بمثل هذا الحضور؟

بمعنى آخر، كيف يمكننا السعي وراء التجربة الصوفية ونشر علم البيئة المقدس كعملية للتعلم العالي؟

لاستعادة الغنوص اليوم، تواجهنا تحديات تتمثل في معالجة عقدة المخلص، وهي المرض السائد في عصر الحوت، دون الوقوع في معركة عدائية خاسرة أو منتصرة مع المسيحية، والنظام الأبوي، والعقائد الإبراهيمية، والمهيمنين، والصليب، والرسل، والبابا، والأم المقدسة. النقد ليس اعتداءً. من الممكن تماماً مناقشة المعتقدات، بل وحتى هدمها، دون أي نية لإلحاق الضرر بالشخص الذي يعتنقها. أظن أن هذا ما فعله الغنوصيون، وهو تحديداً ما جعلهم عرضة للأذى. لقد هاجموا المعتقدات بقصد التنوير وحتى حماية المؤمنين، لكن المؤمنين هاجموا محاوريهم الغنوصيين جسديًا، وغالبًا بعنف شديد، كما يتضح من مقتل هيباتيا.

التسامح صفة إنسانية ثمينة، ولا يمكن لأي مجتمع أن يستمر بدونه. لكن ماذا يحدث عندما يسمح التسامح بالتعصب؟ قد يؤدي التفكير في هذا السؤال إلى بعض الفهم لكيفية تمكن العالم الوثني، حيث كان التسامح هو القاعدة في كل مكان، من أن يُدمر على يد عدد قليل نسبياً من أتباع عقيدة جديدة وغير متسامحة على الإطلاق؛ وكذلك كيف تمكن، بعد قرون، عدد قليل من المختلين عقلياً الذين تحركهم عقيدة الخلاص من تدمير الحضارات الراقية والثقافات القبلية في الأمريكتين.

إن إلقاء اللوم على النظام الأبوي، أو اليهود المتعصبين في البحر الميت، أو الكنيسة الرومانية، أو المنظرين المسيحيين، أو الأركونات في حالة العالم اليوم ليس هو السبيل للوفاء بالإرث الثمين للغنوص. إن نقد عقدة المخلص ليس لعبة إلقاء اللوم. إنها ممارسة للتمييز الروحي. إذا تم التعامل معها بمهارة، فإن الرؤية الغنوصية لا تثير الاستقطاب. تم تعريف التوجه الغنوصي تجاه الحالة الإنسانية من خلال معارضتهم للثنائية الفارسية، والنموذج الزرادشتي الذي يضع أهورا مازدا في مواجهة أهريمان، الأخيار في مواجهة الأشرار. في كتابه "الطبيعة والجنون"، قدم بول شيبارد الملاحظة الجوهرية حول هذه المشكلة: "ساعدت الثنائية الفارسية المسيحيين على تحويل الغموض إلى معارضة بدلاً من الاستعارة". [318]

إن التمييز الغنوصي الحقيقي والمعاش لا يتجادل حول المطلقات، ولكنه لا يغرق في الغموض أيضاً. في لاهوت التحرير الغنوصي، يتم فحص كل تفاصيل مشكلة الشر، ويتم الحفاظ على مرونة كل تحول مجازي حتى لا نقع في فخ الاستنتاجات الجامدة والمستقطبة. يكمن جمال التفكير البشري السليم إلى حد كبير في مرونته. لم يتجادل الغنوصيون فيما بينهم. لا يوجد سوى مثال واحد معروف (في كتاب بيستيس صوفيا) لتصريح عدائي من طائفة تجاه أخرى. لا بد أن الأمر كان محبطاً للغاية بالنسبة للتيلستاي أن يخرجوا ويناقشوا اللاهوت والأخلاق مع المسيحيين الأوائل. لقد كانت بالتأكيد منطقة غير مجربة وغير مألوفة بالنسبة لهم. بالطبع، لا يُعرف مقدار النقاش الحقيقي الذي دار. على الأرجح، لم يكن الأمر كثيراً. كُتبت كتابات آباء الكنيسة الجدلية على مسافة كبيرة من القضايا والأفراد الذين هاجموهم. يختلف الآباء اختلافاً كبيراً في قدرتهم على الرد على حجج خصومهم

الغائبين ومجاراتها، أو الحجج المفترضة. إن حجج ترتليان متناقضة بشكل واضح، وإيرينيئوس لا يقدم الردود التي وعد بها. لعلّ أوريجانوس كان أكثر المجادلين بلاغة، والذي أُدين في النهاية باعتباره مهرطقا! لا مجال اليوم لإعادة طرح هذه الحجج. لا مجال للمقارنة بين التنوير الصوفياني والمعتقد الديني الحديث. ولم يكن هناك شيء من هذا القبيل في الحقيقة. وكما قال يامبليخوس: "إن معرفة الطبائع الإلهية تختلف عن معرفة كل الأشياء الأخرى، وهي منفصلة عن كل معارضة".

إن الرؤية المقدسة للأرض إما مفهومة أو غير مفهومة، مشتركة أو غير مشتركة. لكن الرؤية نفسها لا يمكن مناقشتها أو دحضها.

26

المفهوم الوثني للحياة

إذا أراد الجنس البشري البقاء على قيد الحياة في المستقبل القريب، فسيتعين عليه أن يعيش على طريقة غايا، وليس على طريقة العناد المجنونة والأنانية التي اعتدنا عليها. لكن ما الذي نعرفه حتى الآن عن طريق غايا؟

مع القضاء على الأسرار، فقدت البشرية أهم الموارد الروحية للعالم الغربي، وقد سمحت هذه الخسارة للغرب بقيادة الكوكب بأكمله نحو الإفراط والتدمير الذاتي. إن العملية التي بدأت قبل ستة آلاف عام، وربما كانت ناجمة عن كارثة مناخية هائلة في شمال إفريقيا والشرق الأدنى، أدت إلى ظهور الدين التوحيدي وقمع الإلهة، ثم من خلال النقل الذي أحدثه القديس بولس، إلى انتصار الخلاصية كنموذج روحي للعالم الغربي. يسجل تاريخ الحضارة الغربية انتصار النظام الأبوي ويضفي الشرعية على برنامجه. لا توجد أيديولوجية أقوى للقمع من الدين الخلاصي.

لكن الفيروس الأيديولوجي الوبائي ليس مستعصياً على العلاج. إن الرؤية الصوفيانية هي دواء الكوكب القادر على مقاومة النظام الأبوي ومعالجة الجرح البدائي الذي انفجر منه.

إذا كان حكماء الأسرار الوثنية المخضرمون على حق، فإن أسمى المثل الدينية للإنسانية لا تقدم علاجاً للشر بل تجعلنا متواطئين فيه. لقد تبنى الناس رواية الخلاص التي كشفها الغنوصيون وقاوموها، فقتلوهم ودمروا جميع أعمالهم، ثم حاولوا جعلهم يبدون كما لو أنهم لم يكونوا موجودين قط. لكن الإرث الغنوصي لا يزال قائماً. يمكن استعادته وإعادة ابتكاره. حتى تلك الشظية الصغيرة من التعاليم المسجلة، على الرغم من عيوبها وعدم اكتمالها، تحتوي على ما يكفي من الحكمة البدائية لإلهام صحوة روحية وإعادتنا إلى مواردنا الإلهية. لا تنتمي قصة صوفيا في الماضي أو إلى الماضي. إنها أسطورة ماضية ومستقبلية، البديل الخالد الذي لا يُقهر لرواية الخلاص. إنها أسطورة تغذي وتدعم أولئك الذين يتبنونها، وتعزز الأصالة من خلال التجربة المباشرة لموضوعها: شغف الإلهة. إنها لا تطلب، كما تفعل قصة المخلص، أن يتم إضفاء الشرعية عليها وتبريرها وإعادتها إلى مكانتها باستمرار. إن عقدة المخلص غير قابلة للاسترداد. لا يوجد فيها شيء يمكن إنقاذه، ولا شيء يستحق الإنقاذ. لكن الإكراه القاتل للعقدة هائل، إذ يستخدم الألم لتعزيز الشعور بالذنب، والعكس صحيح. ولأن هذه العقدة خبيثة للغاية، ولأن الجرح السابق يمتد عميقاً في النفس الجماعية، فلا بد من تبديد قوتها بشكل غير مباشر. إن التغلب على كذبة الخلاص ممكن من خلال التخلي عن القصة التي تجعل الكذبة جذابة. بكسر السردية الأبوية، يمكن للبشرية أن تدخل مستقبلاً يستحق العيش فيه، مستقبلاً يكون فيه الوعد البشري الأمثل هو القاعدة اليومية، تماماً كما كان الحال في أسرار الإلهة العظيمة.

تدور هذه المغامرة حول كيفية دخولنا إلى مخيلة الأرض من خلال حلم صوفيا.

جيل حاسم

اليوم، تتضافر عوامل عديدة لتحسين إمكانية استعادة الرؤية الصوفيانية للأسرار. علم البيئة العميق، وعلم النفس البيئي، والشامانية والممارسات الروحية، والنسوية البيئية، والتصوف الطبيعي، والروحانية البيئية، والوثنية الجديدة، وغموض الإلهة - كلها تصب في تلك الرؤية. لكن هذه مجرد مصطلحات، كلمات رائجة. المهم هو واقع التجربة الكامنة وراء هذه المصطلحات. إن دمج الغنوص في علم البيئة العميق يفتح الطريق نحو المعرفة البيئية: إدراك حميم لقوة الحياة على الأرض، بحيث يتماشى ذلك مع تصحيح صوفيا.

مهما كانت الطريقة التي يرغب المرء في تخيل هذا التوافق بها، فلا شك في أن المجتمع الغربي قد اكتسب في جيل واحد فقط مدته ثلاثون عامًا بعدًا روحيًا جديدًا يتمحور حول صورة غايا. لننظر إلى هذا التسلسل:

- في عام 1972، نشر جيمس لوفلوك بيانًا من صفحة واحدة حول فرضية غايا في مجلة البيئة الجوية، تبعه ورقتان موجزتان شارك في تأليفهما لين مارغوليس. وفي نفس العام تم نشر كتاب "لحم الآلهة: الاستخدام الطقوسي للمهلوسات"، الذي حرره بيتر فورست، وهو مختارات مهمة ظهرت في إحياء الشامانية، وكتاب "المهلوسات والشامانية" لمايكل هارنر. يربط كلا الكتابين "التقنيات القديمة للنشوة" في العصور القديمة بالمعرفة الدوائية النفسية الحديثة.

- في عام 1973، قام آرني نايس بتعريف علم البيئة العميق في مقال نُشر في مجلة *Inquiry*.

شهد هذا العام أيضًا تأسيس معهد العلوم العقلية بهدف توسيع المعرفة بطبيعة العقل وإمكاناته وتطبيقها على صحة ورفاهية البشرية. الغنوص هو النموذج القديم للعلوم المعرفية.

- تم نشر كتاب "إلهات وآلهة أوروبا القديمة" لماريا جيمبوتاس باللغة الإنجليزية عام 1974. يقدم هذا الكتاب الواحد الإطار الأكثر اكتمالاً وموثوقية لتتبع صعود النظام الأبوي، ويقدم أدلة أثرية قوية على وجود مجتمعات قائمة على الإلهة على نطاق بشري قبل آلاف السنين من ظهور الحضارة الحضرية. في كتاب "البحث عن البدائي"، الذي نُشر في نفس العام، كتب عالم الأنثروبولوجيا ستانلي دايموند أن "البحث عن البدائي هو محاولة لتحديد إمكانات بشرية أساسية". بهذه العبارة، وضع مساراً لمغامرة تعلم يمكن أن تربط ماضينا البعيد بمستقبل عاقل ومستدام.

- في عام 1975، نشرت مارجوري إم. مالفيرن كتاب "الزهرة في الخيش"، الذي لا يزال أفضل كتاب عن مريم المجدلية، حيث ساهم بعنصر إنساني مهم في غموض الإلهة.

- في عام 1976، قدم كتاب "حيث تنتهي الأرض القاحلة" لثيودور روزاك نقدًا رائعًا للأمراض النفسية الغربية، بما في ذلك رؤية حاسمة حول كيفية قيام سردية الخلاص في اليهودية والمسيحية بجرح الخيال البشري. واستحضاراً للرومانسيين، وخاصة ويليام بليك، دعا روزاك إلى إحياء "المعرفة القديمة" والقيام بـ"التصوف الثوري". لقد حذر من الانعزال التكنولوجي والنرجسية المفرطة لعصر الحوت، وذلك قبل عقدين من الزمن من وقوع العالم تحت تأثير المحاكاة السيبرانية بالكامل. وفي العام نفسه، حددت أوراق الفردوس (التي نُشرت لاحقًا بعنوان "عندما كانت الإلهة

امرأة") لمرلين ستون الحافة الرائدة لـ "استعادة الإلهة". يؤكد بحثها دور المرأة في تمكين الملوك وزعماء القبائل قبل صعود النظام الأبوي.

- في عام 1978 تم نشر مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية، مما أتاح الكتابات الغنوصية للعالم الناطق باللغة الإنجليزية لأول مرة. وفي العام نفسه، صدر كتاب ″الطريق إلى إليوسيس″ للكاتب ر. جوردون واسون.

اقترح ألبرت هوفمان وكارل روك وأثبتا الأساس الروحي للأسرار. نشرت ماري دالي كتاب "علم أمراض النساء/علم البيئة"، وهو بيان مثير للجدل عن النسوية البيئية يتضمن هجوماً لاذعاً ومباشراً على النظام الأبوي.

- في عام 1979، نشر جيمس لوفلوك كتابه الكامل الأول عن النظرية الجديدة، بعنوان ″غايا: نظرة جديدة على الحياة على الأرض″. وفي الوقت نفسه، ظهرت أعمال تبدو غير ذات صلة، مثل ″رسل الخداع″ لجاك فاليه و″مخطوطات البحر الميت والأسطورة المسيحية″ لجون أليغرو. ربما يكون الكتاب الأول أفضل كتاب منفرد كُتب على الإطلاق حول لغز الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة، أما الكتاب الثاني فهو مذهل.

التعمق في علم أمراض الصادقين، مع العديد من الإشارات إلى الأسرار التي طُمست مع صعود المسيحية. إن وصف فالي لظاهرة الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة بأنها "نظام تحكم روحي" يتردد صداه مع ما قاله الغنوصيون عن الطبيعة الأركونية للاهوت الخلاص. عندما تنبأ بأن طوائف التواصل مع الكائنات الغير أرضية قد تصبح أساسًا للأديان المستقبلية، فمن الصعب أن يتخيل أن الأديان العالمية السائدة هي نفسها نتاج لمثل هذه الطائفة. وهكذا، قدم كل من فالي وأليغرو مساهمات حيوية في الأبعاد الأسطورية والدينية لقصة صوفيا في اللحظة التي كان لوفلوك يطور فيها بعدها البيولوجي.

القائمة انتقائية للغاية ويمكن توسيعها بسهولة ثلاثة أضعاف. لكن كما هو الحال الآن، يوضح هذا الجرد الموجز كيف ظهرت جميع العوامل الرئيسية التي قد تساهم في استعادة الرؤية الصوفيانية، بشكل لا يصدق، في غضون سبع سنوات. وقد كشفت الفترة نفسها عن الكثير من المعارف الأساسية المتعلقة بكيفية وسبب تدمير الأسرار الوثنية. إننا نعيش الآن بعد جيل واحد فقط من سبعينيات القرن الماضي. من يدري ما الذي قد يتحقق في نظرية غايا والممارسة المعرفية البيئية في الجيل القادم؟ لعل الجيل الحالي سيكون أول من يعترف بالمأساة العظيمة التي هزت العالم والتي حاولت وصفها في هذا الكتاب: كيف ولماذا قادت طريقة الحياة الغربية والأوروبية الأمريكية الكوكب بأكمله نحو مستقبل غير مستدام.

أصر عالم البيئة الشهير رينيه دوبوس على أن "خلاصنا يعتمد على قدرتنا على خلق دين للطبيعة". [319] لا بد لي من التأكيد على أن البشر كان لديهم ذات يوم دين للطبيعة، يمتد لآلاف السنين، وواسع النطاق، وعميق في فهمه لأسرار الحياة نفسها، لكنه دُمر بسبب الإيمان بالخلاص من خارج الأرض. بعد أن دمرت الحكمة الروحية الأصلية لأوروبا وفرضت المعايير الأبوية للأديان الإبراهيمية مكانها، كيف يمكن للمجتمع الأوروبي الأمريكي أن يفعل أي شيء سوى توليد المزيد من الفوضى، وإلحاق المزيد من الضرر، وإبعاد البشرية أكثر عن إمكاناتها الحقيقية؟ لقد حان الوقت

لإدراك أن افتقار الغرب إلى التوجيه الروحي ليس مرضاً غامضاً، بل هو نتيجة لبرنامج ضخم وطويل الأمد للإبادة الدينية والثقافية.

إن الشوق إلى صوفيا يثير مشاعر الكثيرين اليوم، لكن سحر الأبوية الإلهية لا يزال مسيطراً بقوة. أولئك الذين ينتمون إلى تقاليد الديانات الإبراهيمية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، يميلون إلى البحث في جذورهم الدينية عن طرق للتعرف على القيم الصوفيانية واستعادتها. وخاصة في الأوساط المسيحية، هناك افتراض بأنه يمكن استخلاص أو استقراء نوع من "اللاهوت البيئي" المتمحور حول غايا من سردية الخلاص والمعتقدات المرتبطة بها. لا يزال العديد من الأشخاص الأذكياء والمهتمين بالشؤون الاجتماعية يعتقدون أنه يمكننا الحصول على لاهوت بيئي قابل للتطبيق من خلال الأبوية الإلهية. إن إغراء التوفيق بين مبادئ صوفيانية ودين الجاني لا يقاوم بالنسبة لجميع أولئك الذين تكون هويتهم الثقافية أقوى من رغبتهم في التخلي عن الذات والاندماج مع قوة الحياة الكوكبية، إيروس. كل عذر يُقدّم لتبرير متلازمة الضحية-الجاني يعزز القمع القديم لإلهة الحكمة. إن كل عودة إلى لاهوت المخلص وأخلاقيات يسوع تقوض السعي نحو البيئة المقدسة.

إن الحجة الأكثر شيوعاً للمصالحة تستند إلى بند الراعي: فقد خلق الإله الأب العالم الطبيعي وسلمه إلى رعاية الإنسان. لكن هذا كلامٌ متغطرسٌ ومتعالي. الأرض تعتني بنفسها. الحياة البرية تزدهر بمفردها. إن فكرة جنة عدن هي استعارة مضللة. الكوكب جنة حتى بدون حدائق. الزراعة ليست مهنة مقدسة للجنس البشري. لسنا أوصياء لا غنى عنهم على كوكب غايا. الإلهة ليست عجوزة ضعيفة تحتاج إلى خدمات رعاية المسنين. نحن في أفضل الأحوال عمال مؤقتون في العمل العظيم، عمال مهاجرون مؤقتون قد يحصلون أو لا يحصلون على مكانة دائمة، أو "ملاءمة إبداعية" كما تسميها لين مارغوليس.

حيوان غير مكتمل

بالنظر إلى العالم بأسره، يبدو أن الغالبية العظمى من الناس ما زالوا متشبثين بقوة بالدين الأبوي. لعل أضعف نقطة في الأجندة الأخلاقية لعلم البيئة العميق هي هذه: لا يقتنع الناس بسهولة بأن الطبيعة البشرية جيدة في جوهرها وأننا لا نحتاج إلى أي حث أو وصايا أخلاقية من خارج الأرض لجعلنا نهتم ببعضنا البعض وبالأرض. لكن هذه النظرة إلى الحالة الإنسانية ليست نموذجية للحالة الإنسانية في حد ذاتها؛ بل هي نتيجة للتكييف البشري. أولئك الذين يتبنون الدين الأبوي كمصدر وحيد للأخلاق لا بد أنهم قد فسدوا بسببه بالفعل. من خلال تقديم مثال خارق للطبيعة ليعكس إنسانيتنا، فإن الخلاصية تجردنا من إنسانيتنا. يجب على النظام الأبوي أن يحطم الروح الإنسانية قبل أن يصبح لدين المخلص أي جاذبية كإجابة للحياة. هذا ما تفعله رسالة الحب الزائفة في العهد الجديد. إن أخلاقيات يسوع المزدوجة محبطة للغاية لدرجة أنه لولا وجود تواطؤ الضحية والجاني وراءها، لرفضها الحس السليم باعتبارها سخيفة بشكل واضح وخطيرة على سلامة العقل البشري.

تستمر السلطة الأبوية لأنها أنتجت أجيالاً من الناس الذين تدفعهم إنسانيتهم المجروحة والمُقوَّضة إلى تنفيذ برنامجها، وتجنيد الآخرين لهذه القضية. أولئك الذين يحتاجون حقًا إلى أن يملي عليهم إله

من خارج الكوكب أخلاقهم، لا بد أنهم قد خانوا بالفعل رابطهم مع شبكة التكافل التي يمكن أن تعلمهم أخلاق المعاملة بالمثل والاحترام والتنظيم الذاتي. لكن خيار "مصنوع على صورته" ليس من الصعب تخيله. اقترح ثيودور روزاك مصطلح "الحيوان غير المكتمل" لوصف البشرية في طور التكوين، بدلاً من كونها مخلوقًا جاهزًا صنعه خالق غائب ومستعدًا لطاعته بلا تفكير، والتصرف بناءً على أوامر مسبقة الصياغة. يمكن القول إن الحيوان غير المكتمل هو حالة فريدة في طور التكوين. يُشير الناقد الثقافي نيل إيفرندن إلى فكرة مماثلة من خلال مفهومه "الكائن الغريب الطبيعي". ويشير إلى أن الإنسان هو الكائن الوحيد في الطبيعة الذي لا يتناسب مع مكانة محددة مسبقاً وفرتها الطبيعة.

> لكل كائن حي عالمه الخاص، وهذا ما يمكّنه من العمل والبقاء. كل فرد يعيش في ذلك العالم الذي خُلق فيه. إن تقلب العالم البشري يجعل من الصعب جداً الحديث عن امتلاك البشر لبيئة، لأن البيئة المحيطة بالبشر تتغير بتغير عالمهم. إن هذه المرونة الغريبة هي التي تجعلنا قادرين على الإيمان بواقع مجرد يضعنا في مواجهة، أو بالأحرى يفصلنا عن، الأرض التي تضم جميع العوالم العضوية.[320]

علينا أن نخلق مكانتنا الخاصة، "التوافق الإبداعي"، ولهذا السبب نحن كائنات غير مكتملة. ولكن هذا هو أيضاً السبب في أننا نمثل التعبير الأبرز عن التفرد بين جميع الأنواع.

آمل أن أكون قد أوضحت من خلال هذا الكتاب أن توافق مفاهيم غايا مع بعض عناصر الرؤية الصوفيانية يستحق تأملاً عميقاً. استخدم الغنوصيون مصطلح *"allogenes"*، أي "شخص من مكان آخر"، أو "غريب"، لتجسيد الحالة الإنسانية. تحمل الكلمة معنيين متصلين على حافة حادة. من ناحية أخرى، يشير ذلك بوضوح إلى الأصل ما قبل الأرضي للبشرية: فقد تم زرع الجينوم البشري على الأرض من مكان آخر. من ناحية أخرى، يشير ذلك إلى الطريقة التي يمكن أن ينفصل بها البشر عن واقعهم الخاص بسبب العامل الأركوني. هذا لا يعني أننا غرباء عن الأرض ولا ننتمي إليها حقاً. بل إنها تحذر من ميل الجنس البشري، بسبب قدراتنا على التصميم والتوجيه نحو الهدف، مما يجعلنا نسيء تمثيل العالم وفهمه، حتى ننتهي بالاعتقاد بأننا لا ننتمي إليه. لذا، وإيماناً منا، سنميل إلى النظر إلى ما وراء الأرض لننال الخلاص من محنتنا وننطلق إلى حياة أخرى أفضل. ومن هنا يصبح وعد الخلاص من خارج الأرض قابلاً للتصديق: "أَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. يؤكد لنا إنجيل يوحنا ذلك. لكن كان لدى الغنوصيين عقيدة أخرى:

> لقد انبثقت إليك قوة عظيمة، منحها لك الخالق الأزلي قبل مجيئك إلى هذا المكان، لكي تميز الأشياء التي يصعب تمييزها، وتعرف الأشياء المجهولة للجماهير التي قد تعرفها، ولكي تتحرر عاقلاً وسليماً إلى من هو لك، في داخلك، الذي كان أول من أنقذ والذي لا يحتاج إلى أن يُنقذ. اللوجينس *(الغريب)* (NHL XI, 3.50)

إن الخلاص ليس القضية الحاسمة للبشرية. إنما هو التكيف. نحن نندمج في العالم الطبيعي، ولكن ليس بأي طريقة تحددها غايا لنا مسبقاً، كما تفعل مع المخلوقات الأخرى. نحن الجدد في طبيعتها. نحن الحالة الفريدة في حلم صوفيا، والاستثناء الذي تعتمد عليه بطريقة ما، إذا كان العرافون في الأسرار على حق:

> وقد تم إخفاء الإيبينويا: "الخيال" المتألقة في آدم، حتى لا يصل الأركون إلى تلك القوة، ولكن حتى تكون الإيبينويا بمثابة تصحيح لنقص صوفيا. (الكتاب السري ليوحنا، 20.25)

منذ زمن بعيد، راقب السكان الأصليون في جميع أنحاء العالم طرق الطبيعة والكائنات الأخرى، ومن خلال القيام بذلك تعلموا كيفية التكيف مع بيئتهم. من خلال إجبارنا على "الإيمان بواقع مجرد يضعنا في مواجهة الأرض التي تضم جميع العوالم العضوية"، دمرت السلطة الأبوية والدين الجاني بشكل شبه كامل الإرث الثمين للحكمة الأصلية، والسكان الأصليين معها. لا تزال هناك بعض خيوط العقلانية الأصلية التي يجب نسجها في مستقبل يستحق العيش فيه، ولكن في النهاية قد لا تكون الفطنة المحلية وحدها هي التي تضمن بقاء هذا الكائن غير المكتمل. إن الملاحظة المحبة والتعاطف واحترام الطبيعة والأنواع الأخرى يمكن أن تعلمنا الكثير عن كيفية العيش، ولكن لحل مسألة مكانتنا في البيئة، هناك حاجة إلى شيء أكثر من ذلك: الإيبينويا: "الخيال"، والإلهام المضيء.

الخيال هو عبقرية البشرية، وفي كل شعب من كل منطقة من مناطق العالم تتجلى روح إبداعية وابتكارية خاصة - عبقرية المكان، أو العبقرية المحلية، أو روح المكان. تخبرنا قصة صوفيا أن الإلهة كلفت زوي، قوة الحياة الخالدة، بمهمة غرس الإيبينويا: "الخيال" في البشر. وبعبارة أخرى، فإننا نحمل قوة تخيلية إلهية كقدرة جسدية، تتجلى في ظاهرة التلألؤ البيولوجي، كما سبق ذكره. إن الخيال والحيوية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً في النفس البشرية، ويتجذران معاً في الجسد. لا يمكن لأي أيديولوجية أن تهزم هذا الاتحاد أو تقتلع جذوره.

النهضة الأصلية

إن قدرة هاتين القدرتين مجتمعتين على الصمود هائلة حقاً. يشهد التاريخ نفسه على قوتها العظيمة التي لا تُقهر - التاريخ الأوروبي على وجه الخصوص. سيكون من المضلل الادعاء بأن الحكمة الأصلية للشعوب الأوروبية كانت بطريقة مميزة متفوقة على حكمة الشعوب الأخرى في العالم (سكان أستراليا الأصليين، أو الإنويت في غرينلاند، على سبيل المثال)، ولكن مع ذلك، فإن الإرث الطويل الأمد لتلك الحكمة يقف في فئة خاصة به. ما صنعه الأوروبيون من عبقريتهم الفطرية لم يكن أقل من بيئة اجتماعية بدائية - أسلوب حياة متجذر في تجربة المقدس، بما في ذلك العالم غير البشري

بأكمله، ولكنه موجه أيضًا نحو الثقافة، أي نحو الاحتياجات الأساسية للاستمرارية الاجتماعية بدلاً من السيطرة الاجتماعية، ونحو الإمكانات البشرية بدلاً من الهيمنة السياسية.

ازدهر هذا المشروع الضخم والملهم للغاية للروحانية الإنسانية في الأسرار الوثنية. على مدى آلاف السنين، قام حراس الأسرار بتعليم فنون الحضارة والعلوم العملية والأخلاق البيئية. عندما تعرض التقليد التليستي للتهديد، لم يدافع أتباعه عن أنفسهم بالقوة، بل تمكنت القوة الكامنة في الروح الأصلية من البقاء. في لحظات حاسمة على مدى الألفي عام الماضية، عادت العبقرية الحيوية الخيالية للروح الأوروبية بقوة هائلة وقاومت عدوى لاهوت المخلص.

بعد ثلاثة قرون فقط من وفاة هيباتيا، انطلقت موجة العبقرية المحلية في إسبانيا، وهي الدولة نفسها التي ستقود لاحقاً الهجوم الإبادي على العالم الجديد. في نفس القرن الذي شهد ظهور الإسلام (الذي يعود تاريخه إلى الهجرة في عام 622 م)، أدى تدفق التصوف العربي إلى أوروبا إلى ظهور نوع أدبي وثقافي جديد: الفروسية. كان الحب الفروسي، أو الحب العذري، ظاهرة وثنية بحتة انبثقت من تربة الحياة في أوروبا في أحلك لحظات العصور الوسطى. كان ذلك عرضاً من أعراض المناعة الفطرية ضد برنامج التشهير والعزلة الجنسية للمسيحية الإقطاعية والفصل العنصري الجنسي للإسلام. لقد وُلد الاتحاد النبيل بين الحب والبطولة في الأندلس تحت الحكم الإسلامي، مما يثبت أنه حتى في الشعوب العربية كانت هناك مناعة طبيعية قوية ضد قمع العقائد الإبراهيمية، التي يُعد الإسلام ثالث أكثر تحولاتها ضراوة. كُتبت أول ملحمة شعرية متجولة، وهي ملحمة أنتار، هناك في القرن السابع. على مدى خمسمائة عام، نمت النزعة الفروسية وازدهرت، مما أدى في النهاية إلى ازدهار استثنائي للشعر والموسيقى والأدب في بروفنس وأكيتين. انتشرت الحركة إلى إيطاليا وألمانيا وهولندا وإنجلترا، لتشمل بذلك جميع أنحاء أوروبا الغربية.

في طائفة الحب المحترم في العصور الوسطى، برزت العبقرية المحلية لأوروبا في مواجهة الهجوم الفيروسي للدين الخلاصي. لقد قلب الحب الرومانسي القيود الجنسية للنظام الأبوي رأساً على عقب، مما جعل الفارس يعتمد على سيدته لإضفاء الكرامة على مآثره. في الواقع، أعادت الحركة الرومانسية في العصور الوسطى إحياء الطقوس القديمة لتمكين الإلهة. لقد ساهم ذلك في إضفاء الطابع الإنساني على المجتمع الغربي أكثر من جميع الخطب الدينية التي ألقيت من أوغسطين إلى أكويناس. لقد قدم دين الحب الشخصي، الذي تجسد في شخصيات أسطورية مثل تريستان وإيزولده، بديلاً واضحاً لعقيدة الجناة. لاحظ دينيس دي روجيمون في كتابه "الحب في العالم الغربي" أن "تنمية الحب العاطفي بدأت في أوروبا كرد فعل على المسيحية (وخاصة عقيدتها في الزواج) من قبل أناس كانت روحهم، سواء بشكل طبيعي أو عن طريق الوراثة، لا تزال وثنية".[321]أولئك الذين تبنوا الروح الوثنية المتجددة كانوا يعرفون ما يواجهونه. كانت عبارة ″الحب ضد روما″ بمثابة شعار جرافيتي في ذلك الوقت. أعلن غوتفريد فون ستراسبورغ، مؤلف مسرحية تريستان (حوالي 1210 م)، بجرأة أن العاطفة الجسدية والشخصية لعشاقه كانت سرًا أقوى من القداس الإلهي. ليس من المستغرب أن يختفي غوتفريد فجأة عندما وصل رجال إنفاذ القانون التابعون للفاتيكان إلى المدينة. ومع ذلك، فقد ألهمت رسالته الملايين الذين لم يجدوا الحب الذي يدعم حياتهم في الوعد الأبوي لحب الله.

لقد تطلب الأمر حملة إبادة جماعية ضخمة من قبل البابوية في عهد البابا إنوسنت الثالث لتدمير ثقافة بروفنسال وذبح الشعب الذي تحدى علنًا سلطة الإمبراطورية الرومانية المقدسة. في بيزييه عام

1209 ميلادي، قُتل ثلاثون ألف شخص أعزل في يوم واحد، مما يذكرنا بالإبادة الجماعية التي وقعت في بورج قبل أكثر من ألف عام. كان الأخير عملاً علمانياً بحتاً، لكن الأول أقرته الكنيسة كوسيلة مشروعة للقضاء على الهرطقة. تبنت الكنيسة الكاثوليكية حتمية الإبادة الجماعية لروما، ليس كتحريف وحشي للإيمان، بل كأداة سيادية لتحقيق خطتها الرؤيوية. إن تدمير "ثقافة الحب" في جنوب فرنسا يُظهر أن الفظائع المرتكبة باسم الدين ليست استثناءات يرتكبها عدد قليل من الأشخاص السيئين، بل هي تعبير صادق عن المؤمنين الحقيقيين الذين يطبقون ما تتطلبه معتقداتهم منهم بالفعل.

حدثت عودة ثانية للعبقرية الأوروبية الأصلية في عصر النهضة مع إعادة اكتشاف الطبقة المثقفة للثقافة والأدب والآداب الوثنية. بينما استمر الغزو تحت راية الصليب في العالم الجديد، حاول سكان العالم القديم استعادة ما فقدوه عندما تم إبادة أسلافهم من خلال نفس البرنامج. لكن هذه المرة كانت الاستجابة المناعية للعبقري الفطري أضعف. إن مجرد تقليد عادات الوثنيين لم يكن استجابة كافية لخمسة عشر قرناً من التكييف النفسي التاريخي. لقد فشلت النزعة الإنسانية، ليس فقط لأن دعاتها لم يكن لديهم رؤية واضحة للأنثروبوس: "الإنسان الكوني"، ولكن بشكل أكبر لأن المسيحية قد أثرت على المخيلة الأصلية على مدى خمسة عشر قرنًا لدرجة أنه أصبح من المستحيل استعادة الجوهر الحقيقي لشعور الحياة قبل المسيحية.

أما الموجة الثالثة والأحدث من الانتعاش فقد حدثت مع صعود الحركة الرومانسية، والتي تزامنت مع الثورة الأمريكية. في قلب هذه الحركة، أعلن عدد قليل من الرجال والنساء عن اختراق جريء للبشرية، واستعادة للهبة الإلهية، الخيال. أحد رواد هذه الحركة، الشاعر والمتصوف البريطاني ويليام بليك، ساوى بين قوة الخيال ويسوع المسيح بطريقة توحي بأن بليك ربما يكون قد التقى بالميسوتس (الوسيط)، إن لم يكن قد تناول الشاي والبسكويت معه بشكل منتظم.[322] كان الهدف المعلن للرومانسيين هو استعادة التجربة الدينية الخالية من العقائد والطقوس والمؤسسات. من عام 1775 إلى عام 1820 اشتعلت الحركة بشدة، ثم انطفأت ببطء وبشكل مؤلم. لم تتحقق المقترحات الطموحة لأصحاب الرؤى الرومانسية في روسيا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا وإنجلترا، وانهارت الرومانسية، تاركة وراءها مشاكل أكثر مما حلت. ومع ذلك، استمر الإلهام الذي استمدته من الجذور الأصلية العميقة للحياة الروحية الأوروبية في التردد حتى القرن العشرين.

كان آخر ورثة الحركة الرومانسية من الرومانسيين ما بعد الرومانسيين مثل الصوفي الأيرلندي AE، والشاعر الألماني راينر ماريا ريلكه، والمؤلف البريطاني دي إتش لورانس. غالباً ما كان المتحمسون للرومانسية من أصل كلتي، سواء من الناحية العرقية أو الثقافية. في العصور ما قبل المسيحية، كان دور الثقافة الكلتية هو توحيد أوروبا، وعلى مر القرون لعبت الروح الكلتية دورًا رائدًا في المقاومة والنهضة الإبداعية. كانت النهضة الأدبية الكلتية بقيادة المتأهل الحديث دبليو بي ييتس (الذي كان أيضًا شخصية رئيسية في إحياء العلوم الخفية الأوروبية) بمثابة الموجة الأخيرة من الرومانسية.

كتب الروائي والشاعر ما بعد الرومانسي د. هـ. لورانس رواية ″نهاية العالم″ (التي تم الاستشهاد بها عدة مرات في هذا الكتاب) في الأشهر الثلاثة الأخيرة من حياته عندما كان يحتضر بسبب مرض السل. حتى مع اقتراب أجله، انصب اهتمامه الأخير على استعادة الإحساس الوثني بالحياة الذي فُقد منذ ألفي عام. تقول سيرة ذاتية حديثة: "ما أراد فعله هو جعل هذه الرؤية الوثنية القديمة شيئًا سيضطر الإنسان الحديث إلى الاعتراف بأنه يفتقر إليه في تجربته الخاصة؛ كان لورانس يكتب كتابًا يقدم لمعاصريه نوعًا من الاستعادة النفسية لعلاقاتهم بالعالم القديم".[323]

في كتابها "المستقبل البدائي"، تُظهر دولوريس لاشابيل، عميدة علم البيئة العميقة، أن حياة لورانس وعمله استبقا الوعي البيئي الجديد ومهّدا لوجهة نظر غايا. بعد أن أدانه الناس علنًا باعتباره غير أخلاقي وحاكم قانونيًا بسبب روايته الأخيرة، عشيق الليدي تشاترلي، كان لورانس رجلاً ذا حساسية أخلاقية عميقة حذر من روح البر بأشكالها المتعددة، بما في ذلك "حب الأصنام" و"الغرور

الميت بمعرفة الأفضل". [324] قلة من الرومانسيين استطاعوا أن يضاهوا بصيرة لورانس الثاقبة في علم الأمراض السامة لهوية الذات الواحدة، لكن إحساسه الشهواني بالعالم الطبيعي كان شائعًا على نطاق واسع بين العديد من أسلافه. يُعتبر التصوف الطبيعي لدى شعراء مثل ويليام وردزورث على نطاق واسع بمثابة مقدمة للحظة البيئية. يقول نيل إيفرندن عن الرومانسيين: "إنهم لم يتحدوا المعتقدات التقليدية فحسب، بل تحدوا عملية صياغة المعتقدات نفسها". لكن التحدي بالكاد صمد. يتساءل المرء عما إذا كانت عبقرية أوروبا الأصلية تتمتع بمناعة كافية لمقاومة الفيروس الغازي والعودة للظهور مرة أخرى، ربما لمرة أخيرة.

المعرفة الصامتة

فيما يتعلق بمرض النفس المتأصل في الحضارة الغربية، فإن الأخبار السيئة تتحول إلى أخبار جيدة. إن معرفة كيف انحرفنا قد تكون هي الحقيقة نفسها - التعليم الأعمق الذي نقاومه بشدة - الذي يقودنا للمشاركة في تصحيح صوفيا. قد تكون هذه المعرفة هي التي تنقذ المجتمع العالمي من مرضه المرضي السائد، ألا وهو الدين الجاني. إن إرث الأبوية الإلهية هو مئة جيل من سوء التربية والإساءة. هذا قدر كبير من الاختلالات الوظيفية التي يجب التغلب عليها! لكن التنوير الذي تحقق خلال الثلاثين عاماً الماضية يبدو واعداً للغاية.

ومع ذلك، فإن عودة ظهور الأسرار ليست مسألة تفكير سحري. إنها ليست حلماً طوباوياً ولا خيالاً صوفياً، بل هي دعوة إلى تكريس حقيقي وواقعي. لم تنتهِ العصور المظلمة التي بدأت عندما قُتلت هيباتيا في الواقع. نحن نعيش في الأيام الأخيرة من عصر الحوت، أو كالي يوغا في الأساطير الهندوسية. تقول الأساطير القديمة إن هذا وقت يتيح مكاسب استثنائية على الصعيد الروحي في بعض الحالات الفردية، لكنها تحدث في ظل تدهور وانحطاط شديدين للمجتمع ككل. يبقى أن نرى من يستطيع ومن سيستجيب مباشرة لصوت إلهة الحكمة. من سيستمع في نشوة المعرفة الصامتة، متلقياً التوجيه من منبع النور العضوي؟ من منا سيكون منتبهاً للأرض الحية مثل المتأهلين الذين سجلوا الكشف السامي والغامض عن الرعد، العقل الكامل (مخطوطات نجع حمادي VI، 2)؟

> أنا الصمت الذي لا يُفهم، والفكرة التي تُذكر كثيراً، أنا صوت أصوات كثيرة، وتعبير عن تصاميم كثيرة.
>
> أنا نطق اسمي، فأنا صوفيا الإغريق وغنوص البرابرة الشخص الذي كرهه الجميع في كل مكان، وأحبه الجميع في كل مكان أنا لا إله لي، وأنا من تتعدد ألوهيتها، أنا من فكرتم بها ومن احتقرتموها.
>
> أنا لا تعليم لي، ومني تتعلمون. أنا غنوص بحثي، وهدف من يبحث عني

الشُّكر والتَّقدير

أنا ممتنة لشانتال فالنتين دي بوك لأنها وفرت لي ملجأ في أوروبا ووفرت لي المنزل الآمن والسعيد الذي لم أحظ به في طفولتي، باستثناء أحضان ميناء الصداقة الدافئة. لولا رعايتها وصبرها وتفانيها التي لا تضاهى، لما كان من الممكن كتابة هذا الكتاب. شكراً جزيلاً لكِ يا عزيزتي الصغيرة. بفضل لطفك، كُتب الفصل الأول في التاريخ الحقيقي للشعوب الأوروبية.

إلى آخرين لم أذكر أسماءهم، أولئك الذين أعرفهم وكثيرين لا أعرفهم ولن أعرفهم أبدًا، الذين جعلوا هذا الكتاب ممكنًا من خلال الإلهام والدعم الذي قدموه، أولئك الذين أعدوا المعلم جيدًا من خلال التظاهر بأنهم طلاب، الذين تحملوا غروري وضحكوا على نكاتي، الذين تحملوا نزواتي المراهقة، وحتى أولئك الذين وقفوا في الطريق من خلال حجب أو تفويت أو تجاهل جمال ووفرة الرؤية الصوفية - إلى هؤلاء الأفراد الكثيرين والمتنوعين أمنح الامتنان الذي قدم لي في مارس 1966، في بوخارا، نيبال، من قبل أم جبال الهيمالايا. ليس مجرد اعتراف رمزي، بل هو السبب الجذري الذي يمكن أن ينشأ من خلاله إدراك الكرم الإلهي في العقل البشري. أمنحهم البركة القصوى لـ "زانغزا رينغتسون"، النظرة المانحة للسماء.

جون لامب لاش

بهايرفي، خريف 2013

الأندلس

الملاحظات

الجزء الأول: الغزو والتحول

الفصل الأول: قتل هيباتيا

1. سقراط سكولاستيكوس، تاريخ الكنيسة (لندن: هنري ج. بون، 1903)، 348–49.

2. يوحنا، أسقف نيكوي، وقائع 84.87–103. في الإسكندرية: مجلة التقاليد الكونية الغربية 2، محرر. ديفيد فيدلر (غراند رابيدز، ميشيغان: مطبعة فانيس، 1993).

3. مانلي بالمر هول، التعاليم السرية لجميع العصور (لوس أنجلوس: مؤسسة البحوث الفلسفية، بدون تاريخ)، 197، "الأسرار ومبعوثوها".

4. مايكل وود ، على خطى الإسكندر الأكبر (لندن: كتب بي بي سي، 2004)، 74–75.

5. فيرنر كيلر، الكتاب المقدس كتاريخ (نيويورك: ويليام مورو وشركاه، 1981)، 322.

6. ملاحظة: ضد الاعتراض على أن دليل التعلم الوثني لا يتوافق مع الفكر الغنوصي، أود أن أجيب: هناك الكثير من العناصر الغنوصية في الأدب الوثني - في هسيودوس وإسخيلوس، على سبيل المثال - إذا كان المرء يعرف كيفية التعرف عليها. تشهد كتابات بلوتارخ الغزيرة، وهو أحد المطلعين المعروفين، على نطاق وتنوع التدفق الأدبي لمدارس الأسرار. عادة ما كانت العناصر الأكثر غموضاً في التعاليم الغنوصية مخصصة للمناقشات الداخلية في خلايا الأسرار ولم يتم نقلها بسهولة إلى الكتابة العلمانية. ومع ذلك، عندما حانت اللحظة التي احتجت فيها التليستاي على العقائد المسيحية، وجدت هذه العناصر تعبيراً واسعاً في كل من الخطاب المكتوب والشفهي. النص الأكثر اكتمالاً ووضوحاً للتعليمات التأهيلية هو كتاب "في الأسرار" ليامبليخوس، مؤسس المدرسة الأفلاطونية المحدثة التي قيل إن هيباتيا تنتمي إليها. إنها مباشرة ومتماسكة، على الرغم من أنها معبر عنها بلغة ميتافيزيقية يصعب على العقل الحديث فهمها للغاية. تقدم مخطوطات نجع حمادي سجلاً غير متوازن وغير مكتمل وغير متماسك للنسخ الثانوية والثالثية من التعاليم الغنوصية.

7. جيلبرت هيغيت، التقليد الكلاسيكي (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1957)، 3 و 566، الملاحظة 1.

8. جي. آر. إس. ميد، الأناجيل والإنجيل (لندن وبنارس: دار النشر الثيوصوفية، 1902)، 210.

9. مقابلة مع دان بورشتاين، في أسرار شفرة دافنشي (نيويورك: كتب CDS، 2004)، 100–105.

10. ج. ر. س. ميد، شظايا إيمان منسي (نيو هايد بارك، نيويورك: كتب الجامعة، 1960)، 46.

11. س. أنجوس ، الأديان الغامضة (نيويورك: منشورات دوفر، 1975)، 243.

12. باربرا ووكر، قاموس المرأة للرموز والأشياء المقدسة (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، 1988).

13. ميد، شظايا، الثالث عشر.

14. في أطروحة وثيقة الصلة بهذه الآراء، اقترح رالف أبراهام أن البوذية مشتقة من "الأورفية النيوليثية"، وهي إحدى طوائف الأسرار ما قبل التاريخ للإلهة العظيمة. انظر المقال، "الأورفية: الجذور القديمة للبوذية الخضراء"، في دارما غايا، محرر. ألان هانت بادينر (بيركلي، كاليفورنيا: بارالاكس بريس، 1990) وأبراهام فوضى غايا إيروس (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، 1994).

15. اقترح آرني نايس مصطلح "علم البيئة العميق" لأول مرة في مقال بعنوان "الحركة البيئية الضحلة والعميقة طويلة المدى"، نُشر في مجلة *Inquiry 16 (1973)*.

16. نايس، "الحركة البيئية العميقة"، 26.

17. جيمس لوفلوك، "نظرية غايا المتطورة"، محاضرة ألقاها في طوكيو، اليابان، 25 سبتمبر 1992.

18. ديورثوسيس: المكتبة القبطية الغنوصية، طبعة ورقية (ليدن: إي. جيه. بريل، 2000)، المجلد 5، الكتاب 2،

ص. 93ff. في مدرسة الفالنتينية، كان تصحيح صوفيا يعتمد على تدخل الكريستوس، لكن المدارس الغنوصية الأخرى أكدت على دور الإنسانية على حساب الكريستوس. يعتمد الكثير على كيفية فهم التدخل المسيحي (انظر الفصل 14). لا يمكن تحديد كيفية حدوث التصحيح من المواد المتبقية، ويجب التوصل إلى ذلك تجريبياً.

19. رينيه جيرارد، العنف والمقدس (بالتيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1989)، 30–31.

20. ديريك جنسن، الاستماع إلى الأرض (سان فرانسيسكو: كتب نادي سييرا، 1995)، 273–74. التشديد مضاف.

21. جيرارد ، العنف والمقدس 30–31.

22. صموئيل د. ماربل، قبل كولومبوس (نيويورك: أ.س. بارنز وشركاه، 1980)، 49.

الفصل الثاني: الجذور الوثنية

23. دي براون، دفن قلبي عند الركبة الجريحة (لندن: فينتاج/راندوم هاوس، 1991)، السابع عشر.

24. مارتن برنال، بلاك أثينا، 2 مجلدات. (نيو برونزويك، نيوجيرسي: مطبعة جامعة روتجرز، 1987)، 1:106.

25. إلين إليربي، الجانب المظلم من التاريخ المسيحي (أورلاندو، فلوريدا: مورنينغستار ولارك، 1998)، 137.

26. جوليان جاينز، أصل الوعي في انهيار العقل ثنائي الحجرات (لندن: كتب البطريق، 1990)، 149، 154–55.

27. غارث فودن، "الجماعات الدينية"، في العصور القديمة المتأخرة، تحرير. باورستوك وآخرون. (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة بيلكناب لمطبعة جامعة هارفارد، 1999)، 82–106.

28. لاشابيل، "التعليم من أجل علم البيئة العميق"، www.talkingleaves.org، ربيع/صيف 1998.

29. "علامة سقراط"، 591d - e، في روبرت لامبرتون، بلوتارخ (نيو هافن ولندن: مطبعة جامعة ييل، 2001)، 30.

30. بول شيبارد، الطبيعة والجنون (أثينا: مطبعة جامعة جورجيا، 1998)، 62.

31. ويبدو أن بعض الأوروبيين تمكنوا من التعرف في ثقافة السكان الأصليين لأمريكا نظيرة لأصولهم. في كتاب "مانيتو" (روتشستر، فيرمونت: إنر تراديشنز، 1989)، يشير جيمس دبليو مافور الابن، وبيرون إي ديكس إلى أن تشابه المواقع الضخمة في نيو إنغلاند مع تلك الموجودة في العالم القديم كان واضحًا لبعض المستعمرين: "أطلق المستوطنون الإنجليز الأوائل في القرن السابع عشر في أمريكا على الأرض اسم نيو إنغلاند لأنها، من بين أسباب أخرى، كانت تذكرهم بوطنهم؛ فقد رأوا جدرانًا حجرية وأحجارًا قائمة وأكوامًا حجرية مثل تلك الموجودة في الريف الإنجليزي" (1). ومهما كان المدى الفعلي لهذا الاعتراف، فإنه لا يزال هناك القليل جداً من الأدلة المسجلة عليه.

32. دي لاس كاساس، مقتبس في جيمس دي ميو ، ساهاراسيا (غرينسبرينغز، أو: مختبر أورغون للبحوث الفيزيائية الحيوية، 1998)، 384.

33. بارتردج، 462.

34. جين إلين هاريسون، تيميس (غلوستر، ماساتشوستس: بيتر سميث، 1974)، 439.

35. جوردون راتراي تايلور، التاريخ الجنسي للجنس البشري.

36. دي إتش لورانس، نهاية العالم (لندن: كتب البطريق، 1980)، الخامس عشر.

37. المرجع نفسه، 65، 43.

38. بلوتارخ، "حول سبب فشل العرافين"، 419 E - B، الذي استشهد به جورجيو دي سانتيلانا وهيرثا فون ديشيند في مطحنة هاملت (بوسطن: ديفيد ر. غودين، 1977)، 275 وما يليها.

39. قاموس أكسفورد لعلم أصول اللغة الإنجليزية، 1982.

40. ماركوس أوريليوس، التأملات التاسعة، 1، مترجم. سي بي بينز، معدلة من قبل المؤلف (كامبريدج، ماساتشوستس: مكتبة لوب الكلاسيكية).

41. بليني الأصغر، رسالة إلى الإمبراطور تراجان (رسائلبليني، 10.96)، مكتوبة في سي إي 110–111.

42. في الثقافة اليونانية، لم تكن المأساة تصيب عامة الناس، بل فقط أولئك القلة الاستثنائية، رجالاً كانوا أم نساءً أجبرهم القدر على التصرف بما يتجاوز المعايير الاجتماعية التي تحدد حدود المسؤولية الشخصية، وفي تحدٍ للآلهة أنفسهم. انظر كتابي، البطل (لندن: ثامس و هادسن، 1995)، 21 وما يليها.

43. جاينز، أصل الوعي، 258.

44. ألكسندر لوين، خيانة الجسد (نيويورك: كتب كولير، 1972)، 179

45. غيل هوكس، الجنس والمتعة في الثقافة الغربية (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة بوليتي، 2004)، 31–32.

46. في البوذية التبتية، "المصلحة الذاتية (رن دون غي بلو) تشمل كل شيء من أفظع الأنانية إلى الرغبة في التحرر الشخصي من الوجود الدوري". غيشي سونام رينشن عهد البوداسَف (إيثاكا، نيويورك: سنو ليون، 2000)، 36 وما يليها.

47. آرثر كويستلر، قانون الخلق (نيويورك: ديل، 1964)، 260.

48. يُنسب هذا القول إلى سيكستوس الفيثاغوري في أقوال مرتبطة بعمل يامبليخوس، وقد ترجمه توماس تايلور. يامبليخوس عن الأسرار (دار نشر كيسنجر)، 373.

49. لقد اطلعت لأول مرة على فكرة أن الجنس البشري قد مر بتحول هائل بسبب نضوج دوائر الدماغ الأمامي حوالي عام 600 قبل الميلاد في أعمال رودولف شتاينر. ومن المثير للدهشة أن التحول من المشاركة القبلية المتعاطفة إلى الاهتمام الذاتي النرجسي قد أشار إليه كارلوس كاستانيدا (الجانب النشط من اللانهاية)، دون الإشارة إلى تاريخ محدد. أؤكد أن هذه الزيادة المفاجئة والنمطية في القدرة الدماغية، كما لوحظ في الدراسات السريرية للتطور العقلي والحسي للرضع، لم تكن بسبب أي نوع من التدخل الخارجي. ومع ذلك، فمن المحتمل أن يكون التدخل خارج نطاق البشر أو الخارق للطبيعة (العامل الأركوني، بالمصطلحات الغنوصية) قد استفاد بشكل كبير من هذا التطور.

50. مارجوري مالفيرن، الزهرة في الخيش (كاربونديل وإدواردسفيل، إلينوي: مطبعة جامعة جنوب إلينوي، 1975)، 164، نقلاً عن هويزينغا، هومو لودنس.

الفصل الثالث: غزو أوروبا

51. ياروسلاف بيليكان، يسوع عبر القرون (نيويورك: هاربر ورو، 1987)، 69.

52. روزماري رادفورد روثر، المرأة الجديدة/الأرض الجديدة.

53. أندي فيشر، علم النفس الإيكولوجي الراديكالي (ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة ولاية نيويورك، 2002)، 19.

54. ريان إيسلر، الكأس والنصل (لندن: باندورا، 1990)، السابع عشر. يمكن استكمال نموذج إيسلر القيّم لمجتمع الشراكة من خلال تضمين أطروحة واسون حول الدين المؤثر على الوعي (ملاحظة 213) كعنصر أساسي في نظرتنا إلى الثقافات التي تحترم قدسية الأرض.

55. دولوريس لاشابيل، المستقبل البدائي (نورث دنتون، تكساس: مطبعة جامعة تكساس، 1996)، 49.

56. جاك لاكاريير، الغنوصيين (لندن: بيتر أوين، 1978)، 94.

57. وعاء أورفيك: انظر هانز ليسيجانج، "لغز الثعبان"، في الأسرار، أوراق من كتب إيرانوس السنوية، سلسلة بولينجن 2، XXX (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1978)، 194 -

260. أيضا، وعاء بيتروسا، 245 وما يليها.

58. تيرينس ماكينا، الإحياء القديم (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، 1991)، 149.

59. تي دبليو رولستون، أساطير وخرافات العرق الكلتي(نيويورك: شوكن للكتب، 1986)، 19–20.

60. قد يُعترض بأن الكلتيين كانوا غزاة هندوأوروبيين من نوع "كورغان"، وبالتالي لا ينبغي اعتبارهم أوروبيين مثاليين. لكن بعض العلماء يحددون "الموقد الكلتي" عند منبع نهر الدانوب، وبالتالي في قلب أوروبا، وليس في القوقاز حيث نشأ الغزاة الكورغانيون. سيكون من غير المناسب الاستطراد هنا ذكر المصادر وتوسيع نطاق الحجة المتعلقة بجيمبوتاس وإيسلر وآخرين. أنا واثق من أن وجهة نظري حول الكلتيين باعتبارهم "الثقافة الحامية" لأوروبا ستصمد أمام الفحص الدقيق.

61. أطلس التايمز لتاريخ العالم، محرر. جوفري باراكلو (مابلوود، نيوجيرسي: هاموند إنك، 1978)، 85.

62. جوزيف كامبل، الأساطير الإبداعية (لندن: كتب البطريق، 1982)، 564.

63. استشهد في بيتر بيريسفورد إليس، تاريخ موجز للكلت (لندن: روبنسون، 2003)، 57.

64. جيفري آش ، أفالونيان كويست (لندن: فونتانا، 1982) 172، 212.

65. المرجع نفسه، 213، نقلاً عن آن روس في الكلت الوثنيون في بريطانيا، و 214، نقلاً عن ستيوارت بيجوت. يردد التعليق الأخير وجهة نظر كينيث ريكسفورث فيما يتعلق بأصول العصر الحجري الحديث للأسرار. هذه المراجع هي من بين عشرات المراجع التي يمكنني الاستشهاد بها والتي توضح كيف تم توسيع تعريف الشامانية وإثرائها وتوضيحها منذ الكلاسيكية إلياد، الشامانية: تقنيات النشوة القديمة (الفرنسية 1961، الإنجليزية 1964). في البداية ارتبطت ارتباطا ضيقا بالوسط الثقافي المنغولي والسيبيري، وينظر الآن الشامانية من منظور أوسع بكثير، ولكن علاقتها مع الغنوصية والأسرار لا تزال بحاجة إلى الاعتراف.

66. إليس (رقم 62)، 144.

67. يقوم كيث كريتشلو بإجراء مقارنات بين الثقافات المختلفة بناءً على تصميم الهياكل الضخمة. في الوقت يقف قائماً (نيويورك: مطبعة سانت مارتينز، 1982)، يقترح أن "علم الكونيات الشاماني الآسيوي" يشترك في أرضية مشتركة مع كل من أنظمة الطقوس وعلم الكونيات البريطانية في العصر الحجري الحديث (أي الكهنوتية) والأمريكية الأصلية.

68. إليس، 174.

69. المرجع نفسه، 56.

70. إريك فروم، تشريح التدمير البشري (لندن: كتب البطريق، 1973)، 143.

71. بيتر ماتيسزاك، وقائع الجمهورية الرومانية (لندن: ثامس و هادسن، 2003)، 206.

72. ميد، شظايا، 106.

73. لويد م. غراهام، خداع وأساطير الكتاب المقدس (سيكوكوس، نيو جيرسي: مطبعة القلعة، 1997)، 444.

74. إيونابيوس المذكور في كارل كيريني ، إليوسيس، سلسلة بولينجن LXV: 4 (برينستون ، نيوجيرسي : مطبعة جامعة برينستون، 1967)، 17.

75. بروكوبيوس مقتبس في سي دبليو كينغ ، الغنوصيين وبقاياهم (لندن: ديفيد نوت، 1887)، 340.

76. جيمس دبليو مافور الابن، وبيرون إي ديكس، مانيتو (روتشستر، فيرمونت: التقاليد الداخلية 1989)، 191.

77. المرجع نفسه، 193. يرسم المؤلفون العديد من أوجه التشابه بين التراث الأوروبي الأصلي (وخاصة العمارة الطقسية وبناء الصروح الضخمة) والشامانية الأمريكية الأصلية، كما يشيرون إلى السلوك الإبادي للأوروبيين تجاه الأمريكيين الأصليين.

78. بيير تشوفين، وقائع الوثنيين الأخيرين (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد، 1990)، مقتبس في غريغوري شو، سيمياء النفس (حديقة الجامعة، بنسلفانيا: جامعة ولاية بنسلفانيا، 1995)، 1.

79. إيونابيوس الساردي، حياة السفسطائيين، 472 ؛ في لامبرتون، بلوتارخ، 3.

الفصل الرابع: طائفة البر

80. اقترحت ماريا جيمبوتاس اسم كورغان لمجتمعات المحاربين الذكور الذين يقودون العربات والذين ظهروا من سهوب آسيا حوالي عام 4200 قبل الميلاد في عدة موجات. تتتبع جيمبوتاس الغزوات في كتبها، بدءًا من كتاب " إلهات وآلهة أوروبا القديمة"، الذيٌنُشر لأول مرة باللغة الإنجليزية في عام 1974. على الرغم من أن نظريتها لا تزال مثيرة للجدل، إلا أنها تعتبر على نطاق واسع أفضل نموذج لدينا للأصول الجغرافية والتاريخية للنظام الأبوي.

81. ميرشيا إلياده، تاريخ الأفكار الدينية (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1978)، 1:335.

82. جيزا فيرميس، الوجوه المتغيرة ليسوع (لندن: ألين لين، دار بنجوين للنشر، 2000)، 3.

83. ليو ديويل، وصايا الزمن (نيويورك: ألفريد أ. كنوبف، 1966)، 252–53.

84. شيبارد، الطبيعة والجنون، 62.

85. في التقاليد اليهودية، تعتبر العديد من الأساطير ملكي صادق من أقارب نوح، وبالتالي فهو شخصية قديمة تعود إلى ما قبل الطوفان. يروي المؤرخ الكنسي يوسابيوس، الذي عاش في القرن الرابع، تقليداً مفاده أن لقاء إبراهيم مع ملكي صادق حدث بالقرب من جبل جرزيم، بالقرب من مكان يسمى ساليم، شرق نابلس الحديثة، وهي واحدة من أكثر الأماكن اضطراباً في فلسطين الحديثة. انظر جون أليغرو، مخطوطات البحر الميت والأسطورة المسيحية (لندن: كتب بروميثيوس، 1992)، 71 وما يليها.

86. دبليو إن إوير، مقتبس في جون أليجرو، كشف سر مخطوطات البحر الميت (نيويورك:

شركة غرامرسي للنشر، 1981)، 19-20.

87. فيلهلم رايش، علم النفس الجماهيري للفاشية (نيويورك: فارار، شتراوس وجيرو، 1980)، 148 وما بعدها.

88. أليجرو، كشف سر مخطوطات البحر الميت، 106.

الفصل الخامس: الجنون المسياني

.89 مقتبس في نيل آشر سيلبرمان، المخطوطات المخفية (لندن: الماندرين، 1995)، 123.

.90 روبرت إيزنمان ومايكل وايز، مخطوطات البحر الميت المكشوفة (لندن: بينغوين، 1992)، 8-10. ملاحظة: هذا ليس إجماع خبراء اللفافات. لا تزال الجهود الكبيرة تُبذل لإبعاد المسيحية عن أدبيات قمران.

.91 تظهر كلمة "ناسي" التي تعني "القائد" أو "الرئيس" أو "السيد" في مخطوطات البحر الميت في الجزء 4Q285 وقاعدة الجماعة عند الإشارة إلى خلفاء الملك داود الذين سينتصرون ويقودون إسرائيل إلى الاستقلال السياسي. "يُستخدم هذا المصطلح اليوم للإشارة إلى رئيس الدولة اليهودية." إيزنمان و وايز، كشف مخطوطات البحر الميت ، 24ff. يشير جون ج. كولينز، الباحث البارز في مجال الرؤيا اليهودية، إلى أن ملكي صادق لم يُطلق عليه قط اسم المسيا. دوره هو نبي أخروي وقاضٍ خارق للطبيعة - أي أنه خارق للطبيعة. انظر: الرؤيا في مخطوطات البحر الميت (لندن ونيويورك: روتليدج، 1997)، 72.

.92 هيو شونفيلد، الأوديسة الأسينية (كتب العناصر، 1998)، الفصل 1.

.93 جوزيفوس، الحروب اليهودية.

.94 شونفيلد، مؤامرة الفصح (كتب العناصر، 1996)، 30.

.95 نيل آشر سيلبرمان، المخطوطات المخفية (لندن: الماندرين، 1995)، 26.

.96 انظر الكتابة الغامضة في فاليس (لندن: نشر مجموعة أوريون، 1981)، البند 6. إن التشابه كما أذكره هنا ليس تماماً كما فهمه ديك، ولكنه قريب بما فيه الكفاية. يطور على نطاق واسع الأسطورة الغنوصية للإلهة الساقطة في ثلاثية: فالس، الغزو الإلهي، وهجرة تيموثي آرتشر. تدور أحداث أجزاء من الكتاب الثالث في قمران حيث تم العثور على مخطوطات البحر الميت.

.97 دي إتش لورانس، نهاية العالم، 31.

.98 إريك فروم، عقيدة المسيح (غرينتش، كونيتيكت: منشورات فاوست، 1973)، 49.

.99 كولينز ، الرؤيا في مخطوطات البحر الميت، 56.

.100 نفس المصدر 5.

.101 فيرنر كيلر، الكتاب المقدس كتاريخ (نيويورك: ويليام مورو وشركاه، 1981)، 274

الفصل السادس: التحول

.102 بايجنت ولي، خداع مخطوطات البحر الميت (لندن: كتب كورجي، 1991)، 44.

.103 حول الصلب، انظر فيليب ر. ديفيز، وجورج ج. بروك، وفيليب ر. كالاواي، الدليل الكامل لمخطوطات البحر الميت (لندن: تامس و هادسن، 2002)، 96 وما يليها.

.104 شيبارد، الطبيعة والجنون، 58.

.105 لورانس، نهاية العالم، 31.

.106 شونفيلد، مؤامرة الفصح، 224.

.107 للحصول على ملخص مفيد لعمل أيزنمان، انظر مايكل بايجنت وريتشارد لي، خداع مخطوطات البحر الميت (نيويورك: سايمون وشوستر، 1991)، الفصول 12–16.

108. المرجع نفسه، 21.

109. المرجع نفسه، 239 وما يليها. عمل شونفيلد على بولس وخلية دمشق جيد بشكل استثنائي.

110. روبرت أيزنمان ، جيمس، أخ يسوع (لندن: كتب البطريق، 1997)، 67.

111. ثيودور هـ. جاستر، كتب طائفة البحر الميت (لندن: سيكر واربورغ، 1957)، 22.

112. إيان ويلسون، يسوع: الأدلة (لندن وسيدني: بان بوكس، 1985)، 39.

113. هيرشيل شانكس، سر ومعنى مخطوطات البحر الميت (نيويورك: كتب عتيقة، 1998)، السابع عشر، 64.

114. حبقوق بيشر. Pesher (جمع *peshera*) هو تعليق علمي على نص مقدس. تم اختطاف أيديولوجية بولس للخلاص بالنعمة من الصادقين. إنه ليس اقتراحًا دينيًا أصليًا، بل هو صيغة عبادة.

الجزء الثاني: قصة لإرشاد النوع

الفصل السابع: الكنز المصري

115. جان دوريس، الكتب السرية للغنوصيين المصريين (روتشستر، في تي: التقاليد الداخلية الدولية، 1986)، 116–17.

116. كارل فولفغانغ تروغر، "موقف الدين الغنوصي تجاه اليهودية كما يُنظر إليه في مجموعة متنوعة من وجهات النظر" الندوة الدولية حول نصوص نجع حمادي، أكتوبر 1978، كيبيك. (لوفن: طبعات بيترز، 1981، 86–120.) 117. دليل الباحث (نيويورك: كراون/راندوم هاوس، 1991)، 134.

118. روجر س. غوتليب وبارنيل، ديفيد لانديس، محرران، الإيكولوجيا العميقة وأديان العالم (ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة ولاية نيويورك، 2001)، 17.

119. المرجع نفسه، 154.

120. روزماري رادفورد روثر ، غايا والله (نيويورك: هاربر كولينز، 1994)، 206.

الفصل الثامن: داخل الأسرار

121. ميد، شظايا، 46.

122. ميد، الأناجيل، 210.

123. ميرشيا إلياده، الشامانية: تقنيات النشوة القديمة (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1974)، 10، 77 وما يليها.

124. مخطوطات نجع حمادي 28–20 .II, 23. حول أوجه التشابه بين التعاليم الغنوصية والتقاليد الشامانية الجديدة لكارلوس كاستانيدا، انظر http://www.metahistory.org/CCGnosis.php.

125. مقدمة، مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، 1990)، 6.

126. أريستيدس، مقتبس في أنجوس، الأديان الغامضة، 135.

127. والتر بوركيرت، طوائف الغموض القديمة (كامبريدج، ماساتشوستس، ولندن: مطبعة جامعة هارفارد، 1987)، 11.

128. لوثر هـ. مارتن، الأديان الهلنستية: مقدمة (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1987)، 12.

129. الحمار الذهبي، ترجمه روبرت جريفز (نيويورك: فارار، شتراوس وجيرو، 1983)، 264.

130. قد يكون كتاب "أصل الوعي في انهيار العقل ثنائي الحجرتين" مفيدًا في فهم السياق النفسي للأسرار، لكن جاينز يعزو هذه التأثيرات "الهلوسية" إلى حالات دماغية، وينكر أن التعاطف الأرضي القديم كان من الممكن أن يمكّن من الاتصال الحقيقي بقوى حقيقية، حية، ذكية، تشبه الآلهة في المحيط الحيوي.

131. هاينريش زيمر، "الأم الهندية للعالم"، في الرؤية الصوفية، أوراق من دفاتر إرانوس، تحرير. جوزيف كامبل، سلسلة بولينجن XXX (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1982)، 79.

132. غلين هـ. مولين، بوذا الإناث (سانتا فيه، نيو مكسيكو: دار نشر الضوء الواضح، 2003)، 101.

133. جوان هاليفاكس، شامان: المعالج الجريح (لندن: ثامس و هادسن، 1994)، 21.

134. تدريس زن لهوانغ بو، ترجمه جون بلوفيلد (نيويورك: مطبعة جروف، 1959)، 93.

135. تم الاستشهاد به على نطاق واسع. انظر أنجوس، الأديان الغامضة، 96، وبوركيرت، طوائف الغموض القديمة، 162. يبدو أن المصدر الفعلي لهذه الجملة هو الجزء رقم 168 من كتابات بلوتارخ.

136. للحصول على سرد ممتاز للإضاءة في باردوس ما بعدالموت، انظر فرانشيسكا فريمانتل، الفراغ المضيء (بوسطن ولندن: شامبالا، 2001).

137. أنجوس، الأديان الغامضة، 136 ومايليها. كلمة "مبهرة" غير مناسبة. النور العضوي لا يبهر.

138. نايس ، نقلاً عن واورويك فوكس ، نحو علم البيئة العابر للشخصية (توتنيس، ديفون: دار نشر ريسرجنس بوكس ، 1995)، 230.

139. المرجع نفسه، 98.

140. في الحكمة الشامانية في نصوص الهرم، (روتشستر، VT: التقاليد الداخلية، 2005)، يقدم جيريمي نايدلر حجة للطبيعة الشامانية لممارسات التأهيل المصرية. وبذلك، فإنه يدعم حجتي بأن الطقوس الغنوصية وممارسات الأسرار القديمة كانت أشكالًا متطورة من الشامانية. لقد طال انتظار هذا التقارب. ومع ذلك، يبالغ نايدلر في تقدير طبيعة "الخروج من الجسد" لمثل هذه الممارسات. على غرار تيموثي فريك وبيتر غاندي (أسرار يسوع، يسوع والإلهة)، فهو يساوي بين طقوس تمكين الملكية وتقنيات التأسيس الحقيقية. في رأيي، لم يقم تيليستاي الأسرار بتمكين الطغاة والثيوقراطيين. أو أولئك الذين فعلوا ذلك يجب أن يسموا المتنورين، وليس تيليستاي.

141. جون ميردين رينولدز، الرسائل الذهبية (إيثاكا، نيويورك: سنو ليون، 1996)، 144. للاطلاع على مرحلة الكمال في ممارسة دزوغشن، انظر تولكو ثوندوب، ممارسة دزوغشن.

142. المرجع نفسه، 98.

143. ريتشارد ريتزنشتاين، الديانات الغامضة الهلنستية، 136:2–37. (تشديد مضاف)

144. كليمنت الإسكندري، مقتبس في كورت رودولف، الغنوص (نيويورك: هاربر ورو، 1997)، 16.

145. إنجيل توما، مع شرح وتفسير، ستيفان ديفيز (وودستوك، فيرمونت: سكايلايت باثز للنشر، 2002)، xiii–xvii.

146. إلين باجلز، أصول الشيطان (نيويورك: كتب عتيقة، 1996)، 167–98.

147. المرجع نفسه، 67 وما يليها.

148. إتش بي بلافاتسكي ، غيبية العقيدة السرية (دار نشر كيسنجر، بدون تاريخ .)، 46.

149. روبرت توركان، طوائف الإمبراطورية الرومانية (أكسفورد: بلاكويل للنشر، 2000)، 278.

الفصل التاسع: مدارس من أجل التطور المشترك

150. توماس تايلور، أسرار إليوسيس وباكوس (سان دييغو: رف كتب السحرة، 1980)، الحادي عشر. يستشهد تايلور بمصدر قديم، ربما فَرفوريوس.

151. وفي معرض تعليقه على تعاليم شاكتا حول "محيط الرحيق"، يقدم وودروف شهادة مذهلة عن النور العضوي: "هذه هي اللؤلؤة التي يكتشفها أولئك الذين قاموا بتقليب محيط التانترا". تلك اللؤلؤة موجودة في صدفة هندية. يوجد عرق لؤلؤي جميل على الصدفة الداخلية وهو ما يُعرف باسم أم اللؤلؤ. في الخارج، تكون الصدفة خشنة وغريبة بشكل طبيعي، وتحمل تراكمات الأعشاب الضارة والطفيليات وكل الأشياء الموجودة، سواء كانت جيدة أو سيئة كما نسميها، في محيط الوجود (سامسارا). يحث الكتاب المقدس الإنسان على إزالة هذه التراكمات... وأخيراً، يدفع ذلك الإنسان إلى السعي لرؤية عرق اللؤلؤ، وأخيراً اللؤلؤة نفسها التي، وهي محصورة بداخله، تتألق بضوء ساطع ولكنه ناعم، وهو ضوء القمر (تشيكاندرا) نفسه. (شاكتي وشاكتا، 215. التشديد مضاف. 152. انظر معابد ومقدسات اليونان القديمة، محرر. إيفي ميلاس (لندن: تامس و هادسن، 1973) للعديد من الأمثلة على الخطط الأرضية لمثل هذه الجامعات، على سبيل المثال، المعابد في أولمبيا (111)، إليوسيس (85)، و دلفي (69).

153. انظر مايكل ألين ويليامز، إعادة النظر في ″الغنوصية″ (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون،1996)، الجدول 1، ص. 34.

154. نحو علم البيئة عبر الشخصية بقلم وارويك فوكس (ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك، 1995) مكرس بالكامل تقريبًا لمسألة تحديد التعريف. يغطي علم النفس الإيكولوجي الراديكالي من قبل أندي فيشر (ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك، 2002) أيضًا بعض النقاط المهمة في هذا النقاش.

155. الحمار الذهبي الذي ترجمه روبرت جريفز.

156. روبرت غريفز، الإلهة البيضاء (نيويورك: فارار، شتراوس، وجيرو، 1983) 219. يجادل جريفز بأن طقوس الغموض في إليوسيس وأماكن أخرى كانت مثيرة. في الواقع، كان غريفز هو من لفت انتباه آر. غوردون واسون في البداية إلى طائفة الفطر المكسيكية لماريا سابينا، مما أدى إلى انطلاق النهضة الحالية للمواد المهلوسة. كما يُعثر على رمز "الطفل في الحليب" في المراجع الفلكية القديمة المتعلقة بالشهب التي شوهدت وهي تغوص في مجرة درب التبانة. إن المحرمات اليهودية ضد أكل جدي مسلوق في حليب أمه تعكس المحرمات الأبوية ضد طقوس التأهيل، وكذلك الصلب (العقاب على، ومحاكاة ساخرة، للشامان المعلق على الشجرة)، و"الثمرة المحرمة" في سفر التكوين، والعديد من الزخارف الكتابية الأخرى.

157. السير جون وودروف، طوق الآداب (مادراس: غانيش وشركاه، 1969)، 41.

158. السير جون وودروف ، شاكتي وشاكتا (مادراس: غانيش وشركاه، 1969)، 87.

159. وودروف، طوق الآداب، 111.

160. المرجع نفسه، 191. وبعد: "هذه القوة البدائية"، 192 ؛ "سمة قديمة"، 88 ؛ "الطبيعي"، 88. التشديد مضاف.

161. وودروف ، شاكتي وشاكتا، 180.

162. أما بالنسبة لروايات الغرس (إعادة البرمجة النفسية) في العصور القديمة، فإن المصادر الرئيسية هي علماء الباطنية الذين

يطلقون على أنفسهم اسم مدارس الروزيكروسية والثيوصوفية. يصف كل من مانلي بالمر هول ورودولف شتاينر، على سبيل المثال، "نوم في المعبد لمدة ثلاثة أيام" حيث يخضع المتأهل لحالة تشبه الغيبوبة من تعليق الوعي من أجل إعادة برمجته.

163. ماري سيتغاست، أفلاطون ما قبل التاريخ (كامبريدج ماساتشوستس: مطبعة روتنبرغ، 1987)، 211.

164. المرجع نفسه، 215.

165. مورتون سميث، "تاريخ مصطلح الغنوصتيكوس"، في دراسات في طائفة يهوه، محرر. جي دي كوهين (ليدن: إي جي بريل، 1996)، 2:34.

الفصل العاشر: الإلهة الساقطة

166. برنال، أثينا السوداء1:69وما يليها.

167. إليس، الكلت،55 وما يليها.

168. روبرت غريفز، الإلهة البيضاء (نيويورك: مطبعة نونداي، 1969)، 227 وما يليها.

169. عن تسعة سيدهي من التانترا الهندوسية و الشيفية ، انظر آلان دانييلو، بينما تلعب الآلهة، مترجم. باربرا بيلي، مايكل بيكر، وديبورا لولور (روتشستر، VT: التقاليد الداخلية، 1987)، 94 وما يليها.

170. ميرشيا إلياده، باتانجالي واليوغا (نيويورك: كتب شوكن، 1979)، 100.

171. استشهد تايلور، أسرار إليوسيس وباكوس، 3.

172. هاينريش زيمر، "الأم الهندية للعالم"، في الرؤية الصوفية، أوراق من دفاتر إرانوس، محرر. جوزيف كامبل، سلسلة بولينجن XXX -6، (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1982)، 70–102.

173. غريفز، الإلهة البيضاء، 388.

174. في تيرماس، انظر تولكو ثوندوب، تعاليم التبت الخفية (لندن: منشورات الحكمة، 1986)، 60 وما يليها.

175. المرجع نفسه، 69.

176. ديتليف إنغو لاوف، المذاهب السرية لكتب الموتى التبتية (بولدر ولندن: شامبالا، 1977)، 41. يستخدم هذا المؤلف "الغنوص" لوصف جوهر الممارسة البوذية، ويشير إلى أهمية الغائية في العمليات الواعية والنفسية (52).

177. للاطلاع على معلومات حول الجبل الأبيض لسعير وأبناء شيث، انظر جان دوريس، الكتب السرية للغنوصيين المصريين، الفصل السادس، "السيثيون وفقًا لكتاباتهم". انظر أيضًا مقالتي بعنوان "الـ تنظيم ماغيان،" على موقع Metahistory.org.

178. لاكاريير، الغنوصيين، 33.

179. دان راسل، الشامانية، البطريركية وحرب المخدرات (كامدن، نيويورك: Kalyx.com، 1998)، 296.

180. بياتريس كاساو، "المناظر الطبيعية المقدسة"، في العصور القديمة المتأخرة، 21–59.

181. المرجع نفسه، ص 33.

الفصل الحادي عشر: فيزياء زمن الأحلام

182. دانييلو، بينما تلعب الآلهة، 80.

183. لا تزال نظرية الظهور حديثة العهد، لكن صيغها الحالية تتذكر بقوة براتيتا ساموتبادا في علم النفس البوذي. يُترجم هذا المصطلح بشكل مختلف إلى "النشأة المترابطة" و"التكوين المشروط" و"النشوء المتبادل". انظر لاما أناغاريكا جوفيندا، أسس التصوف التبتي (نيوبورت، ماساتشوستس، وسان فرانسيسكو: كتب وايزر، 1969)، الجزء الخامس، الفصل السادس، للحصول على ملخص. تمت مناقشة مفهوم النشوء المتبادل في العديد من الكتابات البوذية. أتوجه بالشكر إلى محرر النسخ الخاص بي، كانون لابري، لتنبيهه إلى هذا التشابه المهم.

184. لاكاربير، المرجع نفسه، 18

185. في كتاب "الأرض المقدسة، الجنس المقدس، اختطاف الأعماق" (دورانجو، كولورادو: مطبعة كيفاكي، 1988)، تؤكد دولوريس لاشابيل، وهي من أبرز دعاة علم البيئة العميقة، على ضرورة التفكير في الطبيعة من حيث العمليات، وليس الكيانات.

186. يستشهد لاشابيل بنيتشه (شفق الأصنام) حول شروط تجربة الشدة: "الاختطاف كحالة من الوجود يفجر ذاتية الموضوع" (المستقبل البدائي، 331). إن مثل هذا النشوة وحدها هي التي تُنتج الشدة التي يتم من خلالها التواصل مع الأيونات. لا يوجد دليل أفضل لتجاوز مجرد تحديد التعريف من هذا السطر الواحد من نيتشه.

187. دانييلو، المرجع نفسه، 12.

188. حول علم الكونيات البلازمي ذي الحالة المستقرة، انظر ثيودور روزاك، "الطبيعة وإله الطبيعة: علم الكونيات الحديث وانبعاث علم الكونيات الطبيعي"، في الإسكندرية 5، محرر. ديفيد فيديلر (جراند رابيدز، ميشيغان: فانيس برس، 2000)، 103-138، حيث يستشهد روزاك بعمل أنتوني إل. بيرات، وبول مارميت، وإريك جيه. ليرنر.

189. يبدو أن مصطلح التبذر الشامل قد تم تقديمه من قبل آبي لازارو سبالانزاني (1729-1799)، الذي كتب عن الجراثيم الموزعة في الغلاف الجوي. "في الوقت الحاضر، يُفهم مصطلح "التبذر الشامل" على أنه يعني التوزيع الكوني للكائنات الدقيقة، بينما كان في البداية يعني الجراثيم المنتشرة في كل مكان على الأرض." فريد هويل وشاندرا ويكراماسينغ، مكاننا في الكون (لندن: فينيكس، 1993)، 64.

190. يبدو زرع الأنثروبوس: "الإنسان الكوني" بواسطة الأيونات وكأنه أمر بعيد وغريب حتى تتم مقارنته بسيناريوهات أخرى. يمتنع علماء الغنوصية عن عقد مثل هذه المقارنات. في دراسة مقارنة لأساطير الخلق، تشير عالمة النفس اليونغية ماري لويز فون فرانز إلى أن "الحضارات البدائية وشبه البدائية" تميل إلى امتلاك أساطير كونية ذات العديد من الأقانيم، "قوائم لا حصر لها من الكائنات الإلهية وشبه الإلهية" مثل الأيونات البليرومية. تروي الأسطورة اليابانية التي يترأس فيها "كامي السماء" (المماثل للمنشئ) مجموعة كبيرة من الآلهة. دعا كامي السماء اثنين من الكامي الأدنى (الأيونات) "الصنع وتثبيت الأرض العائمة". أما الكاميان الأصغر، هو الذي يدعو وهي التي تدعو، فيتخذان موقفاً "في وسط ضباب السماء" وينزلان إلى العالم أسفل "رمح جوهرة السماء الذي كان عصاه من المرجان". يلاحظ فون فرانز أن المادة الغنوصية قريبة من الأساطير البدائية بشكل عام، ومن هذه الأسطورة اليابانية بشكل خاص. إن "الرمح السماوي الجوهري" ذو الطبيعة المرجانية يشبه الساق الهائلة التي انبثقت من النواة البليرومية بواسطة الأيونات. يستشهد فون فرانز بالنسخة الفالنتينية من أسطورة صوفيا، ويتعامل معها على أنها توازي واضح مع التراث الياباني. انظر ماري لويز فون فرانز، أساطير الخلق (زيورخ: منشورات الربيع، 1978)، 195 وما يليها.

191. تظهر هذه الصورة في نقش بارز في معبد دندرة البطلمي، على الضفة المقابلة للنهر من المكان الذي تم فيه اكتشاف مخطوطات نجع حمادي. ويبدو أن دندرة كانت واحدة من آخر ملاذات الغنوصيين وطلاب المدارس السرية الذين فروا من اضطهاد المسيحيين.

الفصل الثاني عشر: الإله المجنون

192. تشارلز إتش لونغ، ألفا: أساطير الخلق، 36–37.

193. ريتشارد سميث، خاتمة لـ NHLE، 1990.

194. جيم يورك، كما ورد في جون بريجز، كسريات: أنماط الفوضى (نيويورك: سيمون وشوستر، 1992)، 12.

195. الكون ثلاثي الأجسام: من المؤكد أن علماء الدين والعلماء على حد سواء سيرفضون تقديماتي الكونية للبروتينويا ثلاثية الأشكال كإسراف شخصي. لكن لا يمكن تجاهل أسطورة حلم صوفيا الأصلي عن نظام ثلاثي الأجسام بهذه السهولة. قد يجد بعض القراء أنه من المثير للاهتمام أن نظرية الفوضى (التي تسمى الآن نظرية التعقيد أو نظرية الظهور) قد تطورت من المحاولة الفاشلة للعالم هنري بوانكاريه في القرن التاسع عشر لحل "مشكلة الأجسام الثلاثة". قبل سنوات، حالفني الحظ بالتشاور مع الدكتور مايلز ستانديش من مختبر الدفع النفاث في باسادينا، والذي لفت انتباهي إلى هذه المسألة. الفوضى، والكسور، والتعقيد، والظهور - جميع المفاهيم الرائدة في علم الكونيات الحديث مستمدة من التحقيقات المستوحاة من مشكلة الأجسام الثلاثة لبوانكاريه. في علم الكونيات الصوفيانية، فإن الكون المكون من ثلاثة أجسام، وليس الأرض وحدها، هو مصفوفة الحياة العضوية والوعي. تستمر نظرية غايا في التطور. وبما أنه يفعل ذلك، فأظن أنه سيدمج عاجلاً أم آجلاً المكونات الشمسية والقمرية.

الفصل الثالث عشر: شغف صوفيا

196. ملاحظة: لتجنب انقسام الروح/المادة، أنا لا أدعو صوفيا "روح نقية" والفوضى "مادة نقية". في نظرية الانبثاق الآسيوية، فإن الوعي، أو الروح إن شئت، والمادة متلازمان وأزليان في الكون. إن الوعي لا يخلق المادة ولكنه يشكلها ويصقلها ويذيبها، بينما تعكس المادة أو تظهر ما يفعله الوعي. تعمل الروح والمادة من خلال بعضهما البعض، وتبقى متميزة في بعض النواحي، ولكنها تتحول أيضاً إلى بعضها البعض في نواحٍ أخرى. إن معرفة كيف تبقى هذه العناصر متميزة وكيف تتحول فيما بينها هو إتقان الفيزياء المطلقة. كان هذا هو هدف بعض التقاليد اليوغية القديمة و"السيمياء"، أي "العمل مع الإله"، في الأسرار.

197. الاستعارة ليست دقيقة. ينمو الفرع فعلياً من النقطة العقدية التي ينتهي عندها. شكرًا لجيري زيتلين من OpenSeti.org لإشارته إلى هذا الأمر.

الفصل الخامس عشر: طريق الكاشفين

198. السير جون وودروف، مقدمة إلى تانترا شاسترا (مادراس: غانيش وشركاه، 1997)، 59 وما يليها.

199. فروم، تشريح التدمير البشري، 143–44.

200. مقتبس في وودروف ، شاكتي وشاكتا، 55.

201. تستحضر صوفيا الأنثروبوس: لا تحتوي الكتابات الغنوصية الباقية على وصف تصويري كامل للحلقات 7 و 8 من القصة المقدسة، على الرغم من أنها تحتوي على إشارات متفرقة. من خلال العمل انطلاقاً من إيرينيئوس، من الممكن استعادة وإعادة بناء السيناريو الأسطوري. أنا لا أختلق أي شيء في الأحداث الموصوفة، باستثناء تفصيل واحد: أحدد موقع تعشيش الأنثروبوس، النموذج المضيء للجنس البشري، في سديم أوريون العظيم. ما هي أسباب هذه الإضافة إلى القصة؟ عمرٌ من مراقبة السماء مُكمَّل بدراسات في علم الفلك القديم والأساطير الفلكية.

202. للاطلاع على موضوع عاهرة الحكمة، انظر "Prouneikos – تعبير ملون للدلالة على الحكمة في النصوص الغنوصية" بقلم آن باسكييه، في كتاب صور الأنوثة في الغنوصية، محرر. كارين كينغ (هاريسبرغ، بنسلفانيا: مطبعة ترينيتي الدولية، 1998)، 47–66.

203. وودروف ، شاكتي وشاكتا، 51.

204. إدوارد كونز، "البوذية والغنوص"، في جاذبية الغنوصية، محرر. روبرت أ. سيغال (شيكاغو ولا سال: المحكمة المفتوحة، 1997)، 172–89. اقتباس توتشي من هذا المقال. يصف الباحث البوذي جون ميردين رينولدز، الذي استكشف على نطاق

واسع أوجه التشابه بين البوذية والغنوصية، أسطورة الخلق البوذية غير المعروفة والتي تبدو وكأنها إعادة صياغة لغطرسة الديميورج. انظر التحرر الذاتي من خلال الرؤية بالوعي العاري (إيثاكا، نيويورك: سنو ليون، 2000)، 96 وما يليها.

205. أبراهام ماسلو، نحو علم نفس الكينونة (نيويورك: شركة فان نوستراند رينولد، 1968)، من الثالث إلى الرابع.

الفصل السادس عشر: حزمة من القمح المقطوف

206. هوميروس "ترنيمة لديميتر"، مترجم. تشارلز بوير (دالاس، تكساس: منشورات الربيع، 1970)، 130 وما يليها.

207. قاعدة إليوسيس: اللوحة 57، جورج إي ميلوناس ، إليوسيس وألغاز إليوسيس (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1969).

208. وعاء أورفيك ووعاء بيتروسا. انظر الأسرار، 245 وما يليها.

209. "وحي دندرة: لحظتنا الفريدة في نمط العصور"، مخطوطة غير منشورة لجون لاش. للحصول على ملخص لعملي حول دائرة الأبراج في دندرة، بما في ذلك اكتشافي لمحور خامس لم يتم اكتشافه حتى الآن، انظر كولين ويلسون، مخطط أطلانطس (نيويورك: دلتا، 2002).

210. مولين، بوذا الإناث، 101.

211. إن التأثيرات الصوتية والبصرية التي أعزوها إلى الإدراك النشواني في الأسرار تذكرنا بتقارير عن تجارب خارقة للطبيعة بسبب تناول الأياهواسكا. في هذه الجلسات، غالباً ما يسمع المشاركون أصواتاً عالية النبرة، لكن الضوء المرئي عادة ما يكون أرجوانياً أو أزرق متقزح اللون، وليس أبيض. ومع ذلك، فإن مجموعة شهادات رالف ميتزنر، بعنوان "الكرمة المقدسة للأرواح: آياهواسكا" (روتشستر، فيرمونت: بارك ستريت برس، 2005)، تحتوي على رواية واحدة على الأقل عن رؤية شيء يشبه إشراق النور العضوي. يشهد أحد القراء الأوائل لهذا الكتاب أيضاً على أنه رأى ما قد يكون النور العضوي في جلسة آياهواسكا. بما أنني لم أتناول الأياهواسكا، فلا يمكنني التعليق من واقع تجربة شخصية.

212. فيشر، علم النفس الإيكولوجي الراديكالي، 111. نقلاً عن كالفين مارتن، في الروح.

213. أطروحة واسون: أعاد ر. جوردون واسون اكتشاف طريقة التأهيل الروحي في الخمسينيات من القرن الماضي عندما ذهب إلى هواوتلا دي خيمينيز في وسط المكسيك للمشاركة في *veleda* (سهر ليلي) مع المعالجة الروحية مازاتيك ماريا سابينا. كان واسون (1898-1986)، وهو مستشار مالي لدى جي بي مورغان، قد اهتم في الأصل بالفطر من خلال زوجته الروسية، فالنتينا. في عام 1952، لفت الشاعر والمتصوف البريطاني روبرت جريفز انتباهه إلى مقال كتبه عالم النباتات العرقية بجامعة هارفارد ريتشارد إيفانز شولتس حول بقاء طوائف الفطر القديمة في المكسيك، مما أدى إلى صداقة وتعاون دام مدى الحياة بين واسون وشخص آخر. في عام 1968، نشر واسون بشكل خاص *SOMA*: الفطر الإلهي للخلود. كان للكتاب هدفان: أولاً، إثبات أن سوما الفيدا الهندية كانت فطر أمانيتا موسكاريا (الذباب الغاري) المعروف باستخدامه في الممارسات الشامانية في سيبيريا وأماكن أخرى، وثانياً، تعزيز النظرية العامة القائلة بأن التجربة الدينية للبشرية نشأت من تناول طقوس النباتات المقدسة- أطروحة واسون. لفهم الفكرة الرئيسية التي طرحها واسون، من الضروري التمييز بين التجربة الدينية والدين. أما الأخير فهو من صنع البشر ثقافياً، لكن الأول هو ما يجعلنا بشراً في المقام الأول. كانت التجربة الدينية الأصلية شامانية، لكن الدين، باعتباره مؤسسة ومجموعة من القواعد العقائدية والأخلاقية، كان بناءً لاحقاً انحرف عن التجربة الأولية.

من خلال العمل عن كثب مع واسون، تمكن ر. إ. شولتس وغيره من علماء النباتات العرقية من تحديد حوالي 200 نبات تعمل على تعزيز العمليات الكيميائية العصبية في الدماغ - وبالتالي فهي محاكاة نفسية، "تحاكي العقل". خلال الستينيات، تم تطبيق كلمة "مخدر" (أي "مُظهر للعقل") على عقار LSD ومواد أخرى مصنعة في المختبر لها نفس خصائص النباتات المقلدة للعقل. رداً على الصورة الاجتماعية السلبية التي اكتسبها الجيل الذي استخدم المواد المخدرة، ابتكر واسون وزملاؤه كلمة *entheogen* ("الله المتولد في الداخل") كبديل. تُعرف أطروحة واسون أيضاً بنظرية الدين المتعلقة بالتأثيرات الروحية.

استند آر. جوردون واسون إلى بحث ماريا جيمبوتاس، عالمة الآثار الليتوانية التي استعادت، بمفردها تقريبًا، المجتمعات المفقودة التي كانت تركز على الإلهة في فترة ما قبل الحضارة، وإلى تأملات ألدوس هكسلي الذي مهد كتابه "أبواب الإدراك"

(1958) لأطروحة واسون. حذر هكسلي من أن أفلاطون قد قاد التقاليد الفكرية الغربية بأكملها إلى الطريق الخطأ من خلال التركيز على الوجود غير المادي وغير الكوكبي بدلاً من المعجزة الحسية للصيرورة. انطلاقاً من تجربته الخاصة مع مادة الميسكالين، أكد هكسلي أن المواد الكيميائية التي تغير العقل "تحفز لدى مستخدميها شعوراً بالانتماء إلى وعي كوني، أو "العقل العام"،" لكنه فعل ذلك دون الإشارة بشكل محدد إلى الذكاء الكوكبي. قاد الجيل الذي تلا واسون وهكسلي تيرينس ماكينا الذي دمج ببراعة نظرية المؤثرات العقلية مع فلسفة العملية لألفريد نورث وايتهيد وفرضية غايا. اقترح ماكينا، المعروف باسم رائد الفضاء الغنوصي، أن أنواع الفطر مثل ستروفاريا كوبنسيس تنتشر عبر الفضاء عن طريق الانتشار الشامل للأبواغ. إن فكرته القائلة بأن النباتات المقدسة ذات التأثيرات الروحية قد منحتنا دفعة نفسية دماغية وأنتجت قدرات لغوية متقدمة لدى الجنس البشري هي امتداد جديد لأطروحة واسون. للحصول على نظرة عامة شاملة عن إحياء المواد المهلوسة، انظر مقدمة كتاب رالف ميتزنر *"الفطر المقدس للرؤى: تيوناناكاتل"* (روتشستر، فيرمونت: مطبعة بارك ستريت، 2005).

.214 تصف ترنيمة هوميروس الموجهة إلى ديميتر كيف أخبرت إلهة الحبوب الملكة ميتانيرا أن تصنع مشروبًا "من الماء مع الشعير والنعناع البري الطري". أظهر الكيميائي السويسري ألبرت هوفمان، الذي اكتشف مادة LSD، أن مادة *kykeon* للإليوسيس كانت جرعة مخدرة تستمد خصائصها النشطة من مادة فطرية مسببة للذهان، وهي الإرغوت. انظر ألبرت هوفمان، مع آر. جوردون واسون وكارل روك، الطريق إلى إليوسيس: كشف سر الأسرار، نُشر عام 1978.

.215 ديفيد أبرام، "الآثار الإدراكية لـ غايا"، في دارما غايا، 75–92.

.216 محاصيل الزبرجد بحزمة القمح المقطوف. انظر جين ألين هاريسون ، تيميس (غلوستر، ماساتشوستس: بيتر سميث، 1974)، 263، الشكل 63.

الجزء الثالث: أصعب درس في التاريخ

الفصل السابع عشر: نهاية النظام الأبوي

.217 ويليامز، إعادة النظر في *"الغنوصية"*، 11. إن عالم الأركونيين يذكرنا بشدة بالنظام النازي، وجماعة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة. يستلهم السياسيون اليمينيون الأمريكيون بشدة من المثالية المسيحية، كما كان النازيون، على الرغم من أن طبيعة وعمق انخراطهم في المسيحية لم يتم فهمهما بعد، أو حتى الاعتراف بهما. يقدم كتاب *"الرايخ المقدس"* لريتشارد ستيجمان-غال (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2003) وثائق مفصلة، بما في ذلك روايات مباشرة ورسائل ومحاضرات ومقالات ومحادثات، تُظهر أن هتلر وغيره من القادة النازيين كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين صادقين، وأنهم تمسكوا بقناعاتهم بطريقة لا تتعارض بأي شكل من الأشكال مع المعنى المقبول للمصطلح.

.218 إتش. بول سانتمير , معاناة الطبيعة: الوعد البيئي الغامض للاهوت المسيحي (مينيابوليس : دار نشر فورتريس , 1985), 22.

.219 شيبارد، الطبيعة والجنون، 54–55.

.220 لورانس، نهاية العالم، 42.

.221 يستخدم جيمس دي ميو اسم الصحراء الكبرى للإشارة إلى الحزام الأرضي الشاسع الممتد من الجزائر عبر شمال إفريقيا وإلى الشرق الأوسط، بما في ذلك المملكة العربية السعودية، ويمتد شمالاً إلى بحر قزوين. انظر ساهاراسيا (غرينسبرينغز، أو: مختبر أورغون للبحوث الفيزيائية الحيوية، 1998).

.222 ويليام جي ديفير، هل كان لله زوجة؟ (كامبريدج، المملكة المتحدة: دار نشر ويليام ب. إيردمانز، 2005)، 201، 211.

223. تتكرر تمثيلات الملكة مايا كإلهة شجرة في الأيقونات البوذية. انظر جوزيف كامبل، الصورة الأسطورية (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1981).

224. جيفري بيرتون راسل، أمير الظلام (إيثاكا، نيويورك، ولندن: مطبعة جامعة كورنيل، 1988)، 22.

225. رسائل القديس أوغسطين، رقم 47، التي استشهد بها بيجنت ولينكولن في الإكسير والحجر، 51.

226. باربرا ووكر، موسوعة المرأة للأساطير والأسرار (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، 1983)، 634.

227. أتابع هنا المدافعة الرائدة عن الأطفال في العالم أليس ميلر، مؤلفة دراما الطفل الموهوب، من أجل مصلحتك الخاصة، وكتب أخرى. إن عملها حول الحرمان النرجسي والأضرار النفسية طويلة الأمد الناتجة عن التربية السلطوية له صلة وثيقة بكل من الأصول التاريخية والملاحظة الحالية للأديان الإبراهيمية. للحصول على دراسة قيّمة حول الإساءة الدينية التي يتم تقليدها من قبل الوالدين، انظر *A Violent God-Image*، وهو مقدمة لأعمال يوجين دريورمان بقلم ماتياس باير (نيويورك ولندن: كونتينوم، 2004).

228. ويليام إروين طومسون، تحويل التاريخ (غريت بارينغتون، ماساتشوستس: ليندسفارن بوكس، 2001)، 44.

229. ورد ذكره في كتاب فوكس "نحو علم البيئة العابر للشخصية"، صفحة 216.

230. المرجع نفسه، 144، الحاشية 9.

231. جون د. تيرنر، "رد على" صوفيا والمسيح "في كتاب صور الأنوثة في الغنوصية، محرر. كارين كينغ (هاريسبرغ، بنسلفانيا: مطبعة ترينيتي الدولية، 2000)، 186.

232. رينيه جيرارد، العنف والمقدس (بالتيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1981)، 44.

الفصل الثامن عشر: كبش الفداء الإلهي

233. لاس كاساس مقتبس في جيمس دي ميو ، ساهاراسيا (غرينسبرينغز، أو: مختبر أورغون للبحوث الفيزيائية الحيوية، 1998)، 383.

234. آلان واتس، ما وراء اللاهوت (نيويورك: كتب عتيقة، 1964)، 127–28.

235. رينيه جيرارد، الأشياء المخفية عن مؤسسة العالم (ستانفورد، كاليفورنيا: مطبعة جامعة ستانفورد، 1987)، 104.

236. جيرارد، العنف والمقدس، 95.

237. المرجع نفسه، 82، 135. كانت طقوس كبش الفداء البدائية هي الموضوع الرئيسي لتحفة السير جيمس فريزر الأنثروبولوجية، "الغصن الذهبي"، التي نُشرت في فجر القرن العشرين. إن تحليل جيرارد لمرض كبش الفداء يتجاوز تحليل فريزر بسنوات ضوئية. يمكن استخلاص الكثير من الدروس المفيدة من هذا الموضوع لإعادة صياغة النقد الغنوصي لنظرية الخلاص.

238. جيرارد، الأشياء المخفية عن مؤسسة العالم، 162. ملاحظة: أعتقد أن جيرارد هو الوحيد الذي صاغ هذا التشخيص المحطم وطوره بشكل منهجي. إن استخلاصها من عمله يستحق الجهد الهائل الذي يتطلبه. ومع ذلك، أنصح القارئ بأن يلاحظ أنه في نهاية كشفه الرائع، يعود جيرارد إلى الإيمان الكاثوليكي. ويستشهد بمثال يسوع المسيح، الذي لم يقاوم الشر، باعتباره أفضل طريقة لإنهاء العنف الانتقامي الذي يبتلي المجتمع البشري. قال جيرارد: "العنف هو قلب وروح المقدس"، من بين العديد من الأشياء الرائعة والملفتة التي قالها. لسوء الحظ، يعاني جيرارد من عقدة الفتى الشرير التي تتسم بها فئة المثقفين الفرنسيين. في سعيه لصدم الطبقة البرجوازية، غالباً ما يسيء التعبير عن النقاط الحاسمة في تحليله الدقيق والمعقد للعنف الديني. إنّ لعبة "الضحية" هي اللعبة الإرهابية التي تُحرّك الدين الأبوي، لكنها لا تُحرّك التجربة الدينية الحقيقية - وهذا تمييزي أنا، وليس تمييز جيرارد. فالعنف هو "القلب والروح الخفية" للسيطرة الدينية، وليس جوهر المقدس. الدين ليس إلا بناءً اجتماعياً بشرياً.

الفصل التاسع عشر: رسالة حب فريدة

239. واتس، ما وراء اللاهوت، 108.

240. بيل ماكيبن، في هاربرز (أغسطس 2005): 31–37.

241. والتر كوفمان، إيمان مهرطق (نيويورك: المكتبة الأمريكية الجديدة، 1978)، 154.

242. ثيودور روسزاك، حيث تنتهي أرض الخراب (بيركلي، كاليفورنيا: الفنون السماوية، 1989)، 241.

243. إندرا دوج غورونغ، شامان بوتاني، مقتبس في كلوديا مولر إيبلينغ، كريستيان راوخ، وسوريندرا بهادور شاهي، الشامانية والتانترا في جبال الهيمالايا (روتشستر، في تي: التقاليد الداخلية الدولية، 2002)، 206.

الفصل العشرون: ما بعد الدين

244. التأملات، الكتاب 9.

245. غاري سنايدر، ممارسة البرية (واشنطن العاصمة: شومايكر وهورد، 1990)، 19.

246. ديفيد أبرام، تعويذة الحسي (نيويورك: كتب عتيقة، 1997)، التاسع.

247. نايس، نقلاً عن فوكس، نحو علم البيئةالعابر للشخصية، 217. ألقيت في الأصل كمحاضرة في جامعة مردوخ، غرب أستراليا، 12 مارس 1986.

248. فابريس ميدال، تشوجيام ترونباغا، حياته ورؤيته (بوسطن: منشورات شامبالا، 2004)، 210 وما يليها.

249. 1Qm, Col. 14، في وايز وآخرون، مخطوطات البحر الميت: ترجمة جديدة (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، 1999)، 163.

250. المرجع نفسه، 160.

251. محادثة خاصة مع فلورنتينو غارسيا مارتينيز في الجامعة الكاثوليكية في لوفين، بلجيكا، أغسطس 2001. تختلف ترجمات هذا المقطع اختلافاً كبيراً، حيث قام بعض العلماء بترجمة "أبناء الكبرياء" بدلاً من "أبناء شيث"، مما أدى إلى استبعاد نقطتين من أصل ثلاث نقاط للتحديد. انظر ثيودور هـ. جاستر، كتب طائفة البحر الميت (لندن: سيكر واربورغ، 1957)، 274. أكد لي البروفيسور غارسيا مارتينيز أن ترجمة "سعير" صحيحة، وتتفق مع الكتاب المقدس الماسوري حيث يقول سفر العدد 24 :18 "سعير يكون أيضًا ميراثًا لأعدائه".

252. وايز، أبيج، كوك ترانس.، مخطوطات البحر الميت: ترجمة جديدة، 381.

253. كولينز ، الرؤيا في مخطوطات البحر الميت، 36.

254. بنتلي لايتون، الكتابات الغنوصية (لندن: إس سي إم برس المحدودة، 1987)، 6-7، الخريطة 1.

255. تروغر، "موقف الديانة الغنوصية تجاه اليهودية كما يُنظر إليه من منظورات متنوعة".

256. ميد، شظايا، 159

257. الدالاي لاما في دارما غايا.

.258 فابريس ميدال ، تشوجيام ترونباغا، حياته ورؤيته، 212.

.259 لورانس، نهاية العالم، 19.

.260 عن الغطرسة الغنوصية: إعادة النظر في ″الغنوصية″. كما كتب ويليامز كتابًا، العرق القائم، حيث يعزو التماثيل الكلاسيكية للحضارة الوثنية إلى التأثير الغنوصي.

.261 كانت ضاحية دافني الغنية في أنطاكية واحدة من آخر معاقل الغنوصيين الشاميين، حيث بلغت التوترات بين الوثنيين والمسيحيين مستويات عالية بشكل خاص. انظر "المناظر الطبيعية المقدسة" بقلم بياتريس كاساو، في العصور القديمة المتأخرة، محرر. باورسوك، براون، وجرابر (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة بيلكناب لجامعة هارفارد، 1991)، 21–59.

.262 هرمس كريوفوروس: انظر موسوعة لاروس الجديدة للأساطير (هاملين، 1983)، 88.

.263 في الرؤية الألفية للعرّافين الغامضين، كان من المفترض أن يرتبط العصر الأرياني (1800-120 قبل الميلاد) بنضج دوائر الدماغ البشري (المصورة في رأس وقرون الكائن السماوي)،

وكذلك بالخطر المزدوج الذي تشكله تلك القفزة المعيارية الهائلة في التطور: أي تضخم قدرات النمذجة الدماغية وفرض المعايير السلطوية المنسوبة إلى إله من خارج الكوكب. في مواجهة الظروف الجديدة لعصر الحوت، بما في ذلك صعود النرجسية، كان من المفترض أن يفكروا ملياً في كيفية تحويل أساليب التعليم التقليدية لتلبية احتياجات ذلك الوقت. ربما تخيلوا أن المجتمع في المستقبل يمكن تنظيمه على أسس تعليمية، مع تحديد الأدوار الاجتماعية من خلال كيفية اندماج الناس في "المدارس" (على سبيل المجازفة بتورية برج الحوت). أعتقد بشدة أن التليستاي كانوا سيناقشون كيفية دمج مدارس الأسرار في التيار السائد وإدخال ديناميكية جماعية مواتية للتوجيه الذاتي، في محاولة متعمدة لمواجهة الهواجس الفردية مثل "الخلاص الشخصي". بسبب المقاومة العنيفة من المتحولين إلى المسيحية والسلطات الرومانية المتحالفة معهم، لم تتح الفرصة لحراس الأسرار لتجربة خططهم.

الجزء الرابع: استعادة الرؤية الصوفيانية

الفصل الحادي والعشرون: كشف الشر

264. جون ب. كونجر ، يونغ ورايش (بيركلي، كاليفورنيا: كتب شمال الأطلسي، 1988)، 3.

265. فلورنتينو غارسيا مارتينيز وإيبرت جيه سي تيشيلار، الطبعة الدراسية لمخطوطات البحر الميت (ليدن: بريل، 1991)، 833–35 مع ربط النص العبري. تشير الأقواس [ ] إلى المكان الذي يقوم فيه المترجمون بملء الكلمات المفقودة، أو أجزاء من الكلمات.

266. أبيض، أبيج، كوك ترانس. مخطوطات البحر الميت: ترجمة جديدة، 435. انظر أيضًا شونفيلد، مؤامرة الفصح، 30.

267. NHLE, 251.

268. NHLE, 265.

269. NHLE, 265–66

270. أبيض وآخرون، مخطوطات البحر الميت: ترجمة جديدة، 435.

271. NHLE, 251.

272. بايجنت ولي، خداع مخطوطات البحر الميت، 35.

273. جون كيل، الأجسام الطائرة المجهولة: عملية حصان طروادة (لندن: كتب أباكوس، 1973)، 181.

274. جاك فالي، رسل الخداع (نيويورك: كتب بانتام، 1980)، 110.

275. إتش. في. غونتر , يوجانادها (فاراناسي : سلسلة تشوخامبا السنسكريتية , 1969), 64.

276. المرجع نفسه، 20.

277. إتش. في. غونتر , حياة وتعاليم ناروبا (أكسفورد : دار نشر جامعة أكسفورد , 1963), 79.

278. لونغ تشن با، "كيف يتم تصنيع سامسارا من أرض الوجود"، في كريستال ميرور، المجلد. 5 (إيميريفيل، كاليفورنيا: دارما

للنشر، 1977)، 345–64. الترجمة والملاحظات بقلم كينارد ليبمان.

279. ألكسندرا ديفيد نيل، التعاليم الشفوية السرية في الطوائف البوذية التبتية (سان فرانسيسكو: أضواء المدينة، 1967)، 114.

280. كارلوس كاستانيدا، الجانب النشط من اللانهاية (لندن: ثورسونز، 1998)، بشكل عام. سواء كان قد اختلق كل ذلك أم لا، فإن ما يقوله كاستانيدا عن المنشورات ذو صلة كبيرة بأركون الغنوصية. لاحظ بشكل خاص الكلمات المنسوبة إلى دون خوان في الجانب النشط من اللانهاية (ص 22): " النشرات هي جزء أساسي من الكون، ويجب أن تؤخذ على أنها حقا: رهيبة، وحشية. إنها الوسائل التي يختبرنا بها الكون.

281. بوركيرت، طوائف الغموض القديمة، 93.

282. سقراط سكولاستيكوس، التاريخ الكنسي للكنيسة في سبعة كتب (لندن: هنري ج. بون، 1853)، 238.

الفصل الثاني والعشرون: الخيال الإلهي

283. جيفري بيرتون راسل، الشيطان: التقليد المسيحي المبكر (إيثاكا ولندن: مطبعة جامعة كورنيل، 1981)، 16. يُعد بيرتون مفيدًا لأبحاثه العميقة ورؤاه الواضحة في كثير من الأحيان حول الثنائية الزرادشتية والمعضلات اللاهوتية الأخرى، ولكنه يحمل وجهة النظر المتحيزة المعتادة عن الغنوصيين: "ما وحد مختلف الطوائف الغنوصية هو الاعتقاد بأن العالم شرير تمامًا ولا يمكن إصلاحه" (64). في ضوء إعادة التقييم الأخيرة للمعلومات المضللة التي نشرها الآباء عن الغنوصيين، وخاصة كتاب مايكل ألين ويليامز ″إعادة التفكير في ″الغنوصية″، فإن وجهة نظر راسل (التي لا تزال متمسكة بها بشدة غالبية علماء الغنوصية ويتبناها الكتاب المشهورون عن الغنوصية) لا يمكن الدفاع عنها على الإطلاق.

284. راسل، الشيطان: التقليد المسيحي المبكر، 82، الملاحظة 10.

285. للاطلاع على بعض الأبحاث الحديثة، انظر جيريمي ناربي، الذكاء في الطبيعة (نيويورك: تارتشر/بينجوين، 2005).

286. *Artis Auriferae*، وهي مجموعة من الكتابات الكيميائية تعود إلى القرن السابع عشر، والتي استشهد بها سي جي يونغ في كتابه ″علم النفس والكيمياء″ وفي أماكن أخرى في كتاباته المحيرة بشكل رائع حول العمل العظيم.

287. كارل كيريني، ديونيسوس: صورة نموذجية للحياة غير القابلة للتدمير (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1996).

288. انظر ويليس دبليو هارمان وإليزابيث ساهتوريس، علم الأحياء المنقح (بيركلي: كتب شمال الأطلسي، 1998)، 201 وما بعدها.

289. جان هيوستن، البطل والإلهة (نيويورك: كتب بالانتين، 1992)، 7. في تحولها للأسرار، تفترض هيوستن معادلة الله- الذات.

290. هنري كوربين، الخيال الإبداعي في تصوف ابن عربي (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1981). أعتبر مصطلح "التخيلي" يعني الوجود الصلب والحسي والمستقل لأي شيء يتم إدراكه بقوة الخيال، وهو ما يميزه عن نتاج الخيال أو التظاهر. لست متأكدًا تمامًا مما قصده كوربين بهذا المصطلح، كما أنني لست قادرًا على تقييم العناصر الغنوصية الحقيقية (إن وجدت) في التصوف الإيراني. هل هناك أي دليل على وجود تجربة صوفيانية ذات توجه أرضي في التصوف؟ أنا شخصياً لا أرى أي شيء من هذا القبيل.

الفصل الثالث والعشرون: العلاقة بين النوع والذات

291. "بعد بحث دقيق، أثبت الباحث الراديكالي في الكتاب المقدس جيرالد ماسي أنه ″في النقوش المسيحية لبلوك، التي يبلغ عددها 1287 مدخلاً، لا يوجد مثال واحد لتاريخ أقدم من القرن الثالث لا يُكتب فيه الاسم Chrest أو Chreist". لويد م. غراهام، خداع وأساطير الكتاب المقدس (مجموعة كارول للنشر، 1997)، 411.

292. كتب ألدوس هكسلي عن التجربة الرؤيوية للأمريكيين الأصليين (وتحديداً أتباع طائفة البَيُّوت)، ولاحظ قائلاً: "قد يرون رؤى، والتي قد تكون للمسيح نفسه". أبواب الإدراك (لندن: فينتاج، 2004) 44. في الواقع، يُعرف أتباع طائفة البيوت بتبنيهم ليسوع في ممارساتهم الطقوسية، لكن هذا لا يثبت أن يسوع التاريخي المذكور في الأناجيل كان موجودًا بالفعل، أو أن مسيح بولس يعيش إلى الأبد بيننا. إنها ببساطة توضح كيف استوعب ضحايا العدوان الإبادي في العالم الجديد الصور النفسية للجناة الأوروبيين. أزعم أن المحتوى الحقيقي والأساسي للقاء الميسوتس متسق، وهي حقيقة صوفية تم إثباتها في العديد من الأزمنة والثقافات. لسوء الحظ، فإن فساد ذلك اللقاء الثمين بسبب المفاهيم الدينية المسبقة والمعتقدات المفروضة أمر متسق أيضاً، ومتوقع تماماً، للأسف.

293. جون غريبين، البساطة العميقة (لندن: ألين لين، 2004)، 41.

294. ديفيد بيت، المرآة المضطربة (نيويورك: هاربر ورو، 1990)، 137، الأشكال 3 أ، 3 ب، 3 ج. "تظهر صورة جوية للصحراء الكبرى آثاراً خلفتها هذه الظواهر الجوية المعروفة باسم بحر بينارد." تظهر هذه الآثار الناتجة عن دوامات الحمل الحراري في الغلاف الجوي أيضاً في حقول الثلج والجبال الجليدية.

295. يستحق الفصل بأكمله القراءة لما يحتويه من تعليقات دون خوان الرصينة، والتي أعتبرها تنطبق بشكل كبير على مقابلة الميسوتس. كتب كاستانيدا: "قال [دون خوان] إن العرافين الجدد هم الوحيدون الذين لديهم الرصانة لرؤية قالب الإنسان وفهم ماهيته". ما أدركوه هو أن قالب الإنسان ليس خالقاً، بل هو نمط كل سمة بشرية يمكننا التفكير فيها وبعضها لا يمكننا حتى تصوره. إن القالب هو إلهنا لأننا ما يطبعنا به وليس لأنه خلقنا من العدم وجعلنا على صورته ومثاله. قال دون خوان إنه في رأيه، إن السجود أمام نموذج الإنسان ينضح بالغطرسة والأنانية البشرية. النار من الداخل (لندن: البجعة السوداء، 1984)، 281. بعد التفكير والتأمل في بعض المقاطع في كتاب التاريخ الوطني وكتابات الآباء، أود أن أشير إلى أن بعض خبراء الأسرار لم يروا نموذج الإنسان بوضوح (أقصد هنا المدرسة الفالنتينية)، وكانوا يميلون إلى تخيل أنه يمتلك مجموعة من القوى السحرية والنفسية الجسدية.

الفصل الرابع والعشرون: الإلهة الغامضة

296. لين مارغوليس ، الحقائق المائلة (نيويورك: سبرينغر- فيرلاغ، 1997)، 249.

297. استشهد في لورانس إي جوزيف، غايا: نمو فكرة (لندن: أركانا، 1990)، 56.

298. ميسيا لانداو، سرديات التطور البشري (نيو هيفن ولندن: مطبعة جامعة ييل، 1991)، 12، x؛ الاقتباس، xi.

299. لين مارغوليس ودوريان ساغا، ما هي الحياة ؟ (بيركلي، كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1995)، 59–60.

300. فريتجوف كابرا، شبكة الحياة (لندن: فلامنغو، 1997)، 13.

301. جيمس لوفلوك، غايا: العلم العملي للطب الكوكبي (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2000)، 11.

302. سانتمير، معاناة الطبيعة، 209.

303. حول مشاهدات الأجسام الغريبة في العصور القديمة، انظر الكائنات الغير أرضية بيننا بقلم جورج سي أندروز (وودبوري، مينيسوتا: منشورات ليويلين، 2002)، جواز سفر إلى ماغونيا بقلم جاك فالي (ماكجرو هيل/معاصر، طبعة معادة، 1993)، الأطباق الطائرة تهاجم بقلم هارولد ويلكنز (مطبعة القلعة، 1954)، والآلهة قد هبطت، حرره جيمس ر. لويس (ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك، 1995). تذكر السجلات القديمة أن الإسكندر الأكبر رأى جسماً طائراً مجهولاً ("درعاً فضياً كبيراً") فوق مدينة صور عندما حاصرها عام 332 قبل الميلاد. ويتفق معظم الباحثين على أن أقدم تقرير واضح موجود في بردية مصرية يعود تاريخها إلى عام 1350 قبل الميلاد.

304. فرانشيسكا فريمانتل، الفراغ المضيء (بوسطن: شامبالا، 2001)، 49.

305. لم أجد أي مصدر مطبوع لهذه المقالة. وهو متوفر بسهولة على الإنترنت.

الفصل الخامس والعشرون: علم البيئة المقدس

.306 لوفلوك، غايا: العلم العملي للطب الكوكبي، 31.

.307 مارغوليس وساغان، الحقائق المائلة، 63.

.308 جيريمي ناربي، الثعبان الكوني (نيويورك: جيريمي ب. تارشر/بوتنام، 1998)، 138.

.309 AE، شمعة الرؤية (ويتون، إلينوي: دار النشر الثيوصوفية، 1965).

.310 تدعم الشهادات القديمة للتجربة الصوفية ربط شخصية هرماس بالميسوتس، الذي يُنظر إليه على أنه شبح مضيء. يروي يونغ كيف تم وصف الإله الفريجاني أتيس، أحد الأزواج العديدين للإلهة، وبالتالي من نوع هيرماس، بمصطلحات رؤيوية باسم "راعي النجوم المتلألئة بألف عين" (أيون، ص 89، ن. 71). إن شبكة العيون الكثيرة توحي باللمعان متعدد الأوجه للقاء الميسوتس.

.311 قد يُعاد النظر الآن في المشكلة التي تركها الغنوصيون الأنطاكيون دون حل في ضوء الاكتشافات المذهلة التي توصلت إليها ليندا تاكر فيما يتعلق بالأسود البيضاء في تمبافاتي. في الفصل الأخير من كتابها، لغز الأسود البيضاء (مابومولانجا، جنوب أفريقيا: دار نشر نبينفو، 2003)، تقدم تاكر شخصية المسيح منغمسًا في التنوع البيولوجي للطبيعة، بدلاً من كونه مخلصًا من خارج الكوكب مكرسًا للاهتمام الذاتي المتمحور حول الإنسان. على الرغم من أنها تقترب بشكل خطير من إغراء التضحية الخلاصية، يبدو أن تاكر قد توصلت إلى اكتشاف عفوي يتعلق بشكل وثيق بالشفاعة الكريستوسية. سيكون الأسد الأبيض شكلاً حيوانياً من أشكال الميسوتس المصورة في النور العضوي. قد يلفت ظهور الأسود البيضاء بشكل غامض في العالم الطبيعي انتباه البشر الآن إلى البعد الخارق للطبيعة حيث يحدث اللقاء الخالد.

.312 جوسلين غودوين، أثناسيوس كيرشنر (لندن: ثامس و هادسن، 1779)، 14.

.313 للحصول على بعض الأمثلة الأنيقة للمخططات الهندسية لبوروشا، انظر كيث كريتشلو، الوقت لا يزال قائماً (نيويورك: مطبعة سانت مارتن، 1982)، 82 وما يليها.

.314 في تشريح جسد الله (نيويورك: صموئيل وايزر، 1972)، يقدم الأخ أشاد تبديلًا ثلاثي الأبعاد لشجرة الحياة الكابالية التي تبدو بشكل لافت للنظر وكأن مقطعًا من الحمض النووي سيبدو من الداخل، ويرى أسفل الخيط الحلزوني. أفترض أن العلاقة بين بنية الحمض النووي وشجرة الحياة وشاكرا الجسم في اليوغا الآسيوية قد تم بالفعل من قبل العديد من الأشخاص، لكنني قد أكون مخطئًا.

.315 لقد دافعت عن الملاحظة المباشرة للبنية الجزيئية للمادة من قبل القدماء في كتاب "وحي دندرة"، وهو مخطوطة غير منشورة.

.316 يامبليخوس: مترجم. توماس تايلور (دار نشر كيسنجر، بدون تاريخ.)، 24.

.317 الحقائق المائلة، 63.

.318 شيبارد، الطبيعة والجنون، 61.

الفصل السادس والعشرون: المفهوم الوثني للحياة

.319 جوزيف، غايا، 234.

.320 نيل إيفرندن، الغريب الطبيعي (تورنتو: مطبعة جامعة تورنتو، 1999)، 103.

.321 دينيس دي روجيمونت، الحب في العالم الغربي (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1983)، 74.

322. انظر كاثلين راين، بليك والعصور القديمة و *Golgonooza*، مدينة الخيال على بليك ويسوع. تدمج راين قدراً لا بأس به من معارف الأسرار في دراساتها الأدبية، ولكنها في معالجة هذه المادة الباطنية الغنية تتبع الأسلوب الرمزي للعصور القديمة المتأخرة، والذي تم إحياؤه في أعمال الفيلسوف الأفلاطوني من كامبريدج، توماس تايلور (1758-1835). تفترض هذه الطريقة أن الأساطير التوجيهية للأسرار الوثنية، مثل أسطورة ديميتر وبيرسيفوني، هي تركيبات مجازية ترمز إلى شيء آخر غير ما تنص عليه. أما وجهة نظري، على النقيض من ذلك، فهي أن الأساطير القديمة تصف في الواقع أحداثًا وقعت في التاريخ الطويل (التطور السلالي) للجنس البشري. من خلال الاستعارة، يتم توجيهنا باستمرار بعيدًا عن هذه الحقائق نحو الرموز المجازية والرمزية التي يُفترض أنها تشير إلى ظواهر ذاتية في حياة الروح البشرية، وطريقة النفس في حساب عملياتها الخاصة، وما إلى ذلك. أدان بلوتارخ، أحد آخر المطلعين المعروفين، الرمزية وأصر على أن الأساطير كانت وصفًا لأحداث حقيقية: "من يطبق هذه الرموز على الطبيعة الإلهية المباركة، يستحق أن يُعامل بازدراء". لكن لا يجب أن نعتقد أنها كانت مجرد خرافات بلا معنى، مثل خرافات الشعراء. إنها تمثل لنا الأشياء التي حدثت بالفعل "(إيزيس و أوزوريس).

323. جون وورثين، دي إتش لورانس: حياة شخص غريب (لندن: ألين لين، 2005)، 406.

324. "التقبيل والنزاع المروع"، في القصائد الكاملة لـ د. هـ. لورانس، محرر. ديفيد إليس (مكتبة وردزورث للشعر، 2001)، 596.

مسرد المصطلحات

الديانات الإبراهيمية: اليهودية والمسيحية والإسلام تعتبر بمثابة اختلافات لنظام معتقدات مشترك يتميز بالتوحيد، والقيم الأبوية، والتسلسل الزمني الخطي للتاريخ، وقانون أخلاقي إلهي، وأيديولوجية المخلص، والفصل العنصري الجنسي، وأجندة الهيمنة، بما في ذلك السيطرة على الطبيعة وافتراض تفوق الإنسان على جميع الأنواع الأخرى.

إيون: *(AY-on)* (يوناني، "إله"، "ألوهية"، "عملية"، "انبثاق"، "دورة زمنية") مصطلح غنوصي لعملية كونية شاملة، واعية، متحركة، ومحركة. تظهر الأيونات عوالم حسية من خلال **الحلم**، بدلاً من فعل الخلق الحرفي المنسوب إلى الإله الأب التوراتي. صفة، أيوني. **خيالي**: مصطلح مقترح لـ: تداخل العمليات الكونية في التجربة الإنسانية والعمليات النفسية. يؤكد أن انعكاس العقل والكون هو فعل حقيقي، يتم تنفيذه وتفاعلي، وليس انعكاسًا سلبيًا أو ثابتًا، وليس مجرد استعارة أو "تطابق" رمزي.

البارع: شخص متمكن من الإدراك العالي واستخدام القدرات الخارقة للطبيعة. مطابق لـ **سيدها**.

لاهوت الإبادة: فكرة أن البشرية يمكن تدميرها من أجل إنقاذها. يشير ذلك إلى تدمير العالم الطبيعي وإعادة توطين الناجين في "سماء جديدة وأرض جديدة"، مع نفي الملعونين في عالم جهنمي. يتطلب الأمر وجود وكيل للعقاب الإلهي.

نص الأنوناكي: سرد قديم مكتوب على ألواح سومرية مسمارية من عام 1600 قبل الميلاد، يصف سلالة من الكائنات الغير أرضية الشبيهة بالآلهة التي تنزل إلى الأرض، وتغير الجينوم البشري، وتتزاوج مع البشر، وتعلم فنون الحضارة. أسطورة الميثاق **للثيوقراطية.**

أنوميا: (يوناني، "شذوذ"، "انحراف") مصطلح غنوصي يشير إلى الانحراف الذي يدل على التأثير الأخلاقي والنفسي **للأركون.**

الأنثروبوس: (يوناني، "البشرية"، "النوع البشري") في لغة الغموض، يعتبر الجينوم البشري أو قالب النوع بمثابة بوغ معقد انبثق إلى الفضاء بين النجوم بواسطة أيونات مركز المجرة **(البليروما (الإمتلاء).**

مضاد للكون: صفة تُطلق على نظرة للعالم أو ممارسة ترفض الجسد وتدين المادة باعتبارها شرًا. كثيراً ما يتم تطبيقها (خطأً) على الغنوصية.

أباتون: (يوناني، "خداع") مصطلح غنوصي للنشاط الرئيسي **للأركون.**

نهاية العالم: (يوناني، "رفع الختم") سيناريو نهاية العالم لمرة واحدة فقط، وهو نموذجي لعلم الكونيات الفارسي ذي **المصدر المنقسم** الموجود في مخطوطات البحر الميت، ولكنه غائب في الأسرار الوثنية، التي احتفت بالتجديد الدائم لقوة الحياة والوجود الدوري.

الأركونات: (من اليونانية بمعنى "الأول"، "من البداية") أنواع غير عضوية ناتجة عن تأثير صوفيا على المادة الأولية قبل أن تتحول صوفيا إلى الأرض. كائنات سايبورغ تسكن النظام الشمسي ككل، وتتفوق في التكنولوجيا النفسية للواقع الافتراضي، وتتسلل إلى البشرية عن طريق التخفي النفسي، وتنشر الفيروس الأيديولوجي للدين الخلاصي. قوى نفسية داخلية تضخم الخطأ البشري إلى ما يتجاوز نطاق التصحيح. "رسل الخداع" (جاك فاليه). صفة، أركوني.

أشيرا: إلهة الشجرة الكنعانية، أو الجسم الخشبي الطقسي الذي كان يُنصب تكريماً لها في البساتين المقدسة والأماكن المورقة التي أدانها الإله الأب. تم دمجها في الشمعدان اليهودي، وهو شمعدان ذو سبعة فروع.

أتوجينس : (يوناني، "مولد ذاتي") مصطلح غنوصي للتكوين الذاتي، وهو الفعل التنظيمي الذاتي للكون والعالم الطبيعي. انظر أيضًا

الظهور.

أفاتار: (السنسكريتية، "الذي ينزل") في الأساطير الهندوسية، إله يأتي إلى الأرض لمساعدة البشرية في أوقات الأزمات، كما هو الحال في تجسيدات فيشنو العشرة. بشكل عام، إله متجسد. صفة، أفاتاري.

خلايا بينارد: تجمعات من الخلايا السداسية تتشكل تلقائيًا في السوائل المضطربة وفي المحيط الحيوي، وهي ظاهرة مرتبطة **بالميسوتس (الوسيط).**

التصوف الحيوي: استكشاف قوة الحياة والعمليات الدقيقة للطبيعة من خلال تقنيات تجريبية تشمل يوغا **الكونداليني**، والنشوة والرقص، والجنس المقدس، وتناول المواد **المؤثرة على الوعي**. **أوديساتفا**: (سنسكريتية، "الصحوة المتناغمة") مثال أخلاقي في بوذية ماهايانا، تم تحديده حوالي عام 200 ميلادي، وربما يرتبط **بالكاشف** الغنوصي. الشخص المستنير الذي لا ينصرف عن العالم العادي ولكنه يتخلى عن التحرر الذاتي لتحرير جميع الكائنات الحية من الوهم ("عهد البوداسَف").

الفوضى، **نظرية الفوضى**: انظر إلى **الظهور.**

المسيح: (من كلمة كريستوس، "الممسوح"، وهي ترجمة يونانية للكلمة العبرية mashiash، "المسيا") في اللاهوت المسيحي، هو "ابن الله الوحيد" الذي يتخذ شكلاً بشرياً ليدخل التاريخ ويخلص البشرية من الخطيئة. الشخصية المحورية في **عقدة المخلص.** يقال إنه تجسد بشكل فريد في الشخصية التاريخية المسماة يسوع الناصري؛ ومن هنا جاء مصطلح الهجين البشري/الإلهي، يسوع/المسيح. يعتبره المؤمنون النموذج الأمثل للإنسانية، وموضع الكرامة الإنسانية. **كبش الفداء** الإلهي.

كريستوس: (يوناني، "الممسوح") في لغة الغموض، إله في المصفوفة المجرة **(بليروما)** يتحد مع صوفيا لتشكيل **تفرد** الإمكانات البشرية، ويتدخل لاحقًا لمساعدة صوفيا في تنظيم الحياة الحيوانية في المحيط الحيوي (شفاعة كريستوس). لا يتجسد في صورة بشرية، ولكنه قد يتخذ شكلاً بشرياً في **الميسوتس.**

آباء الكنيسة: المفكرون المسيحيون الأوائل الذين كتبوا حججًا مفصلة، وغالبًا ما كانت سيئة التخطيط **(جدالات)** ضد الغنوصيين والأسرار.

التطور المشترك: التطور معًا بطريقة تكاملية وتكافلية.

التعقيد، نظرية التعقيد: المصطلح الحالي لنظرية **الفوضى.** انظر **الظهور**.

القبطية: لغة اختزالية اخترعها الكتبة المصريون حوالي عام 100 م، باستخدام الأبجدية اليونانية (الأحرف الكبيرة فقط) بالإضافة إلى ستة أحرف من الشكل الديموطيقي أو الشعبي للكتابة المصرية. المواد الغنوصية الباقية هي ترجمات من أصول يونانية مفترضة إلى اللغة القبطية.

التكريس: الهدف الأسمى للطقوس في الأسرار الوثنية، مما يسمح للمتأهلين بتكريس حياتهم للعمل المزدوج المتمثل في التطور المشترك مع غايا وتعزيز الإمكانات البشرية. حرفياً، "مدعوم بـ". قارن ذلك بالتأليه.

التصحيح: (باليونانية، *diorthosis*) مصطلح غنوصي لإعادة تنظيم الحياة على الأرض مع المركز الكوني، المصدر الذي انبثقت منه صوفيا (الذكاء الكوكبي ذاتي التكوين). يختلف هذا عن الخلاص من خارج الأرض الذي وعدت به عقيدة الخلاص.

الإله المزيف: مصطلح غنوصي للإله **الديميورج**، المعروف أيضًا باسم يهوه.

المحاكاة المضادة: (باليونانية، *antimimon)* مصطلح غنوصي يشير إلى الاستيعاب الذي ينكر أو يحرف أو يعكس قيمة ما يتم استيعابه. بمعنى آخر، استبدال شيء أصلي بنسخة مزيفة تشوه أو تعكس قيمته الأصلية.

لاهوت الصليب: مصطلح أكاديمي عامي يشير إلى أيديولوجية الدين الخلاصي.

مخطوطات البحر الميت: شهادة أدبية لطائفة يهودية متطرفة، تُعرف باسم **"الصادقين"**، والتي تُقدم معتقداتها في شكلها الأولي عقائد

الخلاص المسيحي. مكتوب باللغتين العبرية والآرامية على جلد الغنم. يعود تاريخها إلى الفترة من 268 قبل الميلاد إلى 68 ميلادي، عندما دمر الرومان الموقع الرئيسي للصادقين على البحر الميت، على بعد ثلاثين ميلاً جنوب شرق أورشليم.

علم البيئة العميق: فلسفة اجتماعية أخلاقية تؤكد أن للطبيعة قيمة جوهرية، مستقلة عن استخدامها من قبل البشر، أو حتى عن وجود البشر. تمت صياغتها في برنامج من ثماني نقاط من قبل آرني نايس وجورج سيشنز في السبعينيات. على النقيض من علم البيئة السطحي، الذي ينظر إلى الطبيعة على أنها تستحق الحفاظ عليها من أجل خدمة وتلبية الاحتياجات البشرية.

التأليه: الارتقاء إلى مرتبة الإله، وهو أثر جانبي للتنوير النفسي الجسدي، والذي افترض خطأً أنه كان الهدف من التأهيل في الأسرار الوثنية. انظر أيضًا **التعريف**.

ديما: اختصار لعبارة "مصفوفات المادة الأولية الكثيفة". مصطلح مقترح لحقول الجسيمات الأولية غير العضوية التي تدور في أطراف المجرة، والتي تختلف عن المادة العضوية في النواة. ربما يمكن مقارنتها بـ "الرغوة الكمومية" لديراك.

ديميتر: (يوناني-لاتيني، *"dea-mater"*، "الإلهة الأم ") إلهة أوروبية، حامية أسرار إليوسيس، التي نقلت سر المشروب المقدس المهلوس. ابنتها هي كوري، أو بيرسيفوني.

ديميورج: (حرفيًا، "نصف عامل"، "نصف مُفعّل"، سُمّي بذلك لأنه لا يستطيع أن يخلق شيئًا ولكنه يجب أن يقلد ما هو موجود بالفعل) قائد **الأركونات**، ويُطلق عليه أيضًا ساكلس ("الأحمق")، وسمائل ("الأعمى")، و**يلداباوث.** إله زائف يدعي أنه خالق العالم المادي، ويطالب بطاعة عمياء من مخلوقاته. هو نفسه إله الأب المذكور في الكتاب المقدس، يهوه-يِهْوَڤَ.

ديانويا: (يوناني، "عبر العقل") نمط من أنماط العقل **النوس**، الذكاء الإلهي. إن القدرة على التفكير تعتبر أداة من أدوات وعي الطبيعة نفسها، وليست قدرة بشرية حصرية تستخدم لفصل الطبيعة وتحليلها. القدرة على رؤية الطبيعة "من خلال العقل"، والتفاعل والحوار مع ما يُرى بهذه الطريقة.

نص توجيهي: مصطلح مقترح لقصة مشفرة بمعتقدات تحرك سلوك أولئك الذين يتبنونها.

ثقافة الهيمنة: مصطلح اقترحته ريان إيسلر وتيرينس ماكينا وآخرون، للحكم الاجتماعي والثقافي للنظام الأبوي، الذي يطالب بتنظيم مركزي، وتسلسل هرمي جنسي، وغزو الطبيعة، وفرض وتنفيذ الدين الخلاصي (إضافتي).

الحلم: مصطلح أنثروبولوجي لتجربة الثقافات الأصلية التي تشارك بتعاطف وخيال في الآن الأبدي، زمن الأحلام. الفعل الخالد للانبثاق الذي تتخلل فيه القوى التكوينية للكون عمليات العالم الطبيعي والنفس البشرية وتشكلها. المكافئ الحالي في الفيزياء والرياضيات وعلم الأحياء: **الظهور.**

النسوية البيئية: مصطلح صاغته عالمة الاجتماع الفرنسية فرانسواز دوبون في عام 1974، مؤكدة أن السيطرة على الطبيعة تترافق مع السيطرة على النساء.

الغنوص البيئي: مصطلح مقترح للإدراك الحميم لقوة الحياة على الأرض، بحيث يجعل البشرية متوافقة مع **تصحيح** صوفيا.

علم البيئة: (من اليونانية، "علم المنزل"، أو "الموئل") العلاقة المتبادلة بين الكائنات الحية وبيئتها، أو دراستها.

الفلسفة البيئية : (حرفيًا، "حكمة البيئة") مصطلح اقترحه آرني نايس للحكمة المتمثلة في العيش بانسجام مع الطبيعة دون افتراض أننا، نحن الجنس البشري، لدينا مكانة متفوقة أو دور مهيمن وتوجيهي. صفة، الفلسفة البيئية.

موت الأنا: طريقة للتأهيل في الأسرار الوثنية، يتم تحقيقها عن طريق الذوبان المؤقت أو انحلال الوعي الذاتي البؤري وفقدان **هوية الذات الواحدة**، مما يسمح للمتلقي بالانغماس في الطبيعة بشكل غير أناني ونشوة.

ثمانية، الثامن: (باليونانية، أجدود: المملكة "الثامنة") مصطلح غنوصي لعالم الأبراج. ويشير أيضاً إلى الأعضاء الثمانية في خلية غامضة مكلفة بأعمال داخلية.

إليوسيس: موقع مقدس غرب أثينا حيث تم الاحتفال بأسرار إليوسيس المخصصة لديميتر لآلاف السنين قبل المسيحية. يُعدّ هذا الموقع أشهر مركز للأسرار في أوروبا من الناحية التاريخية وأكثرها توثيقًا، على عكس ستونهنج التي لا يوجد عنها تقريبًا أي تعليق نصي قديم. **نظرية الانبثاق**: مفهوم ميتافيزيقي آسيوي للعملية التلقائية التي تنشأ من خلالها العوالم الحسية والمادية من مصفوفة غير ظاهرة من الوعي النقي المتدفق. انظر أيضًا **الحلم**. **الظهور**: مصطلح حالي لتطور الحياة والوعي داخل مصفوفة مشتركة ("بنية عميقة") حيث تظهر عناصر جديدة باستمرار للتعبير عن الخصائص المتكاملة للكل وتحسينها.

أسطورة الظهور: مصطلح مقترح لأسطورة صوفيا، على النقيض من أسطورة الخلق التوراتية وأسطورة التطور الداروينية.

إينويا: (يوناني، "نية عقلية") في لغة الغموض، القوة المقصودة التي تستخدمها الأيونات لإنتاج عوالم حسية وإضفاء الإبداع التلقائي والحر على تلك العوالم. من الناحية الإنسانية، النية التي تنتج أفعالاً عفوية وتوجه التوجه نحو الهدف؛ "الإرادة الحرة".

إنثيجن: (حرفيًا، "توليد الألوهية في الداخل") مصطلح (يفضل الآن على *psychedelic*) للنباتات والفطريات ذات التأثير النفسي التي تفتح الوعي البشري على الوجود الإلهي في الطبيعة. صفة,, مُنشِّط للوعي . للاطلاع على نظرية الدين المتعلقة بالمؤثرات العقلية أو أطروحة واسون، انظر الملاحظة 213.

إيبينويا، إيبينويا المتألقة : (حرفيًا، "الذكاء المفرط") في لغة الأسرار، تعتبر القدرة البشرية على التخيل قدرة إبداعية وتطورية مشتركة، وتختلف عن الخيال العقلي والتظاهر.

نظرية الخطأ: مفهوم غنوصي رئيسي ينص على أن البشرية تتميز عن الأنواع الأخرى بنطاقها الاستثنائي للخطأ، الأمر الذي يتطلب منا التطور من خلال ارتكاب الأخطاء، ولكنه يعرضنا أيضًا لخطر الانحراف عن إمكاناتنا الخاصة بالنوع عندما لا يتم اكتشاف أخطائنا وتصحيحها. يرتبطون ارتباطًا وثيقًا **بالأركونات**، الذين يدفعون الخطأ البشري إلى ما هو أبعد من نطاق التصحيح.

المسيح الأثيري: مصطلح من العصر الجديد (قدمه رودولف شتاينر) **للميسوتس (الوسيط).**

أوروبا: اسم مقترح لأوروبا ما قبل المسيحية، وهي منطقة تمتد من جزر شتلاند وأوركني إلى طرف شبه الجزيرة الأيبيرية، ومن بريتاني في فرنسا شرقًا إلى مضيق البوسفور، وتشمل الحافة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وكريت، وصقلية، وكورسيكا، وسردينيا، ومالطا، ومايوركا، والجزر اليونانية.

الأوروبيون: السكان الأصليون لأوروبا قبل المسيحية.

الشر: هو ما يعيق القدرة على العيش والازدهار. يُعتبر في التعاليم الغنوصية نتيجة يمكن تجنبها للخطأ البشري، ولكنه يُرفع في **ثنائية المصدر المنقسم** للديانة الزرادشتية إلى قوة كونية مطلقة.

الأنماط المتكررة: أنماط متشابهة ذاتيًا بمقاييس مختلفة، يتم توليدها بواسطة معادلات يتم إدخالها في جهاز كمبيوتر، ويتم تحليل نتيجة كل معادلة في المعادلة التالية (التكرار). يُعتقد أنها تمثل العمليات التكوينية في الطبيعة (مثل الأنماط الموجودة على فرع السرخس والتي تحاكي شكل النبات بأكمله)، وتلمح إلى البنية العميقة الخفية للعمليات المضطربة والناشئة.

غايا: (من اليونانية *ge*، "الأرض") اسم قديم للأرض موجود في أعمال الشاعر اليوناني هسيودوس. تبناها جيمس لوفلوك بناءً على اقتراح من الروائي الحائز على جائزة نوبل ويليام غولدينغ. مرفوض من قبل دولوريس لاشابيل كأداة أبوية و"مجرد تجريد آخر".

نظرية غايا: كانت تُعرف سابقاً بفرضية غايا. من الناحية الفنية، فإن النظرية القائلة بأن المكونات الحيوية وغير الحيوية للأرض تعمل كنظام واحد ذاتي التنظيم، حيث يستجيب نمو الكائنات الحية وأنشطتها لبيئتها، بدلاً من أن تسكنها بشكل سلبي؛ وبالتالي تنظيم تكوين الغازات التفاعلية، والتوازن الحمضي القلوي، وملوحة المحيطات، ودرجة الحرارة - باختصار، الحياة تجعل الأرض مناسبة للحياة. بشكل عام، الفهم القائل بأن الأرض كائن حي فائق الوعي يتم تنظيمه بما يتوافق مع أشكال الحياة التي تسكنها.

مبدأ غايا صوفيا: مصطلح مقترح للتأكيد على أن البشرية تتلقى مهارات البقاء الغريزية وحسها الأخلاقي في نفس الموهبة. وهذا يعني ضمناً المفهوم البيئي العميق القائل بأن اللطف والتعاون، بدلاً من الوحشية والمنافسة، يتوافقان مع أعمق دوافع البقاء لدينا. ويفترض

أيضاً أن الأخلاق الحقيقية مستحيلة إذا لم تكن الإنسانية متجذرة في الطبيعة بشكل تعاطفي ومتحالفة بشكل وثيق مع الأنواع الأخرى.

الإبادة الجماعية: القتل المتعمد لجماعة عرقية أو ثقافية، أو عملية القضاء على مجتمع أو عرق بأكمله، بما في ذلك الجنس البشري نفسه.

الإلهة الغامضة: مجموعة المفاهيم الروحانية والصوفية والأسطورية وشبه الدينية التي نشأت حول نظرية غايا.

معادلة الله والذات: فكرة اقترحها في البداية كليمنت الإسكندري، الذي ادعى أن الغنوصيين هم أناس أدركوا الله "في الداخل"، في هويتهم الذاتية. يفترض هذا أننا إلهيون في جوهرنا، وليس إلهيين بطريقة وسائلية، كما علم الغنوصيون. تم اعتمادها على نطاق واسع في تفسيرات العصر الجديد للكتابات الغنوصية. انظر أيضًا **موت الأنا و التعريف**.

الغنوص: (يوناني، "معرفة الأشياء الإلهية ") الطريقة الخالدة للنشوة المعرفية. اليوم، أفضل أساس تجريبي للعلوم المعرفية.

الغنوصية: (اليونانية الغنوصتيكوس، الجمع ،الغنوصتيكوي ؛ "الشخص الذي يفهم الأمور الإلهية"، "المعرفة كما تعرفها الآلهة ") بشكل فضفاض، الطبقة الفكرية الوثنية. وبالتحديد، المعلمون المتأهلون (التيليستاي (المعلمين في الأسرار) في مدارس الأسرار. استخدمها أفلاطون للخبراء في فن الحكم والسيطرة الاجتماعية، أو كمستشارين خاصين **للثيوقراطيين** - وهو دور رفضه المتأهلون في الأسرار. استخدمها آباء الكنيسة كإهانة بمعنى "متغطرس" أو "يدعي المعرفة".

هال: (القبطية، "محاكاة") أعلى قوة لدى **الأركونات**، أي الواقع الافتراضي الذي يكاد يكون غير قابل للكشف.

هيبدمد: في لغة الغموض، النظام الكوكبي السباعي باستثناء الأرض. مملكة **الأركونات** و**الديميورج**، يهوه.

هيروس غاموس: انظر **التزاوج المقدس.**

العصر الهلنستي: الفترة الممتدة من وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 قبل الميلاد إلى 30 قبل الميلاد، عندما انتحرت كليوباترا، آخر أفراد السلالة البطلمية التي ورثت الجزء الجنوبي الغربي من إمبراطوريته، بلدغة أفعى.

الهرطقة: (من اليونانية *heraisthai*، "الاختيار") أي مذهب أو اعتقاد يتم اكتسابه عن طريق الاختيار بعد النظر في مجموعة من الخيارات، على عكس المعتقدات التي يتم تبنيها أو فرضها باستبعاد جميع الخيارات (الأرثوذكسية). الهرطقي هو الشخص الذي يختار ما يؤمن به.

هرماس: اسم شعبي للراعي السومري تموز، الذي يظهر في الصورة وهو يحمل حملاً حديث الولادة على كتفيه. اختاره الغنوصيون ليكون رمزاً **لعصر الحوت**، ولكن تم استخدامه كرمز شائع للتقوى المسيحية، بدون الحمل.

الهرمسية: كتابات منسوبة إلى هرمس (لقب الكاهن الأكبر في الأسرار المصرية) والتي تحمل بعض التشابه مع التعاليم الغنوصية. أعاد اكتشافها العالم البيزنطي جيمستوس بليثون في القرن الخامس عشر.

الكاهن الأعظم: (يوناني، "الذي يُظهر الأشياء المقدسة") في الأسرار، هو المتأهل الذي قاد الآخرين إلى **النور العضوي.**

الإدراك المفرط: مصطلح مقترح للإدراك المعزز أو المكثف الذي يتم اكتسابه في الأسرار. "إدراك متزايد" (كاستانيدا).

فيروس أيديولوجي: تشبيه مقترح لنظام المعتقدات الخلاصية المشترك بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

التعريف: قضية مثيرة للجدل في علم البيئة العميق، حيث تقترح أن الطريق إلى زيادة التعاطف مع الطبيعة هو من خلال توسيع الوعي الذاتي، بدلاً من التخلي عن الذات كما هو مطلوب في الأسرار. انظر أيضًا **موت الأنا**.

المتنورون: جماعة منحرفة من الشامان الذين انفصلوا عن **النظام السحري** وطبقوا معارفهم التأسيسية على السيطرة الاجتماعية والألعاب الأيديولوجية وتمكين الملوك المقدسين. أطلق عليهم أفلاطون اسم *"الغنوصتيكوي"*، أي "المستشارين الخاصين" و"الخبراء"، وقد أيد أسلوبهم في "الكذبة النبيلة".

المسار التنويري: مصطلح مقترح للتصوف القائم على الجسد والتقنيات الشامانية للإدراك النشواني التي تمارس في الأسرار الوثنية.

تحت الحسي: مصطلح مقترح للإدراك المتغير الذي يسمح بالوصول إلى العمليات الداخلية للطبيعة، مثل الكيمياء الجزيئية. ما يحدث داخل الحواس، على النقيض من المحتوى الذي تظهره الحواس خارجياً. وبالتالي، فإن المعلومات التي تحملها الحواس تتجاوز ما تُظهره لنا عادةً. البُعد "المكثف" للإدراك الحسي في منهج غوته.

المتأهل: حارس الأسرار الذي كان يعلم فنون الحضارة، وطبيعة الآلهة، والعوالم الخفية، وعلم الكونيات، وعلم الإنسان، وما إلى ذلك. مطابق لكلمة **تيليستيس** (متأهل في الأسرار).

التأهيل: (من اللاتينية *initiare*، بمعنى "يبدأ"، "ينطلق"؛ وهي عكس الكلمة اليونانية *telein*، بمعنى "ينتهي"، "يكمل"، "يبلغ الهدف") طريقة تدريب قديمة لتنمية التوجه نحو الهدف، وتعزيز القدرات البشرية، والتطور المشترك مع الطبيعة من خلال التواصل الوثيق مع ذكاء الأرض الحي، صوفيا. **إيهوف**: إله الأب في الديانة اليهودية المسيحية، والذي عرّفه الغنوصيون بأنه الحاكم المختل، **يلدباوث.** الاسم العبري **للديميورج**، يلداباوث.

يسوع: (من العبرية يشوع) رجل يُزعم أنه عاش في القرن الأول الميلادي، ويُنظر إليه بشكل مختلف على أنه معالج إيماني يشبه الهيبيين، وحاخام متطرف، ومعلم إسيني، ويوغي من كشمير، ومدعي لملك إسرائيل، وإرهابي من مجموعة صادق، والمسيح المنتظر لليهود، وساحر، ومعلم زائف اغتصب دور يوحنا المعمدان، ومتأهل غنوصي، ومتصوف يهودي، وكائن فضائي من كوكب الزهرة، والتجسيد الوحيد للألوهية في صورة بشرية. انظر أيضًا **يسوع الحي**.

القدوشيم: (العبرية "المشرقة" أو "الملائكة المقدسة") في مخطوطات البحر الميت، كيانات خارقة للطبيعة تتنقل في عربات سماوية وتقاتل إلى جانب أبناء النور في معركتهم الأخيرة ضد أبناء الظلام.

كوينونوس: (يوناني، "رفيق"، "قرين") مصطلح يطلق على مريم المجدلية.

كروغ: (قبطي، "خداع"، "حيلة") مصطلح غنوصي يشير إلى التأثير الوهمي الأكثر خبثًا **للأركونات**، والذي يحوّل البشرية من الخطأ إلى الشر.

الكونداليني: (السنسكريتية، "القوة الملتفة"، "الأصغر" أو "كوندا الصغيرة جدًا") في التانترا وممارسات اليوغا الآسيوية، القوة الحيوية الفائقة المضغوطة في جسم الإنسان، سبب انحناء وطي الحمض النووي، والذي عند إيقاظه، ينتج عنه النشوة والتنوير و**الإدراك الفائق** والوصول إلى الذاكرة الجزيئية. يعتبر الجانب المصغر من ماهاكوندا، القوة الثعبانية (المجال الكهرومغناطيسي الحيوي) للأرض.

كيكيون : الاسم اليوناني للمشروب المقدس الذي يشرب في أسرار إليوسيس، ويتكون من مستخلص الشعير المخمر المؤثر نفسياً، أو الإرغوت *(Purpurea claviceps)*، وعشبة البيني رويال الشائعة، التي تضاف للمساعدة على الهضم.

يسوع الحي: (ترجمة من القبطية **IS ETONE**) مصطلح غامض للبصمة البلازمية الغامضة التي تركتها شفاعة الكريستوس في المحيط الحيوي. ويُطلق عليه أيضاً اسم "يسوع الأبدي"، ولكن يُتصور على أنه كيان نفسي بلا ولادة، متميز عن شخص تاريخي محدد (أي فانٍ) عاش ومات في زمن خطي.

إيبينويا المضيئة : انظر **إيبينويا**: "الخيال" و **زوي**: "قوة الحياة".

ثورة المكابيين: حركة المقاومة اليهودية في فلسطين، التي اندلعت عام 168 قبل الميلاد بقتل اليهود لكاهن يهودي. استمرت خلال العصر الحشموني (165-63 قبل الميلاد). ثم أُعيد إحياؤها في الثورة اليهودية الشعبية التي سُحقت عام 70 ميلاديًا بتدمير أورشليم على يد تيتوس وطرد جميع اليهود من المدينة. الانتفاضة اليهودية.

النظام السحري (من كلمة *magi*، جمع كلمة *magus*، "الذي يتصل بالعوالم العليا"، أو "الكون الكبير") نظام ما قبل التاريخ للكهنة الشامانيين في الديانة الزرادشتية، الأصل الجغرافي والثقافي للحركة الغنوصية، التي نشأت حوالي 6000 قبل الميلاد في شمال

غرب إيران. مع صعود النظام الأبوي، انقسم النظام إلى **المتنورين**، الذين دخلوا السياسة، ومؤسسي وحماة الأسرار، الذين كرسوا أنفسهم للتطور المشترك مع غايا وتعليم البشرية.

الكتاب المقدس الماسوري: أقدم نص كامل باقٍ من الكتاب المقدس القياسي باللغة العبرية، تم نسخه بواسطة الكتبة في عام 1008 م.

مايا: (السنسكريتية، "المظهر"، "الظهور") تم تصورها بشكل خاطئ على أنها وهم. المظهر الحقيقي الذي يتخذه شيء يتجاوز المظهر المشروط، مثل الانعكاس في المرآة: لا يمكنك الدخول إلى المرآة، ولكن يمكنك أن تبدو وكأنك بداخلها. هذه هي مايا.

ملكي صادق: (بالعبرية، "أمير البر") شخصية غريبة بلا نسب أو جيل بيولوجي، وهو الذي يمنح مهمة الشعب المختار إلى النبي إبراهيم. أعلن القديس بولس أنه مسح الممسوحين، أي المسيح؛ ومن هنا القوة الخفية وراء المخلص. المصدر الأعلى للسلطة الروحية ووكيل العقاب الإلهي **للصادقين** في البحر الميت. يُطلق عليه أيضًا **ناسي**.

المسيا: (بالعبرية *mashiash*، "الملك الممسوح") خاص باليهودية، الملك المحارب الذي سيحكم دولة يهودية مستقلة في فلسطين. في الأصل، كان هذا هو الاسم القديم للملك، دون أي دلالة على الألوهية. كان التزيين بالزيوت العطرية جزءًا من طقوس تمكين الملكية في ظل حكم النظام الأبوي، ولكن في السابق كان يتم التزيين من خلال **التزاوج المقدس** للمرشح الملكي مع كاهنة الإلهة العظيمة. في المسيحية، الابن الوحيد للإله الأب، أُرسل لإنقاذ العالم عن طريق التضحية بالدم وإيصال رسالة الحب الإلهي. في الأساطير الأخروية، كان من المتوقع ظهور المبعوث الإلهي والمنتقم في نهاية العالم. صفة، مسياني.

الميسوتس: (حرفيًا، "وسيط"، "وسط") كلمة مختلقة تستخدم في مخطوطات نجع حمادي للإشارة إلى وجود شبحي في الغلاف الجوي يتوسط بين البشرية والأنواع الأخرى. يدعم ويسهل **التواصل بين النوع وذاته**. يتجلى ذلك في مجموعة منفصلة من خلايا بينارد، وهي الصورة اللاحقة الحيوية للشفاعة الكريستوسية.

تحول: (يوناني، "ما وراء الذكاء") نمط من أنماط **العقل**، يتجلى في القدرة على التفكير فيما وراء *(-meta)* ما نعرفه، وما وراء أي معتقد أو نموذج أو نموذج يحدد تركيزنا العقلي أو نظرتنا للعالم.

مانوجينس: (يوناني، "مولد أحادي") مصطلح غنوصي يشير إلى **تفرد** كوني يُفهم من حيث الإمكانات البشرية، وخاصة تفرد قدرتنا على الابتكار ووضع الأهداف، ولكن أيضًا هامش الخطأ المفرط لدينا.

التوحيد: التأكيد على وجود إله واحد فقط، على عكس التوحيد الجزئي، الذي يعترف بالعديد من الآلهة ولكنه يصر على سيادة إله واحد فوق جميع الآلهة الأخرى. بالمعنى الدقيق للكلمة، كانت اليهودية القديمة ديانة توحيدية جزئية، وليست ديانة توحيدية.

الأسرار: (من الفعل اليوناني *muein*، "أن يكون صامتاً"، "إغلاق الفم" أو "التحدث بصوت خافت") طقوس الألفية للتواصل النشواني مع الطبيعة، وهي نتاج الشامانية الأصلية الموجهة نحو الإلهة في أوروبا ما قبل المسيحية والشرق الأدنى. ابتداءً من عام 600 قبل الميلاد، أصبحت الأسرار البنية التحتية للمؤسسات التعليمية في العالم القديم، أي مراكز محو الأمية والتدريب في العلوم والفنون والحرف (أي المدارس).

خلية الأسرار: مجموعة مختارة (باليونانية *thiasos*) من المتأهلين الذين عملوا داخليًا على مشاريع معينة تتعلق بالتطور البشري، ونقلوا ما عرفوه خارجيًا من خلال الأدب والتعليم والتدريب المهني. كانت المنظمة تقليدياً تتألف من ستة عشر عضواً، ثمانية رجال وثماني نساء (كما يتضح من الوردة الموجودة على الجملون في إليوسيس).

مدرسة الأسرار: مركز تعليمي أو حرم جامعي ملحق بمعبد ينتمي إلى شبكة الأسرار الوثنية، ويتكون من مكتبات وورش عمل وصالات رياضية وساحات مفتوحة للمحاضرات والمناقشات.

ميستس: المشاركون في كل من الأسرار الصغرى والكبرى. جمع، ميستاي.

التصوف: تجربة مباشرة، حدسية، فوق عقلانية للعنصر الإلهي الذي يسكن العالم والنفس، وغالبًا ما يتميز بـ "شعور محيطي" بالوحدة مع كل الأشياء. انظر أيضًا **التصوف الحيوي**.

مكتبة نجع حمادي: مختصر NHL. ثلاثة عشر رزمة مجلدة بالجلد، وهي أقدم مثال على الكتب المجلدة، تضم اثنين وخمسين وثيقة مكتوبة باللغة القبطية. تم اكتشافها في صعيد مصر في ديسمبر 1945. يُفترض على نطاق واسع أنها كتابات أصلية نجت من مختلف الطوائف الغنوصية الموجودة في مصر والشرق الأدنى بين عامي 150 و 350 ميلادي. وتسمى أيضًا مخطوطات نجع حمادي (NHC). تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية باسم مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية (NHLE). طبعة العلماء، المكتبة القبطية الغنوصية (CGL). **النرجسية**: إفراط مرضي في الاهتمام بالهوية المتجسدة (يمتد إلى مفاهيم زائفة عن الذات و"النفس")، مما يزيد من مراقبة الذات ويفصل أو يفصل الذات المراقبة عن الواقع المادي والحسي. الأمراض الشخصية والاجتماعية السائدة في **عصر الحوت.**

ناسي: اسم صادق لملكي صادق باعتباره وكيل العقاب الإلهي.

التاسع: في لغة الغموض، العالم الأرضي الذي تجسدت فيه صوفيا، وتم أسرها في النظام الكوكبي. "ولم تُرفع إلى البليروما، بل فوق الديميورج، لكي تكون في التاسع حتى تُصحح عيبها" (أبوكريفا يوحنا، 14.10) - وهو تلميح يتوافق مع المعتقدات الأسطورية المنتشرة حول الطبيعة التساعية للإلهة (روبرت جريفز، ستون، جيمبوتاس، وآخرون).

نوس: (يوناني، "الذكاء الإلهي"، "العقل الكوني الخلاق"، "العقل") في لغة الغموض، الإمكانات الإلهية الممنوحة للبشرية، والتي تمكنها من معرفة هويتها الحقيقية الخاصة بالنوع **(أنثروبوس)**، والتطور المشترك مع **صوفيا**، إلهة الحكمة. جذر **,metanoia dianoia, pronoia, epinoia, ennoia**. مصدر مصطلح *"المعرفي"*.

النور العضوي: يُسمى أيضاً النور الإلهي، والنور السماوي، والنور الأبيض، ونور الغموض. الجسم المادي الأساسي **لصوفيا**، على النقيض من جسمها الكوكبي، الأرض. مصدر ووسيلة التعليم *(mathesis)* في الأسرار.

طقوس جماعية: (حرفيًا، "عمل"، "عملية"؛ الجمع اليوناني، *orgia*) طقوس تعليمية احتفالية تمارسها خلايا الأسرار، بما في ذلك جلسات تعاطي المواد المخدرة، والرقص في حالة النشوة، والطقوس الجنسية، الاحتفالات وعبادة الثعابين.(**الكونداليني**).

وثني: عضو في مجتمع أو ثقافة يكون توجهه الأساسي نحو العالم الطبيعي، أي الموطن. بالمعنى الديني، وحدة الوجود، وتعدد الآلهة، والنظرة الروحانية للعالم. في المفهوم الوثني للحياة، تتأصل الثقافة بشكل عضوي في الطبيعة. **الوثنية**: ديانة قائمة على الطبيعة وموجهة نحو الآلهة، لدى الشعوب الأصلية في أوروبا.

نظرية التبذر الكوني: انتشار جراثيم الحياة **(الوحدات التكاثرية)** عبر الفضاء بين النجوم.

Palingenesis: (يوناني، "التجديد") تنشيط مبهج من خلال الانغماس غير الأناني في الطبيعة، التأثير النفسي الجسدي للطقوس الوثنية في كل من الأسرار الصغرى والكبرى.

بيشر: شرحٌ مُعمّقٌ للنصوص المقدسة الموجودة بين مخطوطات البحر الميت. جمع، بشارة.

فوستر: انظر الكاشف.

عصر الحوت: الفترة الزمنية التي تم قياسها عن طريق **ترنح** البروج والتي تمتد من 120 قبل الميلاد حتى حوالي 2800 ميلادي، والتي يحدث خلالها الاعتدال الربيعي في كوكبة الحوت (وفقًا للامتداد الحقيقي للكوكبات المرئية). تتميز هذه المرحلة بالنرجسية المفرطة، والانحلال التام للمجتمع، وتدهور الجنس البشري ككل، ولكنها تقدم إدراكًا روحيًا سريعًا بشكل استثنائي للأفراد المكرسين للإمكانات الحقيقية للجنس البشري.

بيستيس صوفيا: (يوناني، "ثقة صوفيا" أو "ثقة الحكمة") مصطلح غنوصي يشير إلى الثقة التي شعرت بها الإلهة صوفيا تجاه الإمكانات الإلهية للجنس البشري. كما أن عنوان نص طويل غير تابع لمخطوطة نجع حمادي (مخطوطة أسكيو) يعرض حوارًا بين معلم غنوصي تم إحياؤه ومريم المجدلية.

Plané: (يوناني، "التجوال"، "الخطأ"، "الضلال") مصطلح غنوصي يشير إلى ميل الإنسان إلى التغاضي عن أخطائه، وبالتالي، الانحراف عن مساره الحقيقي للتطور. العلامة الأساسية للتأثير الأركوني. أصل كلمة كوكب.

بليروما: (يوناني، "الامتلاء"، "الوفرة") في لغة الغموض، المجموعة المركزية أو مصفوفة الآلهة، أو العصور. من الناحية الفلكية، مركز المجرة. على النقيض من الكينوما ("النقص"، "الحرمان")، الأذرع الحلزونية للمجرة التي توجه إليها الأيونات **أحلامها.** يتوافق هيكل النواة والأذرع المحيطة بها مع المفهوم الحلقي للتكوين الكوني.

تجربة الذروة: مصطلح اقترحه أبراهام ماسلو (1908-1970) للتعبير الأمثل عن الإمكانات البشرية، بما في ذلك إيقاظ القدرات الخارقة للطبيعة. يُقارن هذا بغاية أو هدف الأسرار. **الجدل**: حجج آباء الكنيسة ضد الغنوصيين والأسرار والفلسفة الوثنية. وتسمى أيضًا كتابات الآباء، وكتابات ما قبل مجمع نيقية (التي سبقت مجمع نيقية عام 325 م).

ترنح مداري: ظاهرة فلكية ناتجة عن التذبذب البطيء للمحور القطبي للأرض، مما يؤدي إلى تحول الاعتدال الربيعي بالنسبة لخلفية النجوم الثابتة (الأبراج). يحدد دورة مدتها 25920 سنة تتكون من عصور مختلفة سميت على اسم الأبراج، على سبيل المثال، عصر الحمل، **عصر الحوت،** عصر الدلو. استخدمها المتأهلون القدماء كإطار رئيسي لتوجيه البشرية وتخطيط التعليم الثقافي والروحي للجنس البشري.

علم البيئة البدائي: مصطلح مقترح لعلم البيئة المتجذر في تجربة المقدس، بما في ذلك العالم غير البشري، ولكنه موجه نحو الثقافة والتعليم، أي نحو الاحتياجات الأساسية للاستمرارية الاجتماعية بدلاً من السيطرة الاجتماعية.

برونويا: (يونانية، "الوعي البدائي"، أو "المعرفة الأولية"؛ عادة ما تترجم إلى "العناية الإلهية") الأساس الموجود في كل مكان للوعي غير المشروط بدون موضوع أو شيء يسبق ويؤسس جميع أفعال المعرفة الخاصة.

التكاثر: بوغ مجهري قادر على نقل الحياة عبر الفضاء بين النجوم. انظر إلى **نظرية التبذر الكوني**. **التوازي النفسي الكوني**: مفهوم مقترح للانعكاس **العملي** للأحداث الكونية في النفس البشرية، وهو أمر نموذجي للعقل والمنهج الغنوصي.

التاريخ النفسي: تاريخ النفس البشرية، أو التاريخ كمرآة لعمليات النفس. وعلى العكس من ذلك، فإن مجموعة الأنماط النفسية والأفكار الرئيسية التي تحددها أحداث التاريخ، والتي غالباً ما يتم التعبير عنها كمواضيع أسطورية، على سبيل المثال، السقوط، والخلاص، ونهاية العالم.

قمران: اسم مكان الكهوف الواقعة جنوب شرق القدس حيث تم اكتشاف مخطوطات البحر الميت.

الصفة، قمرانية؛ ومن ثم، الأدب القمراني.

عقدة المخلص: مصطلح مقترح للجوهر الأيديولوجي للديانة اليهودية المسيحية الإسلامية، ويتكون من أربعة مكونات: خلق العالم بواسطة إله أب مستقل عن نظير أنثوي؛ ومحاكمة واختبار (يُتصور كدراما تاريخية) للقلة الصالحة أو "الشعب المختار"؛ ومهمة ابن الإله الخالق (المسيح) لإنقاذ العالم؛ والحكم النهائي المروع الذي يصدره الأب والابن على البشرية. أساس **المعتقدات** الخلاصية.

أخلاقيات المخلص: أخلاقيات يسوع المذكورة في العهد الجديد، والتي تدعو إلى عدم مقاومة الشر، والمغفرة، والمصالحة مع الجاني، وتحديد هوية الضحية مع القلة الصالحة الذين، مهما بلغ اضطهادهم، فإنهم دائماً ما يمتلكون الموقف الأخلاقي الأعلى. باختصار، التبرير الأخلاقي لعلاقة الضحية بالجاني.

الدين الخلاصي: نظام المعتقدات القائم على عقدة المخلص. يفترض هذا أن قوة خارقة للطبيعة يمكنها أن تصلح كل الظلم البشري، ويؤكد أن المعاناة تؤتي ثمارها لأولئك الذين يحظون بتفضيل القوة المنقذة.

الكاشف: (ترجمة من اليونانية فوستر ، من فوس، "الضوء"، "الإضاءة") مصطلح غنوصي للمعلم المستنير، وهو مشابه للبوذا أو **البوديساتفا.**

دورة الكاشف: سلسلة من المعلمين الذين يظهرون في كل عصر من عصور الأبراج لتوجيه البشرية من خلال الدروس والمشاكل الخاصة بذلك العصر.

الرومانسية: الحركة الاجتماعية والثقافية والفلسفية والفنية التي تتميز بالعودة إلى الطبيعة (التصوف الطبيعي)، ومثالية الإمكانات

البشرية، والقيم الإنسانية والمساواتية، وإعلاء شأن العاطفة والشغف، أو الحدس المباشر للواقع، على حساب العقل والتحليل. استمرت من عام 1775 إلى عام 1820 في أوروبا، مع مرحلة طويلة بعد العصر الرومانسي. وقد انعكس ذلك في الحركة المتعالية في أمريكا (إيمرسون، ثورو، ميلفيل، وغيرهم). وقد تم إحياؤها جزئياً في الحركة البيئية.

ساباوث: *(sah-BUY-ot)* في أساطير صوفيا، اسم النجم الأم لنظامنا الكوكبي.

الملكية المقدسة: النظام الأساسي للسلطة الاجتماعية في الثقافات القديمة، والذي يتمحور حول شخصية ذكورية ذات سلطة أو **حاكم ديني** مرتبط بقوى مقدسة أو خارقة للطبيعة. الأداة السياسية الرئيسية للنظام الأبوي.

التزاوج المقدس: في المجتمعات ما قبل الأبوية، كانت طقوس تمكين الملك المقدس أو **الثيوقراطي،** الذي تم تفويضه لتولي السلطة من قبل كاهنة، تمثل الإلهة العظيمة، "القوة الأصلية وراء العرش". كانت طقوس المسح الجنسي الروحي تسمى هيروس غاموس، أي "الزواج المقدس".

تاريخ الخلاص، سرد الخلاص: القصة التي تشرح كيف سيتم تحقيق الخلاص، ولماذا يجب تحقيقه. خطة إلهية للخلاص تنعكس في الأحداث التاريخية الفعلية والواقعية.

الخلاصية: نظام المعتقدات الشمولي الذي يؤكد التدخل الإلهي في التاريخ، ويضفي على المعاناة قيمة فدائية. يشمل ذلك اليهودية والمسيحية والإسلام، وهي الديانات الرئيسية الثلاث المهيمنة. يفترض هذا العمل إنقاذًا خارقًا للبشرية من مشاكلها، وسلطة تحكم عن بعد خارج الكوكب فيما يتعلق بالأخلاق، و العقاب الإلهي.

الخلاصيون: أسلوب حياة يتطلب الطاعة، على عكس **طريق التنوير** الذي يتطلب التعلم

سامادهي: (السنسكريتية، "الانتباه الكامل") تركيز كامل وشامل ومستنير للوعي يؤدي إلى الوعي الكوني بنوعين: مع محتوى منفصل ومحدد ("عدم معرفة أي شيء من خلال معرفة كل شيء")، وخالٍ من كل محتوى ("معرفة كل شيء من خلال عدم معرفة أي شيء").

الأدب الحكيم: (من اللاتينية *sapientia*، "الحكمة") "أدب الحكمة"، مثل أناشيد سليمان، التي تقدم (غالباً في شكل محجوب) شعراً صوفياً يركز على شخصية **صوفيا** المكبوتة، إلهة الحكمة. يتضمن بعض المزامير، وحكمة سيراخ، ونشيد الأناشيد.

كبش الفداء: شخص بريء أو حيوان يُلام على جرائم مرتكب لا يمكن التعرف عليه أو محاسبته. انظر **الضحية**.

نظرية التكافل الداخلي المتسلسل (SET): بديل لنظرية داروين للتطور، اقترحتها لين مارغوليس، وتنص على أن الحيوانات الأكبر حجمًا تتطور من كائنات دقيقة عبر عملية تكافل طويلة الأمد، حيث تعيش الكائنات الأصغر داخل أجسام الكائنات الأكبر، بما يعود بالنفع على الطرفين. **هاكتي: (سنسكريتية، "القوة المقدسة")، عمومًا، القوة العليا التي تُضفي على الجوانب الحسية والمادية للكون.** في التانترا الهندوسية، تعتبر الإلهة شاكتي قوة ديناميكية منبثقة من العالم،

متميزة عن الإله شيفا، الذي يمثل المشاهدة السلبية لما يتجلى.

الشامانية: ممارسة الاتصال المباشر والتواصل مع الجمال المقدس والخارق للطبيعة، والوصول إلى ذكاء الطبيعة. إن الجذر القديم للتجربة الدينية ومصفوفة الأسرار التي تتميز بـ "التقنيات القديمة للنشوة" (إلياد) أو التي تم إضفاء الطابع الرسمي عليها، والتي تسمح بالوصول إلى عوالم أخرى وإلى البعد **تحت الحسي** لهذا العالم. النداء الروحي الخالد للصياد، والمعالج، والعراف، والراقص، والشاعر.

سيدها: (السنسكريتية، "المُنجز") شخص مُدرب على استخدام القوى الخارقة (سيدهي)، مثل الاستبصار السمعي، والرؤية عن بعد، والأحلام الواعية. أي ما يعادل **البارع**.

سمعان الساحر: أول عضو في خلية غنوصية يُعرف بالاسم، وذلك بسبب كسره لسياسة إخفاء الهوية وخروجه علنًا للاحتجاج على المعتقدات المسيحية.

المحاكاة: القدرة الأكثر تطوراً لدى **الأركونات.** القبطية **هال**.

الهوية الذاتية الفردية: مصطلح مقترح لتثبيت الوعي البشري على الذات الأنانية أو الهوية الحرفية والإقصائية، مما يمنع إحساسًا أكثر نفاذية ومرحًا بالذات، ويمنع التحلل المؤقت للهوية في مشاهدة العالم دون أنانية. انظر أيضًا **النرجسية**.

الثنائية أحادية المصدر: انظر **ثنائية المصدر المنقسم.**

التفرد: في الفيزياء الحديثة، نقطة ذات كثافة وحجم لانهائيين تتخذها المادة وتنهار لتشكل ثقبًا أسود. في لغة الأسرار، **مانوجينس: "الوحيد المولود"**، تفرد الإمكانات البشرية مع هامش الخطأ الاستثنائي وموهبتها في الابتكار والتجدد.

صوفيا: *(so-FI-uh)* (يونانية، "الحكمة") الذكاء الحي للأرض. شخصية محورية في علم الكونيات الغنوصي والأسرار الوثنية. الإلهة صوفيا من **البليروما**، التي تحولت بقوة **حلمها** إلى جسم كوكبي، وهو الأرض. جسدها المادي الأساسي هو **النور العضوي.** صفة، صوفيانية.

قصة صوفيا: القصة المقدسة لإيون صوفيا في **البليروما**، وكيف تحولت إلى الأرض. تم تطبيقها كأداة لإرشاد الجنس البشري في الأسرار. ويترك هذا الأمر مسألة مشاركة البشر في **تصحيح** صوفيا مفتوحة. قد يكون بمثابة إطار توجيهي لتطوير البعد الديني لعلم البيئة العميق.

سوريم: (قبطي، "خطأ"، "الضلال") مصطلح غنوصي يشير إلى ميل الجنس البشري إلى الانحراف عن مسارها الصحيح للتجربة، جزئياً من خلال هامش الخطأ الاستثنائي، وجزئياً من خلال التأثير الخفي **للأركونات.**

العلاقة بين النوع والذات: مصطلح مقترح للطريقة التي يجد بها البشر إحساسهم بذواتهم من خلال التماهي مع النوع البشري، بدلاً من الهوية الفردية، أو أنماط **تعريف المحدد** باللغة والأسرة والثقافة والعرق والدين. يتطلب الأمر الاستعانة بنموذج رؤيوي للهوية الجينية، مثل الأنثروبوس. تنشأ هذه التجربة من خلال اللقاء مع **الميسوتس** (الوسيط)، عندما لا يتم طمس تلك التجربة بالتكييف الديني والثقافي.

ثنائية المصدر المنقسم: مفهوم أخلاقي وكوني موجود في الديانة الزرادشتية والأيديولوجية الصادية، يؤكد أن الخير والشر مبادئ مطلقة ومستقلة تنشأ من نفس المصدر. يجعل الله أو الألوهية مصدراً للنزعات المعارضة العنيفة. كما يجعل الله مسؤولاً عن تصحيح المظالم التي يعاني منها البشر ولا يستطيعون إصلاحها. قارن ذلك **بالثنائية ذات المصدرين**. **إيليستس**: (من اليونانية تيلوس، "هدف"، "غاية"، "غرض"، "الشيء النهائي"؛ حرفيًا، "الشخص المستهدف") ما كان الغنوصيون سيطلقون على أنفسهم. التسمية الذاتية لأولئك الذين أسسوا وحافظوا على **الأسرار.** الشخص **المتأهل** يتمتع بمعرفة خاصة في الأمور الإلهية، وإرادة الآلهة وعملها؛

ومن ثم، فهو خبير في المسائل اللاهوتية والكونية. جمع، تلفزيون التيليستاي (المعلمين في الأسرار)؛ صفة. تيليستك الغائي.

ثيليتي: (يوناني "المقصود، ما هو مرغوب فيه، السلطة السيادية") القرين والنظير لـ إيون صوفيا في تصميم الجينوم البشري، الأنثروبوس: "الإنسان الكوني".

تيرما: (باللغة التبتية، "الكنز الخفي") في البوذية التبتية، هو تعليم مقدس مخفي في الطبيعة أو في العقل البشري من قبل معلم مستنير، ويترك ليتم اكتشافه في وقت لاحق من قبل تيرتون، أو باحث عن الكنز، بحيث يمكن استخدام هذا التعليم لإفادة البشرية في وقت ومكان اكتشافه.

الثيوقراطية: الحكم من قبل الآلهة أو أحفاد الآلهة. النموذج السياسي للسلطة في المجتمعات القديمة واسعة النطاق، القائمة على الزراعة، والتي تعتمد على الحرب.

ثيوقراطي: ملك مقدس، أو نصف إله، أو ممثل بشري للآلهة.

الوعي العابر: مصطلح مقترح للانغماس الواعي العميق في كل ما هو حي: حرفياً، "الإحساس من خلال". وهذا يعني تجاوز **هوية الذات الواحدة** كشرط أساسي لمثل هذا الانغماس. "يتجاوز الذات ويتدفق عبر كل ما هو حي، وكذلك كل شيء حي ويتدفق من خلالي."

التحويل: مصطلح مقترح للعملية التي تم فيها تحويل **عقدة المخلص** الفلسطيني، التي كانت في الأصل محصورة في طائفة **الصادقين،** إلى أيديولوجية الخلاص المسيحية الشمولية. تم إنجازها بشكل مشترك من قبل القديس بولس والقديس يوحنا اللاهوتي وفريق من الأدباء المبتذلين والمحامين الرومان المترفين الذين كتبوا الأناجيل.

ثنائية المصدرين: مفهوم كوني غنوصي يؤكد أن الخير والشر لا ينشآن من نفس المصدر، ولكن الشر يتدخل في التجربة الإنسانية بسبب تراكب نظامين إدراكيين مختلفين. ويتضح ذلك من خلال تشبيه الهولوغرام ذي المصدرين في كتابات فيليب ك. ديك.

الضحية: مصطلح اقترحه رينيه جيرارد *(العنف والمقدس)* للدلالة على كبش الفداء كأداة للنظام الاجتماعي ضرورية لحماية المجتمع من دوافعه التدميرية الذاتية. تم التعبير عن ذلك طقسياً في الطقوس القديمة للملكية المقدسة التي كانت فيها سلطة الملك تعتمد على استعداده للتضحية من أجل التكفير عن الإخفاقات الأخلاقية والظلم في المجتمع أو تصحيحها.

رابطة الضحية والجاني: الميل الخبيث لأولئك الذين يتعرضون للأذى والخيانة إلى الارتباط عاطفياً والتماهي أخلاقياً مع أولئك الذين يؤذونهم ويخونونهم. وهذا يعني ضمناً أن بعض الضحايا سيصبحون جناة بدورهم. السبب الرئيسي للإبادة الجماعية الأوروبية للأمريكتين.

أطروحة واسون: وتسمى أيضًا نظرية المؤثرات العقلية للدين، والتي تنص على أن التجربة الدينية الأصلية للبشرية، على عكس الدين كنظام مؤسسي وعقائدي، نشأت من المواجهة المباشرة مع القوى المقدسة للطبيعة من خلال تناول النباتات والفطريات ذات التأثير النفسي. انظر الملاحظة 213.

الحكمة: (باليونانية، صوفيا، العبرية، *chokhmah*. النشاط الإلهي للذكاء الواعي والمبدع ذاتيًا الذي يُنير الطبيعة ويتغلغل في الإمكانات البشرية.

يلداباوث: *(YAL-dah-BUY-ot)* اسم غنوصي **للديميورج،** قائد **الأركونات،** وهو مطابق للإله الأب التوراتي، يهوه أو يِهْوِهْ. متظاهر مختل يعمل ضد الإنسانية.

صادق: (العبرية "بار" أو "عادل") المعيار الخارق وغير الإنساني للكمال الذي يشكل دين وأخلاقيات الفكر اليهودي المتطرف في نهاية العالم. ورثتها المسيحية والإسلام، لكنهما عدّلاتها. كما يتم تهجئة صديق و *tsedeq* .

الصادقين: طائفة متطرفة للغاية ذات نزعة نهاية العالم، وكان مركزها الرئيسي يقع في **قمران** في الكهوف فوق البحر الميت من 200 قبل الميلاد إلى 68 ميلادي. وكانت أيديولوجيتهم المعادية للجنس البشري، والتي تدعو إلى خلاص القلة الصالحة، هي الشكل الأولي (أو الفيروسي) للاهوت الخلاصي المسيحي. صفة، الصادقية.

صادوق: صيغة من العهد القديم لكلمة **صادق،** تشير إلى الكهنوت السري ("أبناء صادوق") المسؤول عن مسح ملوك اليهود منذ عهد سليمان.

الغيورون: الجناح العسكري **للصادقين.** ناشطون سياسيون وإرهابيون ملتزمون بتحرير فلسطين من الاحتلال الأجنبي.

دائرة الأبراج: حزام الأبراج أو أنماط النجوم الثابتة التي تقع على المسار الظاهري للشمس (دائرة البروج)، وهو في الواقع المسار المداري للأرض. يتألف البروج النجمي أو الحقيقي من ثلاثة عشر نمطًا نجميًا مرئيًا، غير متساوية في الحجم والامتداد، بما في ذلك كوكبة الحواء، مروض الأفاعي. لا ينبغي الخلط بينه وبين دائرة الأبراج الاستوائية أو الموسمية، التي تتكون من اثني عشر قسماً متساوياً من مسار الشمس. تُطلق أسماء الأبراج الموجودة في السماء الحقيقية على العصور الفلكية (عصر الحمل، الحوت، الدلو، إلخ) التي تُقاس بالدورة طويلة المدى **للترنح.** نحن نعيش حاليًا في **عصر الحوت،** الذي بدأ بين عامي 150 و 120 قبل الميلاد عندما انتقل الاعتدال الربيعي إلى تلك الكوكبة، قادمًا من اتجاه برج الحمل.

زوي: في **قصة صوفيا،** انبثاق الإلهة صوفيا في حيوية نقية وخالدة، متميزة عن الحياة البيولوجية الفانية. مصدر التلألؤ البيولوجي و**الإيبينويا.**

الديانة الزرادشتية: أكثر ديانات العالم القديم غموضًا وإشكالية، وربما نشأت حوالي 6000 قبل الميلاد في شمال بلاد فارس (إيران)، وتتميز بالتناقض الصارم بين الخير والشر باعتبارهما مبدأين مطلقين ينبعان من نفس المصدر الكوني **(ثنائية المصدر المنقسم).** انظر أيضًا **النظام السحري**.

اقتراحات للقراءة والبحث

تندرج اقتراحاتي للقراءة والبحث حول نظرية غايا، وعلم البيئة العميق، والأسرار الوثنية، والرؤية الصوفيانية للغنوصيين ضمن تسع فئات، مع تعليقات موجزة. لا تُذكر تفاصيل النشر إلا إذا كانت ضرورية للعثور على الكتب. في معظم الحالات، يمكن العثور على الإصدارات الحالية عبر الإنترنت. باستثناء بعض الأعمال الأكاديمية ذات القيمة الأساسية للمطلعين، فقد استبعدت الأعمال الأكاديمية ذات القيمة الأساسية للمطلعين لصالح القراءة الأسهل والأكثر سهولة. تعرض الفئات من 4 إلى 9 كتابات معاصرة غير غنوصية وجدت أنها مفيدة في التعامل مع الأسرار ونظرية وممارسة الغنوصية.

أولاً: المصادر الأولية

مخطوطات نجع حمادي *(مختصر NHL أو NHC)*

ظهرت الطبعة القياسية، مكتبة نجع حمادي باللغة الإنجليزية (NHLE) التي حررها جيمس روبنسون، لأول مرة في عام 1977. تتوفر الآن طبعات من عدة دور نشر. إن NHLE مخصصة للقراء العاديين، بينما يستخدم الباحثون الطبعة متعددة المجلدات ذات الغلاف المقوى، وهي مكتبة الغنوصية القبطية (CGL)، التي نشرتها بشكل فريد دار نشر إي. جيه. بريل ، لايدن، هولندا. كما نشرت دار بريل طبعة طبق الأصل من المخطوطات في مجلدات كبيرة الحجم مع نسخ فوتوغرافية لكل صفحة. تعرض المكتبة الغنوصية القبطية النص القبطي على اليسار مع ترجمات مقابلة سطرًا بسطر. يتضمن الكتاب شروحاً مفصلة، وقواميس، ودراسات علمية دقيقة. تختلف الترجمات في المكتبة الغنوصية القبطية (CGL) في بعض المواضع عن مكتبة نجع حمادي الإنجليزية (NHLE).

تحتوي المكتبة الغنوصية القبطية أيضًا على كتابات قبطية أساسية غير موجودة في مكتبة نجع حمادي الإنجليزية: كتاب بيستيس صوفيا (مخطوطة أسكيو)، والرسالة غير المعنونة، وكتابي جو (مخطوطة بروس). يحتوي نص ثالث غير تابع لـ مكتبة نجع حمادي، وهو مخطوطة برلين (BG)، على إنجيل مريم، وعمل بطرس، ومسودات لمخطوطتين من NHL، وهما أبوكريفون يوحنا وصوفيا يسوع المسيح. تم إدراج أول وثيقتين في نهاية مكتبة نجع حمادي الإنجليزية، وتم دمج المسودات في نصوص مكتبة نجع حمادي المقابلة. وهكذا، يمكنك الحصول على مخطوطة برلين في مكتبة مكتبة نجع حمادي الإنجليزية، ولكن عليك الذهاب إلى المكتبة الغنوصية القبطية للحصول على مخطوطتي أسكيو وبروس. في عام 2000، نشرت دار بريل طبعة مختصرة من خمسة مجلدات بغلاف ورقي من المكتبة الغنوصية القبطية مع نص قبطي (بتكلفة حوالي 550 دولارًا)، ولكن بدون مخطوطات بروس وأسكيو. تُعد ترجمة بيستيس صوفيا بواسطة جي. آر. إس. ميد نسخة مبكرة من مخطوطة أسكيو، غير معترف بها من قبل علماء الغنوصية. لكن على الأقل يمكنك الحصول عليها. خارج نطاق المكتبة الغنوصية القبطية، يصعب العثور على مخطوطة بروس، ولكن هناك ترجمة قيّمة من تأليف شارلوت باينز، نُشرت في أكسفورد عام 1939.

لا توجد ترجمات إنجليزية كاملة أخرى للمواد القبطية الغنوصية باستثناء مكتبة نجع حمادي الإنجليزية و المكتبة الغنوصية القبطية، ولكن هناك بعض الترجمات البديلة الجزئية. تقدم النصوص الغنوصية التي ترجمها بنتلي لايتون بعض مواد مكتبة نجع حمادي وكتابات قديمة أخرى ذات طابع غنوصي. يُعد كتاب ″الكتاب المقدس الآخر″ الذي حرره ويليس بارنستون مجموعة ممتازة من مقاطع مختارة من كتاب "الكتاب المقدس الوطني" والمواد ذات الصلة.

تنظيم المخطوطات

يوجد في مكتبة نجع حمادي ما مجموعه 52 وثيقة، تتراوح أطوالها من بضعة أسطر إلى 40 صفحة. يقوم العلماء بترقيم المخطوطات بالأرقام الرومانية، من الأول إلى الثالث عشر، والرسائل في كل مخطوطة بالأرقام العربية، وبالعنوان. على سبيل المثال، 4 ،V، وهي الرسالة الرابعة في المخطوطة الخامسة، تحمل عنوان "نهاية العالم ليعقوب الثانية". تظهر بعض المواد في أكثر من مسودة، ولا سيما الرسالة الكونية الطويلة، وهي الكتاب السري ليوحنا، الموجودة في المخطوطات الثانية والثالثة والرابعة ومخطوطة برلين. في مخطوطة المكتبة الغنوصية القبطية، طُبعت المسودات المختلفة لهذه الرسالة المهمة جنبًا إلى جنب. في مكتبة نجع حمادي الإنجليزية، تم دمجها جميعًا في ترجمة واحدة.

يقوم العلماء بترقيم الصفحات في كل مخطوطة على التوالي، من خلال الحزمة من أول ورقة بردي إلى الأخيرة. فعلى سبيل المثال، يحتوي المخطوط السابع على خمس رسائل (أو مساقات)، بإجمالي 127 صفحة إذا تم احتساب كل جانب من جوانب ورقة البردي كصفحة. تبدأ الرسالة الثانية لشيث العظيم (VII، 2) من الصفحات 49 إلى 69. يشير دليل مكتبة نجع حمادي الإنجليزية إلى أرقام هذه الصفحات بخط عريض. يبلغ متوسط عدد أسطر صفحات المخطوطات حوالي 30 إلى 36 سطراً، وهي مرقمة أيضاً. وبالتالي يوجد نظام تدوين من أربعة مستويات: المخطوطة، والرسالة، والصفحة، والسطر. تشير مخطوطات نجع حمادي VII, 2, 54.10 إلى السطر 10 في الصفحة 54 من الرسالة 2 في المخطوطة VII، بعنوان الرسالة الثانية لشيث العظيم: "والخطة التي وضعوها حولي، لإطلاق ضلالهم وحماقتهم - لم أستسلم لهم كما خططوا". هذا سيد غنوصي يكشف حيلة الأركونات، وكيف أحبطها. يستخدم الباحثون أيضاً اختصارات للألقاب: علاج شيث، على سبيل المثال. أبوكريفا بطرس 83.1–5 هو نفسه 83.1–5 ،3 ،VII، لكن العنوان المختصر يجعل من السهل تذكر النص الذي يتم الاستشهاد به. يُعدّ أبوكريفا بطرس 83: 1-5 مقطعًا شهيرًا يصف "المخلص الضاحك" على الصليب قائلاً: "إنه يضحك على افتقارهم إلى الإدراك، لعلمه أنهم ولدوا عميانًا". إن مشهد المخلص المصلوب وهو يضحك بازدراء على جهل الحشد في الأسفل هو أحد أكثر الأحداث إثارة في مجموعة النصوص الغنوصية. يُمكّننا نظام التدوين ذو المستويات الأربعة من تحديد موقع الخطوط المميزة والبارزة مثل هذه.

من السخف قراءة أي ترجمة مخطوطات نجع حمادي مباشرة من البداية إلى النهاية، كما لو كان كتابًا عاديًا. يجب قراءة هذه الوثائق بشكل انتقائي، مع الأخذ في الاعتبار كل وثيقة على حدة مع وجود فكرة مسبقة عما يمكن العثور عليه فيها. تأتي الرسالة الحقيقية وغير المحرفة للغنوص في

ومضات أو "انفجارات" محددة مثل الأسطر المذكورة أعلاه، لأن الجزء الأكبر من المواد المتبقية غامض وكثيف وغير متماسك. من المستحيل عملياً استخلاص فقرة واضحة ومتسقة من العديد من الوثائق في مخطوطات نجع حمادي . إن العمل بأكمله عبارة عن خليط رهيب من مواد متوارثة تم تقديمها على عجل بلغة اختزال غريبة وضعيفة المفاهيم، وهي اللغة القبطية. للحصول على دليل متعمق لقراءة مكتبة نجع حمادي، راجع خطة القراءة الغنوصية على الموقع **www.metahistory.org.** على حد علمي، هذا هو التعليق الوحيد الذي يؤكد على قيمة الرسالة الغنوصية في حد ذاتها، بدلاً من التعامل معها كملحق أو نتاج للعقائد المسيحية للخلاص.

كتابات غير نجع حمادي والأبوكريفا *(الأشياء المخفية)*

وتشمل هذه المخطوطات مخطوطات أسكيو وبروس وبرلين، كما سبق ذكره. وبصرف النظر عن هذه الوثائق، لا يمكن تحديد أي مواد قبطية أخرى باقية على أنها نشأت من الدوائر الغنوصية أو الأسرار، ولكن هناك مواد متنوعة باللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والسريانية والإثيوبية والآرامية. المصدر الرئيسي للمواد باللغة اليونانية هو الأسفار الغير قانونية الثانية للعهد الجديد (NTA) التي جمعها إدغار هينيك في عام 1904 (فيلادلفيا: مطبعة ويستمنستر، مجلدان). يحتوي على شظايا من ورق البردي، ومواد غير كتابية عن يسوع، وأناجيل يهودية مسيحية، وأقوال غير معروفة ليسوع، ومناقشات مع التلاميذ بعد القيامة، وأعمال العديد من الرسل، والعديد من الأناجيل ذات الطابع الغنوصي وشبه الغنوصي.

يوجد في الاسفار الغير قانونية الثانية للعهد الجديد بعض المواد الغنوصية المذهلة، على الرغم من أن هذه الأعمال، التي تم استبعادها من قانون العهد الجديد، ذات طابع مسيحي في الغالب. إنها توفر لمحات عن الخلفية الوثنية اليهودية للمعتقدات المسيحية المبكرة، وتكشف هنا وهناك عن مجموعة معقدة من الأدبيات ما قبل المسيحية وغير المسيحية التي كان لا بد من نهبها لتأسيس رواية يسوع والرسالة الرسولية. إن الأسفار الغير قانونية الثانية للعهد الجديد عبارة عن مزيج من الأشياء، مع جرعة كبيرة من الخطابات الإنجيلية، لكن بعض موادها جذابة للغاية. يصف سفر أعمال يوحنا رقصة صوفية قام بها يسوع في العشاء الأخير، مصحوبة بقصيدة تحتوي على أبيات مثل "للكون ينتمي الراقص. من لا يدخل في الرقصة، لا يعلم ما يجري." اعتبر البابا ليو الكبير (حوالي 450) هذه الوثيقة فاضحة لدرجة أنه أدانها باعتبارها "بؤرة انحراف متعددة"، وطالب بحرق جميع النسخ، ويرجع ذلك أساسًا إلى أنها تنفي القيمة الخلاصية للمعاناة وتقترح النشوة بدلاً منها. يستبدل سفر أعمال يوحنا فعل الصلب المروع برقصة صوفية. هذه هي ذروة الأسفار الغير قانونية الثانية للعهد الجديد.

وهناك أيضاً كميات هائلة من الأشياء المخفية للعهد القديم، وهي مقتطفات من العهد القديم القياسي، وتسمى أيضاً بالأبوكريفا الزائفة. وقد قام إدغار غودسبيد بتجميع أكثر هذه الأعمال سهولة في الوصول إليها في كتابي *"الكتب المفقودة من الكتاب المقدس"* و*"كتب عدن المنسية"*، بما في ذلك كتاب المكابيين مع خلفية تاريخية عن العلاقة بين الغنوصية وقمران (الفئة 3، أدناه). تحتوي كتب أخنوخ ونهاية العالم لعزرا وإشعياء وباروخ على بعض الأدلة على سيناريو أركون-أنوناكي

("المراقبون")، بالإضافة إلى مواد غريبة أخرى تم دمجها الآن في أساطير الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة. "أدب الحكمة" أو الكتابات الحكيمة مثل أناشيد سليمان تقدم شعراً صوفياً يركز على صوفيا، إلهة الحكمة. (سابينتيا (Sapientia) هي الكلمة اللاتينية المقابلة للكلمة اليونانية صوفيا *sophia*، والتي تعني "الحكمة".) يقدم كتاب ″الكتاب المقدس الآخر″ الذي حرره ويليس بارنستون بعض المقتطفات المثيرة من قصائد الأناشيد. يمكن العثور بسهولة على الكثير من هذه المواد الغامضة على الإنترنت. على سبيل المثال، www.gnosis.org.

المراجع الكلاسيكية

من بين الكتابات الكلاسيكية باللغة اليونانية، يقدم كتاب يامبليخوس ″عن الأسرار″ الشهادة الأكثر اكتمالاً وأصالة من معلم بارع في مجال الأسرار. كان يامبليخوس (توفي حوالي عام 330 م) رئيس المدرسة السورية للأفلاطونية المحدثة التي يُعتقد أن هيباتيا كانت تنتمي إليها. لسوء الحظ، فإن الترجمة الإنجليزية الوحيدة الموجودة التي قام بها الفيلسوف الأفلاطوني الإنجليزي توماس تايلور صعبة للغاية. (إن عمل تايلور نفسه، ″أسرار إليوسيس وباكوس″، غير موثوق به بالنسبة للنظرة الحديثة للغنوص لأنه يقدم تفسيراً رمزياً لتعاليم الأسرار، وهو أمر لا يتفق مع التعليم المباشر من النور.) نادراً ما يُستشهد بيامبليخوس كمصدر للأفكار الغنوصية، في حين أن أفلوطين، الذي اعترف بضيق أنه لم يتمكن من الحصول على أي معلومات من الغنوصيين، غالباً ما يُستشهد به! إن فهمنا لمخطوطات نجع حمادي سيتحسن بشكل كبير من خلال قراءة مؤلفات شخصيات معروفة مثل شيشرون وبلوتارخ، بالإضافة إلى كتاب كلاسيكيين آخرين.

تحتوي مكتبة نجع حمادي على جزء (5 ،VI) من جمهورية أفلاطون، مترجم من اليونانية إلى القبطية. هذا يعني أن عملاً واحداً على الأقل في المجموعة يعود تاريخه إلى حوالي 400 قبل الميلاد، مما يميزه عن المواد الأخرى التي يعود تاريخها عموماً إلى 200-350 ميلادي. يبدو أن ستة إلى سبعة قرون هي فاصل زمني كبير، لكن العلماء لا يأخذون في الاعتبار إمكانية أن تكون "الأصول اليونانية" لنصوص مخطوطات نجع حمادي الأخرى من عصر مماثل لعصر أفلاطون. حتى الآن لم تكن هناك مقارنة تذكر بين كتابات التاريخ الحديث والكتابات اليونانية واللاتينية الكلاسيكية. على الرغم من غرابة الأمر، لم يتم حتى الآن تقييم الرسالة الغنوصية في ضوء التقاليد الفكرية الوثنية التي كانت تنتمي إليها!

تُعد تأملات ماركوس أوريليوس الوصية الوحيدة والعليا للأخلاق الوثنية المتوافقة مع النظرة الغنوصية للحياة. تمثل الرواقية الملامح الأخلاقية الدنيوية للتيليستاي (المعلمين في الأسرار). أوصي بالترجمة الواضحة ولكنها أنيقة إلى حد ما لماكسويل ستانيفورث (دار بنجوين للنشر).

إن أفلاطون وأَفْلُوطين، وهما من أبرز الشخصيات في الفلسفة القديمة في الغرب، يُعتبران مرجعين غير موثوق بهما ومضللين عندما يتعلق الأمر بالمعرفة الوثنية الحقيقية. كلاهما يؤكد على المعايير غير المادية والتصوف خارج الجسد (حتى أن أفلوطين اعترف بالإحراج من حقيقة امتلاكه جسدًا)، وهو ما يتناقض تمامًا مع التنوير النفسي الجسدي للأسرار.

الهرمسية

يعتبر العديد من العلماء أن الكتابات الهرمسية متوافقة، إن لم تكن متطابقة، مع الرسالة الغنوصية، ولكن (يا للمفاجأة!) أميل إلى الاختلاف. تعتبر مجموعة النصوص الهرمسية، وهي مجموعة من ثلاثة عشر نصاً ظهرت في عصر النهضة، على نطاق واسع أنها بقايا تعاليم أصلية من مدارس الأسرار المصرية. هذه الأعمال سميت على اسم هرمس، وهو الاسم اليوناني للإله المصري تحوت، إله الحكمة، والذي يسمى أيضًا تريسميجيستوس، "ثلاثي العظمة"، وهو اللقب الرسمي للكاهن الأكبر (هيرفنت). تحتوي مكتبة نجع حمادي على جزء من نص هرمسي، أسكليبيوس (VI، 8). كما كتب الباحث الغنوصي جي. آر. إس. ميد عملاً رئيسياً عن الهرمسية، بعنوان "هرمس ثلاثي العظيمة" (ثلاثة مجلدات، أعيد طبعها في مجلد واحد بواسطة صموئيل وايزر). إن مناقشة كيفية مقارنة كتابات الهرمسية بكتابات الإنجيل الجديد ستتجاوز حدود هذا الكتاب، لكنني سأقول إنني أجد في الكتابات الغنوصية أدلة أكثر على المعرفة السرية المباشرة والموجهة نحو غايا مقارنة بالتأملات الباهتة في كتابات الهرمسية. يجب التنبيه إلى أن الكتابات الهرمسية تتلاعب بصورة الديميورج الغنوصي، مما يجعله أداة خيرية للآلهة بدلاً من كونه إلهاً زائفاً خبيثاً ومخادعاً.

الهرطقات الغنوصية الموازية

أقصد بهذا المصطلح الحركات الروحية المكبوتة في العصور القديمة وما بعدها والتي تعكس بعض عناصر الغنوص والأسرار. ومن أبرز هذه المذاهب المانديية، وهي بدعة من القرن الأول رفضت يسوع لصالح يوحنا المعمدان باعتباره المسيا الحقيقي، والمانوية، وهي عودة ظهور في القرن الثالث للثنائية الزرادشتية ذات المصدر المنقسم. فيما يتعلق بالأول، راجع كتاب "كشف فرسان الهيكل" لكلايف برينس ولين بيكنيت؛ أما فيما يتعلق بالثاني، فاستشر طبيبك النفسي المحلي. يمكن اعتبار التصوف، عند النظر إليه في جوانب معينة تتعلق بالحبيب الإلهي، هرطقة غنوصية موازية. وكذلك قد يكون الحال مع الكابالا اليهودية، وهرطقة الكاثاريين في العصور الوسطى. لقد تجاهلت هذه الحركات وغيرها من الحركات الغنوصية الموازية في هذا الكتاب: فالحياة الواحدة لا تمنحك إلا الوقت الكافي لشرح الكثير.

الجدليات أو الأدب الآبائي، كتابات ضد الغنوصيين. هذا هو سجل الادعاء الذي كتبه آباء الكنيسة لإدانة الهرطقة الغنوصية. إنه ملف ضخم يمتد إلى عشرات المجلدات السميكة من المنطق المتكلف والخطاب الغاضب. الطبعة القياسية هي كتابات آباء ما قبل نيقية (إدنبرة: تي آند تي كلارك، 1904؛ إعادة طبع إيردمانز، 1996). يشير مصطلح "ما قبل نيقية" إلى الفترة التي سبقت مجمع نيقية الأول عام 325 ميلادي. ولا تندرج جميع الأدبيات الآبائية تحت هذا التصنيف لأن المدافعين عن العقيدة المسيحية استمروا في الكتابة ضد الديانة الغنوصية والوثنية لعدة قرون. بل إنهم مستمرون حتى يومنا هذا.

كان أبرز كتاب الجدل هم جوستن الشهيد، وترتليان، وإبيفانيوس، وإيرينيئوس، وهيبوليتوس، وأوريجانوس، والقديس أوغسطين، الذي كان يكتب كتابه "مدينة الله" في العام الذي قُتلت فيه هيباتيا. يقدم كتاب إيرينيئوس الليوني بقلم روبرت م. غرانت سردًا جيدًا للمفكر المؤثر الذي وضع قانون الأناجيل الأربعة وأدان جميع البدائل للنسيان. لسوء الحظ، فإن ترجمة غرانت لكتاب "ضد الهرطقات"، على الرغم من سهولة قراءتها، إلا أنها تضغط المقاطع الرئيسية المتعلقة بسقوط صوفيا والتدخل المسيحي. إن المادة الشحيحة حول هذه الأحداث موجودة بشكل فريد في كتابات إيرينيئوس، لذا يجدر الرجوع إلى الترجمة الأقدم والأكثر اكتمالاً للكتاب 1، الفصل 4، والتي يمكن العثور عليها على موقع gnosis.org.

يحتوي كتاب باناريون لإبيفانيوس، وهو مسيحي اعتنق المسيحية ودخل طائفة غنوصية للتجسس عليها، على وصف مثير لحفلة جنسية جماعية تناول فيها المشاركون سوائلهم الجنسية كطقوس مقدسة. بصرف النظر عن هذه الأشياء المثيرة النادرة، فإن قراءة آباء الكنيسة ليست هواية أوصي بها لأي شخص، لكن كتاب "اعترافات كليمنتين" يقدم بعض اللمحات القصصية المسلية عن اللقاءات بين الغنوصيين والمسيحيين الأوائل. يمكن العثور على جميع هذه الأعمال أيضًا على موقع gnosis.org.

مريم المجدلية.

هذه هي "المرأة التي كانت تعرف كل شيء"، والتي أحبها يسوع بطريقة جسدية وحميمة، إذا صدقنا بعض الروايات. يُعرّفها بعض العلماء بأنها مؤلفة إنجيل مريم (مخطوطة برلين)، الملحق بـ مكتبة نجع حمادي الإنجليزية. تقدم الأسطورة التي تعود للعصور الوسطى قصة بديلة عن مريم المجدلية، والتي توسعت لتصبح جزءًا من الفولكلور الحديث، مزينة بسخاء بتكهنات باطنية. بدأت عبادة مريم المجدلية الشعبية مع رواية الدم المقدس، الكأس المقدسة من تأليف بايجنت ولينكولن ولي، وبلغت ذروتها (دعونا نأمل) في رواية شيفرة دافنشي من تأليف دان براون. مع النجاح غير المسبوق لرواية براون عن المطار، انتشرت الكتب التي تتناول موضوع مريم المجدلية بشكل كبير. معظمها سيئة للغاية ومكررة تماماً. أفضل كتاب عن هذه الشخصية المهمة هو الأقدم، الزهرة في الخيش بقلم مارجوري م. مالفيرن، وهو كتاب نفدت طبعاته. رواية "مريم المجدلية" للكاتبة لين بيكنيت ليست سيئة للغاية. يلخص هذا النص العلاقة بين مريم المجدلية والكاثار ويشير إلى ضرورة التمييز بين رسالة مريم المجدلية والتعاليم المنسوبة إلى يسوع، دون أن يوضح كيفية القيام بذلك. يستخدم كتاب "الإلهة والأناجيل" لمارغريت ستاربيرد شخصية مريم المجدلية كوسيلة لنقد النظام الأبوي ورمزًا للزواج المثالي، ولكنه يظل تقليديًا بشكل صارم فيما عدا ذلك. يحتوي موقع Metahistory.org على قسم كبير حول مريم المجدلية بعنوان "صلة المجدلية". للاطلاع على مراجعتي الهرطقية لكتاب "إنجيل مريم المجدلية" للباحثة الغنوصية الأرثوذكسية كارين كينج، انظر www.metahistory.org/SheWhoAnoints.php.

2. علماء في الغنوصية والأسرار

كتاب "الأناجيل الغنوصية″ (1979) لإيلين باجلز هو الكتاب الأكثر شعبية على الإطلاق حول المخطوطات المصرية. لقد جعل هذا الموضوع الغنوصي معروفًا على نطاق واسع، ومع ذلك، ومن المفارقات، أن معالجة باجلز للمادة تجعل من الصعب معرفة ما كانت الغنوصية تدور حوله حقًا. وذلك لأنها تعتبر الغنوصية مسيحية بديلة - كما هو موضح في كلمة "الأناجيل" في العنوان - وتتجاهل تمامًا الصلة بالأسرار. سيجذب عملها أولئك الذين يرغبون في استيعاب المفاهيم الغنوصية دون أي تهديد لما يؤمنون به بالفعل. في رأيي، إن استخدام الكتابات الغنوصية لابتكار نسخة جديدة ومحسنة نسوية وشبه صوفية من المسيحية هو استغلال آخر لحكمة الأسرار الوثنية، بما يتوافق مع الجرائم الأيديولوجية للكنيسة العالمية.

لا يعترف الباحثون المعاصرون بكتاب ″الغنوصيون وبقاياهم″ (1887) للمؤلف سي. دبليو. كينج (إعادة طبع من دار نشر كيسنجر)، ومع ذلك فهو يحتوي على مواد أكثر صحة وقابلة للتحقق حول الروابط الغنوصية/الغامضة من باجلز ومجموعة كبيرة من الخبراء الآخرين مجتمعين. يستشهد كينغ بالمصادر الآبائية، موضحاً المدى الواسع لشبكة الأسرار الغنوصية الشامية، التي استمرت في فرنسا وإسبانيا حتى العصر المسيحي: "كانت الغنوصية أكثر من مجرد مرادفة لإمبراطورية روما، وقد نجت لفترة طويلة من سقوطها" (337). يرفض الخبراء المعاصرون مثل هذه التصريحات باعتبارها محض هراء.

كتاب ″الديانة الغنوصية″ لهانز جوناس كتب في الأصل قبل أن يكون معروفًا الكثير عن مخطوطات نجع حمادي ، ولكنه يحتوي على رؤى رئيسية غير موجودة في الأعمال اللاحقة الأكثر توثيقًا. يعتمد جوناس بشكل كبير على النموذج "المناهض للكون" القياسي الذي يتم تطبيقه على نطاق واسع (وخطأ) على الغنوصيين: الروح المحاصرة في المادة، وإنكار الجسد، وخلق العالم المادي بواسطة الديميورج. وهو يعتمد على النسخة الفالنتينية من أسطورة صوفيا التي تنقسم فيها صوفيا إلى أجزاء علوية وسفلية، وبالتالي حل مشكلة كيف يمكن للعالم المادي أن يكون تحول جسدها الإلهي وخلق "الشيطان" ديميورج. يحتوي هذا الكتاب على خاتمة رائعة ومثيرة للجدل حول الغنوصية والوجودية. قراءة صعبة ولكنها ضرورية لفهم أعمق للغنوص.

ومن الأعمال العلمية الأخرى التي تستحق القراءة كتاب ″الكتب السرية للغنوصيين المصريين″ لجان دوريس، عالم الآثار الفرنسي الذي اكتشف المخطوطات المصرية في المكتبة القبطية بالقاهرة، وكتاب ″غنوص″ لكورت رودولف. كلاهما كثيفان نوعاً ما، لكنهما يستحقان القراءة المتأنية والدقيقة. استوعب هذين الكتابين جيداً، ولن يفوتك الكثير. كتاب "شظايا إيمان منسي" لـ جي. آر. إس. ميد هو عبارة عن مجموعة من المواد المتنوعة التي تعود إلى ما قبل مكتبة نجع حمادي، بما في ذلك الجدالات. يتناول هذا النص مخطوطة أسكيو (بيستيس صوفيا) ومخطوطة بروس. في كتابها ″الغنوصية والعهد الجديد″، تقدم فيمي بيركنز رؤية عادلة وإنسانية بشكل غير عادي للغنوصيين من داخل الكنيسة المسيحية. يحتوي كتاب ″جاذبية الغنوصية″ الذي حرره روبرت أ. سيغال (شيكاغو ولا سال، إلينوي: أوبن كورت) على كتابات حول الغنوصية فيما يتعلق بعلم النفس اليونغي والثقافة المعاصرة، بما في ذلك المقالة البارزة للباحث البوذي إدوارد كونز، التي تقارن بين البوذية والغنوصية. كما يحتوي على بعض الأخطاء الفادحة؛ على سبيل المثال، تأكيد موراي شتاين على أن الديميورج (في لغة يونغ، "الأنا اليلدابوثية") ينشأ داخل البليروما وبالتالي يمثل شرارة من الألوهية التي فقدت نفسها في المادة!

كتابان صعبان ولكنهما أساسيان لأولئك الذين يرغبون في التعمق أكثر في الدراسات الغنوصية هما كتاب ″صور الأنوثة في الغنوصية″ الذي حررته كارين كينج، وكتاب ″إعادة التفكير في ″الغنوصية″ لمايكل ألين ويليامز". الأول أكاديمي بشكل صارم، ولكنه يتناول قضايا أساسية تتعلق بأسطورة صوفيا والجوانب النسوية للغنوص. وهذا الأخير هو دحض رائع للافتراضات السلبية الراسخة حول الغنوصيين وأساليبهم ورسالتهم. يرفض ويليامز تماماً الفكرة المعادية للكون، ويُظهر كيف أن إدانة الآباء للغنوصيين تأتي بنتائج عكسية.

لا يوجد تاريخ للحركة الغنوصية. يتناول كتاب ″تاريخ الغنوصية″ لجوفاني فيلورامو موضوع الأسرار باعتباره استطراداً، ويضع أصول الحركة في العصر المسيحي. ومثل العديد من علماء الغنوصية، بمن فيهم دوريس ورودولف، يتبنى فيلورامو موقفاً (مُقنّعاً) رافضاً ومُقللاً من شأن موضوعه. يمكن العثور على مواد مهمة حول الأصول ما قبل المسيحية وما قبل التاريخ للغنوصية والنظام المجوسي في الكتاب الاستثنائي ولكن غير المعروف، أفلاطون ما قبل التاريخ لماري سيتغاست (كامبريدج، ماساتشوستس: مطبعة روتنبرغ).

أكثر كتابين سهولة في فهم الغنوصية يحملان عنوان ″الغنوصيون″. يُعد كتاب جاك لاكاريير الصغير استحضاراً دقيقاً ومكتوباً بأسلوب شعري للرؤية الصوفيانية، مع التركيز على معرفة النجوم لدى الطوائف الغنوصية. يحتوي على مقدمة بقلم لورانس دوريل ورسالة من هنري ميلر، وبالتالي يربط الأفكار الغنوصية بشخصيات رئيسية في أدب القرن العشرين. يقدم كتاب توبياس تشورتون المعلوماتي ثلاثة فصول عن الغنوصيين المصريين، ثم يتتبع بقاء الغنوصية والأسرار (أي الحركات شبه الغنوصية) في الكاثارية، والشعراء المتجولين، والإنسانية في عصر النهضة، والهرمسية، والوردية الصليبية، وصولاً إلى ويليام بليك وجون لينون. على الرغم من أنه من الممكن مناقشة ما إذا كانت التعاليم والأساليب الغنوصية الحقيقية قد حُفظت في هذه الحركات اللاحقة أم لا، إلا أنها تأثرت بالتأكيد بالتقاليد المفقودة للأسرار.

كتاب ″الطقوس الغامضة القديمة″ (1987) لوالتر بوركيرت هو أفضل كتاب منفرد عن الأسرار الوثنية. إنه واضح وموجز ومكتوب بأسلوب أنيق. يُظهر بوركيرت احترامًا لموضوعه ويميز بين التجديد الوثني والفداء المسيحي (كما يفعل المؤرخ روبرت توركان في كتابه ″طوائف الإمبراطورية الرومانية″). النص الأكاديمي الأساسي قبل مكتبة نجع حمادي حول الأسرار هو كتاب الأديان الغامضة (1925) بقلم إس. أنجوس. يخبرك العنوان الفرعي ″دراسة للخلفية الدينية للمسيحية المبكرة″ على الفور أن أنجوس يميل إلى اعتبار موضوعه تابعًا للمسيحية. الكتاب عبارة عن منجم من المراجع القديمة، ولكن عندما يتعلق الأمر بالصفحات الختامية، مثل الفصل 7، "انتصار المسيحية"، يجادل أنجوس بأن الدين المسيحي متفوق لأنه يقدم "رسالة مرضية" لمشكلة المعاناة، وهو ما يعتقد أن الأسرار لم تقدمه. لا يتعمق أنجوس في الغنوصية بحد ذاتها، ويربط بين الغنوصية والأسرار في فقرة واحدة فقط من الكتاب. بشكل عام، يبدو أن أنجوس متناقض إلى حد ما في تعامله مع الأسرار. بينما يؤكد أن شخصية يسوع تم تصميمها مباشرة على غرار المتأهل الوثني والمعالج، أسكليبيوس، فإنه يقبل اللاهوت الصليبي كرسالة شخصية وتاريخية للخلاص جذبت الجماهير، وكانت متفوقة على الأسرار، وتفوقت عليها بحق.

للحصول على قراءات إضافية حول الأسرار، فإن كتاب إليوسيس لكارل كيريني وكتاب إليوسيس

وأسرار إليوسيس لجورج إي. ميلوناس لا غنى عنهما. يقدم كتاب ″الأديان الهلنستية″ للوثر هـ. مارتن نظرة عامة جيدة، ولكنه أقل جودة من كتاب بوركيرت. احذر من كتب مثل ″التعاليم الغامضة في الأديان العالمية″ لفلورنس تانر، و″الغنوص″، وهو كتاب كلاسيكي في العلوم الخفية من تأليف ويليام كينغزلاند. إنها تنتمي إلى نوع التأملات الصوفية التي تعود إلى كليمنت الإسكندري. تُلقي هذه الكتب بظلالها على الأسرار. إن معادلة الذات الإلهية التي اقترحها كليمنت تجد ذروتها في "الأسرار الجديدة" لجين هيوستن، مؤلفة كتاب بذرة الله: رحلة المسيح، وهو كتاب يقدم تقنية درامية نفسية للوصول إلى الإلهي في الداخل. هذا التمرين يبتعد قدر الإمكان عن التصوف الحيوي الغاياني والرؤية الصوفيانية للأسرار دون اللجوء إلى ركوب مكوك فضائي.

3. مخطوطات البحر الميت

قد يلاحظ القراء أن كتابي هو الوحيد حتى الآن الذي يربط مخطوطات نجع حمادي بمخطوطات البحر الميت، موضحًا وجود روابط متبادلة بين هذه المواد لم يلاحظها أو يبحث فيها أي باحث (على حد علمي): على سبيل المثال، تسمية أبناء شيث على رأس "قائمة الاغتيالات" في مخطوطة الحرب، وموقع معسكر مكافحة التجسس الأركوني في الفناء الخلفي للصادقين. يحتوي أحد الأعمال المبكرة لميلار بوروز، بعنوان مخطوطات البحر الميت (1955)، على فصل بعنوان "المعتقدات" حيث يقارن المؤلف "الخلاص بالمعرفة" الغنوصية بآراء طائفة قمران. إن هذه الحالة النادرة من الدراسة النصية المتبادلة مفيدة، لكنها لا تتناول إلا بشكل سطحي التباين بين ″تصادق″، وهو المعيار الفائق للدنيا وغير الإنساني للكمال في عهد قمران، و″تيلوس″، وهو المثال الغنوصي للإمكانات البشرية التي تحققت في الأسرار.

إن أكثر الروايات المباشرة التي يتم الاستشهاد بها حول ظهور عقدة المخلص في فلسطين القديمة هي كتاب الحروب اليهودية ليوسيفوس. توجد إصدارات مختلفة، بما في ذلك مكتبة لوب الكلاسيكية. يقدم كتاب "عقيدة المسيح" لإريك فروم تحليلاً حاداً للاضطرابات الاجتماعية في العصر الهيرودي، مع تعليق نفسي فرويدي. هناك العديد من الكتب الجيدة حول المخطوطات وتاريخها، بما في ذلك كتاب ″المخطوطات المخفية″ لنيل آشر سيلبرمان، وكتاب ″مخطوطات البحر الميت″ لجون أليغرو، وكتاب ″فك رموز مخطوطات البحر الميت″ لجوناثان كامبل، وكتاب ″لغز ومعنى مخطوطات البحر الميت″ لهيرشل شانكس. يُعد الأخير مفيدًا بشكل خاص لتقييمه للنصوص، لكن شانكس (وهو شخصية رئيسية في كشف التستر على المخطوطات) يظل مترددًا بشأن الشخصية التاريخية ليسوع كما تنعكس في أدب قمران. في هذه المسألة الشائكة، أوصي بكتاب ″مؤامرة عيد الفصح″ لهيو شونفيلد، وهو استكشاف رائع لشخصية يسوع. كما أن كتاب ″مخطوطات البحر الميت والأسطورة المسيحية″ لجون أليغرو ضروري لتفكيك أساطير الخلاص. كتاب ″الرؤيا الأخروية ومخطوطات البحر الميت" لجون ج. كولينز صعب ولكنه لا غنى عنه لفهم التحولات الغريبة لعقدة المسيح اليهودي.

أما بالنسبة للترجمات، فإن كتاب ″مخطوطات البحر الميت: ترجمة جديدة″ لمايكل وايز ومارتن أبيج الابن وإدوارد كوك هو كتاب رائع. التعليقات الواردة في جميع أنحاء الكتاب تجعل من الممكن

قراءة مخطوطات البحر الميت بشكل متماسك. ومن الترجمات الجيدة الأخرى كتاب "مخطوطات البحر الميت المكتشفة" لروبرت أيزنمان ومايكل وايز.

كتاب "خداع مخطوطات البحر الميت" لمايكل بيجنت وريتشارد لي هو أفضل سرد شعبي لحملة التستر والتضليل التي شنها الفاتيكان، والتي تهدف إلى منع العالم من رؤية الأصول الحقيقية للمسيحية. على الرغم من أنها تميل في بعض الأحيان إلى الصحافة المثيرة، إلا أن كتاب "الخداع" ناضج فكرياً، ودقيق من الناحية الواقعية، ومبني على بحث دقيق وشامل. إن كتاب "نهاية العالم" لـ د. هـ. لورانس، الذي استشهدت به في جميع أنحاء هذا الكتاب، هو إدانة مذهلة للمعتقدات السخيفة وغير الإنسانية المشفرة في اللاهوت الخلاصي اليهودي المسيحي. إنها تحفة فنية فريدة من نوعها، تُعدّ نموذجاً رائعاً للتفكيك الغنوصي.

4. الغنوص من خلال كتابات غير غنوصية

للحصول على توجيه بشأن الإحياء الحديث للغنوص والرؤية الصوفيانية للأسرار، أود أن أشير إلى القارئ بثلاث مقالات رئيسية: "الجذور التاريخية لأزمتنا البيئية" (1966) بقلم لين وايت الابن، و"الآثار الإدراكية لغايا" (1985) بقلم ديفيد أبرام، و"معنى غايا" (1990) بقلم ديفيد سبانجلر. تُقدّم هذه المقالات القصيرة الثلاث لمحة عامة عن القضايا الأخلاقية والمنهجية الأساسية التي نوقشت في هذا الكتاب. أثارت مقالة وايت النقاش حول القيم الأنثروبولوجية والمهيمنة على الطبيعة في المسيحية، مما أدى مباشرة إلى قضية "التعريف" الغامض التي أوقفت علم البيئة العميق في طريق مسدود. لقد انتقدت الحل المقترح لهذا المأزق في كتاب وارويك فوكس "علم نفس ما وراء الشخصي"، ولكن لا يزال هناك الكثير مما يجب توضيحه قبل أن تتمكن البيئة العميقة من اكتساب بُعد ديني حقيقي خالٍ من أيديولوجية الهيمنة والنرجسية الفردية.

تكمن الخلفية التاريخية العميقة للرؤية صوفيانية في ديانات الآلهة التي استعادتها ماريا جيمبوتاس في كتاباتها الرائدة، بما في ذلك كتاب "إلهات وآلهة أوروبا القديمة" وكتاب "الآلهة الحية". كتاب "أسطورة الإلهة" لآن بارينغ وجولز كاشفورد وكتاب "عندما كان الله امرأة" لمرلين ستون يعتبران قراءة أساسية في هذا السياق. يحتوي الجزء الأول على فصلٍ مُنير حول صوفيا وقمع الأنوثة الإلهية في اليهودية. (يُعد كتاب "الإلهة العبرية" لرافائيل باتاي المرجع القياسي في هذا الموضوع.) إن رواية "الإلهة البيضاء" لروبرت غريفز هي، بالطبع، الاحتفاء الصوفي الشعري الذي لا مثيل له بتقاليد الإلهة. إنها تتلألأ بالعديد من انعكاسات صوفيا الإلهية. يعتمد كتاب رالف ميتزنر "بئر الذكرى" على جيمبوتاس لتقديم مسار شاماني جديد متوافق في كثير من النواحي مع التصوف الحيوي الغاياني.

تقدم الكتابات المتعلقة بعلم النفس البيئي مناهج مفيدة لنظرة عالمية غايانية غنوصية معاصرة، ولا سيما كتاب "صوت الأرض" لثيودور روزاك، وكتاب "علم النفس البيئي الراديكالي" الأكثر صعوبة والموجه نحو الداخل لأندي فيشر. انظر أيضًا إلى المختارات، علم النفس البيئي: استعادة الأرض، شفاء العقل، التي حررها روزاك، وعلم النفس الأخضر من تأليف رالف ميتزنر، وهو حاليًا المدافع

الرئيسي عن التصوف الحيوي الغاياني والممارسات الروحية. يقدم كتاب "دارما غايا" المختارات، الذي حرره آلان هانت بادينر، منظورًا بيئيًا نادرًا حول البوذية. كتاب "الطريق" لإدوارد جولدسميث هو نص تأسيسي للأخلاق البيئية يسمح لنا بتخيل كيف كان الأوروبيون ينظرون إلى البيئة. وينطبق الأمر نفسه على كتاب "ممارسة البرية" لغاري سنايدر، الذي ينصح بأن الإلمام بالتعلم الوثني الكلاسيكي أمر ضروري للحصول على نظرة أكثر عقلانية للطبيعة. لقد اعتمدت على كتاب "الطبيعة والجنون" لبول شيبارد في صياغة الاحتجاج الغنوصي ضد الدين الأبوي. لا يوجد كتاب آخر يكمل ويوازي حجتي ضد المسيحية بشكل أوثق من كتاب شيبارد.

يُعد كتاب ثيودور روزاك "حيث تنتهي الأرض القاحلة" حجة قوية لإحياء "الغنوص القديم"، متخذاً ويليام بليك والرومانسيين كأمثلة لها. (أفضل عمل منفرد عن الرومانسية هو الطبيعة الخارقة للطبيعة بقلم إم. إتش. أبرامز.) يسلط عالم البيئة الثقافية نيل إيفرندن الضوء على دور الرومانسيين كرواد للحركة البيئية. في كتابه "الكائن الغريب الطبيعي"، يؤكد على تفرد البشرية، ليس من حيث تفوقها على الأنواع الأخرى، ولكن من حيث حاجتها إلى إيجاد أو بناء مكانتها المناسبة في الطبيعة، على عكس الأنواع الأخرى التي توفر لها الطبيعة مكانة مناسبة. يتوافق هذا الرأي مع دعوة لين مارغوليس (انظر أدناه) للجنس البشري لإيجاد "توافق إبداعي" مع العالم الطبيعي، أو الهلاك.

وأخيرًا، في نوع اللاهوت النسوي البيئي الذي يقترب، أو يريد أن يقترب من، رؤية عالمية غاية-غنوصية، يوضح كتاب غايا والله لروز ماري رادفورد روثر مدى صعوبة التوفيق بين اللاهوت اليهودي المسيحي وعلم البيئة العميق الصوفي - إنه أمر مستحيل حقًا. لكن هذا الجهد، رغم كونه غير مجدٍ، إلا أنه مفيد. إن أفضل مسار يمكن أن تسلكه الحركة النسوية البيئية في نظرية غايا هو عبر الشامانية، إذا تم استكشاف أصولها الحقيقية. على الرغم من أن الشامانية هي الجذر الرئيسي للأسرار الوثنية، إلا أنني لا أستطيع أن أوصي بأي كتاب عن الشامانية لا يؤكد بشكل خاطئ على احتكار الذكور لها. ربما مع شهادة باربرا تيدلوك على حكمة الإلهة، "المرأة في جسد الشامان"، قد يكون من الممكن إعادة وضع النظرية والممارسة الشامانية المعاصرة في منظور غايا.

5. علم البيئة العميق ونظرية غايا

تندرج بعض الأعمال المذكورة أعلاه ضمن هذه الفئة. النص التأسيسي لعلم البيئة العميقة هو كتاب "الأرض المقدسة، الجنس المقدس، نشوة الأعماق" لدولوريس لاشابيل. كتاب "المستقبل البدائي"، وهو سيرة لاشابيل النقدية لـ د. هـ. لورانس، هو كتاب غني وذو صدى يقدم لورانس بشكل مقنع باعتباره الرائد الرئيسي للحركة البيئية العميقة (انظر أيضًا الفئة 6). يُعد كتاب "الاستماع إلى الأرض"، وهو عبارة عن مجموعة من المقابلات التي أجراها ديريك جنسن، وكتاب "لغة أقدم من الكلمات" لجنسن، من النصوص البيئية العميقة الأساسية، وكذلك كتابات سنايدر وجولدسميث، المذكورة في الفئة السابقة.

أفضل عمل منفرد حول تطور نظرية غايا هو كتاب غايا: نمو فكرة من تأليف لورانس د. جوزيف. يُعد كتاب *"Lovelock & Gaia"* لجون تورني مفيدًا أيضًا للحصول على نظرة عامة.

كتاب "جسم غايا" لتايلر فولك ذو توجه تقني أكثر نحو تفاصيل علم المحيط الحيوي. للاطلاع على الآثار الثقافية والعلمية لهذه النظرية، انظر: غايا: سبيل للمعرفة، وغايا 2: الظهور.

ـــــالعلم الجديد للتحول، من تحرير ويليام إروين طومسون.

يجب قراءة كتاب غايا: نظرة جديدة للحياة على الأرض (1979) لجيمس لوفلوك جنبًا إلى جنب مع عمله اللاحق، غايا: العلم العملي لطب الكواكب (1991) للحصول على نظرة عامة كاملة عن بداية النظرية، وإلى أين تتجه. الكتب الأساسية التي ألفتها لين مارغوليس بالاشتراك مع ابنها دوريون ساغان هي عالم مصغر و حقائق منحازة ، وهي مجموعة من المقالات الشيقة حول علم الأحياء والتطور، بما في ذلك "مشكلة كبيرة في علم الأحياء" (دحض الداروينية)، و "جدري يسمى الإنسان" (آراء مارغوليس حول دور الجنس البشري في الفيزياء الحيوية الغايانية). يحتوي موقع Metahistory.org على كتابات مستفيضة حول أوجه التشابه بين أسطورة صوفيانية ونظرية غايا.

على الرغم من أنه لا يتم تضمينه عادة في مناقشات علم البيئة العميق أو نظرية غايا، إلا أن ويلهلم رايش (1897-1957) كان العالم الوحيد في القرن العشرين الذي يمكن أن يساهم عمله بشكل حاسم ومركزي في التقدم التجريبي في كلا هذين المجالين. وبالتفكير كعالم غنوصي، بحث رايخ في "الخطوط العريضة التي شكلت أخطاء الإنسان"، وحلل الاستعباد للمعتقدات الأيديولوجية. كان إنكار وقمع قوة الحياة أكبر همومه، وقد عبّر عن ذلك في كتابه "مقتل المسيح". يُعد كتاب "علم النفس الجماهيري للفاشية" تحليلاً رائعاً للجنون "الصوفي العسكري" المشترك بين النازيين وطائفة الصادقين، وإدانة جريئة للعقائد المسيحية التي ترفع الروح فوق الطبيعة. في أعماله اللاحقة، الأثير، الإله والشيطان، والتراكب الكوني، والتي ناقشها مع ألبرت أينشتاين، اقترح راي معايير غنوصية للعلم. وأكد أن "الإحساس هو أعظم لغز في العلوم الطبيعية"، وحذر من أن العالم "يخطئ بقدر إهماله لنظامه الخاص من الإدراك الحسي والوعي". إن فكرة رايش القائلة بأن المعرفة الحقيقية للطبيعة يجب أن تستند إلى الاتصال الحسي بالطبيعة هي فكرة تيليستية (غائية) تمامًا، تذكرنا بالكشف المعرفي في إليوسيس.

وأخيراً، أقترح أن تقنيات الملاحظة عند غوته تقترب من المنهج الغنوصي، وقد تعيد إنتاجه في بعض النواحي. يقدم كتاب "غوته عن العلم" لجيريمي نايدلر قائمة بالمراجع المفيدة. كتاب "غوته العالم" لرودولف شتاينر مفيد أيضاً. كتاب "كمال الطبيعة" لهنري بورتوفت هو معالجة رائعة وشاملة لنظرية غوته عن الإدراك المكثف. بكل بساطة، تؤكد هذه النظرية أن الانطباعات عن العالم التي تقدمها لنا الحواس غير مكتملة ما لم ننظر بعناية وكثافة أكبر إلى ما تقدمه لنا الحواس بالفعل. وبالتالي، فإن الطبيعة لديها الكثير لتكشفه لنا من خلال حواسنا أكثر مما نفترضه عادةً. أصر غوته على أن الإدراك المكثف يمكن أن يتعمق كثيراً في ديناميكيات الظواهر الطبيعية لدرجة أنه يتفوق على أي نظرية قد نضعها بمعزل عن الظواهر نفسها. كتاب بورتوفت هو مدخل إلى العلوم الطبيعية الغنوصية.

6. الأدب والثقافة المعاصرة

تحتوي الطبعات الحديثة من مكتبة نجع حمادي الإنجليزية على خاتمة بقلم ريتشارد سميث تصف كيف تغلغلت الأفكار الغنوصية في العديد من جوانب الثقافة والأدب الغربي. يستشهد سميث بـ بليك، وميلفيل، وهيس، ودوريس ليسينغ، ولورانس دوريل، وجيل بيت باعتبارهم ورثة أدبيين للغنوصية. يمكن بسهولة توسيع القائمة ثلاثة أضعاف، خاصة إذا أضفنا كتاب الخيال العلمي مثل فيليب ك. ديك وروجر زيلاني. في علم النفس، يستشهد سميث بـ سي. جي. يونغ، وهو المجدد الرئيسي للغنوصية، وفي الفلسفة، مارتن هايدغر، الذي يحظى بتقدير كبير من دولوريس لاشابيل. والغريب أنه لا يستشهد بـ د. هـ. لورانس. يمكن للقراء الذين يرغبون في استشعار الحساسية الغنوصية الحقيقية أن يطلعوا على قصائد لورانس الأخيرة، والتي تتضمن العديد من الاستحضارات الجميلة للطبيعة والحياة الحيوانية. في قصائده الجدلية، يهاجم لورانس بلا مر الهوية الفردية والاهتمام النرجسي بالذات. يقول في قصيدته المكونة من سطرين بعنوان "رد على يسوع": "ومن يجبر نفسه على حب أي شخص / فإنه ينجب قاتلاً في جسده". وهذا ما حاولت قوله في الفصل التاسع عشر.

كما يناقش سميث أيضاً الخبير الثقافي الأمريكي هارولد بلوم، الذي كتب أعمالاً روائية وغير روائية ذات أصول غنوصية. في كتاب *"نذير الألفية"* (1996)، تبنى بلوم دون نقد معادلة الذات الإلهية، وعرف الغنوص بأنه "معرفة مباشرة بالله داخل الذات"، لكنه في جوانب أخرى دافع بشكل جيد عن القيم الغنوصية. والمفاجأة، أن الكتاب يتضمن فقرة موجزة ورصينة وغير متحيزة حول الشامانية والممارسات الروحية. من الصعب تحديد ما إذا كان أسلوب بلوم النرجسي إلى حد ما في التنوير النظري قد كان له، أو سيكون له، أي تأثير كبير في الأوساط الدينية أو الأكاديمية. أشك في ذلك.

الأفلام التي تتبادر إلى الذهن في هذه الفئة هي فيلم *The Man Who Fell to Earth* للمخرج نيكولاس روغ (كما ذكر ريتشارد سميث)، وثلاثية ماتريكس (التي تمت مراجعتها على موقع metahistory.org). في رواية آرثر سي كلارك *"2001: أوديسة الفضاء"*، يُطلق على الحاسوب العملاق الذي يختطف المهمة اسم "هال"، وهي كلمة قبطية تعني "المحاكاة" أو "الذكاء الاصطناعي". كتاب كلارك، نهاية الطفولة، هو واحد من بين العديد من الكتب التي تستكشف موضوع الاستيلاء الغنوصي من قبل الأركونات. وتستغل أفلام الخيال العلمي الكلاسيكية الأخرى مثل *"غزو خاطفي الأجساد"* أيضاً خطر الاستبدال الأركوني. للاطلاع على العناصر الغنوصية في فيلم الرعب الكلاسيكي، أطفال الملعونين، انظر www.Metahistory.org/damned.php.

7. علم الكونيات الصوفيانية، بما في ذلك مشكلة الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة

استكمالاً للفئة السابقة، تقدم كتابات الخيال العلمي لفيليب ك. ديك إعادة صياغة لبعض جوانب علم الكونيات الصوفيانية. كان فهم ديك لتعليمات مدرسة الغنوصية والغموض انتقائيًا، حيث أظهر بعض نقاط الضعف الخطيرة، ولكنه كان عميقًا في تلك الجوانب التي فهمها. إن تعريفه للمعرفة الغنوص بأنها "تعليمات تزيل الكبت" رائع، وكذلك استعارته للهولوغرام ذي المصدرين. يكمن جزء كبير من الجانب المؤثر في أعماله في مقاومته الإنسانية الشديدة لـ هال، المحاكاة الأركونية. توقع ديك عالماً لن يتمكن سكانه من اكتشاف عمليات المحاكاة، ولن يتمكنوا من التمييز بين قطة حقيقية ونسخة إلكترونية، أو بين اللؤلؤة والبلاستيك. أصبح الكثير مما يبدو مستقبلياً في رواياته أمراً شائعاً الآن.

على الرغم من اهتمامه العميق بالاستبدال الأركوني، أو المحاكاة المضادة، إلا أن فيليب ك. ديك لم يصور الأركونيين أنفسهم. بل إن أفضل أعماله تصور أشخاصًا (عادةً أطفالًا) يمثلون أدوات حية لصوفيا. تدمج ثلاثية فاليس الخاصة به مواد نجع حمادي مع مفاهيم مستمدة من مخطوطات البحر الميت، مما ينتج عنه مزيج غريب من العناصر الغنوصية والقمرانية. في الغزو الإلهي، الثاني في الثلاثية، طفلان هما تجسيدان للحكمة الإلهية التي يلعبها الكون. في رواية ″تناسخ تيموثي آرتشر″، وهي الثالثة في الثلاثية، يتبنى ديك الأطروحة الهرطقية لجون أليغرو التي مفادها أن سر طائفة قمران كانت فطر أمانيتا موسكاريا، وهو فطر ذو تأثير نفسي يستخدمه الشامان تقليديًا. تحتوي تحفة ديك غير المنشورة، والتي تحمل عنوان "التفسير"، على مقاطع طويلة حول الفلسفة الغنوصية، والصوفيا، والديميورج. يُعد كتاب فاليس قراءة أساسية لكل من يهتم بكيفية إثراء الأفكار الغنوصية للخيال الأدبي. انظر philipkdick.com.

على الرغم من أن كتابات زكريا سيتشين متعددة المجلدات حول سيناريو الأنوناكي في الأساطير السومرية تقترب من الخيال العلمي، إلا أنها تعتبر عملاً جاداً في أذهان الكثير من الناس. من الصعب انتقاد سيتشين في بحثه العلمي - فهو يقرأ العبرية القديمة، والكتابة المسمارية، ونصف دست لغات قديمة أخرى - ولكن من السهل أن نرى أين يختلق القصص، أو يستنتج استنتاجات لا أساس لها. تأخذ "سجلات الأرض" الخاصة به الألواح السومرية على محمل الجد وتقبل أن الأنوناكي-أركون هم في الحقيقة أسيادنا الكونيين. في كتاب ″الشفرة الكونية″ (الكتاب السادس)، يؤكد أن القدماء كانوا يمتلكون معرفة بالكيمياء الجزيئية والشفرة الوراثية لأن الأنوناكي جلبوها إليهم، وليس لأنهم كانوا قادرين على اكتسابها من خلال القدرات الكامنة في الإمكانات البشرية (كما أجادل). سيتشين ذكي بما فيه الكفاية، وقراءة كتاباته مسلية للغاية. لا يزال يتصدر قائمة الكتب المتزايدة بسرعة حول سيناريو الأنوناكي-أركون، ناهيك عن الضجة الكبيرة على الإنترنت. منذ يناير 2005، عندما نُشرت مقالتي "النظرية الغنوصية للغزو الفضائي" على موقع metahistory.org، أصبحت نظريتي حول الكائنات الغير أرضية/الأركون قد دخل في النقاش. ومع ذلك، لا يزال هناك غياب شبه تام للتحليل النقدي لظواهر الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة. وحتى الآن، لا تزال النظرة الغنوصية القائلة بأن الأركونات هم مدّعون كونيون، ومخدوعون يحاولون جعلنا مخدوعين لهم، غير معروفة إلى حد كبير.

وبصرف النظر عني، فإن اثنين فقط من الكتاب المتخصصين في الطوائف، وهما نايجل كيرنر *(أغنية الرماديين)* وويليام هنري *(وحي المتنورين)*، قد ساوى بشكل مباشر بين الأركونات والأنوناكي. يقدم كتاب "الثعابين الطائرة والتنانين" للمؤلف ر. أ. بولاي (إسكونديدو، كاليفورنيا: ذا بوك تري) مادة بحثية دقيقة حول الدين القديم تشير إلى كيفية تسلل "الأجندة الزاحفة" للأنونكي إلى

طوائف يهوه في فلسطين. يُعتبر بولاي أفضل من سيتشين بدرجة أو درجتين. أفضل نقد لظاهرة الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة يأتي من جاك فاليه في كتابه "رسل الخداع" وثلاثيته "الأبعاد" و"المواجهات" و"الرؤى". إن تحليل فالي لظاهرة الكائنات الغير أرضية/الأجسام الطائرة المجهولة باعتبارها "نظام تحكم روحي" يتوافق بشكل كبير مع التعاليم الغنوصية. كتاب "الأجسام الطائرة المجهولة: عملية حصان طروادة" لجون كيل ممتاز أيضاً، وواضح، ومثير للتأمل. يقدم كتاب "أصول البشرية خارج الأرض" للمؤلف أ. د. هورن وكتاب "عبقرية القلة" للمؤلف كريستيان أوبراين صورًا مقنعة ليهوه باعتباره حاكمًا شريرًا، مستبدًا، زاحفًا، وهو الأب السيئ المطلق. انظر أيضًا مدخل "علم الأجسام الطائرة المجهولة في الكتاب المقدس" في معجم موقع metahistory.org.

لا يتطلب علم الكونيات الصوفيانية نهجًا خياليًا تجاه الأركونات فحسب، وهم سكان النظام الكوكبي باستثناء الأرض، بل يتطلب أيضًا لقاءً مباشرًا مع عجائب العالم الطبيعي. يمكن القول إنها علم كونيات محلي الصنع. في مجال الكتب غير الخيالية، يمكن العثور على أفضل المناهج لعلم الكونيات الصوفيانية في الكتابات الحديثة حول الظهور (علم الأحياء المنقح بقلم ويليس هارمان وإليزابيث ساهتوريس)، والكسور (الكسور: أنماط الفوضى بقلم جون بريجز، والمرآة المضطربة بقلم جون بريجز وإف. ديفيد بيت)، وعلم الكونيات البلازمي (الانفجار العظيم لم يحدث أبدًا بقلم إريك جيه. ليرنر). كل هذا شيء متطور للغاية، جذري ومثير للجدل، ولكنه نظري إلى حد كبير.

للحصول على نهج عملي ومباشر لعلم الكونيات الصوفيانية، لا يوجد دليل أفضل (بعد رايش) من غوته. كما ذكرنا للتو، فإن علم التشكل عند غوته، بما في ذلك النظرية الغروانية للضوء، هو النهج العلمي الأكثر توافقًا مع طريقة الأسرار. إن الملاحظة المكثفة، التي من خلالها نتعمق أكثر في المحتويات البديهية للإدراك الحسي، هي أفضل نهج حديث للمعرفة التمهيدية لغايا صوفيا.

8. نظرية الدين المتعلقة بالمؤثرات العقلية

كتاب "الفطر المقدس للرؤية" لرالف ميتزنر هو أفضل عمل منفرد حول الممارسات الحالية المتعلقة بالمواد المهلوسة. يتناول مقال ميتزنر الطويل، "الفطر الرؤيوي للأمريكتين"، الحركة المؤثرة على الوعي منذ بداياتها مع هكسلي وواسون وصولاً إلى تيرينس ماكينا. يقدم كتاب "الباحث عن الفطر المقدس"، الذي حرره توماس ج. ريدلينجر، أيضًا نظرة عامة وتقييمًا للحركة التي ولدت عندما التقى ر. جوردون واسون بشامان الفطر ماريا سابينا (1894-1985) في المكسيك عام 1955. كتاب واسون، سوما: الفطر الإلهي للخلود، هو كنز أدبي يمكن أن يقف جنباً إلى جنب مع أعمال رائدة مثل الغصن الذهبي وأثينا السوداء. كتاب "بحث بيرسيفوني"، الذي شارك في كتابته واسون مع جي إس كرامريش وكارل روك، هو البيان النهائي لنظرية المواد المهلوسة، مع إشارة واسعة النطاق إلى إليوسيس.

يوجد على الإنترنت مئات المواقع المليئة بالنصوص والمنتديات الصاخبة المخصصة للمواد المؤثرة على الوعي، ولكن لسوء الحظ، فإنها جميعها موجهة نحو الاستخدام الترفيهي للمخدرات والنباتات المقدسة، بدلاً من استخدامها في الطقوس الدينية. يُعد موقع deoxy.org الموقع الأكثر

تطوراً في مجال المواد المخدرة. للحصول على الأبحاث والإرشادات المتعلقة بالممارسات الروحية، أوصي بمجلس الممارسات الروحية على الموقع الإلكتروني csp.org.

9. التصوف الآسيوي (التانترا، الماهايانا، دزوغشن)

تبدأ الشروحات المتعلقة بالتصوف الآسيوي ونظرية الانبثاق التي تساعد على فهم الغنوصية بأعمال السير جون وودروف، وكلها منشورة من قبل شركة غانيش وشركاه، مدراس. قوة الأفعى، وشاكتي وشاكتا، وإكليل الحروف أمور لا غنى عنها. هنا وهناك، يطور وودروف بحرية أوجه التشابه بين الغنوصية والتانترا. إن عمله حول الكونداليني، قوة الأفعى، ضروري لفهم وخوض التنوير النفسي الجسدي للأسرار الوثنية. يستشهد وودروف بنصوص التانترا التي تصف بلغة صريحة تجلي النور العضوي.

من بين علماء البوذية، يقدم جون ميردين رينولدز (الرسائل الذهبية، التحرر الذاتي من خلال الرؤية بالوعي المجرد) أكثر أوجه التشابه صلة بين الغنوصية والبوذية. وتُعد كتابات هربرت ف. غونتر مفيدة أيضًا، وخاصة كتاب "حياة وتعاليم ناروبا، يوغانادها" (فاناراسي: سلسلة تشوخامبا السنسكريتية)، و"انحنى بلطف ليسهل علينا"، وهي ثلاثية كتاباته عن لونغ تشين با، أستاذ نينغما البارز. لا يزال كتاب ″أسس التصوف التبتي″ (1960) للاما جوفيندا النص الأكثر سهولة في الوصول إليه حول البوذية التبتية. علم اليوغا بقلم آي. كيه. تايمني (ويتون، إلينوي: دار كويست بوكس للنشر، دار النشر الثيوصوفية)، وهو تعليق على كتاب اليوغا سوترا لباتانجالي، يبدو وكأنه مخطوطة من مخطوطات نجع حمادي اليوم، لو أن المادة القبطية وصلت إلينا سليمة وغير محرفة. في كتابي ″بينما تلعب الآلهة″ و″شيفا وديونيسوس″، يربط عالم الأساطير المقارنة آلان دانييلو الغنوص بالمنهجيات الشامانية القديمة في جنوب آسيا.

وأخيراً، قد أشير للقارئ إلى كتبي الأخرى فيما يتعلق بموضوع هذا الكتاب وحجته. يحتوي كتاب ″دليل الباحث″ (هارموني/راندوم هاوس، 1991) على مقال موجز عن الغنوصية والعديد من الإشارات إلى المواضيع الغنوصية والصوفية. يقترح كتاب ″التوائم والثنائي″ (لندن: ثامز آند هدسون، 1993) أن التقنيات الشامانية القديمة أتاحت الوصول إلى العمليات الجزيئية والوراثية، ويشرح آلية كبش الفداء، وينظر في بعض الظواهر الخفية التي كان من الممكن استكشافها ودراستها بشكل روتيني في الأسرار. يصف كتاب ″البطل″ (لندن: ثامز آند هدسون ، 1995) العلاقة الوثيقة بين الشامانية وديانة الإلهة، وهي علاقة متأصلة في الخلفية التاريخية الطويلة للمعرفة والأسرار. يتناول هذا الكتاب أيضًا عبادة الحب، وهي ظاهرة ثقافية محورية في عودة ظهور المفهوم الوثني للحياة في العصور الوسطى.

وأخيرًا، يشرح كتاب ″البحث عن الأبراج″ (دار نشر ستار هينج، 1999) الفرق المهم بين الأبراج النجمية أو أبراج السماء الحقيقية المكونة من ثلاثة عشر كوكبة والأبراج الاستوائية المكونة من اثني عشر علامة. كما يقترح نظرية النقل التطوري للمعرفة والمهارات المكتسبة في ذروة الخبرة. أقترح أن هذه النظرية يمكن أن تشير إلى الطريقة التلسنية لتعزيز القدرات البشرية على

أعلى مستوى، والتي كانت تُطبق سابقًا في الأسرار.

جيه إل إل، مايو 2006، فلاندرز

تم إطلاق موقع Metahistory.org، وهو موقع إلكتروني حول الغنوصية والممارسات الرؤيوية الغاوية، على الإنترنت في يوليو 2002. بين عامي 2002 و 2009 تم تمويله من قبل معهد ماريون، وهي منظمة غير ربحية 501c3 مقرها في ماريون، ماساتشوستس. يكرس معهد ماريون جهوده لتحديد وتعزيز البرامج التي تسعى إلى تحسين الحياة للأرض وسكانها.

منذ عام 2009، تم توسيع موقع metahistory.org ليشمل التانترا الكوكبية ، وهو مدعوم ومكتوب ومدار بشكل مستقل من قبل المؤلف جون لاش. موقع Metahistory.org هو موقع تعليمي له هدفان رئيسيان: دراسة أنظمة المعتقدات ودعوة المشاركة في قصة لتوجيه الجنس البشري نحو التفاعل مع تصميمات وأهداف الأرض الحية.

لمزيد من المعلومات، انظر: www.marioninstitute.org و www.metahistory.org.